د. حسن حنفي

الأعمال الكاملة

المجلد الأول

# من النقل إلى العقل

الجزء الأول

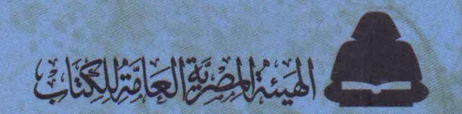
علوم القرآن

(من المحمول إلى الحامل)

هذا الكتاب يحلل الوحى ربما
لأول مرة ليس باعتباره محمولاً
ولكن باعتباره حاملاً. فلا نفس
دون بدن. والحامل إما أن يكون
موضوعياً (التاريخ) مثل
المكان (المكى والمدنى)
والبيئة الاجتماعية (أسباب النزول)
والزمان (الناسخ والمنسوخ). وإما
موضوعيا ذاتيا (الرواية) مثل الخبر
والقراءة والتدوين. وإما ذاتيا
(اللغة) مثل اللفظ والمعنى
وأساليب البلاغة والتفسير.



ISBN# 9789774486753
6 221149 031555


تصميم: أحمد اغا

د. حسن حنفى

# الأعمال الكاملة

المجلد الأول

# الأعمال الكاملة

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
د. أحمد مجاهد

مدير التحرير
جودة رفاعي

تصميم الغلاف
أحمد أغا

التنفيذ والطباعة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب

«الأعمال الكاملة» سلسلة تعنى بنشر
الثقافة الأدبية الرفيعة لكبار مبدعينا

تصدر عن الهيئة المصرية العامة
للكتاب - وزارة الثقافة





▪ المراسلات باسم السيد رئيس التحرير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - كورنيش النيل - القاهرة

ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨

Email: info@gebo.gov.eg

حنفي، حسن.

الأعمال الكاملة/ حسن حنفي. ـ القاهرة:

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.

مج١؛ ٢٤ سم. ـ (الأعمال الكاملة)

المحتويات: جـ١ من النقل إلى العقل. (القسم الأول)

علوم القرآن من المحمول إلى الحامل

تدمك ٣ ٦٧٥ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الإسلام ـ مجموعات.

أ ـ العنوان .

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٤٠٣/ ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 675 - 3

ديوى ٢١٠,٨

د. حسن حنفى

# الأعمال الكاملة

## المجلد الأول

# من النقل إلى العقل

## الجزء الأول

## علوم القرآن

## من المحمول إلى الحامل



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٤

## الإهداء..

إلى الذين لا يخشون النظر

فى الحامل دون المحمول

**حسن حنفى**

٦ أكتوبر ٢٠٠٨

## تصدير

# نهاية المطاف للجبهة الأولى

«من النقل إلى العقل» هى محاولة لإعادة بناء العلوم النقلية الخمسة بعد أن تركها القدماء والمحدثون كما وضعها الأوائل مكتفين بوضعها تاركين للزمن تطويرها. وهى: علوم القرآن، علوم الحديث، علم التفسير، علم السيرة، علم الفقه بصرف النظر عن الترتيب. وهى العلوم السائدة فى الكليات الأزهرية والكليات الدينية والتى تخشى كليات الآداب عامة وأقسام الفلسفة خاصة الاقتراب منها. وهى الأقدر على دراستها خاصة وأنها كليات الآداب والعلوم الإنسانية.

وهى أكثر العلوم تأثيرا فى الحياة العامة والخاصة استشهادا بحجة القول «قال الله» و«قال الرسول» القائم على منهج الانتقاء، والانتزاع من السياق والاختيار وفقا للأهواء اعتمادا على سلطة النص منفصلاً عن سلطة العقل. فيتحول النص إلى مقدس، يدخل فى معارك التفسير والتأويل والتى تصل إلى حد التكفير. وتقوى جذور السلفية منذ أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم ورشيد رضا وحسن البنا وسيد قطب.

والسؤال بالنسبة لنا: لماذا تبقى هذه العلوم نقلية خالصة ولا تنضم على الأقل إلى مجموعة العلوم النقلية العقلية مثل الكلام والفلسفة وأصول الفقه والتصوف؟ لماذا لا يتم تحويلها إلى علوم إنسانية، فالقرآن علم النص، والحديث علم الرواية، والتفسير علم الهرمنيطيقا، والسيرة علم التاريخ، والفقه علم القانون؟ إن العقل أساس النقل. ومن قدح فى العقل فقد قدح فى النقل. النقل دون عقل يبقى ظنيا خالصا فى حين أنه بتأسيسه على العقل يصبح أقرب إلى اليقين. ولماذا ندافع عن العقلانية ولا نقضى على جذور اللاعقلانية من تراثنا القديم أى من ثقافتنا الشعبية بعد أن تحولت أجزاء فيه إلى أمثال عامية؟ وهل تنجح المشاريع العربية المعاصرة مثل «نقد العقل العربى» فى إرساء قواعد العقلانية فى أرض ثقافتها نقلية؟ وهل تنجح عقلانية عربية مستمدة من العقلانية الغربية العلمية أو الرياضية ومقلدة لها والعقلية العربية مغروزة فى العلوم النقلية؟

ولماذا تظل العلوم الإسلامية القديمة ثابتة فى لحظة تاريخية واحدة، لا تتطور والزمن يتغير؟ إن العلوم جزء من الثقافة. والثقافة تتغير بتغير العصور والأزمان. العلوم مثل الفلسفات والفنون جزء من تصورات العالم التى تعبر عن تطور الوعى الإنسانى.

إن أخطر ما يهدد العلم نزعتان متناقضتان: القطعية والشك. الأولى تجزم باليقين المطلق الثابت الذى لا يتغير حتى لو عارضت اليقين العقلى أو اليقين الحسى. والثانية الشك فى كل شىء وعدم التسليم بشىء حتى لو كان البداهة العقلية أو الحسية. وهما النزعتان اللتان تؤديان إلى الإثبات المطلق أو الرفض المطلق. وقد تكون مرحلتين متتاليتين. البداية بالقطعية والنهاية أو البداية الثانية بالشك. هكذا كان الحال فى الغرب عندما بدأ بالقطعية عند بوسويه وليبنتز، وكانت البداية الثانية بالشك عند ديكارت فى القرن السابع عشر. ويكفينا نحن أن نتساءل دون إصدار حكم. ونترك إصدار الأحكام إلى الأجيال القادمة. والتساؤل جزء من ثقافتنا داخل فى قلب النص ويسألونك عن..... سماه ياسبرز الفلسفة «التساؤلية». وكانت الأسئلة قديما من وحى عصرها: المحيض، الإنفاق، الخمر والميسر، الأهلة، الشهر الحرام، اليتامى، الجبال، الروح، ماذا ينفقون. ونسأل نحن فى هذا العصر عن الاستبداد، والقهر، وحقوق الإنسان، والفقر، والظلم، والاستعمار، والصهيونية، والعولمة، والأحكام تتغير وتتبدل فيما عرف باسم الناسخ والمنسوخ طبقا لتغير الأزمان. فالأحكام الشرعية تسير وفقا للمصالح العامة.

لقد آن الأوان أن نبدأ الإصلاح من الجذور بدلا من أن نبدأه منذ قرنين من الزمان ويكبو جيلا وراء جيل حتى نحصل على ثورة دائمة بدلا من مجرد الطموح إليها ولا تأتى بل تكبو. إذ أنها تبدأ عاجزة. لذلك أصبح التقدم لدينا دائريا أو متجها إلى الخلف وليس متجها إلى الأمام. ونؤجل معركته خوفا من الصدام مع معوقاته. وفى نفس الوقت نعجب بمفهوم التقدم المستمر إلى الأمام فى الغرب الذى دخل معاركه وانتصر فيها.

لقد ظهر الجزء الأول من «النقل إلى العقل» عن «علوم القرآن»، والجزء الثانى عن «علم الحديث» فى بيروت ٢٠١٠ لما عرفت عنه من شجاعة فكرية وحرية رأى. ويبدو أنه لا عاصمة عربية تعلو على القاهرة التى احتضنت الأجزاء الخمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه كمقدمة للطبعة الثمانينية لأحد مفكريها. تتلوها «من النص إلى الواقع» فى علم أصول الفقه ثم «من الفناء إلى البقاء» فى علوم التصوف ثم «محمد إقبال». وعسى أن يطول الأجل لإتمام باقى الأجزاء وآخرها الجبهة الثالثة «الموقف من الواقع» أو «نظرية التفسير». وتظل الهيئة العامة للكتاب الأمينة على حرية الرأى منذ بولاق حتى الضفة الأخرى كورنيش النيل. وحاضنة لمفكريها الأحرار بالرغم مما يبدو عليها من كبوات وقتية سرعان ما تنهض بعدها لتستأنف تاريخها.

حسن حنفى

مدينة نصر ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣

# مقدمة

## ١ – من «الفناء والبقاء» إلى «العقل والنقل»

البداية كالعادة نقد العمل السابق من أجل الاستعداد للعمل اللاحق بعد مزيد من الوعى بحدود العمل السابق والتى لا تظهر إلا بعد الاكتمال. فقد تم نقد «من العقيدة إلى الثورة» فى بداية «من النقل إلى الإبداع». وتم نقد « من النقل إلى الإبداع» فى بداية «من النص إلى الواقع». وتم نقد «من النص إلى الواقع» فى بداية «من الفناء إلى البقاء». والآن يتم نقد «من الفناء إلى البقاء» فى «من النقل إلى العقل»، «علوم القرآن»[1].

أ- جاء «من الفناء إلى البقاء» فى جزأين الأول «الوعى الموضوعى» والثانى «الوعى الذاتى». وهى نفس قسمة «من النص إلى الواقع» فى جزأين: الأول «تكوين النص»، والثانى «بنية النص». ويبدو أن قصر الوقت بين العملين لم يتح الفرصة للتغير والنسيان والبداية الجذرية الجديدة. وربما أن «التكوين و «البنية» قسمة منهجية صرفة لا شأن لها بعمل معين، أصول الفقه أو التصوف أو بطول المدة وقصرها بين العملين. فالأشياء إما متحولة أو ثابتة، تاريخا أو بنية، والوحى كذلك يتطور من أول مرحلة حتى آخرها ثم يثبت فى آخر مرحلة. وإذا كان ذلك ينطبق على العلوم العقلية النقلية الأربعة، الكلام والفلسفة وأصول الفقه والتصوف فإنه لا ينطبق على العلوم النقلية الخالصة. فلم

(١) من النقل إلى الإبداع مجـ١، جـ١، التدوين، ص٧-١٤.
من النص إلى الواقع جـ١، تكوين النص، ص٩-١٧.
من الفناء إلى البقاء جـ١، الوعى الموضوعى، ص ٧ـ ١٣.

تنقسم علوم القرآن هذه القسمة وإن بقت قسمة ثلاثية فى الأبواب. ومع ذلك هناك تشابه غير مباشر بين القسمة إلى تكوين وبنية، وبين الموضوع والذات. فالتكوين هو الموضوع، والبنية هى الذات. وقد يمكن ذلك فى القسمة الثلاثية فى «علوم القرآن": الحوامل الموضوعية، الحوامل الموضوعية الذاتية، الحوامل الذاتية.

ب- خرج «الوعى الموضوعى» استعراضًا وعرضًا وتحليلًا لأسماء كتب الصوفية مرتبة طبقًا لأشكالها الأدبية التى تعبر فى نفس الوقت عن أبعاد الوعى الموضوعى. أولًا:الوعى التاريخى، والوعى التاريخى الخالص، والوعى الموضوعى الخالص. ثانيًا:الوعى النظرى: تطور الوعى النظرى من المعرفة إلى الوجود، تقنين المصطلح، مناهج التفسير، الأشكال الأدبية، تأثير البنية، الشروح، الملخصات. ثالثًا: الوعى العملى:العودة إلى التاريخ، العودة إلى علم الكلام، العودة إلى العلوم النقلية علوم الحديث والسيرة، الاغتراب فى المعجزة والخرافة، المناقب والكرامات، الطريق والطريقة والشيخ والمريد والمجتمع المثالى. رابعًا:الوعى العلمى وهو البعد الوحيد الذى تجاوز تصنيف الأعمال إلى تصنيف الموضوعات بداية بمقاييس التصنيف وعلوم الذوق وعلوم التصوف. ومع ذلك جاء العرض وكأنه أقرب إلى الفهارس العامة وشبكات المعلومات، خاليًا من أى إبداع فى الأبعاد الثلاثة الأولى للوعى الموضوعى: الوعى التاريخى، والوعى النظرى، والوعى العملى. وهى نفس أبعاد الوعى فى «بنية النص» فى علم أصول الفقه[1].

كان الهدف هو تفكيك النص الصوفى القديم، وضياع رهبته وقدسيته ببيان تركيبه كصنعة، وبنيته كرؤية لإفساح المجال لنص صوفى جديد، «من الفناء إلى البقاء». الهدف نبيل إلا أن الوسيلة كانت مدرسية مكتبية «أرشيفية» مما يصيب القارئ بالملل نظرًا لغياب الرؤية الكلية التى فى عنوان الباب وأقسامه.

ومع ذلك كانت الفائدة جمة من أجل إعادة الوعى بالنص الصوفى، شكله الأدبى وتطوره. وإذا سقط نص هنا أو هناك فإنه لا ينفى الشكل الأدبى ومراحله نظرًا لكثرة

---

(١) من النص إلى الواقع جـ٢، بنية النص.

النصوص. فالنصوص وقائع متتالية، تاريخ يكشف عن بنية ممكن أن تستكمل التاريخ وتكتشف مواطن نقصه.

جـ- وفى الجزء الثانى «الوعى الذاتى» يظهر نقد القدماء مبينًا أثناء العرض طبقًا لآليات التخفى. لم تكن هناك ضرورة لذلك نظرًا لأن التصوف ليس عقيدة. وهو نفسه متهم بالخروج عليها كما وُجه إليه النقد فى الحركات الإصلاحية خاصة محمد إقبال[1]. لذلك صعب التمييز بين الجديد والقديم بعد أن توارى الجديد فى ثنايا القديم على نحو طبيعى. تكفى الولادة دون نمو الجنين حتى لا يترك الناس الأم ويجهضوا الجنين. فالأم هى الأساس. ويمكن أن تلد أكثر من مرة حتى لو تم إجهاض الجنين الأول.

كانت طريقة عرض مادة القدماء تركها تتحدث بنفسها عن نفسها من خلال التعريفات الكثيرة للتصوف وموضوعاته. أولًا التصوف الخلقى، الفقه والأخلاق، الفضائل والرذائل، وثانيًا التصوف النفسى، النفس وأنواعها، المقامات والأحوال والتوحيد ومستوياته، وثالثًا التصوف الفلسفى والإنسان الكامل والحقيقة المحمدية، النبوة والمعاد. ورابعًا التصوف العملى، الطريق والوحدة والطريقة. غلب فيها القديم على الجديد، والتعريفات القديمة على التأويلات الجديدة. فغاب الهدف من «تثوير» التصوف. ولم يتم التعرف على كيفية التحول من «الفناء» إلى «البقاء» كما يصرح العنوان. ولم يظهرا إلا كحالين أو مقامين فى فصل المقامات والأحوال فى التصوف النفسى. ربما كان السبب تقديس القديم وتعظيم القدماء والتواضع أمامهم أكثر من إبراز الجديد والاعتزاز به لدرجة الغرور عند بعض المجددين، وإبراز الذات على حساب الموضوع.

د- تاه الجديد فى الحضور الطاغى للقديم. وأصبح من الصعب العثور عليه إلا بعد تفتيش وتدقيق وقراءة ما بين السطور. ربما فرض ذلك طبيعة الدراسات التكوينية التى يهمها رج القديم وهزه ونفضه من الغبار الذى تراكم عليه عبر السنين. وجلاء المرآة فى حد ذاته عمل جديد أفضل من صنع مرآة أخرى لا تعكس إلا صورها. ومن

---

(١) انظر كتابنا: محمد إقبال، فيلسوف الذاتية، دار الأمير، بيروت، ٢٠٠٨.

كثرة ضغط القديم على الجديد، وضغط الرحم على الوليد حدث فى النهاية ضيق شديد لدرجة الاختناق. كان الحل هو الانتظار حتى ينتهى «من الفناء إلى البقاء» دون العودة إلى طريقته فى العرض، وأساليبه فى التخفى. ربما كان السبب أن المؤلف نفسه من القدماء، خارجًا من بين القبور بالرغم مما يبدو عليه فى مقاصده من التوجه نحو الجديد كما تدل عليه أجزاء مشروع «التراث والتجديد» وعناوينها «من.. إلى». فالأم هى الأصل. والوليد هو الفرع. ربما لأن المؤلف، باعتباره كائنًا تراثيًا، ماضوى الروح، سلفى النزعة كما يتهمه العلمانيون. ربما كانت روح الحضارة الإسلامية كلها مازالت متجهة إلى الماضى نظرا لأزمات العصر وانسداد التاريخ. ربما توقفه كلية وانقسام الأمة إلى غالبية سلفية وأقلية علمانية. وكلما زاد انسداد الحاضر وانعدام المستقبل اشتد التوجه نحو الماضى الذى تجد فيه الأمة هويتها وسبب انتصارها، والحافظ لها من الاندثار.

هـ- حدث نوع من التكرار نظرًا لعشرات التعريفات للموضوع الواحد وإيثار عرضها كلها. قصدها واحد وصياغاتها وفروعها متعددة. لم يُنسب كل قول لصاحبه إلا أحيانًا فى الهوامش حتى يبقى الموضوع مستقلًا عن صاحبه. وأحيانًا يوضع التعريف بنصه وقصده. وأحيانًا تُعاد صياغته بعبارة شارحة أطول أو أقصر حتى يسهل توليد الجديد منها. فغلبت تعريفات القدماء وتكررت حتى أجهضت الموضوعات وغلفتها بعشرات من الصياغات. وفى نفس الوقت غابت التحليلات الذاتية، ووصف التجارب الشعورية. وهو منهج الصوفية، طريق الذوق. فبدأ التصوف نصوصًا وتعريفات وصياغات يفهمها القارئ بعقله ويتوه فيها لكثرته أكثر منها تجارب وحقائق يشعر بها شعورًا مباشرًا ويدركها بحدسه.

العلم هو ما يخطر بالذهن، والخواطر جزء من تحليلات النفس عند الصوفية، ولكن ضاع فى خضم المعلومات. كان الأولى الإبقاء على الخواطر ذاتها، والمعلومات معروفة، وإبراز الجديد وتوارى القديم، ووضعه بصياغاته ونصوصه بين معقوفتين فى الهوامش فصلًا بين الجديد والقديم، الجديد أعلى الصفحة والقديم أسفلها. وبهذه الطريقة يُفصل الوليد عن الأم بعد ولادته فى غرفتين منفصلتين أو يظهر الوليد بالتبنى لغياب عملية الولادة.

حدث تكرار بين أبواب الجزأين. فأبواب الجزء الأول. ثلاثة: الوعى التاريخى، والوعى النظرى، والوعى العملى. وزاد رابعًا، الوعى العلمى. وأبواب الجزء الثانى: التصوف الخلقى، التصوف النفسى، التصوف الفلسفى، التصوف العملى. فالوعي التاريخى يقابل التصوف الخلقى لأن التصوف فى مرحلته الأولى كان علم أخلاق. والوعى النظرى يعادل التصوف الفلسفى. والوعى العملى يشبه التصوف العملى. ودخل التصوف النفسى فى الوعى النظرى. كما دخل الوعى العملى فى التصوف العملى. ويبدو أن تسلط البنية على الموضوع جعلتها تفرض نفسها عليه. وهو نوع من «الهيجلية» السائدة. نظرًا لغلبة المنهج على الموضوع.

و- عنوان الجزأين واحد «الوعى»، مرة الوعى الموضوعى أى التصوف كتاريخ، ومرة الوعى الذاتى أى التصوف كتجربة. فالوعى أحد ركائز الإصلاح. ومشروع «التراث والتجديد» هو أحد مشاريع الإصلاح الثانى بعد نهاية الإصلاح الأول بأجياله الخمسة[1].

الغاية إعادة بناء التراث القديم على بؤرة جديدة هى الوعى الفردى والجمعى تحولًا من «الثيولوجيا» إلى «الانثربولوجيا» لبداية مرحلة جديدة فى الحضارة الإسلامية بعد مرحلتيها السابقتين، عصر الازدهار فى القرون السبعة الأولى حتى ابن خلدون، والمرحلة الثانية مرحلة الشروح والملخصات والموسوعات فى القرون السبعة التالية لابن خلدون، وبداية المرحلة الثالثة فى القرن الخامس عشر لإكمال حركتىّ الإصلاح والنهضة فى القرنين الأخيرين . وتشبه بداية العصور الحديثة فى القرن السابع عشر فى الغرب عند ديكارت وبيكون وما سبقها من إصلاح فى القرن الخامس عشر ونهضة فى القرن السادس عشر.

وقد تكرر أيضًا لفظ «النص» فى «من النص إلى الواقع» فى جزأيه. الأول «تكوين النص»، والثانى «بنية النص». وقد أمكن تلافى ذلك فى «من النقل إلى العقل» فى أجزائه

(1) انظر دراستنا السابقة، كبوة الإصلاح، دراسات فلسفية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٧٧-١٩٠.

الخمسة «علوم القرآن»، «علوم الحديث»، «علوم التفسير»، «علوم السيرة»، «علم الفقه». بالرغم من أن كل جزء له هدف أيضًا وهو الانتقال من مرحلة إلى أخرى كما حدث فى «علم الكلام» فى «من العقيدة إلى الثورة». «فعلوم القرآن» «من المحمول إلى الحامل» أو من اللغة والبلاغة إلى العلوم الإنسانية، و«علوم الحديث» «من نقد السند إلى نقد المتن». و«علوم التفسير» «من التفسير الطولى إلى التفسير الموضوعى (العرضى)». و«علوم السيرة» «من الشخص إلى المبدأ» أو «من الرسول إلى الرسالة». و«علم الفقه» «من فقه العبادات إلى فقه المعاملات» أو «من الفقه الشرعى إلى الفقه الطبيعى» أو «من فقه الأحكام إلى فقه الوجود»[1].

ز- استمر منهج تحليل المضمون المستخدم فى «من النقل إلى الإبداع». كان الهدف هو معرفة اتجاه النص نحو النقل أم نحو الإبداع، نحو اليونان أم نحو القرآن عن طريق تحليل عناصره ومكوناته دحضًا لشبهة النقل عن اليونان[2]. واستمر المنهج فى «من الفناء إلى البقاء» لإثبات أن المصدر الأول فى التصوف هو المصدر الداخلى للكتاب والسنة وباقى العلوم الإسلامية بالإضافة إلى ظروف العصر، وغياب المصدر الخارجى كلية باستثناء مرات نادرة يشار فيها إلى سقراط أو أفلاطون فى النصوص المتأخرة. وقد لا يحب ذلك من لا يقدر المناهج الإحصائية مع أنها مناهج مضبوطة وأدلة حسية على صدق الافتراض النظرى. ويقى قليل منه فى «من النص إلى الواقع» والأقل فى «علوم القرآن» باستثناء المكونات العامة لمصنفاته الرئيسية مثل «البرهان» للزركشى و«الإتقان» للسيوطى. واستعيض عنه بمنهج إعادة قراءة النص القديم وإعادة بنائه طبقًا لظروف العصر وتحدياته الرئيسية.

حـ- مازالت المحاولات تتسم بالضخامة فى عدة أجزاء، على الأقل فى جزأين وليس تسعة مثل «من النقل إلى الإبداع» أو «فى خمسة مثل «من العقيدة إلى الثورة». أو

---

(١) انظر محاولاتنا السابقة فى علوم التفسير Thematic Interpretation وعلوم الحديث «من نقد السند إلى نقد المتن» وعلوم السيرة «الشخص أم المبدأ»، الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ - ١٩٨١، جـ٧، اليمين واليسار فى الفكر الدينى، مدبولى، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٦٣ - ١٦٧.

(٢) من النقل إلى الإبداع، جـ١ النقل، جـ١ التدوين، ص٤٥ - ٥٤.

فى جزأين مثل «من النص إلى الواقع». كان من الصعب ضغط «من الفناء إلى البقاء» فى أقل من جزأين. الأول «الوعى الموضوعى» عن التصوف التاريخى، والثانى «الوعى الذاتى» عن التصوف كطريق. الأول عن تاريخ النص الصوفى وأشكاله الأدبية والثانى عن التجربة الذوقية الصوفية.

وفى هذه المرة «من النقل إلى العقل»، بدأ المران على الضغط. فلم يعد فى عمر الكاتب الكثير للكتابات المطولة. ولم يعد وقت القارئ الكثير ليقرأ المجلدات أمام ضغوط الحياة وسرعة الحصول على المعرفة من شبكات المعلومات والكتيبات الصغيرة والمجلات والصحف. فالنية ألا يتعدى كل علم من العلوم الخمسة جزءا واحدا. حتى ولو كان ضخماً. فهو أفضل من جزأين أو خمسة أو تسعة. ومع ذلك مازال مشروع «التراث والتجديد» يغلب عليه الضخامة. فهذا الجزء «من النقل إلى العقل» فى النهاية خمسة أجزاء. وما يشفع ذلك أن كل علم جزء واحد. وقد يكون السبب اللا شعورى فى ذلك أن المؤلف من القدماء خارج من ثنايا القبور. يحمل عبق التاريخ.

## ٢- العلوم النقلية

بعد أن أعيد بناء العلوم النقلية العقلية الأربعة، علم الكلام فى «من العقيدة إلى الثورة»، علوم الحكمة فى «من النقل إلى الإبداع»، علم أصول الفقه فى «من النص إلى الواقع»، علوم التصوف فى «من الفناء إلى البقاء» جاء دور العلوم النقلية الخالصة. وهى خمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. تركها القدماء دون إعمال العقل فيها لأنها كانت فى مرحلة التجميع والرواية والتدوين. وضع القدماء أسسها بناء على معطيات عصرهم. ولم يطورها أحد بعدهم، قدماء أو محدثين باستثناء بعض الفرقعات الحديثة من بعض مدعى التجديد أثر مقالات بعض المستشرقين عن تاريخية القرآن، ووضع الحديث، وذاتية التفسير، والنيل من حياة الرسول الشخصية، والقطيعة من الشريعة والفقه القديم.

والعلوم النقلية هى أكثر العلوم أثرا فى الثقافة الشعبية والموجودة بوفرة فى المكتبات العامة والخاصة وفى المساجد والمعاهد الدينية، والمتوافرة بطبعات عدة فى معظم العواصم العربية بأزهى الألوان، وأجمل الإخراج، وأفخر أنواع التجليد، فى عدة مجلدات.

وتكتب العنوان على مكعبات الأجزاء كلها بالخط المذهب. يوحى ذلك كله بدرجة التقديس لهذه العلوم والهالة التى تحيط بها. علم أصول الدين نخبوى. أحجمت العامة عنه لإبعادها عن المعترك السياسى كما فعل الغزالى فى «إلجام العوام عن علم الكلام». وعلوم الحكمة علوم نخبوية متهمة فى مصادرها اليونانية والفارسية، وفى مناهجها العقلية البرهانية، وفى نتائجها «إنكار وجود الله وخلق العالم وحشر الأجساد». وعلم أصول الفقه علم نخبوى للسادة الفقهاء. إنما علوم التصوف خاصة بمقاماتها وأحوالها وتحولها إلى أمثال عامية عن الصبر والرضا والقناعة والزهد والتوكل. تحولت إلى ثقافة شعبية للناس فى حياتهم اليومية وفى حلقات الذكر والطرق الصوفية. أما العلوم النقلية فهى العلوم الشعبية التى يستمد منها الخطباء والوعاظ أحاديثهم. وهى التى يصعب إعمال العقل فيها. بل تحولت إلى علوم مقدسة موروثة لا يجوز للخلف أن يغير فيما وضعه السلف شيئًا.

والعنوان «من النقل إلى العقل» دال على مضمون الأجزاء الخمسة، إعمال العقل فيما تركه القدماء للنقل وحده، وجعل هذه العلوم الخمسة: القرآن والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه، علومًا واقعية خالصة كما تحولت العلوم العقلية النقلية الأربعة التى تمت إعادة بنائها من قبل إلى علوم عقلية واقعية خالصة أخذًا بالتدرج فى مهام الأجيال حتى يتعود الناس على إعمال النظر فيها.

«من النقل إلى العقل» هو العنوان الجامع لهذه العلوم الخمسة. وكان من الصعب وضع عنوان آخر لكل جزء يدل على هذا المسار «من... إلى». كان يكفى «علوم القرآن»، «علم الحديث»، «علم التفسير»، «علم السيرة»، «علم الفقه». القرآن وحده هو «علوم» بالجمع لاعتماده على علوم اللغة والتفسير والفقه وأصول الفقه. فى حين أن باقى العلوم «علم» واحد، الرواية فى علم الحديث، وفهم القرآن فى علم التفسير، وحياة الرسول فى علم السيرة، والشريعة فى علم الفقه. كما أن كسر الرتابة فى العناوين أقرب إلى التجديد الداخلى وحتى لا يتساءل أحد القراء «تانى من... إلى». وبالتالى تنتهى النمطية من حيث الشكل وإن لم تنته الغاية والقصد. ومع ذلك فرض العنوان «من.. إلى» نفسه على العلوم النقلية الخمسة كعناوين فرعية.

لم يبق فى العمر الكثير، ستة عشر عامًا فى «من العقيدة إلى الثورة»، وثلاثة عشر عاما فى «من النقل إلى الإبداع»، وأربعة أعوام فى «من الفناء إلى البقاء»، وثلاثة أعوام فى «من النص إلى الواقع» لأنه إعادة كتابة الرسالة الفرنسية الأولى «مناهج التأويل» التى استغرقت عشر سنوات بعد أربعين عامًا[١].

أما هذه المرة فالنية معقودة على ألا يزيد كل جزء من الأجزاء الخمسة عن عام واحد، خاصة بعد التركيز على العلم دون المعلومات، وعلى خواطر النفس وخلجاتها دون التحليلات الكمية والإحصائية للعقل، وإبراز الجديد أكثر من تحليل القديم، وعلى الوليد أكثر من الأم[٢]. ونظرا لوضوح العلم والقصد فقد يستغرق أقل من ذلك. فمصنفات علوم القرآن وعلوم السيرة وعلوم الحديث محددة وإن كثرت تفاسير القرآن وتمدد فقه العبادات.

وتتمثل خطورة العلوم النقلية فى أنها تعتمد على الحفظ والنقل. فالعلماء هم الحفاظ. والعالم هو الحافظ، السيوطى نموذجًا فى كتابه «طبقات الحفاظ». فالمؤلف حافظ، والعلم حفظ بصرف النظر عن العلم والميدان[٣]. وهو العلم النبوى المنقول، ونموذجها العلوم

---

(١) Méthodes d'Exégèse، essci sur les Fondement de la Compréhension، Ilm Usul al.Fiqh، Les le caire، Paris، ١٩٦٥.

(٢) وبالتالى ينتهى «من النقل إلى العقل» فى غضون خمس سنوات (٢٠٠٨- ٢٠١٢) ثم تبدأ الجبهة الثالثة «الموقف من الواقع» أو نظرية التفسير فى (٢٠١٢- ٢٠١٥) وأكون قد وصلت إلى سن الثمانين. أعود بعدها إلى الجبهة الثانية «موقفنا من التراث الغربى» وأضع فى قلادة «مقدمة فى علم الاستغراب» أحجار كريمة عشرة بدأتها بثلاثة: هوسرل فى «تأويل الظاهريات وظاهريات التأويل»، وهى الرسالة الثانية التى كتبت منذ أكثر من أربعين عامًا: De l'Exégèse de la Phénomeuologie à la Phènomenologie du l'Exégèse

وفشته فى «فشته فيلسوف المقاومة»، وبرجسون فيلسوف الحياة»، وبعدها ماكس شيلر والظاهريات الاجتماعية، نيتشه والعدمية المطلقة، ومونييه والشخصانية، وهيجل الفيلسوف المطلق واليسار الهيجلى: باور وشترنر وفيورباخ، وشتراوس، وماركس الشاب، وكيركجارد فيلسوف الوجود، وشلنج فيلسوف الوحدة المطلقة. ويتم ذلك فى خمسة أعوام أخرى إن أنسأ الله فى العمر كما يقول ابن سينا. وأكون بذلك قد بلغت الخامسة والثمانين (ولكل أجل كتاب) أبدأ فى كتابة سيرتى الذاتية بالرغم من خطورتها على مشروع «التراث والتجديد» بجبهاته الثلاث إذ سيترك الناس المشروع ويأخذون السيرة. ويقضون على موضوعية الفكر لصالح ذاتية التجربة.

(٣) الحافظ جلال الدين السيوطى (٩١١هـ): طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

النقلية الخمسة، القرآن والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. طبقات الحفاظ مجرد أسماء أعلام لأسماء العلماء والأماكن والقبائل وأسماء الكتب مع قلة الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار. هى علوم الرواية وليست علوم الدراية. أقصى غايتها التوثيق والتضعيف والتصحيح والتجريح. وهو تلخيص لكتاب الذهبى «تذكرة الحفاظ» وتذييل عليه، حفظ حافظ عن حافظ، ونقل ناقل عن ناقل[1].

ويقسم الحفاظ إلى طبقات طبقا لمدى قربها من النبوة، الصحابة والتابعون، وتابعو التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ويقسم التابعون إلى طبقات كبرى ووسطى وصغرى طبقا لقربهم من طبقة الصحابة. وتجمع الطبقة بين العلم والسلوك. وفيها تتفاضل الطبقات. تخلو حياة العلماء من حوادث دالة أثرت عليهم أو تجارب حية مروا بها وكأن الحفاظ مجرد آلات تسجيل أو أوعية للتخزين والحفظ. تفيد فى التاريخ ومعرفة المؤلفين وأسماء مؤلفاتهم وتواريخ وفاتهم. وتدل على احترام القدماء وضرورة الأخذ عنهم وربما تقليدهم.

والغاية التأصيل النظرى أكثر من إعطاء الأمثلة من الآيات والأحاديث حتى لا يتحول العلم إلى أمثلة تطبيقية كما يفعل الأزهريون. فالغاية تحويل العلوم النقلية إلى علوم عقلية يتم حولها الحوار، والعلوم النصية إلى علوم فلسفية.

## ٣- علوم القرآن

تعتمد علوم القرآن على الأدلة النقلية بمفردها دون الأدلة العقلية؛ لأنها علوم نقلية خالصة. لذلك كثرت الآيات استدعاء من الذاكرة فى غياب المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن كما هو حادث هذه الأيام. وكانت تستعمل حبات الشعير لعد الآيات بالمئات و الكلمات بالآلاف والحروف بعشرات الآلاف. وتكثر الأدلة النقلية لدرجة

---

(١) السابق، ص١.

تحول الموضوع إلى مجرد إحصاء كمى ورصد للآيات والأحاديث[1]. هو نوع من المعجم المفهرس لآيات القرآن وأحاديث الرسول بناء على رؤوس موضوعات.

وتكثر الشواهد الشعرية بعد الآيات القرآنية. فالشعر ديوان العرب. والقرآن نزل بلغة العرب. وكثير من الاختلافات فى التفسير يمكن حلها بالعودة إلى الشواهد الشعرية. ويمكن دراسة التعبيرات الشعرية فى القرآن وبيان كيفية استعماله لها لأن الشعر أسبق. والمسافة بين القرآن والشعر ليست كبيرة. فالشعر قرآن لأنه من نفس النوع البلاغى. والقرآن شعر لأنه حُمل عليه. الإبداع الشعرى مثل الإبداع القرآنى إعجاز أدبى يثير الخيال. لذلك كان تفسير القرآن بالشعر ضمان لغوى. ولا يفسر الشعر بالقرآن لأن الشعر أسبق. الشعر حامل والقرآن محمول. لذلك عقدت فصول فى الإعجاز لمقارنة أساليب البلاغة فى القرآن والشعر.

وتعتمد علوم القرآن على مصدرين: الأول: الروايات الشفاهية، والثانية: النصوص المدونة. وكلاهما مصدران نقليان.

وإذا ظهرت دلالة فقصيرة والأمثلة عليها كثيرة، الدلالة واحدة وتذكر عليها كل الأمثلة مما جعل علوم القرآن ثبتا بالآيات وإعادة تبويب لها طبقا لموضوعات العلم، أشبه بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن طبقا لكلماته، وفى وقت لم تكن دونت فيه المعاجم بعد.

وقد أعمل المتأخرون من القدماء بعض العقل فى علوم القرآن وأكثرهم شهرة «البرهان» للزركشى (٧٩٤هـ). و«الإتقان» للسيوطى (٩١١هـ). وكانوا أكثر جرأة وشجاعة فى تناول حوامل الوحى وليس فقط المحمول. والحوامل هى اللغوية والمكانية والزمانية والاجتماعية والتاريخية والثقافية. الحوامل هى الجسد، والمحمول هو الروح.

---

(١) ذلك واضح فى النوع السادس والثلاثين «فى معرفة غريبه» ٧٣٤ لفظا غريبًا بالإضافة إلى ٨٩ شاهد شعرى، الإتقان، جـ٢/ ٣- ٨٨، والألفاظ التى فى القرآن بلغة غير الحجاز ١٧٦ لفظًا، السابق ٨٩- ١٠٤، وبغير لغة العرب ١٢٠، السابق، ص١٠٥- ١٢٠. فى الإتقان للسيوطى قرابة ثمانية آلاف آية، ومثلها من الأحاديث وما يزيد على المائة من الشواهد الشعرية.

وعلوم القرآن هو التنظير التاريخى لكل موضوعات القرآن. لذلك جاءت متأخرة[1].

وهناك قدرة على إبداع المصطلحات ووضع المناهج وتأسيس العلوم بعيدا عن الوافد. بعضها مستمد من علوم أخرى خاصة مثل علوم اللغة والبلاغة.

وقد تعرض بعض المحدثين لعلوم القرآن، منها الرصين العلمى، ومنها الفرقعة الإعلامية. ومنها ما بدأ رصينا علميًا ثم تحول إلى زوبعة إعلامية. فعلوم القرآن للخاصة وليست للعامة، للجامعات ومراكز الأبحاث وليست للصحف وقنوات الفضاء[2].

وعلوم القرآن هى علوم تجميعية من علوم اللغة والنحو والبلاغة. معظم أبوابها وفصولها فى اللغة. فاللغة هى الحامل الأول للوحى قبل الزمان والمكان. لذلك هى «علوم» بالجمع مثل «علوم» التصوف و«علوم» الحكمة وليست علمًا بالمفرد مثل «علم أصول الدين» و«علم أصول الفقه». هى علوم موسوعية شاملة ظهرت فى عصر متأخر استطاعت تجميع العلوم السابقة عليها. وتعتمد على مئات من الاقتباسات مع علامة «انتهى».

ويتم الاعتماد على الحديث بطريقة أقل لأن الحديث لا يحكم على القرآن، وللقرآن أولوية عليه كما هو الحال فى تحليل الأصوليين للمصادر الشرعية الأربعة: القرآن والحديث والإجماع والقياس[3]. ومع ذلك لا يعتمد على حل مشاكل التدوين والقراءات للنص القرآنى على الحديث لأن الأدنى لا يحكم على الأعلى فى ترتيب الأدلة الشرعية الأربعة. القرآن يحكم على الحديث، ولا يحكم الحديث على القرآن. والرسول مبلغ للقرآن وليس راويًا له فى حين أن المحدث راو للحديث. واحتمال خطأ التدوين فى القرآن أقل من احتمال خطأ الرواية فى الحديث.

---

(١) ويذكر السيوطى فى مقدمته عدة كتب أخرى مثل:
١-ابن الجوزى: فنون الأفنان فى علوم القرآن.
٢-علم الدين السخاوى: جمال القرآن.
٣-أبو شامة: المرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز.
٤-شيذلة: البرهان فى مشكلات القرآن، الإتقان، جـ١/ ١٨.

(٢) حسن حنفى: علوم التأويل بين الخاصة والعامة. قراءة فى بعض أعمال نصر حامد أبو زيد، حوار الأجيال، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص٤٣٣- ٥١٢.

(٣) من النص إلى الواقع، جـ٢، بنية النص، الفصل الأول، الوعى التاريخى، ص٩٩- ٢٤٣.

والعلم الثالث هو علم أصول الفقه الذى يعتمد بدوره على علم الحديث فى الرواية وعلى علوم اللغة فى مباحث الألفاظ، وعلى الفقه فى المقاصد والأحكام. فعلم اللغة هو المصدر المشترك بين علم أصول الفقه وعلوم القرآن. ويدخل الفقه فى علوم القرآن فى معرفة الأحكام الشرعية.

ولا تعتمد علوم القرآن على علم السيرة لأن الرسول مجرد مبلغ للوحى وليس موضوعا بشخصه كما حدث فى علم السيرة، وفى الحقيقة المحمدية فى التصوف النظرى المتأخر ولدى الطرق الصوفية فى الدين الشعبى. ونادرا ما تظهر علوم التصوف أو علوم الحكمة لأن القرآن علم نقلى فى حين أن التصوف تجربة ذوقية. وعلوم الحكمة علوم عقلية.

ولما كانت علوم القرآن علومًا داخلية محضة لبيان حوامل الوحى اللغوية والأدبية والمكانية والزمانية والاجتماعية والثقافية فإن علوم الحكمة التى تعتمد على تفاعل الداخل والخارج لم تكن بذى فائدة ولو أنه تظهر إشارات بين الحين والآخر إلى إخوان الصفا أى إلى ممثلى علوم الحكمة فى الداخل وليس إلى سقراط أو أفلاطون أو أرسطو.

وعلوم القرآن ليست علومًا مقدسة بل تبين الحوامل اللغوية والثقافية والاجتماعية والزمانية والمكانية للوحى. الوحى المقدس هو العلم الإلهى وحده قبل التدوين. ومنذ تدوينه فى اللوح المحفوظ بصرف النظر عن لغته أصبح مدونًا فى اللغة والزمان والمكان، له حوامله المخلوقة، ومنذ نزول جبريل به فى ذهنه واللغة العربية التى تكلم بها وسمعها الرسول وقد تعين الوحى أكثر فأكثر حتى فهم الرسول له ثم فهم الناس من الرسول بعد سماعه منه. ففى كل مرحلة يزداد التعين، وتكثر الحوامل وتبتعد عن المحمول الأول وهو كلام الله فى العلم الإلهى.

علوم القرآن موضوع للدراسة وليست موضوعًا للتقديس. وكلما كثرت الحوامل زاد فهم المحمول. هى موضوع للبحث وليس من عقائد الإيمان كما حدث بعد ذلك بما يزيد على ألف عام فى الحضارة الغربية بتأسيسها علم «النقد التاريخى للكتاب المقدس» لإعادة النظر فى طرق النقل الشفاهى والنقل الكتابى[1].

---

(١) ظاهريات التأويل، محاولة تفسير وجودى للكتاب المقدس، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٥.

وعلوم القرآن تجعل القرآن موضوعًا للعلم. وتخضع الوحى إلى منطق للنزول ومعرفة حوامله اللغوية لأن اللغة كانت العلم الأول من القدماء مثل العلوم الإنسانية عند المحدثين. وهى مملوءة بالخلافيات مثل علم الفقه بالرغم مما يوحى به موضوعها وهو القرآن من اتفاق المسلمين والإجماع عليه. وترجع الاختلافات إلى اختلاف الروايات والقراءات[1]. ولا يهم رصد الخلافات حول الحوامل اللغوية والمكانية والزمانية بل دلالاتها على المضمون. وقد تكون خلافات غير مؤثرة. وذلك مثل الخلافات حول المكى والمدنى. فالمكى للتصور والمدنى للنظام، المكى للعقائد والمدنى للشرائع.

ودونت علوم القرآن فى عصر متأخر كانت الأشعرية فى العقائد والشافعية فى الفقه قد أصبحتا ثقافة شعبية عامة، للعامة والخاصة مما يفسر طغيان الغزالى والشافعى فى «البرهان» للزركشى.

وإذا كانت البداية تحليل القدماء فليس لنقله وعرضه بل لتأويله وتجاوزه. نقل القدماء عن بعضهم البعض نصًا. واقتبس المتأخرون عن المتقدمين نصوصًا بعلامة «انتهى» وزادوا عليها كمًا. والبداية هنا من مادة القدماء معنى وتقسيمًا لتأويلها وإعادة بنائها. وقد استعملتُ طريقة النص الأم مثل الدولة -القاعدة فى السياسة ثم إضافة باقى النصوص قبله وبعده عليه بعد أن اكتملت بنيته ووضعت معالم العلم. والنص-العمدة فى علوم القرآن هو «الإتقان» للسيوطى. ويليه «البرهان» للزركشى. وهى نفس الطريقة التى اتبعت فى «من النص إلى الواقع» حيث كان النص النموذج «المستصفى» للغزالى. يليه «الموافقات» للشاطبى. فى حين اتبع فى «من الفناء إلى البقاء» تطور النصوص كلها من البداية إلى النهاية، منذ «الرسالة القشيرية» حتى «جامع الأصول» للنقشبندى.

## ٤- تطور علوم القرآن

وقد استمرت موضوعات علوم القرآن متناثرة جزئية قبل اكتمالها فى «البرهان» والإتقان» وبعدها. وزاد التأليف فيها أكثر من علوم القرآن المكتملة ومازال حتى الآن لدرجة أنها أصبحت موضوعات أو حتى علومًا مستقلة بذاتها عن علوم القرآن.

(١) الإتقان، ص٢٣.

ونشأت محاولات تجميعية كلية مثل «البرهان» و«الإتقان» فى «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» لأبى شامة المقدسى (٦٦٥هـ) و«الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان» لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ). لقد نظرت علوم القرآن نفسها بنفسها، وبنت نفسها بنفسها بتطور العلم من المتقدمين إلى المتأخرين، من المشارقة إلى المغاربة، ومن المصاروة إلى الشوام.

**أ- «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» لأبى شامة المقدسى (٦٦٥هـ)**

وهو مازال يتحسس الطريق حتى من حيث العنوان نحو علوم القرآن[١]. هو تصنيف يحتاج إليه أهل القرآن خاصة القراءات السبع، ثم كتابة فى عهد الخلفاء والضبط[٢]. وعلم القراءات جزء من علوم القرآن دون أن يستقل عنه بعد.

وقد أقيم العلم على ستة موضوعات: كيفية نزول القرآن وتلاوته وذكر حفاظه وهى القراءة، جمع الصحابة وهو التدوين، معنى قول النبى نزول القرآن على سبعة أحرف وهو القراءة والتفسير، والقراءات السبع المشهورة، والفصل بين القراءة الصحيحة القوية والشاذة الضعيفة المروية، والإقبال على ما ينفع من علوم القرآن والعمل بها، وترك التعمق فى تلاوة ألفاظه والغلو بسببها أى التحول من النظر إلى العمل، ومن الرواية إلى الفعل بتعبير المحدثين[٣].

فالكتاب على وعى بالحوامل الموضوعية الذاتية أى الرواية والخبر والقراءة والتدوين دون الحوامل الموضوعية، المكان والزمان والوضع الاجتماعى أو الحوامل الذاتية وهى اللغة، اللفظ والمعنى، وأساليب البلاغة، والتفسير. ولا يقل فيه التحليل النظرى عن الشواهد النقلية مما يدل على قرب التحول إلى علوم القرآن.

---

(١) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة المقدسى: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، حققه طيار آلتى قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

(٢) «فهذا تصنيف جليل يحتاج إليه أهل القرآن خصوصا من يعنى بعلم القراءات السبع ولا يعرف معنى هذه التسمية ولا ماذا نحاه الرسول.. ولا يدرى ما كان الأمر عليه فى قراءة القرآن وكتابته فى حياة النبى إلى أن جمع بعده فى خلافة أبى بكر ثم جمع فى خلافة عثمان.. ولا يهتدى إلى ما فعله كل واحد منهما، وما الفرق بين جميعهما، وما الضابط الفارق بين القراءات الشواذ وغيرها»، السابق، ص٦.

(٣) السابق، ص٦- ٧.

يعتمد على الآيات والأحاديث والأشعار وأعمال السابقين مثل الغزالى والاستشهاد بمقتطفات من أقواله. وتحلل بصياغات مختلفة لنفس الحديث مثل حديث نزول القرآن على سبعة أحرف بين الحديث الموضوعى والحديث الخيالى بتدخل جبريل للتخفيف على الأمة والتيسير عليها وكما هو الحال فى الصياغات المتعددة لحديث الفرقة الناجية فى علم أصول الدين[١]. ولا يعنى الحرف تغير الكلمة فهذا تدوين. إنما يعنى الصوت أو الفهم، اللفظ أو المعنى أو الشيء[٢]. وتساعد الفهارس التحليلية الأخيرة للآيات والأحاديث والأعلام والقبائل والجماعات والأماكن والبلدان والأيام (المواقع) على معرفة مكونات الكتاب[٣].

ب- «الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان» لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)[٤]

وهى محاولة لوضع علوم القرآن ككل ولكن غلب عليها البيان أى أساليب القول وفنون البلاغة وهى الحوامل الذاتية الخاصة باللغة وكما يتضح من العنوان وقرن علوم القرآن بعلوم البيان. فعلوم القرآن فى إطار علوم اللغة[٥].

ويظهر ذلك فى قسمة الكتاب إلى ثلاثة أقسام. الأول عن البديع، والثانى عن المعنى، والثالث عن اللفظ مع قلب الترتيب:اللفظ والمعنى والبديع[٦]. وأكبرها المعنى.

---

(١) السابق، ص٩- ١٠/ ٢٣.

(٢) السابق، ص١١٤.

(٣) الأحاديث (٦٤). الأعلام: عثمان بن عفان (٥٦)، زيد بن ثابت (٣٣)، ابن عباس، ابن مسعود (٣١)، أبو بكر، عمر (٣٠)، ابن أبى كعب، ابن سلام (٢٦).

(٤) الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى: المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، مكتبة المتنبى، القاهرة، (د.ت).

(٥) «وقد أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة، وأجناس البلاغة، وأنواع الجزالة، وفنون البيان، وغوامض اللسان، وحسن الترتيب والتركيب، وعجيب السرد، وغريب الأسلوب، وممدوحة المساغ، وحسن البلاغ، وبهجة الرونق، وطلاوة المنطق، ما أذهل عقول العقلاء، وأخرس ألسنة الفضلاء، وألقى بلاغة البلغاء من العذب، وطاشت به حلومهم، وتلاشت دونه علومهم، وكلت ألستهم الذوبة، واقصرت خطبهم المسببة، وقصائدهم المقربة، وأراجيزهم المعربة، وأسجاعهم المطربة..»، السابق، ص٨.

(٦) البديع (٩٠)، المعنى (١٣٨)، اللفظ (٤٠).

ثم ينقسم كل قسم إلى أقسام[1]. وكلها على درجة عالية من التنظير اللغوى البلاغى مع القدرة على إيجاد مصطلحات البيان والبديع ومفاهيم البلاغة وفنون القول لدرجة وضع منطق لغة للبيان مع وفرة فى التقسيمات وصعوبة العد والإحصاء والتعامل مع المفاهيم. فالفصاحة والبلاغة لها أقسام تضم الحقيقة والمجاز وتبادل الأسماء على المسميات[2]. والمعانى لها أقسام تدل على الصلة بين الانفعالات والأشكال الأدبية كما هو واضح فى فنون الخطابة والحوار بين المخاطبين[3]. والبديع له أقسام تدل جميعها على حسن الخطابة والحوار بين المخاطبين[4]. فهل هذا التحليل البيانى كله استشهاد بالقرآن على اللغة أم استشهاد باللغة على القرآن؟ من يثبت ماذا؟ أين الدليل وأين المدلول؟ فإذا كان تطبيق أساليب البلاغة العربية على القرآن فأين الإعجاز؟

---

(١) البديع (٥٤)، المعنى (٨٤)، اللفظ (٢٤).

(٢) تنقسم الفصاحة والبلاغة إلى: حدها واشتقاقها والفرق بينهما، والحقيقة والمجاز وأقسام كل منهما، إطلاق اسم السبب على المسبب والمسبب على السبب واسم الفعل على الفاعل، والبعض على الكل والكل على البعض، والفعل على مقاربه، والشيء على ما كان عليه ويؤول إليه، والمتوهم على المتحقق، والظن على الاعتقاد، كما يضم التضمين واللزوم والتجوز فى الأسماء والأفعال والحروف والاستعارة والتشبيه والتمثيل والإيجاء والاختصار والتقديم والتأخير.

(٣) وتنقسم المعانى إلى:التناسب أو التشابه، التكميل، التقسيم، المؤاخاة، الاعتراض والحشو، التفات، العمل على المعنى، الزيادة فى البناء، الإطالة والإسهاب، التكرار، القسم، الاقتباس، التذييل، المغالطة، الاشارة، الكناية، التعريض، الاستطراد، التورية، الاحتجاج النظرى، حسن المطالع والمبادئ، حسن المقطع، براعة الاستهلال، التخلص والانتقال من فن إلى فن، الاقتضاب، التطبيق، المقابلة، الاحتراس، الاختصاص، الاختراع، الهدم، الاستفهام، المزلزل، التعجب، السلب والايجاب، الهزل الذى يراد به الجد، التلميح، النسخ والسلخ والمسخ، التعديد، الموجّه، المحتمل الضدين، التجريد، الرجوع والاستدراك، السؤال والجواب، التوهم، التشعيب، الاستثناء، الغرابة والظرافة والسهولة، ما يوهم فسادا وليس بفساد، النادر والبارد، المساواة والتقصير، التصريح بعد الإبهام، التعقيب المصدرى، النفى والإثبات، الضمائر وما ينطق بها، الفصل والوصل، عطف الجمل بالواو والفاء وثم، الوصف، تنسيق الصفات بغير حق نسق، حسن النسق، المدح والذم، الحمد والشكر، المدح بما يشبه الذم، المبالغة، الرثاء والتعزية، الشكاية، الحكاية، الاقتضاء، التذكير، الوعد والوعيد، العتاب والإنذار، الأعتاب، الاعتذار، تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية، لام التأكيد، الاقتضاء والإفراط والتفريط، الغزل، التشبيب، الاستدراج، خذلان المخاطب، التعليق والإدماج، الاستخدام، التصغير.

(٤) مثل:التهذيب، الانسجام، الاشتقاق، الجزالة والرذالة، السهل الممتنع، الرشاقة والجهامة، الفك والسبك، الحل والعقد، الازدواج. تضمين المزدوج، التسجيع، الترصيع، التسميط، التجزىء، التوشيح، براعة المطلب وحسن التوسل، المخالفة، لزوم ما لا يلزم، التخويف، التطريز، ما يقرأ من الجهتين، رد العجز على الصدر، التسهيل، الاتفاق والاطراد، إعجاز القرآن.

ويعتمد الكتاب على الشعر الحديث[1]. أحيانا منسوبا لقائله وأحيانا يكون مرسلا مجهولا. ومرة يذكر الديوان لشهرته دون الشاعر مثل ديوان «الحماسة»[2]. والرسول صاحب بلاغة، فقد أوفى جوامع الكلم، وهو من أفصح بلغاء العرب[3]. ويتقدم المتنبى ثم امرؤ القيس وأبو تمام ثم البحترى ثم النابغة ثم زهير ثم أبو نواس. فالشعر مثل القرآن وعاء البلاغة. وذلك مثل أفية الرسول على مستوى المنطق[4].

جـ- «مناهج العرفان فى علوم القرآن» للزرقانى

ويكشف عن استمرار التأليف فى علوم القرآن حتى الكتب المقررة فى الجامعات والمعاهد الأزهرية بما تتسم به من وضوح وترتيب وعرض للمشاكل. المباحث أقل، سبعة عشر بحثًا. تصنف فى جزأين: الأول أحد عشر بحثًا، والثانى ستة أبحاث[5]. تجمع المادة العلمية القديمة دون ترتيب خاص. ولكل مبحث خاتمة للاستذكار. والعناوين مطبوعة بالمداد الأحمر من أجل الإبراز والإيضاح والتذكير والتركيز، كما يتسم بالموضوعية وعدم أخذ المواقف الجديدة فى الخلافات القديمة. ومع ذلك يدافع عن القرآن. فكل خلاف شبهة. وعلوم القرآن جزء من الدعوة والإرشاد.. والكتاب على وعى بالمنهجين المتبعين: السرد التاريخى، والدفاعى الجدلى. وآثر الكتاب المنهج الثانى دون التنازل عن الوضوح والترتيب والهدوء والغاية التعليمية[6]. وهو الأسلوب الأزهرى الذى يعتمد على الدفاع ومخاطبة الطلاب والربط بين الإسلام والعلم الحديث، إنجاز العصر، وتعمق أسرار التشريع. تعريفات الموضوعات إيمانية أكثر منها عقلية

---

(١) الأشعار (٤٠٠)، الأحاديث (٥١).

(٢) الفوائد المشوقة، ص٦٠/ ١١٣/ ٢٥٩.

(٣) السابق، ص١٠٣- ١٠٤.

(٤) المتنبى (٢٥)، امرؤ القيس، ابو تمام (١٧)، البحترى (١١)، النابغة (٩)، زهير (٨)، أبو نواس (٥)، كثير عزة، أبو فراس، ابن المعتز، الحارث بن حلزة، الحريرى (٤)، الفرزدق، الأخطل (٣)، وعشرات آخرون.

(٥) حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى: مناهج العرفان فى علوم القرآن، طبق ما قرره مجلس الأزهر الأعلى فى دراسة تخصص الكليات الأزهرية. وهو مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بتخصص الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين سابقًا. خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، طبعة جديدة كاملة فى مجلد واحد. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م- ١٤٢٤هـ.

(٦) السابق، ص٣-١٣.

للخاصة والعامة. يجيب على الشبهات. ويرقم الحجج والأدلة للإثبات اعتمادا على تحليل التجارب الطبيعية كما يفعل المعاصرون. ويرد على الخلافات ويعتبرها شبهات وعيوبًا أخلاقية. فأصبح الكتاب وكأنه ساحة حرب. كله دفاع. والخلاصة فى آخر كل بحث دفاع[1]. والعدو هو الغرب المادى[2]. ويدخل فى الثقافة الغربية القديمة والحديثة مثل الفيلسوف أفلاطون والشاعر موسيه[3].

ويعتمد على مادة القدماء، متكلمين، وأصوليين، وفقهاء، ولغويين، ونحويين مع بعض العلوم المستحدثة مثل علم الأعداد. وتؤخذ منها اقتباسات تدل عليها العلامة «أ هـ»[4]. يبدأ بتاريخ علوم القرآن المنشور والمخطوط والمفقود. ويتعرض بشجاعة إلى أسباب النزول والناسخ والمنسوخ دون خوف من إبراز الحوامل المكانية والزمانية للوحى. والأدلة من القرآن ثم من الحديث ثم من الشعر. وأحيانًا يتم الاستطراد فى إثبات الوحى أو المعجزات بالمعنى التقليدى، خرق قوانين الطبيعة، وليس بالمعنى الجديد، الإعجاز اللغوى والبلاغى والتشريعى[5].

وعلوم القرآن فى شكلها النهائى الكامل من العلوم المتأخرة للغاية بالرغم من أن القرآن هو المعطى الأول للوحى، وسابق على نشأة كل العلوم. كان علم الكلام أسبق لحاجته فى النزاع السياسى الذى نشأ حول الخلافة والإيمان[6]. وكان التصوف سابقا لأنه رد فعل على الاتجاه نحو العالم والصراع على الدنيا[7]. ونشأ علم أصول الفقه مبكرًا لحاجته فى استنباط الأحكام «الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر»[8]. الفلسفة هى التى تأخرت إلى القرن الثالث إلى ما بعد الترجمة فى القرن الثانى.

(١) السابق، ص٢٦/ ١٦٠/ ١٧٥/ ٢١٨.
(٢) السابق، ص٣/ ١٣.
(٣) السابق، ص٤٥.
(٤) السابق، ص٣٤.
(٥) السابق، ص٢٧ - ٢٨.
(٦) من العقيدة إلى الثورة جـ١، المقدمات النظرية، ص١٢١ - ١٢٦.
(٧) من الفناء إلى البقاء جـ١، الوعى الموضوعى.
(٨) هو قول مقتبس من رسالة عمر إلى الليث بن سعد، من النص إلى الواقع جـ١، تكوين النص، ص٢٣- ٢٤.

وأهم مؤلفين كاملين فى علوم القرآن: «البرهان» للزركشى (٧٩٤هـ) و«الإتقان» للسيوطى (٩١١هـ).

د- «البرهان» للزركشى (٧٩٤هـ)

ونظرًا لأهمية علم التفسير كمادة أولى لعلوم القرآن يخصص «البرهان» الفصل الأول فى المقدمة له[1]. ويحتاج إلى عدة علوم من علوم القرآن مثل اللغة والنحو والصرف والبيان وأصول الفقه والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ[2]. وتتعدد مناهج التفسير كمًا بين مختصر ومبسوط، ومناهج، فكل تفسير يغلب عليه حكم أو اتجاه مثل «الغريب» لدى الزجاج والواحدى، والقصص لدى الثعلبى، والبيان عند الزمخشرى والكلام وباقى العلوم العقلية عند فخر الدين الرازى[3]. والدافع على علم التفسير كمال فضيلة المصنف وقدرته على إظهار المعانى الخفية، وبيان بعض مقدمات الأقيسة أو شروطها، وتوضيح معانى الألفاظ المجازية أو بالاشتراك[4].

وتشمل علوم القرآن علومًا عديدة[5]. وقد يعنى تعدد العلوم تعدد التأويلات. فلكل كلمة ظاهر وباطن، حد ومصطلح. وقد تكون العلوم الثلاثة:توحيد وتذكير وأحكام، التوحيد هو علم الكلام، والتذكير أقرب إلى التصوف، العود والتصفية، والأحكام أقرب إلى الفقه والتكاليف والمنافع والمضار[6]. وهى متضمنة فى الفاتحة. وقد تكون العلوم الثلاثة التوحيد والنبوة والتكليف أى العقيدة والشريعة. وقد تكون العلوم أربعة:أمر ونهى وخبر واستخبار. وقد تكون ستة بإضافة الوعد والوعيد. وكلها منطق الألفاظ. وقد تتعدد العلوم إلى أربعين أى كل موضوعات القرآن، وصياغاتها

---

(١) البرهان جـ١/ ١٣-١٦.
(٢) السابق، ص١٣.
(٣) السابق جـ١، ص١٣.
(٤) السابق جـ١، ص١٤.
(٥) السابق جـ١/ ١٦. خمسون أو سبعة آلاف أو سبعون ألف علم على عدد أحكام القرآن وضروبه فى أربعة. السابق، ص١٧.
(٦) السابق، ص١٧- ٢١.

اللغوية، وأشكالها الأدبية. وقد تكون العلوم الأربعة:الإعراب وهو فى الخبر، والنظم وهو فى القصد، والتصريف فى الكلمة، والاعتبار ويتضمن الاستنباط والاستدلال.

وطبقًا لأسماء الأعلام الواردة فى «البرهان» يأتى الزمخشرى أولًا مما يدل على أولوية علم التفسير ثم سيبويه وابن جنى مما يدل على أهمية علم اللغة بعد علم التفسير. ثم يأتى مؤسسو علوم القرآن مثل: أبو على الفارسى وأبو جعفر النحاس، والواحدى. ومن المحدّثين أحمد بن حنبل ثم البخارى ثم الترمذى. ومن الفقهاء أبو حنيفة ثم ابن العربى ثم ابن عبد البر ثم الطرطوشى. ومن المتكلمين الجوينى ثم الآمدى. ومن الصحابة ابن عباس ثم ابن مالك ثم ابن مسعود. ومن الصوفية الأخلاقيين أبو الحسن البصرى ثم القشيرى. ومن الشعراء المتنبى ثم أبو تمام. ومن الخلفاء عثمان ثم عمر ثم أبو بكر. ومن الأنبياء محمد ثم موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم يوسف ثم آدم[1].

ومن الفرق يتقدم الصحابة مما يدل على ارتباط علوم القرآن بالمرويات ثم الكوفيون ثم البصريون أهم مدرستين فى تكوين علوم اللغة، ثم اليهود والنصارى مقارنة بأصحاب الكتب المقدسة السابقين، ثم الأنصار[2]. ومن الفرق الإسلامية المعتزلة أولًا أصحاب المدرسة العقلية المتميزة فى العلوم الإسلامية ثم الإسماعيلية والصوفية. ومن القبائل تتقدم قريش ثم بنو تميم ثم ثقيف ثم هوازن ثم ربيعة ثم قيس ثم هذيل[3]. ومن الأمم بنو إسرائيل أصحاب التدوين السابق[4].

---

(١) من المفسرين:الزمخشرى (١٢١)، أبو حيان النحوى (١٩)، الجرجانى (١٣)، السجستانى (١١). ومن اللغويين:سيبويه (٩٤)، ابن جنى (٥٨)، الفراء (٤١)، المبرد (٣٥)، الزجاج (٢٨)، الكسائى (٢٧)، السكاكى، أبو البقاء (٢٤)، البطليوسى (١٠)، السيرافى (٧). ومن علماء القرآن:أبو على الفارسى (٦٧)، أبو جعفر النحاس (٤٧)، الواحدى (٣١). ومن المحدثين: أحمد بن حنبل (٢)، البخارى (١٩)، الترمذى (١٠)، النووى(٧). ومن الفقهاء:أبو حنيفة (١٥)، ابن العربى (١٣)، ثم الماوردى (١٢)، ابن عبد البر (١١)، الطرطوسى (٦). ومن المتكلمين:الجوينى (١٢)، الآمدى (٤). ومن الصحابة:ابن عباس (٨٢)، ابن مالك (٥٧)، ابن مسعود (٥٦)، ابن أبى كعب (٢٩)، مجاهد (١٨)، زيد بن ثابت (١٤)، مقاتل بن سليمان (١٠). ومن الشعراء:المتنبى (٥)، أبو تمام (٤). ومن الصوفية:أبو الحسن البصرى (١٧)، القشيرى (٥). ومن الأنبياء:محمد (١٩٧)، موسى (٥٠)، عيسى (١٤)، إبراهيم (١٩)، يوسف (١١)، وآدم (٧). ومن الخلفاء:عثمان (٣٢)، عمر (٢٦)، أبو بكر (٢٣).

(٢) من الفرق:الصحابة (٢٩)، الكوفيون (٢٨)، البصريون (٢٤)، اليهود (٢٢)، النصارى (٦)، الأنصار (٤)، الحنفية (٢)، الإسماعيلية، الصوفية (١).

(٣) من القبائل:قريش (١٧)، بنو تميم (١٠)، ثقيف (٧)، هوازن، ربيعة (٤)، قيس (٣)، هذيل (٢).

(٤) من الأمم:بنو إسرائيل (٨).

ويعتمد «البرهان» على عديد من الكتب السابقة. يتقدمها «الكشاف» للزمخشرى ثم باقى كتب الزمخشرى الأخرى مثل «الكشاف القديم» و«المفصل» ثم تفسير الرازى ثم تفسير البغوى ثم الطبرى. ومن كتب اللغة يتقدم الكتاب لسيبويه ثم «فقه اللغة» لابن فارس ثم «المحتسب» لابن جنى و«منهاج البلغاء» لحازم القرطاجنى، ثم الكامل للمبرد و«القد» لابن جنى. ومن كتب الحديث يتقدم صحيح البخارى ثم صحيح مسلم ثم مسند ابن حنبل ثم سنن أبى داود. ومن كتب علوم القرآن يتقدم إعجاز القرآن للباقلانى ثم فضائل القرآن لأبى عبيد ثم الانتصار للباقلانى. ومن كتب الكلام يظهر شعب الإيمان للبيهقى. ومن كتب الفقه الرسالة للشافعى والعمدة للطرطوشى. ومن كتب تصنيف العلوم مفتاح العلوم للسكاكى[1].

ومن الأشعار فى «البرهان» تزيد الشواهد الشعرية على المائة. والإعجاز حوالى عشرة[2]. ومن الشعراء يتقدم المتنبى وامرؤ القيس، ثم جرير وذو الرمة وطرفة، ثم أمية ابن أبى الصلت والفرزدق والمجنون ثم الكميت[3].

ويستشهد بالأشعرية والأشعرى على القول بامتناع كون القرآن سجعًا[4]. كما يستشهد بالأشعرى بقوله إن القرآن مشتق من قرنت الشىء بالشىء لضم السور

(١) كتب التفسير:الكشاف للزمخشرى (٢٠٤)، الكشاف القديم للزمخشرى (٩)، تفسير الرازى، تفسير البغوى(٦)، المفصل للزمخشرى(٦)، تفسير الطبرى (٤). كتب اللغة:الكتاب لسيبويه (٥٩)، فقه اللغة لابن فارس(١٣)، منهاج البلغاء لحازم الأندلسى(١٠)، الكامل للمبرد (٧)، المحتسب لابن جنى (٥)، الخاطريات لابن جنى (٤)، القد لأبى الفتح بن جنى (٥). كتب الحديث:صحيح البخارى (٣٢)، صحيح مسلم (٢٠)، المستدرك للحاكم (١٢)، المسند لابن حنبل (٧)، سنن أبى داود (٤). كتب أحكام القرآن:إعجاز القرآن للباقلانى (١٣)، فضائل القرآن لأبى عبيد، الانتصار للباقلانى (٨)، إعجاز القرآن للخطابى (٤)، أحكام القرآن لابن عربى (٢)، دلائل الإعجاز للجرجانى (٣). كتب الكلام: شعب الإيمان للطرطوشى(٣). كتب تصنيف العلوم:مفتاح العلوم للسكاكى (٨).

(٢) عدد الشواهد الشعرية (١٠٩). الإعجاز (٩).

(٣) الشعراء:المتنبى، امرؤ القيس (١٠)، الفند الزمانى (٦)، جرير، طرفة (٥)، ذو الرمة، أمية ابن أبى الصلت، الفرزدق، المجنون (٤)، الكميت، ابن زبانة، عبد الله بن الزبعرى، النابغة الجعدى، العرندس، القاضى التنوخى، أنيف بن خريط (٢).

(٤) البرهان جـ١/ ٥٤.

والآيات والحروف كما يقال قران للجمع بين الحج والعمرة[١]. ونفى الأشعرى أن يكون فى القرآن شىء أفضل من شىء[٢]. والأشعرى من القراء وجماعة أهل المعانى، أن معنى ﴿استوى﴾ أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه دون تعطيل وتشبيه[٣]. وكذلك وجود الله فى السموات والأرض أى العلم. فى حين أن الأشعرى يجعل اليد صفة وليست مجرد القدرة فى آية ﴿لما خلقت بيدى﴾[٤]. وفى الإعجاز أقل ما يعجز عند الأشعرى السورة قصيرة أم طويلة[٥]. وكل سورة علم أنها معجزة يعجز البشر عنها. ويعلم الإعجاز ضرورة. وعند الأشعرى كل لام نسبها الله لنفسه فهى للعاقبة والصيرورة دون التعليل لاستحالة الغرض[٦].

ويستشهد بقول الحسن البصرى بأن علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال[٧]. ويستشهد بقوله فى أسباب النزول أن الإباحة فيما سلف وليس فيما هو آت[٨]. وأن القرآن من أمر الله إذا شاء رفعه. ويستشهد بالحسن بأن ما فى القرآن ﴿يا أيها الناس﴾ مكى، و﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فى المدينة[٩]. وعد حروف القرآن بالشعير فأجمع مع رفاق أن كلماته ٧٧،٤٣٩ كلمة وعدد حروفه ٣٠٠٢٣٠٠٠ [١٠]. ويستشهد به فى تفسير آية ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ أى ميقاتهم[١١]، ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ أى عصمهم. ويستشهد به فى القراءات العشر[١٢]. وفى قراءته آية ﴿ليريه﴾، ﴿يا حسرة

(١) السابق، ص٢٧٨.
(٢) السابق، ٤٣٨/ ٤٤٠.
(٣) السابق جـ٢/ ٨٢/ ٨٣.
(٤) السابق، ص٨٥.
(٥) السابق، ص١٠٨ – ١١١.
(٦) السابق، ص٣٤٦.
(٧) السابق جـ١/ ٧.
(٨) السابق، ص٢٨، جـ٤/ ٤٥.
(٩) السابق، ص١٩١.
(١٠) السابق، ص٢٤٩.
(١١) السابق، ص٢٩٤، جـ٣/ ٤٣٧.
(١٢) السابق، ص٢٣٥، جـ ٣/ ٣٢٢/ ٣٥٣.

على العباد﴾. ويستشهد به فى القراءات[1]. ويعتمد على الحسن للتوفيق بين آيتين[2]. وأيضًا رده على تفسير أبى العالية ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ فى الاختلاف فى وجوه الإعجاز[3]. وهو من التابعين الذين يؤخذ عنهم التفسير[4]. وفى تفسير حديث الآية والظهر والبطن والحد والمطلع البحث عن الظاهر يؤدى إلى الباطن[5]. ويعتمد عليه فى إطلاق اسم الحال على المحل أى الرؤية فى العين[6]. ويستشهد به فى قوله «لولا أنى مأذون لى فى ذكر اسمه لربأت به عن مسلك الطعام والشراب». وهو الفم[7]. وفى الصفات يعتمد على الماتريدى فى أن الصفة تأتى لازمة لا للتقييد جمعًا بين إثبات الصفات عند الأشاعرة ونفيها عند المعتزلة بين التشبيه والتنزيه[8]. ويذكر قول النظّام فى وجه الإعجاز وهى نظرية أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم ولكن عاقهم أمر خارجى فصار كسائر المعجزات[9].

ومن الفرق تتقدم الأشعرية وقولهم بامتناع كون القرآن سجعًا نقلا عن الباقلانى. وينقل حديث الرسول فيهم «هم منى وأنا منهم»[10]. وعن الأشاعرة تجسد العالم بخطاب «يكن». وعن الحنفية التكوين أزلى قائم بذات البارى، وهو تكوين لكل أجزاء العالم عند وجوده لأنه لا يوجد عنده كاف ونون. وجمع السرخسى بين الرأيين[11]. ويذكر المعتزلة فى نفى الشفاعة[12]. وكل سورة برأسها عن المعتزلة معجزة[13]. وينفى

---

(١) السابق، ص٣٤٩.
(٢) السابق جـ٢/ ٤٥، هما (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة)، (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر).
(٣) السابق جـ٢/ ١٠٥.
(٤) السابق، ص١٥٨.
(٥) السابق، ص١٦٩.
(٦) السابق، ص٢٨٢.
(٧) السابق جـ٣/ ١٤٥.
(٨) السابق جـ٢/ ٤٣٠. وذلك فى تفسير آية (ولا طائر يطير بجناحين).
(٩) السابق جـ٢/ ٩٣- ٩٤.
(١٠) السابق جـ١/ ٥٤. جـ٣/ ٣٠٢.
(١١) السابق، ص٢٥٢.
(١٢) السابق جـ١/ ١٢٤.
(١٣) السابق جـ٢/ ١٠٨.

المعتزلة الرؤية فى الدنيا والآخرة بناء على أداة النفى «لن» التى تفيد المستقبل فى آية ﴿لن ترانى﴾[1]. كما يفضلون الملائكة على البشر[2].

ومن التصوف يذكر تفسير الجنيد لآية ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ أن الله لا يتعجب من شيء ولكن يوافق رسوله[3]. ويستشهد بأبى عبد الرحمن السلمى بأن قراءة القرآن عن كتبة الوحى كانت توقيفية واحدة[4]. وكذلك يستشهد بقول المحاسبى فى كتاب فهم السنن أن كتابة القرآن ليست محدثة أى أنها كانت توقيفية[5]. على عكس قول المعتزلة فى خلق القرآن. ويستشهد بذى النون المصرى وقوله: «آبى الله عز وجل إلا أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن». ويستشهد بأبى الحسن الشاذلى فى الجمع بين آيتىّ ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾، ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[6]. ويرفض تأويله الصوفى للنسخ بالولاية فى آية ﴿فأت بخير منها أو مثلها﴾[7]. ويستشهد بقول ذى النون: «آبى الله عز وجل أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن»[8]. الاستشهاد بقول سفيان الثورى: «لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام فى قلب أبدًا»[9]. ويحال إليه فى خواص القرآن فى قضاء الحاجات. فقد كان سفيان الثورى يكتب للمطلقة رقعة تعلق على صدرها ﴿إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذ الأرض مدت وألقت﴾[10]. وفى تفسير آيات الاستواء بعضها بعض ﴿على العرش استوى﴾، ﴿ثم استوى إلى السماء﴾[11]. ويذكر الثورى مجرد راو[12]. ويستشهد بالغزالى فى اعتباره الحروف

---

(١) السابق، ص٤٢٠ - ٤٢١.
(٢) السابق جـ٣/ ٢٦٩.
(٣) السابق جـ٢/ ٨٩.
(٤) السابق جـ١/ ٢٣٧- ٢٣٨.
(٥) السابق، ص٧.
(٦) السابق جـ٢/ ٥٧.
(٧) السابق، ص١٦٠.
(٨) السابق جـ١/ ٧.
(٩) السابق جـ١/ ٦.
(١٠) السابق جـ١/ ٤٣٤- ٤٣٥.
(١١) السابق جـ٢/ ٧٨.
(١٢) السابق، ص١٦٤.

التى فى أوائل السور جعلها الله لحفظ القرآن من الزيادة والنقصان[1]. ويروى أن رجلا فى أصبهان أصابه عسر البول فكتب فى رقية (وبست الجبال بسا فكانت غبار منبثا)، (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة). (دكا دكا) وألقى عليه الماء وشربه فيسر عليه البول، وألقى الحصى. وبنى الغزالى كتابه «جوهرالقرآن» على أن كلام الله فى الله أفضل من كلامه فى غيره. وشرح الغزالى حديثه إن لكل شىء قلبًا، وقلب القرآن«يس» التى تحتوى على الحشر والنشر. واستحسنه فخر الدين الرازى[2]. ولدى الغزالى القراءة فى المصحف من حفظه ظهرا عن قلب دون أن يتدبر فى المعنى[3]. وذكر الغزالى أن آيات الأحكام خمسمائة آية[4]. ويشرح قول الغزالى معنى الاختلاف فى آية ﴿لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا﴾ بأن المقصود ليس الاختلاف فى ذات القرآن بل فى فهمه[5]. ويلجم العوام عن علم الكلام[6]. ويفسر الغزالى آية ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ الصلاة بمعنى الرحمة[7].

وفى موضوع على كم لغة نزل القرآن والقراءات السبع يروى عن الصوفية أن القرآن يشتمل على سبعة أنواع من العبادات والمعاملات وهى الزهد والقناعة مع اليقين، والحزم والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والنصح والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة، والشوق مع المشاهدة. فقراءات الصوفية مقاماتهم وأحوالهم[8].

ويظهر التوحيدى لغويًا يعتبر كسر الطاء مرذولا فى السور الطوال[9]. ويستشهد

---

(١) السابق جـ١/ ٤٣٤- ٤٣٩.
(٢) السابق، ص٤٤٤.
(٣) السابق، ص٤٦١.
(٤) السابق جـ٢/ ٣.
(٥) السابق، ص٤٦- ٤٨.
(٦) السابق، ص٧٩.
(٧) السابق، ص ٤٧٤.
(٨) السابق جـ١/ ٢٢٦.
(٩) السابق جـ١/ ٢٤٤.

به فى الفهم المحسوس لآية «قائما بالقسط» أنه القيام بالحال[1]. ويستشهد به راويًا عن إعجاز القرآن فى استحالة معرفة وجه الإعجاز إلا بالأثر النفسى. ويستشهد به فى شرح لفظ «حلوبة»[2]. وأكثر الاعتماد على «البصائر»[3].

وفخر الدين الرازى أحد الأئمة المفسرين[4]. له تفسيره. وله كتاب فى معرفة المناسبات بين الآيات. فقد صرح فى تفسيره بأن أكثر لطائف القرآن مودوعة فى الترتيب والروابط. كما صنف فى علم المتشابه «درة التأويل». ويذكر قوله بتفاوت الناس فى أولوية الشفاعة والعدل. البعض يجعل الأولوية للشفاعة على العدل، والبعض الآخر للعدل على الشفاعة. وقال إنه لا يجوز رد كلام لعدم فهم الخلق له[5]. وقوله هو قول أكثر المتكلمين فى شرح الحروف فى أوائل السور، التمييز بينها وبين السور. وعند الرازى «يا أيها الناس» مكىّ، و«يا أيها الذين آمنوا» مدنى[6]. واستحسن الرازى قول الغزالى مفسرا حديث «إن لكل شىء قلبا، وقلب القرآن يس» لأنها السورة الجامعة لصحة الإيمان بالحشر والنشر[7]. ويرى الرازى أن المثل هو المساوى للشىء والمَثَل هو المساوى له فى بعض الصفات الخارجية[8]. ويرى أن إعجاز القرآن الفصاحة والأسلوب والسلامة من العيوب. وكل ذلك مقرونًا بالتحدى[9]. ويستشهد باستشهاد الرازى بالشعر على العموم والخصوص[10]. وجعل الرازى البيت جميع الحرم وليس الكعبة فى تفسير آية ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا﴾[11]. وهو الإمام صاحب «نهاية الإيجاز» راويًا

---

(١) السابق، ص٣٠٦.
(٢) السابق جـ٢/ ١٠٠.
(٣)السابق جـ٣/ ٣٦٣.
(٤) السابق جـ١/ ١٣/ ٣٥-٣٦/ ١١٢/ ٢٦.
(٥) السابق، ص١٧٣- ١٧٥.
(٦) السابق، ص١٩١.
(٧) السابق، ص٤٤٤.
(٨) السابق جـ١/ ٤٩١.
(٩) السابق جـ٢/ ٩٨.
(١٠) السابق، ص٢٢٤.
(١١) السابق، ص٢٦٦.

عن الشيخ عبد القاهر ما يتعلق بنفى العموم[1]. ويفسر الرازى (بدين) بيع الكالئ بالكالئ وهو موضوع فقهى خالص[2]. ويميز الرازى بين نوعين من التقوى فى آية ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾[3]. ولا يوجد زائد أو مهمل فى القرآن[4]. وأنكر الرازى احتياج كلام الله إلى تقدير[5]. ويفسر الرازى ﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ أنه كامل فى ذاته[6]. وعند الرازى الاستعارة ليست بمجاز لعدم النقل بل تشبيه محذوف الأداة لفظًا وتقديرًا[7]. وفصاحة القرآن ليست رعاية التكلفات بل لأجل قوة المعانى وجزالة الألفاظ[8]. والرازى فى مناقب الشافعى حكى أن معنى الآية العبرة فى ﴿كن فيكون﴾ أفضل من «كان»[9]. ﴿يخرج الحى من الميت﴾ فى المضارع لأنه أول على التجدد. والمفرد المحلى بالألف واللام لا يعم[10]. ويترتب على التعلم حصول العلم[11]. وفسر الآية ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا﴾. على الامتناع[12].

ومن المذاهب الفقهية يتقدم الشافعية والمالكية موضوع القراءة الشاذة. فاشترط شيخ الشافعية أن يكون المقروء به على تواتر نقله مثل القراءات السبع[13].وصورة ابن حزم أنه الفقيه وليس المتكلم. ويحال إلى «المحلى»[14]. ويستشهد به كلغوى مفسر للقرآن فى ضمير الآية ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس﴾[15].

(١) السابق، ص٣٧٨.
(٢) السابق، ص٣٩٨- ٣٩٩.
(٣) السابق جـ٣/ ١٢.
(٤) السابق، ص٢٢.
(٥) السابق، ص١١٥.
(٦) السابق جـ٣/ ٢٧٧.
(٧) السابق، ص٤٣٤.
(٨) السابق، ص٤٥٢.
(٩) السابق جـ٤/ ٥٦/ ٧١.
(١٠) السابق، ٤٨٩.
(١١) السابق، ص١٤١.
(١٢) السابق، ص٣٦٦.
(١٣) السابق جـ١/ ٣٢٢.
(١٤) السابق جـ٢/ ١٢٨.
(١٥) السابق جـ٤/ ٣٩.

ومن أسماء الأمم والقبائل والفرق يتقدم الصحابة مما يدل على اعتماد علوم القرآن على النقل ثم الكوفيون والبصريون أهم مدرستين فكريتين، بين المنقول والمعقول. ثم يأتى «اليهود» باعتبارهم أصحاب تجربة سابقة مع الوحى. ثم تأتى قريش بداية تكوين المجتمع الإسلامى، ثم النصارى، المصدر الثانى. ثم من القبائل تظهر بنو تميم. ومن الفرق: الإسماعيلية، والشافعية، والصوفية، والمالكية[1].

ومن أسماء الأماكن تتقدم مكة ثم المدينة مدينتا نزول الوحى ثم بدر أول موقعة، ثم البصرة والشام، ثم الكوفة، ثم العراق وبيت المقدس وبغداد ودمشق بانتقال الحكم من الجنوب إلى الشمال، ثم انتقال العلم إلى الشرق، مرة وأصفهان[2].

ومن الوافد لا يكاد يذكر إلا أرسطوطاليس مرة واحدة فى كتاب الخطابة فى كون الصفة خاصة بالموصوف، وبالتالى امتناع خرق الموصوف. وهو ما نص عليه سيبويه فى باب ترجمة «هذا باب مجارى أواخر الكلمة العربية» وكذلك نص عليه أرسطوطاليس فى كتاب الخطابة[3]. فالموروث أولًا ثم الوافد ثانيًا. الوافد تأكيد للموروث وليس دليلًا بذاته.

ويقدم «البرهان فى علوم القرآن» للزركشى سبعة وأربعين نوعًا يمكن ضمها فى عدد أقل، عشرة فقط[4].

---

(١) الصحابة (٢٩)، الكوفيون (٢٨)، البصريون (٢٤)، اليهود (٢٢)، قريش (١٧)، النصارى (١١)، بنو تميم (١٠)، بنو إسرائيل(٨)، ثقيف (٧)، المعتزلة (٦)، الأنصار، هوازن، ربيعة (٤)، خزاعة، سعد بن بكر، قيس (٣)، الحنفية، هذيل، مضر، الأشعرية، عاد، الروم، العجم، فارس، آل فرعون، قوم نوح، أصحاب الأيكة، جشم بن بكر، بنو الحارث، بنو دارم، بنو زريق، كنانة، بنو مالك، بنو المصطفى، بنو المغيرة، المهاجرون، بنو نصر.

(٢) مكة (٣٨)، المدينة (٣١)، بدر (٩)، البصرة، الشام (٨)، الكوفة (٧)، العراق، الكعبة (٦)، بيت المقدس (٥)، مدين، مصر (٤)، بغداد، الحجاز، دمشق، الصفا، الطائف (٣)، أصبهان، الحديبية، قباء، المروة، نجران (٢)..إلخ.

(٣) البرهان جـ٣/ ١٥٤.

(٤) وهى:١-المكان:أسباب النزول، أول مانزل، كم لغة نزل، كيفية إنزاله. ٢-الزمان:المكى والمدنى، الناسخ والمنسوخ. ٣-التدوين:المناسبة بين الآيات، الفواصل، أسرار الفواتح، خواتم السور، تقسيمه، أسمائه، الخط، التواتر، تعضيد السنة للكتاب. ٤-الفهم:المتشابه، المتشابهات فى الصفات، الحقيقة والمجاز. ٥-النقل الشفاهى:جمعه وحفظه، الوقف، آداب التلاوة. ٦-اللغة:ما وقع فيه من غير لغة الحجاز، من غير

ويمكن تجميعها فى عدد أقل، تسعة أنواع مقسمة إلى ثلاثة[1]. ومن حيث الكم أكبر الموضوعات فى «أساليب القرآن وفنونه البليغة» ثم «المفردات من الأدوات» ثم «تفسيره وتأويله» ثم «أقسام معنى الكلام» ثم «مرسوم الخط» ثم «الفواصل ورؤوس الآى» ثم «الحقيقة والمجاز والتشابه وأدب التلاوة، وتحليل الخطاب، والإعجاز، والوقف والابتداء، وتقسيمه سوِر أو آيات..إلخ. الأهم هو اللغة كحامل للوحى وأداة لتعبيره[2]. ونظرًا لأن أهم عملين فى علوم القرآن جاءا متأخرين «البرهان» للزركشى

---

لغة العرب، غريبه، التصريف. ٧-الأحكام:توجيه القرآن. ٨-البلاغة:فصاحة التركيب، أمثاله، جدله، الإعجاز، وجوه المخاطبات، الكنايات والتعريض، معنى أقسام، أساليبه، أدواته. ٩-الفضائل:خواصه، أفضل شىء. ١٠-استعماله فى الخطب والرسائل. ١١-التفسير. البرهان، ص١١ - ١٣.

(١) ١-الواقع

أ-المكان:أ.المكى والمدنى، وما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وترتيب ذلك. ب.الزمان:٣٤ناسخة ومنسوخة. جـ.الموقف:١.أسباب النزول.

٢-النص

أ-الرواية ١٣-جمعه وحفظه من الصحابة. ب-القراءة ١١-على كم لغة نزل. ٢٣-توجيه القراءات ووجه ما ذهب إليه كل قارئ. ٣٤ -الوقف والابتداء. جـ-التدوين ٢-المناسبات بين الآيات. ٣-الفواصل ورؤوس الآى. ١٠-أول وآخر ما نزل. ١٢-كيفية إنزاله. ١٤-تقسيمه بحسب سوره وترتيب الآيات والسور وعددها، أسماؤه واشتقاقاتها. ٢٥-مرسوم الخط ٣٩-تواتره. ٤٠-معاضدة السنة للقرآن.

٣-اللغة.

أ-الألفاظ والمعانى. ١٦-ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز وقبائل العرب. ١٧-ما فيه من غير لغة العرب. ١٨-غريبه. ١٩-التصريف. ٢٠الأحكام من حيث الأفراد والتركيب. ٣٢-أحكامه. ٣٣-جدله. ٣٦-الحكم والمتشابه. ٣٧-كلمة الآيات المتشابهة الواردة فى الصفات. ٤٢-وجوه المخاطبات والخطاب فى القرآن. ٤٣-حقيقته ومجازه. ٤٧-المفردات من الأدوات.

ب-أساليب البلاغة. ٢١-كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح. ٢٢-أختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغير حركة أو إثبات لفظ بدل لفظ. ٣١-أمثاله. ٣٨-الإعجاز. ٤٤- الكناية والتعريض. ٤٥-أقسام معنى الكلام. ٤٦-أساليب القرآن وفنونه البليغة.

جـ-التفسير. ٣٥-الموهم والمختلف. ٤١-تفسيره وتأويله.

(٢) النوع السادس والأربعون «فى أساليب القرآن وفنونه البليغة» (٦٠٢ص)، النوع السابع والأربعون «المفردات من الأدوات» (٢٧٧)، النوع الواحد والأربعون «تفسيره وتأويله»(٧١)، النوع الخامس والأربعون «أقسام معنى الكلام»(٦٦)، النوع الخامس والعشرون «مرسوم الخط»(٥٦)، النوع الثالث «الفواصل ورؤوس الآى»(٤٩)، النوع الثالث والأربعون «حقيقته ومجازه»(٤٥)، النوع الخامس «المتشابه»(٤٤)، النوع التاسع والعشرون «فى آداب تلاوته وكيفيتها»(٤٢)، النوع الثانى والأربعون «وجوه الخطابات والخطاب فى القرآن»(٣٨)، النوع الثامن والثلاثون «إعجازه»(٣٥)، النوع الرابع والعشرون «الوقف والابتداء»(٣٤)، النوع الرابع عشر «تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات

(٧٩٤هـ)، و«الإتقان» للسيوطى(٩١١هـ) جاءت المقدمتان مملوءتان بالسجع[1].

هـ- «الإتقان» للسيوطى (٩١هـ)

يضم مادة تجميعية، يعتمد فيها اللاحق على السابق ولها الأولوية على باقى العلوم مثل التفسير، وعلوم اللغة والبلاغة، وعلم الحديث، والفقه وأصوله، والعقائد، والتاريخ والنصوص، وتصنيف العلوم[2]. وتتعدد المؤلفات فى «أحكام القرآن» وأخلاق حملة

---

وعددها (٢٩)، النوع الثانى والعشرون «زيادة الألفاظ أو نقصها أو تبديلها»، النوع الثانى والثلاثون «أحكامه»(٢١)، النوع التاسع «المكى والمدنى..»(١٩)، النوع الثانى «المناسبات بين الآيات»، والسابع «أسرار فواتح السور»، والحادى عشر «على كم لغة نزل»(١٨)، النوع الرابع والثلاثون «الناسخ والمنسوخ»، النوع الأربعون «معاضدة السنة للقرآن»(١٧)، النوع الرابع والأربعون «الكناية والتعريض»(٢٦)، النوع السابع والثلاثون «الآيات المتشابهة»(١٣)، وتتوالى الأنواع الباقية من ص٢- ص١١.

(١) البرهان جـ١/ ٣- ١٢.

(٢) منها:فضائل القرآن لأبى عبيد (٣١)، المصاحف لابن أشته(٢٠)، مفردات القرآن للراغب الأصفهانى(١٨)، البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الغرائب والعجائب للكرمانى (١٧)، بدائع القرآن لابن أبى الأصبع(١٦)، النشر فى القراءات العشر (١٥). جمال القراء للسخاوى(١٤)، البرهان فى مشكلات القرآن لأبى المعالى عزيزى بن بعد الملك المعروف بشيذلة (١٢)، الكشف لمكى فى القراءات، المصاحف لأبى داود، المرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبى شامة(١١)، أحكام القرآن لعبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى المعروف بابن الفرس(٩)، إملاء ما من به الرحمن (التبيان الانتصار لأبى بكر الباقلانى)، فضائل القرآن لابن الضريس، الإرشاد فى القراءات العشر للواسطى(٨)، التنبيه على فضل علوم القرآن للحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى، الرد على من خالف مصحف عثمان لابن الأنبارى، رد معانى الآيات المتشابهات إلى معانى الآيات المحكمات لأبن اللبان (٧)، مواقع العلوم من مواقع النجوم لجلال الدين البلقينى، الناسخ والمنسوخ لمكى (٦)، أحكام القرآن لابن العربى، أسباب النزول للواحدى، إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى، إعجاز القرآن للروحانى أبى الحسن، إعجاز القرآن للخطابى (المسمى بيان إعجاز القرآن)، أمالى الرافعى على الفاتحة، شرح المهذب للنووى، الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس (٥)، أسباب النزول للسيوطى، إعجاز القرآن للزملكانى (التبيان إعجاز لابن سراقة)، بستان العارفين لأبى الليث السمرقندى (؟)، التبيان فى آداب حملة القرآن للإمام محى الدين النووى، التبيان فى إعراب القرآن لأبى البقاء الكبرى، جواهر القرآن للغزالى، فنون الأفنان لابن الجوزى، لغات القرآن لأبى القاسم اللالسكانى، الناسخ والمنسوخ لأبى داود السجستانى، الناسخ والمنسوخ لأبى. بركات السعيدى، الوقف والابتداء لابن الأنبارى (٤)، أقسام القرآن لابن القيم ، التبيان الأقصى القريب للتنوق، أمثال القرآن لعلى بن محمد بن حبيب الماوردى، البرهان فى إعجاز القرآن لمحمد بن على كمال الدين الشافعى المعروف بابن الزملكانى، التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم، من الأسماء والأعلام لأبى القاسم السهيلى، الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح لابن أبى الأصبع، ذات الرشد فى العدد لأبى عبد الله الموصلى (؟)، شرح ذات الرشد (؟)، غريب القرآن للعزيزى، فضائل القرآن لابن أبى شيبة، المدخل للبيهقى معترك الأقران فى مشتبه القرآن للسيوطى، الناسخ والمنسوخ لابن عربى، الوقف والابتداء للرازى، الوقف والابتداء للسجارندى، الوقف والابتداء لابن النكزاوى (٣).

القرآن وأسرار التنزيل وأدلة الأحكام والتشابه وتناسب السور، والقراءة[1]. وتأتى

(١) أحكام الرأى فى أحكام الآى لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الصائغ الحنبلى، أحكام القرآن لابن الجصاص، أحكام القرآن لإسماعيل بن إسحق الأزدى، أحكام القرآن لبكر بن العلاء، أحكام القرآن لابن خويد منداد، أحكام القرآن لعلى بن محمد المعروف بالكيا الهراسى، أخلاق حملة القرآن لأبى بكر الأجرى، أسرار التنزيل للسيوطى، أسرار التنزيل للشرف البارذى، الأمان فى أدلة الإحكام للعز بن عبد السلام، البرهان فى تناسب سور القرآن لأبى جعفر بن الزبد، التمهيد لابن عبد البر (؟)، تناسق الدرر فى تناسب السور للسيوطى، درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله الرازى، روض الأفهام فى أقسام الاستفهام لابن الصائغ، فضائل القرآن للمشائى، قرة العين فى الفتح والإمالة بين اللفظين لابن الفاصح، مجاز القرآن للعزيز بن عبد السلام، مجمع البحرين ومطلع البدرين للسيوطى، المحتسب فى توجيه القراءات الشاذة لابن جنى، مشكل القرآن لابن قتيبة، المقنع لأبى عمرو الدانى، المنهاج للحليمى، الوجوه والنظائر للنيسابورى، الوقف والابتداء للدانى، الوقف والابتداء للنعمانى، الوقف والابتداء للنحاسى (٢)، الآداب لجعفر بن شمس الخلافة، أسباب النزول لابن حجر، أسباب النزول لعلى بن المدينى، أسماء من نزل فيهم القرآن لإسماعيل الضرير، إعجاز القرآن للباقلانى، إعجاز القرآن للرزاى، إعراب القرآن لشهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسحين، إعراب القرآن للفاتحى (المجيد فى إعراب القرآن المجيد)، إعراب القرآن للعكبرى (التبيان فى إعراب القرآن لمنتجب الدين)، الاقتضاء فى معرفة الوقف والابتداء للنكزاوى، الإكليل فى استنباط التنزيل للسيوطى، أنوار التحصيل فى أسرار التنزيل للشريف البارزى، الإيجاز فى المجاز لابن القيم، البرهان فى إعجاز القرآن لابن أبى الأصبع المصرى، البرهان فى مناسبة سورالقرن، البسيط إلى بيان الضمائر فى القرآن، تحرير التعبير لابن أبى الأصبع المصرى (؟)، تحفة الأقران فيما قرء بالتثليث من حروف القرآن لأحمد بن يوسف الرعينى، تذكرة بدر الدين ابن الصاحب (؟)، التذكرة لابن حيان (؟)، تذكرة السبكى (؟)، التسهيل (؟)، التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكرى، تقريب المأمول فى ترتيب النزول لبرهان الدين الجعفرى، التكميل والإتمام لابن عساكر (؟)، التمويهات على التبيان لأبى المطرف ابن عميرة، الجمان فى تشبيهات القرآن لابن نافية، الجنى الدانى فى حروف المعانى لابن أبى القاسم، الحجة لأبى على الفارسى(؟). جدل القرآن لنجم الدين الطوفى، حواشى الكشاف للقطب الرازى، خمائل الزهر فى فضائل السور للسيوطى، خواص القرآن للتميمى، خواص القرآن للغزالى، خواص القرآن لليافعى، الدر النظيم فى منافع القرآن العظيم، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى، ذيل التعريف والإعلام لابن عساكر البطائحى، الشافعى للقراب، شرح المصباح للمراكشى، شرح المنهاج لتقى الدين السبكى(؟)، شرح المنهاج لابن حجر، عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل، العواصم والقواصم لابن العربى، غرور البيان لمبهمات القرآن لابن جماعة، غريب القرآن لابن الأنبارى، غريب القرآن لأبى حيان، غريب القرآن لابن دريد، غريب القرآن لأبى عبيدة، غريب القرآن لأبى عمر الزاهد، فضائل القرآن لأبى ذر الهروى، فواصل الآيات للطوفى، فوائد أبى بكر العربى فى رحلته، فوائد الحرجى، قانون التأويل لابن عربى، القراءات لأبى عبيد، القواعد للعز بن عبد السلام، الكافى لابن شريح فى القراءات، كشف المعانى عن متشابه المعانى لابن جماعة، الكفيل بما فى التنزيل للعماد الكندى، مجمع البحرين للصاغانى، المجيد فى إعراب المعانى المجيد لإبراهيم بن محمد السفاقسى، المجيد وهو مختصر كتاب البرهان فى إعجاز القرآن لابن الزملكانى، المحبر لابن حبيب (؟)، مختصر أسباب النزول للواحدى، مختصر البويطى، مختصر الروضة لإسماعيل بن المعرى، المستوق للفرغانى(؟)، المصباح للشهرزورى (؟)،

علوم الحديث فى المرتبة الثانية[1].

ويدل تكرار المصادر المحال إليها على أولوية علم التفسير كمادة لعلوم القرآن، النظم لابن حجر، نظم الدرر فى نفائس الآى والسور للبقاعى، النفيس لابن الجوزى.. إلخ[2].

---

معانى القرآن للأقفش، معانى القرآن لابن الأنبارى، معانى القرآن للزجاج، معانى القرآن للفراء، معجم ما استعجم للبكرى، المغيث لأبى موسى (؟)، المفتاح لأبى منصور بن خيرون(؟)، المفصل للزمخشرى، المقتنص فى فوائد تكرار القصص، ملاك التأويل لأبى جعفر بن الزبير، المنهج المفيد فى أحكام التوكيد للزملكانى، المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب للسيوطى، الناسخ والمنسوخ للتميمى، الناسخ والمنسوخ لأبى عبيد، نهاية التأصيل فى أسرار التنزيل لابن الزملكانى، الهادى فى القراءات لمحمد بن سفيان، الهداية للمهدوى فى القراءات، الواحد والجمع فى القرآن للأخفش، الوجود والنظائر لابن الجوزى، الوجوه والنظائر لابن الدامنانى، الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان، الوجوه والنظائر للنيسابورى، اليواقيت لأبى عمر الزاهد (؟)، الياقوتة لأبى حفص محمد بن أحمد النسفى(؟).

(١) البخارى(٤٨)، الترمذى(٤٦)، مسند ابن حنبل(٣٤)، مسلم(٣٠)، سنن النسائى(١٩)، مسند البزاز (١٨)، سنن سعيد بن منصور(١٦)، سنن أبى داود (١٢)، شرح البخارى لابن حجر (المسمى بفتح البارى)، مسند ابن مردويه، المعجم الكبير للطبرانى(٥)، السنن لأبى القاسم اللالكانى، الأذكار لمحى الدين النووى (؟)، زوائد المسند لعبد الله بن أحمد بن حنبل، سنن ابن ماجه(٤)، صحاح الجوهرى، مسند ابن السنى، المعجم الأوسط للطبرى، شرح التسهيل لأبى حيان (٣)، شرح السنة للبخوى، الطيوريات للسفلى(؟)، فهم السنن للمحاسبى، مسند ابن راهويه، مسند ابن السنى، مسند الطيالى، مسند عبد بن حميد، المعجم الصغير للطبرى (٢)، الإرشاد أبى حيان (؟)، الإرشاد للخليلى (؟)، أمالى المرتضى (غرود الفوائد ودرر القلائد للإمام أبى عبيد)، الجامع للحلوانى (؟)، الجامع للقزاز(؟)، جامع الفنون لابن شبيب الحنبلى(؟)، الروضة للطلمنكى، الروضة للنووى، الزاهر لابن الأنبارى، زوائد الروضة السبعة لابن مجاهد، سراج المريدين لابن العربى، سنن البيهقى، شرح البخارى لابن حجر المسمى فتح البارى، شرح البخارى للمازرى، شرح مسلم للنووى، صحيح ابن حيان الجامع صحيح الصناعتين، صحيح ابن حيان، الصناعتين للعسكرى (؟)، غريب الحديث للحربى، فوائد الخلعى، الفوائد للديرعاقولى (؟)، فوائد المحاملى (؟)، فوائد ابن أخى ميمى (؟)، مسند الفردوس، المهذب للإمام النووى، موطأ مالك، موطأ ابن وهبة، الميسر لمفطى.

(٢) تفسير ابن أبى حاتم(٧٥)، تفسير الطبرى(٤٢)، تفسير ابن مردويه (٢٧)، تفسير الحاكم (وهو جزء من تفسير المستدرك)(٢١)، تفسير أبى الشيخ ابن حيان (١٨)، المستدرك للحاكم (١٥)، تفسير الغريابى(١٠)، تفسير ابن عطية، الكشاف للزمخشرى (٨)، تفسير الأصبهانى، قواعد فى التفسير لابن تيمية (٧)، تفسير الحوفى (البرهان فى تفسير أبى حيان)، تفسير الخونى، تفسير عبد الرازق، تفسير ابن كثير، حاشية الطيبى على الكشاف (٦)، تفسير القرطبى (٥)، التمييز فى علوم التفسير للسيوطى، تفسير عبد بن حميد، تفسير الفخر الرازى، تفسير بن المنذر، مقدمة تفسير ابن النقيب (٤)، تفسير ابن فروك، تفسير المرسى (٣)، تفسير الواحدى، تقريب النشر لابن الجزرى(؟)، التيسير للدانى(٣)، أمالى ابن الحاجب، البرهان فى

والعلم الثانى هو علم التفسير. لذلك يتصدر «الزمخشرى» فى الإحالات. فالقرآن للإفهام. وعلم التفسير سابق على علوم القرآن. فالعقل هو الحامل الثانى للوحى لأنه موجه إليه. و«الإتقان» للسيوطى هو مقدمة لكتابه عن التفسير «مجمع البحرين ومطلع البدرين» يجمع فيه بين تحرير الرواية وتقرير الدراية[1]. ثم تأتى علوم اللغة والبلاغة[2]. ثم تأتى الفتاوى فى علوم الفقه وعلم أصول الفقه[3]. ثم تأتى كتب العقائد مثل

---

تفسير القرآن لعلى بن إبراهيم بن سعيد الحوفى، تفسير إمام الحرمين، تفسير بن برجان، تفسير ابن الجوزى، تفسير جويبر، تفسير سعيد بن منصور (وهو جزء من سننه)، تفسير سليم الرازى، تفسير الكواشى، تفسير الماوردى، تفسير مقاتل، تفسير ابن المنيّر، تفسير النسفى، تفسير النيسابورى، تفسير ابن بزيزة، تفسير البيضاوى، تفسير الثعلبى، تفسير ابن رزين، تفسير الرمانى، تفسير أبى روف، تفسير السدى، تفسير سنيد، تفسير أبى طالب الطنزى، تفسير عطاء بن دينار، تفسير ابن عقيل، تفسير النيسابورى، تفسير القشيرى، تفسير أبى الليث (١).

(١) الإتقان جـ١/ ١٤.

(٢) المغنى لابن هشام(١٣)، عروس الأفراح لبهاء الدين بن السبكى(١٢)، المعرب للجو اليقني(١١)، التبيان فى المعانى والبيان لحسين بن محمد الطيب(٦)، الكامل للهذلى (٥)، تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى (٤)، الكتاب لسيبويه (٣)، الإغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض(٢)، الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص، الإيضاح للقزوينى، التلخيص للقزوينى، ذا القد لابن جنى، الرينة لأبى حاتم (؟)، العمدة لابن رشيق العيد، العمدة للطرطوشى، فقه اللغة للثعالبى، ليس فى كلام العرب لابن خالويه، اللوائح لأبى الفضل الرازى (؟)، المثل السائر لابن الأثير، المصباح لبدر الدين بن مالك، المعيار للزنجانى، المقدمة فى سر الألفاظ المقدمة لشمس الدين بن الصائغ، منهاج البلغاء لحازم القرطاجنى، أرجوزة على بن محمد الغالى فى القرائن والأخوات، الاستبصار لابن الفصاع(؟)، الإفراد والجمع(الواحد والجمع والإفراد) لابن فارس، الإفصاح فى غوامض الإيضاح لإبراهيم بن أحمد الجزرى، الأفعال للسرقسطى، الأفعال لابن طريف، الأفعال لابن القطاع، الإقناع لأحمد بن على بن باديس(؟)، البارع للفارابى(؟)، بدائع الفوائد لابن القيم(؟)، البديع لابن المعتز، بديعية ابن حجة، التبيان فى علم البيان لعبد الواحد ابن عبد الكريم المعروف بان الزملكانى، تعليق ابن القرطاج على المرزوقى (؟)، تهذيب اللغة للأزهرى، الخاطريات لابن جنى، الخصائص لابن جنى، سر الفصاحة للخفاجى، شرح أبيات الإيضاح لابن عصفور، شرح بديعية ابن حجة، شرح الرائية لابن جبارة، شرح الرائية للسخاوى، شرح المتصل لابن الحاجب(؟)، شرح الرائية للسخاوى، طريق الفصاحة، فقه اللغة لابن فارس، الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبى الحديد، قوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادى، الكامل للمبرد، الكنايات للجرجانى، كنز البراعة لابن الأثير (؟)، كنز الفوائد للعز بن عبد السلام (؟)، المحكم لابن سيده، مقامات اللحريرى، نديم الفريد لمسكويه، نشر العبير فى إقامة الظاهر مقام الضمير، نقد الشعر لقدامة.

(٣) فتاوى ابن الصلاح(٢)، مسائل نافع بن الأزرق(؟)، البرهان لإمام الحرمين، الرسالة للشافعى، الشاطبية (٢)، الشافى للجرجانى، شرح الشاطبية(؟)، شرح الكافية لابن مالك(؟)، شرح منظومة جمع الجوامع، الشفا للقاضى عياض(؟)، الشواذ لابن غليون(؟)، الفروق للقرافى، فوائد ابن الصلاح، المحلى لابن

الإيمان[1]. ثم تأتى علوم التاريخ[2]. ثم تأتى علوم التصوف[3]. ثم تأتى كتب تصنيف العلوم[4].

وبالرغم من أن «الإتقان» من الأعمال المتأخرة إلا أنه يعتمد على المؤلفات السابقة مما يوحى بوعى تاريخى بتطور العلم. وأن اللاحق يعتمد على السابق[5]. بل إنه فى كل نوع من الأنواع الثمانين يبدأ بذكر الأدبيات السابقة فى الموضوع.

وتصنف الكتب السابقة فى مجموعات من العلوم هى حوامل الوحى[6]. ومنها الكتب النقلية وتعنى كتب المصاحف مما يدل على الوعى بأن علوم القرآن من العلوم النقلية. وتؤخذ اقتباسات من الأعمال السابقة تدل عليها علامة «انتهى». ويعتمد على آراء المتكلمين نادرًا سلبا أم إيجابا. فيرفض رأيهم فى قراءة النص القرآنى عن طريق الاجتهاد إن وافق العربية وإن لم ينقل عن النبى. فعلوم القرآن نقلية خالصة لا دخل

---

حزم، منع الموانع لابن السبكى(؟)، نكت ابن الصيف على التنبيه(؟)، النكت للماوردى، النوادر لأبى زيد.

(١) شعب الإيمان للبيهقى(١٧)، دلائل النبوة للبيهقى (١٣)، دلائل النبوة لأبى نعيم (٢)، الأسماء والصفات للبيهقى، شرح آيات الصفات لابن اللبان، شرح العقائد النسفية، العقائد النسفية لنجم الدين عمر بن محمد، المحصول للرازى.

(٢) طبقات ابن سعد(٧)، تاريخ ابن عساكر (٥)، تاريخ أصبهان لأبى نعيم، تاريخ أحمد بن حنبل، تاريخ الحاكم، تاريخ الضعفاء لابن حبان، تاريخ القراء، تاريخ ابن كثير، تاريخ المظفرى، التبصرة لمكى، طبقات الشافعية، طبقات الشافعية لابن السبكى، مغازى موسى بن عقبة.

(٣) الحلية لأبى نعيم الأصفهانى (٤)، لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى، المرشد لأبى نصر القشيرى.

(٤) مفاتيح العلوم للسكاكى(٤).

(٥) يذكر منها: ابن الجوزى: فنون الأفنان فى علوم القرآن، على الدين السخاوى: جمال القراء، أبو شامة: المرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز، أبو العالى عزيزى بن عبد الملك المعروف بشيذلة: البرهان فى مشكلات القرآن. ويذكر السيوطى كتاب محى الدين الكافيجى وكتاب علم الدين البلقينى، وكتاب أخيه «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، الإتقان جـ١ / ٤ – ٥. الإتقان ص١٨ .

(٦) وهى: ١-الكتب النقلية. ٢-جوامع الحديث والمسانيد. ٣-كتب القراءات وتعلقات الأداء. ٤-كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب. ٥-كتب الأحكام وتعلقاتها. ٦-الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة. ٧-كتب الرسم. ٨-كتب التفسير للقدماء والمحدثين. ٩-الكتب الجامعة. ١٠-كتب علوم القرآن. الإتقان، ص١٨ – ٢٠.

للعقل فيها[1]. كما لا يعتمد على نقل بعض الفقهاء، لأنهم أيضًا يعتمدون على الاجتهاد مثل المتكلمين. فقد أنكر المالكية وغيرهم بناء على هذا الأصل البسملة لأنها لم تتواتر فى أوائل السور. وما لم يتواتر فليس بقرآن اعتزازًا بالتواتر. وربما التواتر عند قوم ليس تواترا عند آخرين. يكفى فى التواتر النقل الكتابى فى مصاحف الصحاب والتابعين بخط المصحف دون أسماء السور ولفظ التوكيد «آمين». وهناك عشرات أخرى من الأدلة تثبت أن البسملة جزء من السور يعرف بها الرسول نهاية سورة وبداية أخرى[2]. وهى إكمال للسبع المثانى.

ولدى المؤلف إحساس قوى بحس التأليف القوى البنية المنطقى الترتيب الفريد بين المؤلفات، جمعها بين المنقول والمعقول، والقديم والجديد[3]. والعيب عيب الزمان الحسد واللوم وحب الرياسة، والاستكبار والتزوير والعمى والصمم عن الحق والجهل[4].

---

(١) «وقال قوم من المتكلمين أنه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد فى إثبات قراءة وأوجه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صوابا فى العربية وإن لم يثبت أن النبى قرأ بها»، الإتقان جـ١/ ٢١٧.

(٢) السابق جـ١/ ٢١٧- ٢١٩.

(٣) «وقد من الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثال، المنيع المنال، الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع فى كتاب قبله فى العصور الخوال. أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل. وبينت فيه مصاعد يُرتقى فيها للإشراف على مقاصده ويتواصل، وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل. فيه لباب العقول، وعباب المنقول، وصواب كل قول مقول، محصت فيه كتب العلم على تنوعها، وأخذت زبدها ودرها، ومررت على رياض التفاسير وكثرة عددها، واقتطفت ثمرها وزهرها، وغصت بحار فنون القرآن، فاستخرجت جواهرها ودررها، وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها، وسبكت فقرها. فلهذا تحصل فيه من البدائع ما ثبت عنده الأعناق بنا، وتجمّع فى كل نوع منه ما تفرق فى مؤلفات شتى، على أنى لأبيعه بشرط البراءة من كل عيب، ولا أدعى أنه جمع سلامة والبشر محل النقص بلا ريب»، السابق جـ٤/ ٢٥٨.

(٤) هذا وإنى فى زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد، وغلب عليهم اللوم حتى جرى فيهم مجرى الدم من الجسد:

| | |
|---|---|
| وإذا أراد الله نـشر فضيلة | طويت أتـاح لها لسان حـسود |
| لولا اشتعال النار فيها جاورت | ما كان يعرف طيب عرف العود |

قوم غلب عليهم الدهر وطحاهم. وأعماهم حب الرياسة وأصمهم. قد نكبوا عن الشريعة ونسوه، وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه، يريد الإنسان منهم أن يتقدم، ويأبى الله أن يزيده تأخرا. ويبغى الفرد لا علم عنده فلا يجد له وليا ولا نصيرا. ومع ذلك لا ترى إلا أنوفا مشمرة، وقلوبا من الحق مستكبرة، وأقوالا تصدر عنهم مزورة. كلما هديتهم إلى الحق كان أصما وأعمى لهم كأن الله لم يوكّل بهم الحافظين، يضبطون

والبنية لها قواعد ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية أو أكثر. وكل قسمة لها دلالاتها. الثنائية جدل مانوى. والثلاثية جدل هيجلى، والرباعية تضعيف للثنائية، والخماسية بنية مستقلة أقيمت عليها أسفار موسى والأصابع. والسداسية تضعيف للثنائية والثلاثية. والسباعية بنية مستقلة أقيمت عليها السموات والأرض والأيام. والثمانية تضعيف للثنائية. والتساعية تضعيف للثلاثية. والعشرية تضعيف للخماسية وعليها أقيمت المقولات العشر[1]. فهل يمكن إقامة علوم القرآن عليها؟ فالمكان أسباب النزول، والزمان الناسخ والمنسوخ، والإضافة لغة العرب وغريبها، وأن يفعل فضله، وأن ينفعل تفسيره، والحركة النقل الشفاهى، والسكون التدوين، والكيف فهمه، والكم عدد سوره وآياته.

وعلوم القرآن فى حاجة إلى إعادة تأسيس البنية وضم هذه التفصيلات المتكررة الدلالة فى أساس واحد. فى «الإتقان» ثمانون نوعًا يمكن إعادة تصنيفها فى أنواع أقل إذا ما أخذت الدلالة فى الاعتبار مثل المكان والزمان الكونى أو الذاتى[2]. وقد

---

أقوالهم وأعمالهم. فالعالم بينهم مرحوم يتلاعب به الجهال والصبيان، والكامل عندهم مذموم داخل فى كفة النقصان. وأيم الله أن هذا لهو الزمان الذى يلزم فيه السكوت والمصير خلسًا من أخلاس البيوت، ورد العلم إلى العمل لولا ما ورد فى صحيح الأخبار «من علم علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار»

أدأب على جمع الفضائل جاهدا / وأدِم لها تعب القريحة والجسد
واقصد بها وجه الإله ونفع من / بلغته من جد فيها واجتهد
واترك كلام الحاسدين وبغيهم / هملا فبعد الموت ينقطع الحسد

الإتقان جـ٤/ ٢٥٨- ٢٥٩.

(١) الزمان والمكان، الجهة، الإضافة أو الكمية، أن يفعل، أن ينفعل، الحركة والسكون، الكيف والكم.

(٢) ١-المكان:المكى والمدنى، الحضرى والسفرى، الأرضى والسمائى.

٢-الزمان:النهارى والليلى، الصيفى والشتائى، الفراشى والنومى، الناسخ والمنسوخ.

٣-النزول:الأسباب، أول ما نزل، أخر ما نزل، ما نزل على لسان الصحابة، ما تكرر نزوله، ما تأخر حكمه على نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه، ما نزل مفرقا وما نزل مجمعًا، ما نزل مشيعا وما نزل مفردا، ما أنزل على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد من قبل فى كيفية إنزاله، من نزل فيهم.

٤-النقل الشفاهى:الحفاظ والرواة، المتواتر والمشهور والآحاد والموضوع والمدبع.

٥-القراءات:الوقف والابتداء، الموصول لفظا المفصول معنى، الإمالة والفتح، الإدغام والإظهار، الإخفاء والإقلاب، المد والقصر، تخفيف الهمزة، كيفية تحمله آداب التلاوة.

٦-التدوين: فواصل الآى، فواتح السور، خواتم السور، مناسبة الآيات والسور، رسوم الخط، آداب كتابته

٧-الأسماء والجمع والترتيب والعدد للسور والآيات والكلمات والحروف.

يكون السماء خياليًا ليلة الإسراء والمعراج لأن القرآن لا ينزل إلا فى سبب، وإجابة على سؤال. والموقف يشكل كل ما يتعلق بأسباب النزول وأوله وآخره، وما نزل على لسان الصحابة، وأسماء السور وجمعها وعدد الآيات والكلمات والحروف، والنقل الشفاهى، والقراءات، واللغة وهى أكبرها. وتدخل فيها المباحث اللغوية فى علم أصول الفقه والآتية هى أيضًا من اللغة. ويدخل أنواع الخطاب، أساليب البيان وعلوم البلاغة من بيان وبديع وذروتها الإعجاز. والتدوين والتفسير والعلوم الداخلة فيه وفضائلها.

وهناك إحساس عام عند القدماء بأنه يمكن إجمال علوم القرآن وإضغامها فى مجموعات أقل أو أكثر[1]. وفى كل منها مصنفات حتى ولو بلغت الثلاثمائة. لذلك سمى السيوطى كتابه «الإتقان». أدمج الثلاثمائة موضوع فى ثمانية كما أمكن من دمج الثمانين فى عشرة تقريبًا. وقد أمكن تخفيض هذه الأبواب الثمانين فى خمسين، والخمسين فى ستة أنواع:النزول، والسند، والأداء، والألفاظ، والأحكام، والمعانى، وهنا أنواع لا تدخل تحت حصر مثل:الأسماء والكنى والألقاب والمبهمات[2]. وفى «التحبير فى علوم

---

٨-اللغة:الغريب، وما وقع بلغة الحجاز وبلغة غير العرب، والوجوه والنظائر، الإعراب، المحكم والتشابه، المقدم والمؤخر، الخاص والعام، المجمل والمبين، المشكل والموهم، الاختلاف والتناقض، المطلق والمقيد، المنطوق والمفهوم، وجوه المخاطبات، الحقيقة والمجاز، التشبيه والاستعارة، الكناية والتعريض، الحصر والاختصاص، الإيجاز والإطناب، بدائع القرآن، الآيات المتشابهات، والمبهمات، إعجاز القرآن.

٩-التفسير:أداوته، وقواعده، تأويله وشرط الحاجة إليه، شروط المفسر وآدابه، غرائب التفسير، طبقاته.

١٠-العلوم:العلوم المستنبطة منه الأمثال، الأقسام، الجدل، الأسماء والكنى والألقاب.

١١-الفضائل:أفضله وفاضله، مفرداته وخواصه.

(١) «فهذه ثمانون نوعًا على سبيل الإدماج. ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فى ضمنها لزادت على الثلاثمائة. وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة. وقفت على كثير منها»، الإتقان، ص١٧-١٨.

(٢) ١-النزول:مواطنه، وأوقاته، وأسبابه، ووقائعه:المكى، المدنى، السفرى، الحضرى، الليلى، الصيفى، الشتائى، الفراشى، أول ما نزل، وآخر ما نزل(١٢).

٢-السند:المتواتر، الآحاد، الشاذ، قراءات النبى، الرواة والحفاظ(٦).

٣-الأداء:الوقف، الابتداء، الإحالة، المد وتخفيف الهمزة، الإدغام(٦).

٤-الألفاظ:الغريب، المعرب، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه(٧).

٥-معانى الأحكام:العام، العام المخصوص، العام الذى أريد به مخصوص، خصوص الكتاب بالسنة، خصوص السنة بالكتاب، ا المجمل، المبين، المأول، المفهوم، المطلق المقيد، الناسخ، المنسوخ، نوع الناسخ والمنسوخ وهو ما عمل به فى مدة أو أحد من المكلفين(١٤).

٦-معانى الألفاظ:الفصل، الوصل، الإيجاز، الأطناب، القصر(٥).الإتقان، ص٥-٦/ ١٤-١٧.

التفسير» جعل السيوطى الأنواع مائة وأربعين يمكن إجمالها أيضًا فى عشرة[1].

ولا يوجد القصص كشكل أدبى. بالرغم من قسمة الكتب إلى أبواب أو فصول أو أنواع إلا أنه يتم الربط بين الموضوعات داخل كل قسم بألفاظ تنبيه مثل «تنبيه»، «فائدة»[2].

---

(١) ١-الزمان:المكى والمدنى، الحضرى والسفرى، النهارى والليلى،الصيفى والشتائى، الفراشى والنومى، الناسخ والمنسوخ، ما عمل به واحد ثم نسخ، ما كان واجبا على واحد(١٣).

٢-النزول:(المكان، الموقف)، أسبابه، أول ما نزل، آخر ما نزل، ما عرف وقت نزوله، ما أنزل فيه وما لم يتنزل على أحد من الأنبياء، ما أنزل منه على الأنبياء، ما تكرر نزوله، ما نزل مفرقاً، ما نزل جميعًا، كيفية إنزاله(١٠).

٣-النقل المدون(السند): المتواتر الآحاد، الشاذ، قراءات النبى، الرواة والحفاظ، العالى والنازل، المسلسل، أسماء (الأداء) من نزل فيهم القرآن(٧).

٤-القراءة (النقل الشفاهى) الابتداء، الوقف، الإحالة، المد، تخفيف الهمزة، الإدغام، الإقلاب، مخارج الحروف، آداب القارئ(١٠).

٥- اللغة (الألفاظ):الغريب، المعرب، المجاز، المشترك، المترادف، المحكم والمتشابه، المشكل، المجمل والمبين، الاستعارة، التشبيه، الكناية والتعريض، العام الباقى على مجموعه، العام المخصوص، العام الذى أريد به الخصوص، ما خص فيه الكتاب والسنة، ما خصت فيه السنة والكتاب، المأول، المفهوم، المطلق والمقيد(٢٠).

٦-البلاغة(البيان والبديع): الإيجاز والسلوك، الأشباه، الفصل والوصل، القصر، الاحتباك، القول الموجب، المطابقة والمناسبة والمجانسة، التورية والاستخدام، اللف والنشر، المبهمات(١٠).

٧-التدوين:الالتفاف، الفواصل والغايات، كتابة القرآن، شبيه السور، ترتيب الآى والسور، الأسماء والكنى والألقاب، التاريخ(٧).

٨-الفضل:أفضل القرآن وفاضله ومفضوله(٢).

٩-الموضوعات(الأساليب):الأمثال، المفردات(٢).

١٠-التفسير:آداب المفسر، من يقبل تفسيره ومن يرد، غرائب التفسير، معرفة المفسرين(٤). السابق جـ١/ ٧-١٠

(٢) السابق جـ١/ ٨٧.

# الباب الأول

---

# الحوامل الموضوعية

# (التاريخ)

# الفصل الأول

# المكـان

## ١ـ المكان كحامل موضوعى

وتعنى الحوامل الموضوعية كل ما هو خارج الوحى، كل ما يستند عليه الوحى للنزول، وإظهار نفسه قبل تمثل الذات له، رواية وقراءة وتدوينا أو فهما وتذوقا وتفسيرا. هى الحوامل التاريخية مثل المكان والبنية الاجتماعية والزمان. ومن ثم تكون مقولة التاريخ هى الأنسب للتعبير عنها. فالتاريخ حامل موضوعى. ويضم الجغرافيا. فتاريخ المدن مثل مكة والمدينة أو تاريخ شبه الجزيرة العربية الممتدة من صحراء الشام إلى جبال اليمن لا ينفصل عن جغرافيتها.

الوحى بهذا المعنى ظاهرة تاريخية. يظهر فى التاريخ ويتجلى فيه. والتاريخ هو الواقع والمكان والزمان والمجتمع والبشر. فلا محمول بلا حامل، ولا وحى بلا جسد يتحقق فيه الوحى. الوحى ليس طائرا فى الهواء بل يهبط على الأرض ليستقر فيها كما يستقر الماء فتهتز وتربو وتنتج من كل زوج بهيج. الماء محمول والأرض حامل. وماء بلا أرض يتبخر ويعود إلى السماء من جديد، لا ينبت ولا يسقى ولا يروى.

ونظرًا لاستعمال مقولة «الواقع» من قبل فى «من النص إلى الواقع» فإن مقولة «التاريخ» هذه المرة تكون البديل الدال عن «الواقع» حتى تتعدد المفاهيم من حقل دلالى واحد أو حقول دلالية مختلفة.

ويصعب التمييز بين الحوامل الموضوعية، والحوامل الموضوعية الذاتية والحوامل الذاتية. فالحوامل الموضوعية المكان والزمان والبيئة الاجتماعية. وهى لا تنفصل عن الحوامل الموضوعية الذاتية فى الرواية، الخبر والقراءة والكتابة. وهى لا تنفصل أيضًا

عن الحوامل الذاتية فى اللغة: الألفاظ والمعانى، والبلاغة، والتفسير. الموضوع والذات واجهتان لعملة واحدة، بُعدان لقصد واحد. الموضوع بلا ذات وجود مصمت، مجرد شىء، مادة بلا حياة. والذات بلا موضوع فراغ أجوف. الأول بدن بلا نفس. والثانى نفس بلا بدن.

ويعنى المكان التجمع البشرى قبيلة أو رهطا أو لقوم أو لشعب أو لمدينة. وكلها مفاهيم قرآنية. فالوحى فى حاجة إلى مخاطب. ينزل إلى أناس. الوحى رسالة فى حاجة إلى مرسَل إليهم مثل الخطاب مرسِل ومرسَل إليه، منه وإليه. الوحى موضوع فى حاجة إلى ذات لإدراكه. الوحى محمول والذات حامل.

ولما كانت المدن قد تشكلت، وعرفت المدن القديمة فى شبه الجزيرة العربية وعلى امتدادها شمالا وجنوبا كانت مكة والمدينة فى الحجاز فى وسطها كطرق للتجارة. وكانت قريش فى مكة القبيلة المقيمة[1].

هبط الوحى فى مكة لوجود تجمع سكانى، وقبيلة متضامنة، ولهجة متداولة، وقيم معروفة، وصدارة اجتماعية. فيها الكعبة، كعبة إبراهيم، وعليها المعلقات السبع. وبها أسواق عكاظ للإلقاء الشعرى، أقرب إلى الحضر منها إلى البدو بتعبيرات ابن خلدون[2].

والمكان ليس هو المكان المتخيل بليلة الإسراء والمعراج، القدس أو السماء. فالوحى ينزل فى المكان والزمان للناس على الأرض بناء على سؤال وليس مجرد وحى طائر فى السماء. المكان المثالى يعطى الرواية حضورا أكثر، ويجعل لها تأثيرا نفسيا أعظم. المكان هو الواقع والتاريخ والبشر والحياة الدنيا. المكان المتخيل هو المكان الشعرى كأسلوب فى التعبير، مجازا لا حقيقة. هو التضحية بالموضوع من أجل الذات، تصغيرا له وابتلاعه داخل الذات، التضحية بالحس لصالح الخيال[3].

---

(١) وقد ألف فيه من قبل مكى، والعز الديرينى، الاتقان جـ٢٢.

(٢) وقد كتبت عدة دراسات عن هذه الحوامل التاريخية الجغرافية مثل «سوسيولوجيا» الفكر الإسلامى، للدكتور محمود إسماعيل (عشرة أجزاء).

(٣) الإتقان جـ١ / ٦٧.

والأراضي والسماء تقابل نظرى. فالأرض مكان والسماء ليست مكانا. الأرض يسير عليها الإنسان تحته بالأرجل والأقدام، والسماء يتخيلها الإنسان فوقه بالأعين والأذهان. لم يكن القدماء قد عرفوا الفضاء وأنه مكان بلا جاذبية للأرض. والمعراج عند البعض كان بالروح وليس بالبدن، بالخيال وليس بالجسم[1].

## ٢ ـ التمييز بين المكى والمدنى

نزل القرآن على امتداد ثمانية عشر عاما، ثمانية بمكة وعشرة بالمدينة. فالنظم والتشريعات أطول من التصورات والعقائد. فالنص لا يحتاج إلى زمان طويل، عقود وقرون ودهور. يحتاج فقط إلى وقت الازدهار بتعبير اليونان القدماء حوالى الأربعين عاما. وهو الوقت الذى هبط فيه الوحى حتى وفاة الرسول وهو فى الثالثة والستين. احتاج الوحى إلى عقدين من الزمان فى عمر واحد، عمر الرسول. فالدين له جانبان: اللحظة المركزة، والديمومة المتصلة. فزمان الوحى لحظة مركزة فى التاريخ. واستمراره فى الديمومة المتصلة بعد وفاة الرسول عبر الأجيال[2].

وهناك سور مكية، وأخرى مدنية بوضوح، وثالثة عليها خلاف. فالمكى والمدنى تحديدان إنسانيان وليسا نبويين، اجتهادان علميان وليسا وحيين. وبالرغم من إمكانية التمييز بينهما على وجه العموم إلا أن بعض السور تند عن الفروق بينهما. والمدنى أقل من المكى لذلك يمكن حصره[3]. فالتشريعات أسهل من العقائد، والنظم أيسر من التصورات. وآيات التشريع حوالى خمسمائة آية فى مقابل آلاف من آيات التصورات. ويمكن التمييز بينهما بعدة سمات عامة أهمها:

أ- كل سورة فيها من القصص فهى مكية[4]. فالقصص ترويح عن النفس. هو

(١) السابق ص٦٧. وهو من أصغر الأنواع (صفحة واحد).

(٢) وفى رأى آخر أنه نزل على امتداد عشرين عاما. الواحدى: أسباب النزول ص٣.

(٣) المدنى: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، القتال، الفتح، الحجرات، الحديد إلى آخر التحريم، ولم يكن، والنصر، والفلق، والناس. وفى الفاتحة، والرعد، والحج، والصف، والإنسان، والإخلاص خلاف. والباقى مكى، ابن البارزى: ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ص٦٢.

(٤) السابق ص ٦٢.

تحقق صدق العقائد فى التاريخ عن طريق وصف المراحل السابقة للوحى لدى الأمم السالفة لأخذ العظة والعبرة. فالوحى واقع وتاريخ. صدقه تحققه. وتحققه صدقه. اكتمال الوحى مرتبط بتطوره. وبنيته تحقق لتكوينه. فالحقيقة بنت التاريخ. والاكتمال تحقق الماضى فى الحاضر. وظيفة القصص هو إظهار البعد التاريخى فى الوحى من أجل بلورة الوعى التاريخى فى الوعى الإنسانى. ليست وظيفة القصص التحول من الحاضر إلى الماضى، ومن الواقع إلى المتخيل بل العكس، التحول من الماضى إلى الحاضر، ومن المتخيل إلى الواقع من أجل العظة والعبرة والتعلم. فالوعى التاريخى بُعد من أبعاد الوعى الذاتى. وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس باستثناء البقرة فهى مكية. فهى نموذج القصة الخيالية التى تصور نشأة الخلق والتحدى بين الإنسان وأعدائه، وتسليح الإنسان بالوحى حتى يقوى به فى معركته. هى قصة الغواية واتباع الأهواء التى قد تؤدى بالإنسان إلى التهلكة، واعترافه بالخطأ، وتوبته، وبداية حياته من جديد صفحة بيضاء بعد تعلمه من التجربة السابقة[1].

ب- كل سورة افتتحت بالحروف سوى البقرة وآل عمران فهى مكية. وفى «الرعد» خلاف. فوظيفة الحروف التنبيه والإيقاظ والتأثير فى النفس. وهى وظائف التصورات وليست التشريعات التى تقوم على رعاية المصالح. الحروف خاضعة للتأويل. والتأويل فهم وتصوير. وهو من جانب العقائد. فى حين أن النظم أنساق موضوعية تحقق المصالح العامة[2].

جـ- كل سورة فيها «كلا» فهى مكية. وهى حرف تشبيه ونفى. وهى من أساليب البلاغة وفنون القول. الغاية منها التأثير فى النفوس، وليس تحقيق المصالح العامة. هما حرفا تنبيه وإيقاظ من أجل إثارة الانتباه لمعان وأفكار، وليس لنظم وتشريعات[3].

د- تبدأ السور المكية بنداء: (يا أيها الناس( وليس )يا أيها الذين آمنوا). فهو خطاب للناس جميعا بصرف النظر عن معتقداتهم وإيمانهم. الأول خطاب عام، والثانى خاص.

---

(١) السابق ص ٦٢.
(٢) السابق ص ٦٢.
(٣) السابق ص ٦١.

الأول للبشر من حيث هم بشر، والثانى للبشر من حيث هم مؤمنون. فالوحى يخاطب الناس جميعا بصرف النظر عن إيمانهم أو عدم إيمانهم. يتوجه إلى إنسانيتهم من حيث هم بشر. فالإنسانية تسبق الإيمانية، والبشرية تسبق العقائدية[1].

## ٣- التداخل بين المكى والمدنى

ولا يعنى المكى والمدنى الفصل التام بين الزمان بل قد يتداخل الزمان فى المكان. فالمكى ما نزل قبل الهجرة والمدنى ما نزل بعدها. وقد يتجاوز الخطاب المكان والزمان معا فيصبح المكى خطاب أهل مكة والمدنى خطاب أهل المدينة بصرف النظر عن المكان والزمان. فالخطاب مرتبط بالبشر.

ومن فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ. فالمنسوخ ما أتى سابقا والناسخ ما أتى لاحقا. والتصورات لا تنسخ بل النسخ فى الأحكام. ولما كانت الأحكام فى المدنى فالمدنى اللاحق ينسخ المدنى السابق. يعرض المكى والمدنى من خلال الناسخ والمنسوخ. فبالرغم من أن الناسخ متأخر فى نزوله عن المنسوخ إلا أنه فى التأليف قد يكون متقدما عليه. لذلك قد يتأخر المكى عن المدنى فى السور. ويكون الناسخ مدنيًا ناسخًا لمكى أو لمدنى من قبله[2].

ويعرفان سماعا وقياسا. سماعا بالتوقيف، وقياسا بالتمييز بين السابق واللاحق. ولا يعنى المكى والمدنى أى تغيير فى ماهية الوحى أو طبيعته كما يدعى بعض المستشرقين أو مدعو التجديد التصورى والتشريعى[3].

ولا يهم عدد السور والآيات المكية والمدنية إلا من حيث دلالاتها. فالكم له دلالاته على الكيف. ولا يهم الحصر بل يكفى الدلالة. فالمكى أكبر من المدنى أى أن التصور له الأولوية على النظام. والمكى أكثر من المدنى لأن المهم تصور العالم قبل النظام، والعقيدة قبل الشريعة. العقيدة ثابتة والشريعة متغيرة طبقا للمصالح. ولا يهم تحديد السور

(١) السابق ص ٦٢، ابن حجر العسقلانى: العجاب فى بيان الأسباب ص٢٥-٢٦.
(٢) ابن البارزى: تاريخ القرآن العزيز ومنسوخه ص٦١.
(٣) الإتقان جـ١/ ٢٣، البرهان جـ١/ ١٨٧-٢٠٥.

المختلف عليها. فالقضية ليست تاريخية بل دلالية خالصة. بل قد تساعد الدلالة فى ترجيح الخلاف التاريخى. فالفاتحة مكية لأنها تتضمن التصور لا النظام. ولا يهم رصد أقوال السابقين فالمشكلة تاريخية صرفة لم تعد لها دلالة اليوم[1].

وقد لا تكون السورة كلها مكية بل تتداخلها آيات مدنية. وقد لا تكون السورة كلها مدنية بل تتداخلها آيات مكية وذلك لتداخل التصور والنظام. فالنظام ينبثق من التصور والتصور أساس النظام. فالتمييز بين المكى والمدنى ليس حاسما قاطعا فاصلا نظرا للوحدة الموضوعية للوحى[2].

بعض الآيات نزلت بمكة وحكمها مدنى. والبعض الآخر نزل بالمدينة وحكمه مكى. وما نزل بمكة فى أهل المدينة، وما نزل فى المدينة فى أهل مكة[3]. فالمعيار ليس المكان بل ما ينزل فى المكان، عقيدة أم شريعة، تصورا أم نظاما.

أما وضع المكى داخل المدنى أو المدنى داخل المكى فذاك أدخل فى ترتيب الآيات والسور إذا كان الترتيب توقيفيا[4]. وربما للدلالة على أنه لا تمييز فاصل بينهما. فالتصور أساس النظام، والنظام يقوم على التصور. تتجلى العقيدة فى الشريعة. وتستند الشريعة إلى العقيدة:

ولا تهم الأمكنة الفرعية الأخرى، الطائف، الطريق بين مكة والمدينة، الحديبية، وما حمل من المدينة إلى الحبشة. فهذه أماكن فرعية. فمكة والمدينة ليسا شرطى الوحى بل مجرد وعائين له. ينزل الوحى طبقا للحاجة. ومكة والمدينة هما المكانان الرئيسيان أى البيئة الاجتماعية. والطريق من مكة إلى المدينة ساعة الهجرة طريق مؤقت. وطريق العودة من المدينة إلى مكة عام الفتح طريق مؤقت كذلك. والحديبية مكان مؤقت للقاء المسلمين بالكفار لعقد صلح بينهما وليس مكانا دائما. والأماكن العرضية ليست تجمعات عمرانية لها مشاكل اجتماعية تحتاج إلى نزول الوحى،

---

(١) الإتقان ص ٢٨-٢٩، يقال أن المدنى عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، والباقى مكى أى قرابة ٨٢ سورة مكية.

(٢) السابق ص٣٠-٣٧.

(٣) السابق ص٣٨.

(٤) السابق ص٤٧- ٥٠.

ويشير الحضرى والسفرى إلى المكان ليس كمدينة ثابتة بل كسكون وحركة فى المكان فى الحضر أو السفر أى إلى الطريق من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى مكة. وقد يعنى الاستعجال وعدم انتظار الوحى حتى الوصول، ولا داعى للعجلة فى عصر كانت المواصلات بطيئة قد تستغرق أشهرًا. والآن السفر قصير. وقد يعنى حدوث واقعة فى السفر تستدعى النظر أو مشكلة تتطلب الحل[1].

## ٤- من الحامل إلى المقدس

ونزول الوحى بمكة والمدينة لا يجعلانها مدينتين مقدستين، محطتين للزيارة، والتبرك والمجاورة فيها. فالمقدس هو المحمول وليس الحامل. والزيارة ليست للمكان بل لاستعادة الذاكرة ولتفعيل الوحى فى القلوب. زيارة المكان سياحة وتجارة وتأشيرات دخول وتحكم للنظم السياسية وللدول فى المكان. تقديس المكان عود إلى الوثنية القديمة وإلى الكعبة عندما كانت مكانًا للآلهة وتجمعًا للأصنام. تماما مثل تقديس المصحف ورقا وحبرا وتجليدا وقطيفة مذهبة وليس الكلام المدون فيه. ومثل تقديس سجادة الصلاة والسبحة والجلباب والذقن والطاقية، وليس شعائر الصلاة والاستفادة منها فى الحفاظ على الوقت وتأدية الواجبات فى أوقاتها على الفور وليس على التراخى، أداء وليس قضاء.

أهمية مكة تاريخيا أنها أول مدينة وضع فيها أول بيت لله، البيت الحرام، أقام فيها إبراهيم القواعد، وأصبحت مركزًا للحجيج وطرقا للتجارة ومكانًا مقدسا قبل الإسلام وبعده. وفيها كانت تلتقى القبائل بصرف النظر عن ديانتها، يهودية أو نصرانية أو صابئة أو مجوسية أو عبادة الأصنام. وليست أهميتها أن بها منازل الصحابة ودورهم وأماكن لقائهم. فكثير منها اندثر. وما بقى أصبح تجارة وسياحة. وكثير من الزوار يأتون تجارة للربح أو للتهادى بملابس مباركة من مدينة الرسول وزمزميات مملوءة بمياه زمزم لشفاء المرضى ببركة إبراهيم.

---

(١) السابق ص ٥١-٥٧.

وأهمية المدينة تاريخيًا. ففيها تحول الوحى من عقيدة إلى تشريع، ومن تصور إلى نظام، ومن دعوة إلى دولة، ومن نبوة إلى حكم. وفيها أعلن «ميثاق المدينة» لبيان تعددية الأمة. فكل أصحاب دين أمة لها استقلالها الذاتى. تحكم بشريعتها. وتتساوى الأمم جميعا داخل الأمة الإسلامية فى الحقوق والواجبات. وهو ما سمى فيها بعد أثناء الدولة العثمانية «نظام الملة» والذى انحدر فى الدولة الحديثة إلى نظام الطائفة ضد المواطنة والمساواة فى الحقوق والواجبات. وهو المقصود من نظام الملة القديم.

ليست أهميتها أن بها قبر الرسول «بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة». فلا تجوز زيارة القبور (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) وكما وضحت الوهابية، كبرى الحركات الإصلاحية الحديثة. ليست أهمية مكة والمدينة أنها تجعل الدولة الحديثة تحتضنها دولة خلافة كما كانت دمشق وبغداد والقاهرة واسطامبول قبل إلغاء النظام. ولا تجعل لهذه الدولة أى ميزة بالنسبة للعقيدة أو الشريعة فى الفهم بالتوجيه. ولا تجعل فى علمها الوطنى به شعار التوحيد أو سيف. فقد انقضى عصر السيوف التى أصبحت رمزا للقوة والعنف والقتل والإرهاب، بتعبير أعداد المسلمين. والأعلام الوطنية رموز بألوانها الأحمر والأزرق والأبيض والأسود، وبرسومها ورقة شجرة أو شجرة أرز أو بنجمة أو هلال أو بمطرقة ومنجل رمزين للعامل والفلاح. ولا تشرعان ألقابا لرؤساء دولها مثل «خادم الحرمين الشريفين». فكل سلوك بشرى من قمار وتبذير وانحراف وتسلط وتبعية للأجنبى يُحسب على السلوك الدينى. ويتساءل الناس حول التناقض بين المثال والواقع، بين القول والعمل.

وإذا كانت مكة والمدينة مكانين لظهور الحق والإعلان عن العدل فالمدن كثيرة اليوم التى يضيع فيها الحق وينتهك فيها العدل مثل دارفور وكردفان ومقديشو وكيسمايو. وكل مدينة مهمشة مملوءة بالعشوائيات. يكتنفها الفقر والضنك والبطالة وتجارة المخدرات والجنس مثل سكان المقابر والنجوع وأكواخ الصفيح. وهى كل مدينة يموت سكانها من الجوع والعطش أو يغرقون تحت مياه الفيضان أو يغتالون فى الحروب الأهلية بين أمراء الحروب. فى النزاع على السلطة.

ما يظنه الناس مقدسًا فى سلوكهم الشعبى هو الدنس مثل المدن المقدسة وما يظنه

الناس دنسا هو المقدس، الجوع والعطش والمرض والجهل والبطالة وتجارة الجنس لمقاومة الفقر والحفاظ على الحياة. أحبار اليهود وكهنتهم ليسوا مقدسين بل مريم المجدلية هى المقدسة «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر». التجار فى المعبد ليسوا مقدسين بل هم الذين حولوا بيت الله إلى متجر. أشراف مكة وسدنة قريش ليسوا مقدسين بل هم العبيد والمستضعفون. ليس أغنياء اليهود والكتبة هم المقدسون بل المرضى والبرصى والصم والعمى الذين شفاهم المسيح.

المكان، مكة والمدينة، ليس قسماً كبيرًا فى علوم القرآن. بل هو أصغر الأقسام. ومع ذلك هو حامل موضوعى للوحى مع البيئة الاجتماعية والزمان. والثلاثة أبعاد للتاريخ.

# الفصل الثانى

# البيئة الاجتماعية

## أولًا - كيفية النزول:

وتعنى كيفية النزول أول وآخر وزمن النزول، والتنجيم، والقصص والتوجيه السياسى، والنزول بالمعنى والحرف، وتكرار النزول وتأخره عن الحكم، والأنبياء من يتم عليهم النزول. وتعنى البيئة الاجتماعية المجتمع الصغير أو الكبير الذى نزلت فيه الآية لحل مشاكله والردود على أسئلته، والاستجابة إلى مطالبه. وقد تتعدد المصطلحات بين البيئة الاجتماعية، والمجتمع والجماعة، والوضع الاجتماعى، والظروف الاجتماعية. وكلها تشير إلى شىء واحد وهى البيئة الاجتماعية التى نزلت فيها الآية. وقد يسمى أيضًا الموقف. وهو مصطلح فى العلوم الأخلاقية فيما يسمى بأخلاق المواقف[1]. ويعنى الموقف كل ما يتعلق بالنزول وفى مقدمته أسباب النزول، وأول وآخر ما نزل، وعلى من نزل، وتكرار النزول، وما يتضمنه من أحكام، وما نزل مفرقًا أو مجمعًا، مفردًا أو مشيعًا، وما نزل على محمد، وما نزل على الأنبياء السابقين، وكيفية إنزاله.. إلخ. وهو موقف لأن النزول كان فى موقف إنسانى. والزمان والمكان ما هما إلا ركيزتان ودعامتان للموقف. والكل يشير إلى الواقع. النزول من السماء إلى الأرض، من الوحى إلى الواقع.

### ١ - أدبيات الموضوع

وقد ألف فيه كثيرون. وأهم هذه التآليف[2].

---

(١) أخلاق المواقف Situatinal Ethics

(٢) وقد ألف فيه على بن المدينى شيخ البخارى والواحدى بالرغم مما فيه من نقائص واختصار الجعبرى له بحذف الأسانيد وعدم زيادة شىء، وأبو الفضل بن حجر توفى وهو مازال مسودة. وألف فيه السيوطى «لباب المنقول فى أسباب النزول». الإتقان جـ١/ ٨٢. البرهان جـ١/ ٢٢- ٣٤.

أ- «أسباب النزول» للواحدى (٤٦٨هـ)[١]

هو تقريبًا أشهر نص فى الموضوع. يضع بعض المقدمات العامة أولًا مثل حول نزول القرآن منهجًا على ثمانية عشر عامًا، ثمان بمكة وعشر بالمدينة، وأول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه، وشهر النزول وهو رمضان، وآية التسمية ونزولها ثم الفاتحة[٢]. ثم يبدأ عرض السور سورة سورة، وآية آية لبيان سبب نزولها حتى لو تعددت الروايات[٣]. وتختلف أسباب النزول طولا وقصرًا. ولا تقتصر فقط على الأحكام بل تشمل أيضًا الأفكار. وليست فقط فى الحاضر بل تصحيح الأسباب التى ذكرها السابقون. وهو من أوضح الكتب وأكثرها دلالة على الموضوع. ويعتبر نصًا نموذجيًا لتحليل الصلة بين النص والواقع[٤].

ب- «التعريف والإعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام» للسهيلى(٥٨١هـ)[٥].

وتبين الحوامل التاريخية والمناسبات .والأشخاص والأماكن والبيئة التى نزل فيها الوحى. وهو ما أسماه الأصوليون «عموم الحكم وخصوص السبب». وتأتى هذه المعلومات إما من الروايات فى كتب التاريخ والتفسير أو من الشعر العربى أو من الإسرائيليات إذا كان الموضوع قد تم تناوله من قبل فى التوراة[٦]. والاعتماد على الذاكرة والحفظ والروايات الشفاهية عرضة للخطأ[٧].

---

(١) أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى:أسباب النزول، مصطفى البابى الحلبى وأولاده، مصر، ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

(٢) السابق، ص٣- ١١.

(٣) السابق، ١١- ٢٦٤.

(٤) وقد اعتمدنا عليه من قبل فى دراسة «النص والواقع» دراسة فى أسباب النزول، هموم الفكر والوطن جـ١، التراث والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٧ - ٥٦. وقد دخلت بعض فقرات هذه الدراسة فى هذا الفصل.

(٥) عبد الرحمن السهيلى:التعريف والإعلام فيما أبهم فى القرآن من أسماء الأعلام، دراسة وتحقيق عبد الله محمد على النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، السلسلة التراثية(١٠)، طرابلس، الجماهيرية الليبية.

(٦) الشعر العربى، السابق، ص١٧.

(٧) وهى المدرسة التوراتية فى القدس التى أسسها الأب لاجرانج.

.Lécole biblique de jerusalem، le père lagrange: la méthode historique

والسؤال هو: ما أهمية هذه الحوامل التاريخية بالنسبة للوحى؟ هى مجرد حوامل لا محمولات. لا تدل بأشخاصها بل بدلالاتها. ليس المقصود تحديد الأشخاص التاريخية بأعيانها بل بدلالاتها. بل إن أسماء الأنبياء لا تهم بل رسالتهم. ولا تعنى آية (وعلم آدم الأسماء كلها) أسماء من نزل فيهم القرآن وأشخاص الأنبياء بل مبادئ اللغات وطرق الكلام ووسائل المخاطبة وأسماء الأشياء لأنه لم يوجد بشر ساعة الخلق الأول.

كما تحول هذه الحوامل التاريخية الوحى إلى مجرد تاريخ. وتقضى على عمومه. وتجعله أقرب إلى الحوادث الماضية[1]. تسيطر عليه النزعة التاريخية التى سادت فى القرن التاسع عشر فى الغرب فى النقد التاريخى للكتب المقدسة بالمنهج التاريخى وإثبات صحة الإنجيل بمدى التطابق بين الوصف التاريخى فى النص، الزمان والمكان والأسماء، مع الواقع فى الناصرة والقدس والجليل وتحويل التاريخ إلى جغرافيا.

كما أنه يربط الوحى بالتاريخ، والعموم بالخصوص. وهو النقد الذى يوجهه المحافظون الحاليون لأصحاب «تاريخية النص» أو «تاريخية القرآن» أو «تاريخية الوحى». ويجعله حوادث ماضية لا تمتد إلى الحاضر أو إلى المستقبل. وتشبه ظروف الوحى وتاريخيته الكتب المقدسة الأخرى التوراة والإنجيل. ويتم استعراض ذلك سورة سورة، وآية آية أسوة بالتفسير الطولى للقرآن دون ترتيب موضوعى أو بنية نظرية تجمع الأسماء كلها فى نظرية عامة للتسمية[2].

### جـ- «العجاب فى بيان الأسباب» لابن حجر العسقلانى (٨٥١هـ)[3]

وهو فى أسباب النزول مع إبداء الدهشة والعجب أى عظم المقارنة بين الآية

(١) الأعلام المذكورة: الطبرى(٣٣)، النقاش(١٨)، ابن قتيبة(١٦)، المطلبى(١٥)، ابن عباس(١٤)، ابن عبد البر، المسعودى الدار قطنى(٧)، الترمذى، البكرى، البخارى، ابن هشام(٦)، ابن أبى الدنيا، المقرى(٥)، مجاهد النحاس، الحارث بن أسامة، وهب بن منبه(٣)، ابن العربى، عكرمة، عمر بن مالك، الزجاج، الهروى، الأشبيلى، القشيرى، السرقسطى، ابن جنى، الخدرى، الفرزدق، ابن فورك، كعب الأحبار، معاوية، مقاتل، النابغة الذبيانى، أبو نواس(١) وآخرون.

(٢) وهو ما يسمى فى فلسفة اللغة المعاصرة فى الغرب Names and Naming . عدد الآيات المذكورة (٣٧٨)، الأحاديث (٨٨)، الأشعار (٢٢)، الأمثال (٣).

(٣) الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى: العجاب فى بيان الأسباب، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م- ١٤٢٥هـ.

وسبب نزولها لمعرفة روح الإسلام وطبيعة الوحى. يتتبع الأسباب سورة سورة وآية آية. وهو غير كامل، فقط من الفاتحة حتى النساء. ويخلو من أى مقدمة نظرية، ربما لانتهاء النظريات. يضم مجرد رصد لأسباب نزول الآيات. ثلاثمائة وتسع عشرة آية. ولا ضير من التدوين مرة ثانية حرصًا على التراث من الضياع بعد الغارات على العالم الإسلامى من الشرق والغرب، من التتار والمغول شرقًا وسقوط بغداد، ومن الصليبية غربًا بعد سقوط غرناطة. يفسر القرآن بالقرآن. ويعتمد على كتب التفسير السابقة التى ذكرت أسباب النزول. فالعلم نقل عن السابقين، وحفظ للتراث. والسؤال هو:ما مصادر كتب التفسير فى أسباب النزول؟ كما يعتمد على الروايات والأسانيد. والتفسير بالقرآن يتجاوز التفسير بالحديث. ويغيب الشعر لبعد الموضوع عن البلاغة وفنون القول. وتغيب الدلالات العامة لأسباب النزول وتجميعها فى حقول دلالية حتى ينتظم الكل لأجزاء الوحى بالرغم من صعوبة وضع أسباب نزول ثلاثمائة وتسع عشرة آية فى رؤية واحدة. ويذكر أكثر من سبب للآية الواحدة. لذلك تبرز أهمية التوفيق بين الروايات أو اختيار أنسبها. يساعد على ذلك روح الإسلام وطبيعة الوحى. وقد يظهر بعض نقد روايات أسباب النزول السابقة فخصوص السبب وعموم الحكم ليس من أسباب النزول[1]. وقد يكون النسخ أحد أسباب النزول[2].

### د- «الإكليل فى استنباط التنزيل» للسيوطى (٩١١هـ)

وهو الحافظ الجامع لمواد السابقين[3]. ويتراوح بين التنزيل والتأويل، عرضًا طوليًا، سورة سورة، وآية آية على نحو انتقائى. والترتيب الزمانى أو الموضوعى أفضل بدلًا من تناثر الموضوعات وتجزئتها عبر السور، دون أى مقدمة نظرية توضح الالتباس. فالتأويل لا يستقرئ بل يستنبط من النص أو من الشعور. فى حين أن التنزيل يستقرئ

---

(١) السابق، ص٢١٦.

(٢) السابق، ص٢٣٣.

(٣) الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى:الإكليل فى استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب خريج جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية، بيروت، جـ٣، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ

من الواقع ولا يستنبط من الذهن. الاستنباط للعقائد والأخلاق والشرائع. كل شيء من الآيات. ولا يركز الكتاب على الأحكام وحدها فالقرآن هو كل شيء. يعنى الاستنباط هنا المعنى العام أى الفهم وليس المعنى المنطقى الخاص أى الاستدلال. الهدف فهم النص وليس استنباط الأحكام أو تأويل النص. طبقًا لعنوان الكتاب يدخل فى «أسباب النزول» ولكنه ليس كذلك. إذ يستخرج الموضوعات من الآيات مع بعض التأويل. فلا غنى للتنزيل عن التأويل. وتذكر «أسباب النزول» و«الناسخ والمنسوخ» مع استنباط التنزيل. وهو أقرب إلى التفسير.

يعتمد على أقوال السابقين خاصة المفسرين مثل الغزالى وابن عربى والبيضاوى. هو نوع من التفسير الشامل وإن صغر حجمه. يفسر القرآن بالقرآن أكثر من القرآن بالحديث أو الشعر. والحديث نفسه تفسير للقرآن وتناص معه. كما تفسر الآية بالتعيين، وربط العموم بالخصوص، وتحويل المعنى إلى علامة. ولا يخلو من الجدل العقائدى. فتذكر المعتزلة والدهرية والقدرية مع نزعة سلفية واضحة، وجعل الوحى متضمنًا لكل الحقائق، والدخول فى جدل القياس بين الإثبات والإنكار[1].

هـ- «لباب المنقول فى أسباب النزول» للسيوطى(٩١١هـ)

وهو كتاب تجميعى كما يدل على ذلك العنوان. يعتمد على كتب تفسير السابقين وعلى آراء الفقهاء السابقين خاصة ابن تيمية[2]، بالرغم من التنبيه على طرق الرواية المسند منها إلى الصحابة أو إلى المفسرين أو «أسباب النزول» للواحدى أشهر الكتب فى الموضوع. ويتميز «لباب المنقول» عنه بالاختصار والجمع الكثير وتخريج الأحاديث، وتمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود ، والجمع بين الروايات المتعددة، وتنحية ما ليس من أسباب النزول[3]. وطريقها الرواية والسماع لمن شاهدوا التنزيل[4]. وتتفق الروايات وتختلف، المهم إيجاد دلالاتها على بنية الوحى وروح الإسلام.

---

(١) نقد المعتزلة، السابق ص ١٢٤، نقد القدرية ص١٥٢/ ٢٧٩/ ٢٨٢، الرد على الدهرية ص٢٣٥، جدل القياس ص١٤٨.

(٢)لباب المنقول ص٣.

(٣) «لخصته من جوامع الحديث والأصول، وحررته من تفاسير أهل النقول»، السابق ص٣.

(٤) السابق ص٣- ٤.

ولأسباب النزول فوائد كثيرة بالرغم من أنها تبدو أقرب إلى التاريخ مثل الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال[1]. تستعرض سورة سورة وآية آية على نحو طولى. ويصحح بعض مواقف السابقين. وتبدو الاتجاهات الكبرى فى أسباب النزول مثل تصحيح مواقف النبى، والإجابة نيابة عنه، وبعض المسائل العملية الخاصة مثل أحوال الأسرة والعامة مثل قضايا الحرب والسلام، والموقف من بعض الجماعات المعادية مثل اليهود، وظهور بعض الجوانب الخيالية مثل كلام الشيطان والرد عليه وتدخل جبريل. وتبدو بعض المسائل وقد انقضت بفضل الزمن مثل صيد الكلاب[2].

## ٢- أول وآخر وزمان النزول

أول ما نزل (اقرأ) أى العلم. ليست القراءة الأبجدية بل القراءة العلمية أى المعرفة والفهم وليست «الفاتحة» أو «المدثر» أو «المزمل»[3]. ولا تعنى القراءة فعل الأمر القراءة والكتابة للحروف الهجائية بل العلم والتدبر والمعرفة. فالقراءة وسيلة وليست غاية، أداة وليست قصدًا[4]. أول ما نزل هو الإعلان الأول، اللحن الأول فى السيمفونية مثل ضربات القدر فى السيمفونية الخامسة لبيتهوفن. هو «ترومبيت» اليقظة للجند فى الصباح، وجرس الطابور المدرسى، ودقات الساعة، ودقات خشبة المسرح إعلانا عن بداية المسرحية. هو الإعلان عن البداية قبل النهاية، الكشف عن المنبع قبل المصب، والإمكان قبل التحقق. هو الإعلان عن بداية الوعى، معرفة وعلمًا وقراءة وكتابة، قبل القيام للإنذار والارتعاش والإحساس بالبرودة من تلقى المعرفة الجديدة. ولا يهم مكان النزول، مكة أو المدينة بل مضمون النزول، القراءة والمعرفة. ولا يهم أول ما نزل فى موضوع معين مثل القتال أو الخمر بل البداية على الإطلاق، البداية الكلية[5].

وآخر ما نزل مرتبط بأوله أى التحقق بعد الإمكان، والمصب بعد المنبع، والنهاية

---

(١) السابق ص ٧٥/ ٧٧/ ٨٧.

(٢) السابق ص٧٦.

(٣) البرهان جـ١/ ٢٠٦- ٢١٠.

(٤) الواحدى: أسباب النزول، ص٥- ٧.

(٥) الإتقان جـ١، ص٦- ٧٦. لذلك تسبق آية (اقرأ) آيتىّ (يا أيها المدثر) و(يا أيها المزمل) ( وسورة الفاتحة).

بعد البداية، والإعلان عن الكمال والتمام والرضا، واستقلال العقل وحرية الإرادة. ليست النهاية موضوعًا معينًا، حكمًا شرعيًا أو إحالة إلى الرسول أو إشارة إلى اليوم الآخر والاستحقاق بل الإعلان عن الكمال والتمام[1]. وآخر ما نزل ليست أمورًا تشريعية مثل الكلالة أو الحرب، ولا أمورًا عقائدية أخروية أو شخصية تتعلق بالرسول بل الآيات التى تدل على النهاية، وتحقيق الرسالة، وانتهاء المهمة[2].

وقد نزل القرآن فى شهر رمضان. بل نزلت الكتب المقدسة السابقة فى نفس الشهر فى أيام مختلفة[3]. ثم تحول شهر رمضان فى الدين الشعبى إلى شهر مبارك. ويتم الاحتفال بنزول القرآن وبليلة القدر وبالإسراء والمعراج فيه. وتم التعبير عن ذلك فى الأغانى الشعبية[4].

فإن قيل نزل فى شهر رمضان فلفضله على باقى الشهور. وإن قيل فى ليلة القدر فلفضلها على باقى الليالى. وهو دور، نزول القرآن فى ليلة القدر وفضل ليلة القدر لنزول القرآن. ولا تتحدد ليلة القدر بليلة معينة، السابع والعشرون أو بفترة معينة، العشر الأواخر من رمضان. والتخصيص بليلة البدر نوع من التفخيم والتعظيم. فالبدر أعظم من التربيع، والتربيع أفضل من الهلال، والهلال يُرى وليس السواد الحالك. وتؤكد الأمثال العامية على أفضلية البدر بتشبيه وجه الحبيبة به. بل يتم التفصيل فى مواعيد نزول الكتب المقدسة السابقة، التوراة فى السادس من رمضان، والإنجيل فى الثالث عشر، والزبور فى الثامن عشر، والقرآن فى الرابع والعشرين فى حديث. وهو ما يتفق مع بعثة الرسول فى شهر ربيع[5].

---

(١) الإتقان جـ١، ص٧٧- ٨١.

(٢) التشريعية مثل ﴿ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ أو فى الحرب آخر سورة «براءة» والأخروية مثل ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، والشخصية التى تتعلق بالرسول مثل ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾. وآيات النهاية مثل ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أو ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾، الواحدى: أسباب النزول، ص٨- ٩.

(٣) صحف إبراهيم فى الأول من رمضان، والتوراة فى السادس، والإنجيل فى الثالث عشر، والزبور فى الثامن عشر، والقرآن فى الرابع والعشرين، السابق، ص٩.

(٤) أشهرها أغنية عبد المطلب التى تذاع ليلة رمضان كل عام «رمضان جانا وفرحنا له».

(٥) الإتقان جـ١/ ١١٦- ١٢٠.

وقد تحولت الليلة إلى احتفال رسمى وشعبى. تعطى فيها جوائز حفظ القرآن للصبية، مصريين وعرب ومسلمين. ينتظرها الناس كما ينتظرون الفرج للدعاء وتحقيق المطالب والسؤال. مع أن زمن الوحى قد انتهى. وترك الإنسان لعقله وإرادته لتحقيق ما يريد.

## ٣- التنجيم

والغاية من أسباب النزول هو تنزيل القرآن وتفريقه طبقا للحوادث وهو «التنجيم». فالقرآن مواكب للحوادث. والآية جدل بين النص والواقع. وكلاهما واجهتان لعملة واحدة. يتقدم الواقع النص أحيانًا ويتقدم النص الواقع أحيانًا أخرى[١]. وكانت أمنية أهل الكتاب أن ينزل القرآن جملة واحدة مثل باقى الكتب المقدسة، وبالتالى ينتهى التفاعل بين النص والواقع[٢].

«التنجيم» هو ما نزل من القرآن مفرقًا طبقًا لأسباب النزول أى استدعاء الواقع للوحى، واستجابة الوحى لنداء الواقع. وقد يكون ما نزل آية وسورة. ونموذجها السور القصار. وما نزل جمعًا كان فى الأصل مفرقًا ثم جمع توقيفًا من الرسول ربما طبقا للموضوع أو استكمال الرؤية أو الحكم. ونموذج ذلك السور الطوال[٣].

وقد يكون سبب التنجيم تثبيت الفؤاد وحفظ الذكر فالنزول دفعة واحدة عرضة للنسيان. فالحفظ فى الموقف أسرع من الحفظ خارج الزمان والمكان[٤]. إلا أن السبب الرئيسى فى التنجيم أن القرآن كان ينزل حسب الحاجة، وتحقيقًا لمطالب، وإجابة على سؤال. والواقع تتنوع أسئلته، وتتجدد مطالبه. ولا يوجد سؤال واحد لكل العصور ولكافة المجتمعات[٥]. نزل القرآن منجمًا أى مفرقًا على ثلاث وعشرين سنة طبقًا

---

(١) ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾.
(٢) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾.
(٣) الإتقان جـ١/ ١٠٧- ١٠٨.
(٤) السابق جـ١/ ١٢١- ١٢٤.
(٥) «الذى استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشرًا وأكثر وأقل..»، السابق، ص١٢٤.

للحاجة. ولا فائدة من نزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا وبقائه دون نفع مادام لم ينزل على الأرض. فى حين نزلت التوراة جملة واحدة. فالوصايا العشر مبادئ أخلاقية عامة، لا مناسبات ظرفية لها. هى ما ينبغى أن يكون وليست ما هو كائن. ولا فائدة من نزوله إلى السماء الدنيا فى عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة، فى كل ليلة نزول سنة. فهذا تصور إنساني للبيع بالجملة أو القطاعى أو التاجر الوسيط بينهما. والأقرب إلى الصواب نزوله منجمًا فى أوقات مختلفة طبقا للحاجة. بصرف النظر عن اختزانه قبل ذلك فى السماء الدنيا أو فى ليلة القدر.

ونزوله من اللوح المحفوظ جملة واحدة ثم نجمته الحفظة على جبريل فى عشرين ليلة ثم نجمه جبريل على محمد فى عشرين سنة تدخل الخيال فى الواقع وإدخال موضوعات متعالية كاللوح المحفوظ وجبريل والحفظة فى موضوع واقعى خالص وهو نزول الوحى فى موقف. وتحويل الحفظة إلى السفرة الكرام الكاتبين تفصيلات لا براهين عليها[1]. ويتدخل الخيال للتعظيم والتفخيم بإعلام سكان السموات السبع بأن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل[2].

لا تتعلق كيفية الإنزال بالمحور الرأسى للوحى بل بالمحور الأفقى، علاقة المرسِل بالرسول بل علاقة الرسول بالمرسَل إليهم. وهو أدخل فى نظرية النبوة فى علم أصول الدين، ونظرية الاتصال فى علوم الحكمة ونظرية الولاية فى علوم التصوف[3].وكلها موضوعات متعالية تخرج عن نطاق الحس والعقل. ولا تعتمد إلا على الرواية. والرواية ظنية. والدليل النقلى دون دليل عقلى ظنى. ولا أهمية له فى أى وقت نزل من السنوات أو الشهور أو الأيام ومن أى مكان نزل من السماء على العموم أو السماء السابعة وعن أى جانب فى جبريل، عقله أم قلبه أم لسانه، وبأى لغة نزل قبل أن يبلغ به محمد. وتتعدد الآراء والروايات مما يدل على أنها كلها ظنية. ويصعب معرفة الموضوعات المتعالية التى

(١) السابق جـ١/ ١١٦- ١١٩.

(٢) «السر فى إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا الكتاب آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم»، الإتقان جـ١/ ١١٩.

(٣) السابق جـ١/ ١١٦- ١٤٢، البرهان جـ١/ ٢٢٨- ٢٣٣.

تخرج من نطاق الحس والعقل ووسائل المعرفة الإنسانية المباشرة وليست الروايات والأخبار[1]. كيفية نزول موضوعات متعالية لا دليل عليها[2]. ومنها كيفيات يعتمد عليها فى تبليغ الوحى مثل حضور الملك فى النوم حاملًا الوحى[3].

والنزول على أربعة مستويات أو مراحل طبقًا للروايات: الأول من العلم الإلهى إلى اللوح المحفوظ، والثانى من اللوح المحفوظ إلى جبريل، ذهنه وقلبه ولسانه، والثالث من جبريل إلى الرسول وبأى لغة، والرابع من الرسول إلى المرسَل إليهم. لا يتعرض القدماء للمستوى الأول. وهو الخروج من العلم الإلهى إلى اللوح المحفوظ لأنه صعب. ويعتمد على الخيال وليس على الحس أو العقل أو حتى الرواية. إنما يتحدث القدماء عن نزول الوحى من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وهو ما يعادل العقل العاشر عند الحكماء الذى يتصل به عقل الفيلسوف للنيل من فيضه. ثم ينزل من السماء الدنيا طبقًا للحاجة[4].

## ٤- القصص والتوجيه السياسى

ليست أسباب النزول فى قصص الأنبياء الذى يصف التاريخ الماضى الذى انقضى مثل سفينة نوح أو هبوط آدم إلى الأرض وطوافه حول العرش[5]. فتلك قصة. الغاية

---

(١) هناك ثلاثة أقوال: أ-نزل القرآن إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما فى عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين طبقا لمدة إقامة الرسول بمكة بعد النبوة.

ب-نزل القرآن إلى السماء الدنيا فى عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ثم نزل بعد على الرسول منجما.

جـ-ابتداء النزول فى ليلة القدر ثم نزل منجمًا بعد ذلك حسب الأوقات. البرهان جـ١/ ٢٢٨.

(٢) الإتقان جـ١/ ١٢٨- ١٣٠ . مثل صلصلة الجرس، النفث فى الروع، صورة رجل، الملك فى النوم.

(٣) السابق جـ١/ ١١٦- ١١٩.

(٤) «أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا حسب المصالح»، «فإن الوحى إذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه. ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجديد العهد به وما معه من الرسالة الواردة»، البرهان جـ١/ ١٣١ .

(٥) ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (٢:١٢٤). (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد. ومن يُرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب إليم) (الحج:٢٥).

منها العظة والعبرة وليس استنباط الأحكام. وليس سبب نزول الآيات الرد على أهل النار وإمكانية الخروج منها فهذا تصوير فنى، الغاية منه التأثير فى النفس ودفعها نحو التقوى وتجنيبها هذا المصير[1].

وإذا قرر المسلمون أخذ فداء للأسرى وهم أقرباؤهم تدخل جبريل طالبا من محمد الخيار بين القتل أو الفداء وهو أقسى مما اقترحه المسلمون. وعادة ما يكون الوحى أرحم. وعادة ما يتدخل الصحابة بالرأى والمشورة. ويأتى الوحى مرجحًا أحد الآراء[2].

القصص ليس من أسباب النزول لأنها تتعلق بأمور الحاضر وليس الماضى، بأمور الواقع وليس بأمور العبرة[3]. تتعلق بحكم خاص وليس بفكرة عامة. تتعلق بالأحكام وليس بالأخبار[4]. وكما أن النسخ لا يكون إلا فى الأحكام وليس فى القصص أو الأخبار كذلك أسباب النزول لا تكون إلا فى الأحكام وليس فى القصص أو الأخبار.

ولا تخلو أسباب النزول من التوجيه السياسى وتصويب الآيات نحو جماعات المعارضة مثل الخوارج. وقد نشأت بعد اكتمال الوحى ووفاة الرسول. فمن ينقض عهد الله ويفسد فى الأرض ليسوا الخوارج أو «الحرورية» الذين نزلوا بأرض حاروراء. فالواقعة حدثت بعد اكتمال الوحى[5]. وقد كان الخوارج الخصوم السياسيين للأمويين

---

(١) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (٢:١٦٧).

(٢) ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣:١٦٥).

(٣) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢:٢٦). «وهذا ليس من أسباب النزول التى يكثر السؤال عنها ويبنى عليها الأحكام أهل الكلام حيث يكون حكما عامًا أو يختص بها من نزلت بسببه. وإنما هو من ذكر أسباب ما وقع فى الأمم الماضية..»، العجاب، ص٢١٦.

(٤) «والذى يتحرر فى سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدى فى سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة فإن ذلك ليس من أسباب النزول فى شىء بل هو من باب الأخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وعاد وبناء البيت ونحو ذلك. فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى»، لباب المنقول، ص٤.

(٥) ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (٢:٢٧).

وقت التدوين من مؤرخى السلطة وكتاب السلطان. وكذلك تنبؤ الرسول بالقتال بين على ومعاوية(١). والسياق مختلف تفضيل الرسل. وهى قراءة الحاضر فى الماضى. فالتدوين لم يخل من توجهات سياسية.

## ٥- النزول المعنى والحرف

ولا يعنى الإنزال المعنى الحرفى، الهبوط من أعلى إلى أسفل وهو المعنى الاشتقاقى أى الإنزال المكانى بل قد يعنى الإظهار والكشف والبيان والإعلان والإبلاغ والإلهام والتلقى. إنما هو التصور الشعبى للصلة بين السماء والأرض، والملاك والرسول، والله والعالم(٢).

والإنزال باللفظ والمعنى وهو ما يميز الوحى القرآنى عن باقى الكتب المقدسة. فلم يحفظ الإنجيل باللغة الأصلية وهى الآرامية، بل باللغة اليونانية ثم ترجم إلى اللاتينية. وكذلك لم تدون كتب بنى إسرائيل منذ ساعة إعلانها بل بعد ذلك بسبعة قرون تقريبًا. كما حدث فى أسفار موسى الخمسة التى دونت فى القرن السابع قبل الميلاد وأثناء الأسر البابلى، فى حين عاش موسى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد يكون الإنزال بالمعنى دون اللفظ، بالروح وليس بالبدن، ويختار النبى اللغة من عنده، العربية، واللهجة من عنده، لهجة قريش. وهو نفس المعنى الإنجيلى والتوراتى.

وقسمة القرآن قسمين، طلب الله جبريل بالإنزال وطلب جبريل محمد بالإنزال لا يفيد فى شىء إلا فى الإغراق فى البعد الرأسى على حساب البعد الأفقى. وسواء انخلع جبريل من صورة الملائكة إلى الصورة البشرية أو انخلع الرسول من الصورة البشرية إلى الصورة الملائكية فهما ظنان خياليان(٣).

---

(١) ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢:٢٥٣).

(٢) الإتقان جـ١/ ١٢٥.

(٣) الإتقان جـ١/ ١٢٦ - ١٢٧، البرهان جـ١/ ٢٢٨- ٢٣٢.

النزول باللغة العربية. نزل من السماء بالعربية ثم ترجمه كل نبى لقومه بلغته. والحقيقة أن الوحى فى العلم الإلهى بالمعنى وليس باللفظ. فالعلم الإلهى ليس فى حاجة إلى وسائل للتعبير والإيصال. القضية هى تدوين العلم الإلهى فى اللوح المحفوظ بأى لغة؟ قد يكون حفظًا بالمعنى دون الحرف وهو ما يناقض مفهوم اللوح والقلم. وجبريل يأخذ الوحى من اللوح المحفوظ بلغته. قادر على فهم كل اللغات. وإذا أخذه بمعناه فبأى لغة يبلغ؟ وإذا بلغ بالعبرية لأنبياء بنى إسرائيل، وبالآرامية لعيسى، وبالعربية لمحمد فبأى لغة بلغ باقى الأنبياء لباقى الأقوام؟ الأغلب هو نزول جبريل بالقرآن بالعربية، وقراءة الرسول له بالعربية لفظًا ومعنى[1].

والنزول لفظ خاص بالقرآن دون السنة. فالسنة لم تنزل بل هى شرح وتعليق شخصى من الرسول بحسه الفطرى وذوقه الطبيعى وعاداته العربية لبعض تفصيلات القرآن وأوجه بيانه[2]. السنة صعود وليست نزولًا، إدراك مباشر، تعبير فطرى، وسلوك بديهى.

## ٦- تكرار النزول وتأخر الحكم

وقد يتكرر نزول القرآن للتثبيت والتأكيد والتذكير والموعظة والتعظيم لشأنه. ويروى أن جبريل كان يراجع مع الرسول القرآن كل سنة مرة لتدارك السهو والنسيان. والغرض من التكرار هنا الحفظ والمراجعة. وهو افتراض لا يمكن التثبيت من صحته. كما يخشى من التكرار أن تثبت الآية مرتين بسبب المراجعة. والظن أنها نزول آخر. وقد ينفى التكرار لأنه لا فائدة منه حرصًا على تفرد الآية[3].

وقد ينزل الوحى بما نزل به من قبل فى المراحل السابقة تأكيدا لوحدة الوحى واستمرار الرسالة. وهو ما دفع بعض المستشرقين إلى الحكم بأن الوحى الإسلامى مستمد من الوحى اليهودى والمسيحى من خلال روايات شبه الجزيرة العربية. من

---

(١) السابق جـ١/ ١٣٠- ١٣١.

(٢) السابق، ص١٢٨.

(٣) السابق، ص١٠٢- ١٠٣، البرهان جـ١/ ٢٩- ٣٢.

اليهودية العربية أو المسيحية العربية. وقد ينزل الوحى لأول مرة تأكيدا على الجديد فيه الخاص بآخر مرحلة[١]. ولا يهم أى آية من هذا النوع أو ذاك بقدر ما تهم الدلالة. إلا إذا كان الهدف معرفة جدل التواصل والانقطاع، ومدى شمولية الوحي وخصوصيته. فالقصاص مفروض فى اليهودية. والرحمة والمغفرة منصوص عليها فى المسيحية[٢]. والوصايا العشر منصوص عليها فى التوراة. والموعظة على الجبل موجودة فى الإنجيل[٣]. ويذكر سبب نزول آية التوراة وتكرارها مرة ثانية[٤].

وقد يتأخر الحكم عن النزول. وفى هذه الحالة يكون المقصود من الآية المعرفة وليس السلوك، العلم وليس العمل، الإيحاء وليس الفعل مثل نزول آية فى الزكاة قبل إقرارها حكماً[٥]. نزلت فى مكة كعقائد قبل نزولها فى المدينة كأحكام[٦].ومثل آية فى مكة تصف قبل فرض القتال وكان الأمر بالصلاة فى مكة قبل تشريعه فى المدينة وقد تم الإعلان عن الآذان فى مكة قبل تشريعه فى المدينة مع أن الآية قد تعنى مجرد الدعاء وليس الآذان.[٧]. ونزلت آية الوضوء فى مكة قبل التشريع للصلاة فى المدينة. فالطهارة حسنة فى ذاتها بصرف النظر عن كونها شرطا للصلاة[٨].

ويدل تأخر النزول عن الحكم على أن الفعل طبيعى قبل نزول الوحي به، وأن الوحى يأتى متفقًا مع الطبيعة، وتشريعًا للممارسة. فقد كان الوضوء شرطًا للصلاة

---

(١) السابق جـ١/ ١١٢-١١٥.

(٢) من آيات الاتصال ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

(٣) الوصايا العشر وهى:التوحيد، النهى عن الشرك، واليمين الكاذب، والعقوق، والقتل، والسرقة، والزنا، والزور، ومد العين إلى ما فى يد الغير، والأمر بتعظيم السبت.

(٤) مثل ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾. و﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾، و﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً﴾، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

(٥) الإتقان جـ١/ ١٠٤-١٠٦.

(٦) مثل آية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾، ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

(٧) وهى آية ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، وآية ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾.

(٨) وهى آيات مثل ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

فى مكة قبل أن يُشرع فى المدينة. وكانت الصدقات تعطى فى مكة قبل أن تفرض فى المدينة[1].

فإذا كان النزول سابقًا على الحكم. فإن ذلك يعنى استنباط الأحكام[2]. ويقوم سبب النزول فى هذه الحالة بوظيفة العلة فى استنباط الحكم من الأصل. وتعنى أسباب النزول حينئذ التخصيص. فاللفظ عام والسبب خاص.

وعند القدماء معرفة أسباب النزول ضرورية ولا خطورة منها على القول بتاريخية النص. إذ تساعد على معرفة وجه الحكم الشرعى والباعث عليه. كما تساعد على تعميمه إذا كان خاصًا أو تخصيصه إذا كان عامًا. قد يكون الحكم عامًا والسبب خاصا كما يقول الأصوليون، سواء على مستوى الألفاظ أو مستوى المعانى. فقد يتوهم الحصر والعبرة بعموم اللفظ وخصوص السبب على حد سواء.

## ٧- على من ينزل الوحى؟

### أ- نزول الوحى على الأنبياء

ولا ينزل الوحى إلا على الأنبياء. وقد يرد ذلك على لسان النبى فتأتى الآية مصدقة لقوله مما جعل بعض المستشرقين يدعى أن القرآن كله من عند النبى[3]. ويأتى ذلك معنى لا لفظًا فى معرض رد الرسول على اتهامه بأن ما يأتى به من وحى من عنده وليس من عند الله. فالوحى هنا يعبر عما فى نفس الرسول ويؤكد عليه. وخطورة ذلك التعميم على كل آية يتحدث فيها الرسول عن نفسه.

وإذا نزل على الصحابة فإنما يصعد من قلوبهم بالفطرة والطبيعة. فلا فرق بين

---

(١) وهى آيات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، الإتقان جـ١/ ١٠٥-١٠٦.

(٢) البرهان جـ١/ ٢٣/ ٣٢.

(٣) مثل إنكار الرسول أن يكون الوحى من عنده بقوله ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾. الإتقان جـ١/ ١٠١.

النزول والصعود، بين ما ينزل من وحى بناء على استدعاء الواقع وما يصعد من الواقع كوحى طبيعى. ثم يؤكده الوحى كنزول مؤكدا الوحى كصعود. ويحدث ذلك لفظا ومعنى. ففى الموقف يعبر الإنسان بطبيعته عن شيء يأخذه الوحى وينزله مرة ثانية بعد إعادة صياغته. وهو فى الواقع قول بشرى[1]. وعادة ما كان يحدث ذلك لعمر. لذلك جاء حديث «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه». الحق الوحى، والقلب المعنى، واللسان اللفظ[2]. وقد وافق عمر الوحى فى ثلاث[3].

وحدث ذلك مع غير عمر، وإن كان عمر هو النموذج. مع سعد بن معاذ، ومصعب ابن عمير حامل اللواء[4]. وقد يحدث ذلك مع امرأة عادية. فتأتى آية مؤكدة لقولها معنى وليس لفظًا[5]. وقد يحدث ذلك على لسان أحد العباد بفطرته البشرية، وليس الإنسان المتميز صاحب الفطرة الفائقة[6].

### ب- أسماء وكنى وألقاب الأنبياء

وبالرغم من أن القرآن مجموعة من الأفكار والآراء والمعانى والدلالات إلا أنها

---

(١) الإتقان جـ١/ ٩٩- ١٠١.

(٢) قال عمر «وافقت ربى فى ثلاث:فى الحجاب، وفى أسارى بدر، وفى مقام إبراهيم»، وفى قول آخر «وافقت ربى أو وافقنى ربى فى أربع قال مجاهد»كان عمر يرى الرأى فينزل به القرآن».

(٣) قال عمر «يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى» فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. وقال عمر «يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البار والفاجر فلو أمرتهن أن يتحجبن» فنزلت آية الحجاب. ولما اجتمع نساء الرسول عليه فى الغيرة قال عمر لهن «عسى ربى أن طلقن أن يبدله أزواجا خيرا منكن» فنزلت آية لفظا ومعنى. ولما نزلت آية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ قال عمر (فتبارك الله أحسن الخالقين) فنزلت آية لفظا ومعنى. ولما لقى عمر يهوديا يقول «إن جبريل الذى يذكر صاحبكم عدو لنا» قال له عمر (من كان عدوًا الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) نزلت لفظًا ومعنى.

(٤)حدث مع سعد بن معاذ عندما سمع بحديث الإفك فقال (سبحانك هذا بهتان عظيم) فنزلت آية. وربما حدث مع زيد بن حارثة وأبى أيوب. وحدث ذلك أيضا عندما حمل بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى وأخذ اللواء بيده اليسرى وهو ينشد (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل. أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فنزلت آية. وكرر ذلك عندما قطعت يده اليسرى فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره. ثم قتل فسقط اللواء. الإتقان، ص١٠٠-١٠١.

(٥) ولما أبطأ على النساء الخبر فى أحد خرجن يستخبرن فسألت امرأة رجلين مقبلين على بعير:ما فعل رسول الله؟ قال:حى قالت:فلا أبالى، يتخذ الله من عباده الشهداء، فنزلت آية ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، معنى لا لفظًا. الإتقان،ص١٠٠.

(٦) مثل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، السابق، ص١٠١.

محمولة على وقائع وأسماء. فالعام يُحمل على الخاص. المواقع مثل «أسباب النزول» والأسماء والكنى والألقاب للأنبياء[1]. وهم خمسة وعشرون[2]. ولكل صفته. آدم أبو البشر، وإدريس أول من أعطى النبوة. وهو أخنوخ. رفعه الله حماية له من ظلم البشر، وسنه ثلاثمائة وخمسون عاما وهو إدريس ذو الكفل. ولقب إليسع يوشع وزكريا بها يدل على الاجتهادات الإنسانية. وقد يختلف على شخص النبى واسمه مثل ذو الكفل ابن أيوب أو إلياس أو يوشع بن نون أو زكريا أو إليسع[3]. ويوسف ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم. وألقى فى الجب وهو ابن الاثنى عشر عامًا. ولقى أباه بعد الثمانين وكان هو رجلا، وشعيب خطيب الأنبياء كثير السلالة. وكان هارون فصيحًا. وداود أعبد البشر. وجمع داود بين النبوة والملك. وكان سليمان ملكًا وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وابتلى أيوب فى سن السبعين، ثلاثة عشر أو سبع أو ثلاث سنين. ولبث يونس فى بطن الحوت أربعين يومًا أو سبعة أيام. وقتل يحيى ظلمًا. حكم الأرض مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمرود ونبوخذ نصر. وعيسى بلا أب. كانت مدة حمله ساعة أو ثلاث أو ستة أشهر أو ثمانين أو تسع وعمر أمه عشر سنين أو خمس عشرة. ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة. وينزل ويقتل الدجال. ويتزوج ويولد له ويحج ويحكم فى الأرض سبع سنين ويدفن مع النبى.

ومن الكنى والألقاب فليس فى القرآن إلا أبو لهب واسمه عبد العزى. أما الألقاب فمنها «إسرائيل» لقب يعقوب ومعناه عبد الله، صفوة الله، سرى الله. صرع الملك فسمى إسرائيل أى «انتصر الله». استعمله القرآن بكثرة فى نداء (يا بنى إسرائيل) وليس «يا بنى يعقوب». والمسيح يعنى الصديق أو الذى لا يمسح به ذى عاهة إلا برئ أو الذى يمسح فى الأرض أى الذى يقطعها. ونوح عبد الغفار، لكثرة نوحه على نفسه فى طاعة ربه. وذو القرنين هو الأسكندر، عبد الله بن الضحاك أو المنذر بن ماء السماء أو الصعب بن قرين، واللقب لأنه بلغ قرنى الأرض المشرق والمغرب أو لأنه ملك الفرس والروم أو لأنه كان

---

(١) السابق جـ٤/ ٥٨- ٧٨.

(٢) وهم:آدم، نوح، إدريس، إبراهيم، إسماعيل، إسحق، يعقوب، يوسف، لوط، هود، صالح، شعيب، موسى، هارون، داود، سليمان، أيوب، ذو الكفل، يونس، إلياس، إليسع، زكريا، يحى، عيسى، محمد، السابق، ص٥٨- ٦٧.

(٣)السابق، ص٦٥- ٦٦.

يصنع قرنين على رأسه من شعر أو من ذهب. وفرعون هو الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس أو أبو مرة أو لقب كل حاكم في مصر. وقد يكون فارسيا من اصطخر. وتبع هو أسعد بن ملكي مكرب. وسمي كذلك لكثرة من تبعه. وربما هو لقب ملوك اليمن لأن كل واحد كان يتبع صاحبه ويخلف غيره[1].

ولكل اسم اشتقاقه اللغوى من السيريانية أو العبرية. وكل الأسماء أعجمية إلا آدم وصالح وشعيب ومحمد. آدم من الأدمة. خلق من أديم الأرض من السيريانية أو من العبرانية بمعنى التراب. ونوح بالسيريانية الساكن. وسمي نوحا لكثرة بكائه على نفسه. واسمه أيضا عبد الغفار. وإدريس لفظ سرياني يعني أنه درس الحكمة. وإبراهيم بالسيريانية يعني الأب الرحيم. وربما اشتق من البرهمة وهي شدة النظر. وموسى من السيريانية لأنه ألقي بين الشجر والماء. فالماء بالقبطية «م» والشجر «سا». واسحق من الضحك بالعبرانية. ويعني هارون بالعبرانية «المحبب».

وذو الكفل لأنه تكفل بالدعاء إلى التوحيد. فالاسم مشتق من العمل. استخلف إليسع فتكفل له أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ويصلي كل يوم مائة ركعة. وقد يكون يونس من الأنس أو الأسف. وإليسع من وسع. ويحيى لأن الله أحياه بالإيمان أو لأنه حي رحم أمه أو لأنه حي مثل الشهداء. وعيسى ومحمد وحدهما لهما اسمان مثل أحمد ومحمد. وخمسة من الأسماء سموا قبل أن يكونوا: محمد ويحيى وعيسى وإسحق ويعقوب.

ويوصف جسد النبي مع بعض صفاته النفسية والخلقية ولون البشرة، وطوله، وضخامته وعرضه وشعره وعينيه وصدره[2]. كان لوط أشبه الناس بآدم. وكان صالح أحمر الفاتح، أسبط الشعر، لبث يدعو قومه أربعين عامًا. وكان موسى آدم طويل جعد. وكان هارون أطول من موسى. نصف لحيته بيضاء والنصف الآخر سوداء يصل طولها إلى الصُرة. وعمي شعيب في آخر عمره. وكان داود أحمر الوجه سبط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية وفيها جعودة، حسن الصوت والخلق. وكان سليمان أبيض وسيما وضيئًا جميلا خاشعًا متواضعًا. يشاوره أبوه لرجاحة عقله.

---

(١) السابق، ص٧٦- ٧٨.

(٢) كان إدريس أبيض طويلا، ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، إحدى عينيه أعظم من الأخرى، في صدره بياض من غير برص. الإتقان جـ٤/ ٥٩.

ويحدد وقت البعثة. فبعث نوح فى سن الأربعين. ومدتها تسعمائة وخمسون عامًا. وعاش بعد الطوفان ستين عامًا حتى تكاثر الناس. وبعث صالح إلى قومه حين راهق الحلم. ودعى صالح قومه عشرين عامًا. وكان سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وبدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين.

ولكل نبى عمر. أطولهم آدم ونوح وإدريس. إذ عاش كل منهم ألف سنة. ثم يصغر السن تدريجيًا. وإبراهيم مائتى عام، أو مائة وثمانين عامًا، ويعقوب مائة وسبعا وأربعين عامًا، ويوسف وموسى مائة وعشرين عامًا، داود مائة سنة، وأيوب ثلاثًا وتسعين، وذو الكفل خمسا وسبعين، وصالح ثمانية وخمسين، وسليمان ثلاثا وخمسين.

وتحدد قبيلة النبى. فقد كان قوم صالح عربًا بين الحجاز والشام. وأرسل شعيب إلى مدين وأصحاب الأيكة. وقد يتم تحديد مدة ظهور النبى بتاريخ الشعوب المجاورة مثل فارس. وكان يونس فى زمن ملوك الطوائف فى فارس.

ويحدد مكان وفاة النبى. فقد توفى صالح فى مكة. كما يتحدد مكان ظهوره. فقد ظهر ذو الكفل فى الشام.

وتتحدد علاقة الأنبياء بعضهم بالبعض عن طريق النبوة والأخوة أو علاقة الزمان، القبل والبعد. آدم ثم نوح ثم إدريس. وربما إدريس ثم نوح. فإدريس جد نوح وإبراهيم ابن آزر. وإسماعيل أكبر أولاد إبراهيم. له بعده إسحق بأربع عشرة سنة. ويوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم. ولوط ابن إسحق، لوط بن هارون ابن آزر أو ابن أخى إبراهيم.

ويحدد طول الفترات بين الأنبياء. فبين آدم ونوح عشرون قرنًا. وتصغر المدة إلى مائة وستة وعشرين عامًا، وما بين نوح وإدريس ألف عام. وولد إبراهيم بعد آدم بألفىّ عام. وكان بين نوح وإبراهيم هود وصالح. كان ثمود بعد عاد، وعاد بعد نوح. وموسى ابن عمران. وأيوب بن إسحق. كان قبل موسى وبعد شعيب وسليمان. وهارون شقيق موسى لأمه وأبيه أو لأبيه أو للاثنين. ومات قبله وولد قبله بعام. وكان لداود اثنا عشر ابنًا. منهم سليمان. وذو الكفل ابن أيوب. ويونس بن متى. وإلياس بن إسحق أو ابن

هارون أخى موسى. وزكريا من ذرية سليمان وداود. وولد يحى قبل عيسى بستة أشهر. وعيسى بن مريم بنت عمران.

جـ- هل للملائكة دور؟

وقد يروى أن ذلك قد يحدث مع جبريل وهو ما لا يمكن التيقن منه[1]. وخطورة ذلك التعميم على كل آية يتحدث فيها جبريل عن نفسه. وقد يعمم الحدث على كل الملائكة[2]. وخطورة تعميم ذلك على كل قول يتحدث فيه الملائكة عن أنفسهم. بل ويتم تحديد أسماء الملائكة[3]. وإذا كان منها بعض أسماء الأعلام مثل جبريل وميكائيل وهاروت وماروت فإن البعض الآخر تشخيص لمظاهر الطبيعة مثل الرعد والبرق. ومنها تشخيص الموجودات المتعالية مثل الروح. ومنها تشخيص الأفعال مثل قعيد. ومنها وصف البدن مثل ذى القرنين. ويتراوح بين الشخصية التاريخية والنبى والملاك لكثرة تعظيمه. ومنها وظائف مثل مالك خازن النار. ومنها العواطف مثل أحوال النفس والسكينة.

ليس القرآن شخصا حتى ينزل مشيعًا بل هو فكر والفكر لفظ ومعنى. وقد تم تصور عظمة النزول بالتشييع كما هو الحال فى بطانة الملك وركبه. فمن القرآن ما نزل فى صحبة سبعين ألف أو ثمانين ألف ملك طبقًا للأهمية[4]. ويصعب التمييز بين ما نزل مفردًا وما نزل مشيعًا، وبأى مقياس[5]. وهو ما يؤدى إلى تفضيل القرآن بعضه على بعض. وكل قرآن لا فضل فيه لسورة على سورة أو آية على آية. وكلها روايات ظنية.

ومن أسماء الجن أبو هم إبليس لأن الله أبلسه من الخير أى أيسه منه. وكان اسمه السابق عزرائيل أو الحارث. وهو تشخيص للشر الذى لا يبغى الخير للإنسان. والوحى خير للإنسان وشرك لإبليس[6].

---

(١) مثل نزول آية ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ على لسان جبريل. الإتقان جـ١/ ١٠١.

(٢) مثل نزول آية ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾، السابق، ص١٠١.

(٣) السابق جـ٤/ ٦٨- ٦٩. مثل: جبريل، ميكائيل، هاروت، ماروت، الرعد، البرق، مالك، السجل، قعيد، ذو القرنين، السكينة.

(٤) شيع سورة الأنعام سبعون ألف ملك، والفاتحة ثمانون ألف، وآية الكرسى وآية يس ثلاثون ألف، وآية ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ عشرون ألف.

(٥) السابق جـ١/ ١٠٩- ١١١.

(٦) السابق جـ٤/ ٧١.

د- هل من نزل فيهم القرآن بأشخاصهم؟

ولا يهم أسماء من نزل فيهم القرآن. فهم المناسبات الخاصة. والقصد هو المعنى أو الحكم أو الجواب. بالرغم من تأليف القدماء فيهم[1]. لا يهم السائل بل السؤال، ولا الرسول بل الرسالة. لا يهم الشخص الذى نزل بمناسبة القرآن ولا اسم السائل. فليس القصد والشخص بعينه. فهذه تاريخية ساذجة بل المقصود دلالة السؤال ووعى السائل[2].

ويتم تحديد أسماء الصحابة. وهم ليسوا مقصودين بذواتهم بل ضمن مكونات أسباب النزول[3]. ويتم أيضًا تحديد أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل مثل عمران أبى مريم وأبى موسى وعزير وتبع ولقمان[4].

ويذكر بعض أسماء النساء مثل مريم، وربما «بعل» كان اسم امرأة تُعبد[5]. ومن أسماء الكفار قارون وجالوت وهامان ويشرى وآزر أبو إبراهيم وهو تارخ والنسىء[6]. ومن أسماء القبائل يأجوج ومأجوج، وعاد وثمود، ومعين وقريش والروم[7]. ومن أسماء الأقوام بالإضافة قوم نوح وقوم لوط وقوم تبع، وقوم إبراهيم، وأصحاب الأيكة، وربما هم أهل مدين، وأصحاب الرس، بقية من ثمود أو أصحاب يس أو أصحاب الأخدود[8].

وأسماء الأصنام كانت فى الأصل أسماء لأناس ثم تم تخليدها مثل لاؤتزى وبوذا وتحويلها إلى آلهة مثل ود، وسواع، ويغوث، ونسر، أصنام قوم نوح. وقد يكونون أولاد

---

(١) السابق جـ٤/ ص١٠١.
(٢) السابق، فى أسماء من نزل فيهم القرآن، ص١٠١/ ٨٤- ٨٥.
(٣) السابق، وذلك مثل السجل وزيد بن حارثة، ص٦٩.
(٤) الإتقان جـ٤/ ٦٩- ٧٠.
(٥) السابق، ص٧٠.
(٦) السابق، ص٧٠- ٧١.
(٧) السابق، ص٧٠.
(٨) السابق، ص٧١- ٧٢.

من صلب آدم. ويغوث ويعوق أفعال متضادة[1]. واللات والعزى ومناة والرجز والجبت والطاغوت أصنام قريش. وقد تحول البعض منها إلى أسماء دالة مثل الطاغوت من الطغيان. ورشاد اسم فضيلة. وبعل صنم قوم الياس. وآزر صنم.

ومن أسماء البلاد والأماكن والبقاع والجبال بكة أى مكة من الجذب. جذب العظم للمخ. وجذب ما فى القرع من لبن، وجذب مكة سكان البلاد حتى أصبحت مركزا للحج أو لأنها تملك الذنوب أى تذهبها أو لتملكها من الماء بالوديان بعد قلته، وربما من «تبك» أى إخضاع الأعناق أو من التباك وهو الازدحام. وتسمى أيضا مكة الحرم ومكة المسجد ومكة البلد ومكة البيت موضع الطواف. والمدينة هى يثرب اسمها قبل الإسلام إما اشتقاقا من اسم أرض أو نسبة إلى يثرب بن وائل بن نوح أو من دخلها أو من الاسم الخبيث، فالثرب هو الفساد أو التثريب وهو التوبيخ[2].

ومن أسماء الكواكب الشمس والقمر والطارق والشعرى[3]. ومن أسماء الطير عشرة أجناس[4]. وكيف تعرف أسماء الأماكن الأخروية وكلها خارج الحس وأقرب إلى الرموز والصور الفنية؟[5]. وقد تحول البعض منها إلى استعمالات دنيوية دون معرفة أيها

---

(١) «روى البخارى عن ابن عباس: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم. ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت»، الإتقان جـ٤/ ص٧٢. وأيضًا «كان اللات رجلًا يلث سويق الحاج».

(٢) ومنها «بدر» ما بين مكة والمدينة، «أحد»، «حنين» قرب الطائف، «جمع» وهى مزدلفة، «المشعر الحرام» جبل بها، «نقع» ما بين عرفات والمزدلفة، «نصر»، «بابل» بواد العراق، «الأيكة» بلوقوع نصيب الرمل بين عمان وحضرموت أو جبل الشام، «طور سيناء» الذى نودى منه موسى، «الجودى جبل بالجزيرة»، «طوى» اسم وادى بفلسطين، «الكهف» بيت منقور فى الجبل، «الرقيم» القرية التى خرجوا منها أو وادى بفلسطين، «العرم» وادى، «حر«و اسم قرية، «الصريم» أرض باليمن أو جبل محيط بالأرض، «الجزر» اسم أرض، «الطاغية» البقعة التى هلكت بها ثمود. السابق جـ٤/ ٧٢- ٧٤.

(٣) السابق، ص٧٦.

(٤) وهى عشرة أجناس فى القرآن: السلوى، البعوض، الذباب، النحل، العنكبوت، الجراد، الهدهد، الغراب، أبابيل، النمل، السابق، ص٧٦.

(٥) ذلك مثل: «الفردوس» أعلى مكان فى الجنة، «عليون» أعلى مكان فيها، «الكوثر» نهر فى الجنة، «سلسبيل» «وتسنيم» عينان فى الجنة، سجين مكان أرواح الكفار، «صعود» جبل فى جهنم، «وغى»، «آثام»، «سويق»، «السعير»، «وسائل»، «سحق» أودية فى جهنم، «يحموم» دخان أسود، «عبقرى» النادر، «السامرى نسبة إلى أرض سامرون أو سامرة، «العربى» من عربة باحة دار إسماعيل. السابق جـ٤/ ٧٥- ٧٦.

الأصل وأيها الفرع. أيها الحقيقة وأيها المجاز مثل «الفردوس»، «الكوثر»، «سلسبيل»، «عبقرى»، «عليون» إيجابًا أو «سعير» أى النار سلبًا.

## ثانيًا ـ الوحى والواقع:

### ١-السؤال والجواب

والسؤال هو عن النزول ابتداء دون سبب. الوحى يتكلم قبل أن يطلب الواقع، ويجيب دون سؤال. وهو ضد واقعة أسباب النزول[1]. لا نزول بلا سبب. فالوحى نداء للواقع، واستجابة له. فى لحظة يكون الواقع كالرحم المفتوح. يستدعى القضيب والإنزال.

تعنى أسباب النزول أولوية الواقع على الفكر، وتقدم السؤال على الجواب. الواقع يسأل والوحى يجيب[2]. ولا تهم معرفة سبب آية كسبب تاريخى فى حد ذاته بل الدلالة العامة لأسباب النزول[3]. فقد يختلف فيها الرواة. ولا يهم تعدد الأسباب بل السبب أى ارتباط الفكر بالواقع. ليس السبب العلمى المعروف فى البحوث التجريبية بل السببية أى ارتباط الظواهر بعضها ببعض. والأسباب لفظ قرآنى. ولا يهم تكرار السبب إذ يكفى مرة واحدة. التكرار للتأكيد والحفظ. ليس المهم عدد الآيات والأسباب بل علاقة الآية بالسبب. وقد تنزل آيات عدة على سبب واحد أو آية واحدة.

وفى القرآن سؤال وجواب[4]. والأصل المطابقة بين الاثنين. وأحيانا تتحول الإجابة إلى وجهة أخرى تقتضى إعادة وضع السؤال. فنصف الإجابة فى طريقة وضع السؤال، من أجل التوجه من النظر إلى العمل أو عدم الدخول فى مسائل نظرية لا نفع فيها[5]. وقد يكون الدافع الزيادة أو التبديل أو حذف السؤال وعدم

---

(١) الإتقان جـ١/ ص٨٢- ٨٥.

(٢) انظر دراستنا «الوحى والواقع»، دراسة فى أسباب النزول، هموم الفكر والوطن، جـ١ التراث والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٧- ٥٦.

(٣) الإتقان، ص٨٩- ٩٨.

(٤) الإتقان جـ٢/ ٣١٠- ٣١٦، البرهان جـ٤/ ٤٢- ٥٤.

(٥) فلسفة السؤال، هموم الفكر والوطن جـ٢، الفكر العربى المعاصر، ص٧- ٣٠، والأصل فى الجواب أن يكون مشاكلا للسؤال من حيث الصياغة اللغوية، الاسم بالاسم، والفعل بالفعل. وهو ليس ضروريًا. فالصياغة بنت وقتها.

الإجابة كلية أو لإزالة اللبس. والسؤال عن الواقع والإجابة من الوحى. وقد يجىء الجواب أعم من السؤال. وقد يجىء الجواب أخص من السؤال. وقد يُعدل عن السؤال إذا كان خارج نطاق المعرفة الإنسانية أو كان القصد منه التعنت[١].

وأقل الأمم سؤالًا أمة محمد لأن كثرة الأسئلة تتطلب كثرة الأجوبة، والأجوبة أحكام، والأحكام قيد، على عكس بنى إسرائيل. إذ أن كثرة الأسئلة تقضى عن السلوك الفطرى البديهى بناء على البراءة الأصلية. وتقلل من مساحة الوجود الطبيعى خارج السؤال كما هو الحال فى السماح أو العفو[٢]. وكل سؤال نظرى له إجابة عملية[٣]. والأسئلة خارج إطار المنظور الإنسانى وإمكانيات المعرفة الإنسانية لا يجاب عليها. توضع موضوعاتها بين قوسين. فهى موضوعات متعالية خارج نطاق التجربة الإنسانية مثل السؤال عن الروح[٤].

كان الرسول يبحث عن قبلة ويتوجه إلى السماء فنزلت آية تحدد القبلة[٥]. ولولا بحث الرسول لما نزلت الآية. فالسؤال ليس ضرورة باللغة وبالعبارة وبالخطاب وبالطلب بل يكون بعقد النية والتوجه استجابة لطلب النبى بشد الوطء على الكفار. نزلت آية عزاء يبلوى المسلمين ببعض الخوف والجوع ونقص الأموال والثمرات مع البشارة للصابرين[٦]. الآية تشريع لواقع إجابة على سؤال ماذا يأكل الناس إذا ما ندر الطعام؟[٧]. وقد أجاز الرسول للجيش أكل سمك ميت لفظه البحر باعتباره رزقا من

---

(١) مثل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾.

(٢) البرهان جـ٤/ ٥٢- ٥٤. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ﴾.

(٣) مثل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾. وعندما سُئِل الرسول متى الساعة؟ قال: فاستعد لها.

(٤) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٥) ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ (٢: ١٤٤).

(٦) ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (٢: ١٥٥).

(٧) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢: ١٧٣).

الله. والاختصام على الأرض واقع تنزل له آية لحله من طريق العدل وعدم أكل أموال الناس بالباطل أو الفساد مع الحكام[1].

وفى الوحى إجابة على سؤال يطرحه الواقع مثل السؤال عن الأهلة بناء على دفع اليهود للمسلمين للسؤال عنها لتشويش عقيدتهم[2]. وقد سأل أحد المسلمين الرسول عن البر. فأتت الإجابة بنزول آية أن البر ليس الصلاة قبل الشرق والغرب ولكن البر إيمان وعمل يتجلى فى التصدق على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين والأسرى، وإيتاء الزكاة، والبأس والوفاء بالعهود، والصبر حين اليأس. وهذا هو سلوك الصدق والإخلاص[3]. ولما سأل أحد الصحابة أرنا ربنا. لم تجب الآية بالمكان الخارجى بل بالحضور القلبى والحوار الداخلى والإيمان الباطنى[4]. وإجابة على سؤال الإنفاق نزلت الإجابة أنه على الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين وأولاد السبيل[5]. وعندما سئل الرسول عن أعظم شهادة فى كتاب الله نزل الوحى بأنها شهادة «لا إله إلا الله» والقيام بالقسط أى تمنى الشهادة. وحقها هو العدل فى الدنيا[6]. وعندما سئل الرسول الله أن يجعل ملك فارس والروم فى أمته نزلت آية تجعل قيادة الأمم طبقًا لقوانين التاريخ[7]. وعندما كان السؤال عن الطاعة على الإطلاق كانت

---

(١) ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢: ١٨٨).

(٢) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ (٢: ١٨٩).

(٣) ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٢: ١٧٧).

(٤) ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢: ١٨٦).

(٥) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (٢: ٢١٥).

(٦) ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٣: ١٨).

(٧) ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣: ٢٦).

الإجابة الطاعة فى المعروف وليس على الإطلاق كما هو الحال فى الجيش[1]. وآية الميراث الشهيرة كانت جوابا على سؤال أحد الصحابة. ولولا السؤال لما كان الجواب[2]. ولما حزن بعض الصحابة على فراق الرسول نزلت آية تفرق بين الرسول والرسالة، وأن القضية ليست الشخص بل المبدأ حتى لا يتم الوقوع فى عبادة الأشخاص[3]. وتمنى عمر أن يأخذ مقام إبراهيم مصلى فأتت الآية لتستجيب لمطلبه بنفس العبارات. فالنزول صعود. وما يأتى به الوحى نزول قد يصل إليه القلب صعودًا[4]. لذلك كان عمر محدث هذه الأمة يتفق معه الوحى فى أكثر من حكم. وهذا يدل على أن الوحى عقلى بديهى فطرى. يمكن نزوله من السماء. كما يمكن صعوده من الأرض. واتفق الوحى مع رأى عمر فى صلح الحديبية وفى أسرى بدر حتى أن الرسول قد مدحه بأنه لو نزل الهلاك بهذه الأمة لما نجا منه إلا عمر. فالوحى أتى مطابقًا لحكم العقل والواقع. الوحى يؤكد ما تنتهى إليه البداهة والمصلحة وليس مشرعًا خارج نطاق الإقرار الإنسانى. وكذلك تعديل الصيام. جاء بناء على طلب عمر التخفيف فيه حتى لا يختان الإنسان نفسه ويعاشر امرأته ليلا بعد الاستيقاظ[5]. وكان الميراث فى الجاهلية بالاتفاق بين الرجال. فنزلت آية للتواصل معه قبل أن تعدل إلى قانون الميراث التفصيلى[6]. كان هذا التشريع التفصيلى بناء على طلب وعدم الرضا بعادة الميراث فى الجاهلية ورغبة فى تغيير العادات

---

(١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٤: ٥٩).

(٢) ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٤: ١١).

(٣) ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٤: ٦٩). وهذا هو عنوان الجزء الرابع من «من النقل إلى العقل» عن علوم السيرة «من الشخص إلى المبدأ».

(٤) ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٢: ١٢٥).

(٥) ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ (٢: ٤٣)، الواحدى: أسباب النزول، ص٢٦.

(٦) ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ (٤: ٣٣).

والأعراف. ولما سأل رجل عن نصيب المهاجرين نزلت آية تجعل الأنصبة طبقًا لمبدأ العدل[1]. فالوحى يقرر المبدأ ويترك التفصيل للاجتهاد البشرى. ورد مفاتيح الكعبة إلى عثمان ورد الأمانات إلى أهلها بناء على طلب، ومنعًا من الظلم[2]. وكانت الأصوات تعلو والنبى يقرأ القرآن فنزلت آية تؤكد على أن الأدب الفطرى والسلوك الطبيعى هو الاستماع إلى قراءة القرآن[3].

## ٢- كلام الله وكلام البشر

إن عظمة الوحى أنه قريب من الناس. لغته لغة البشر. لا يستنكف أن يستعمل بعضها، ويعيد صياغة أسئلتها والرد عليها. فالجواب من جنس السؤال. فالمسافة بين كلام الله وكلام البشر ليست كبيرة بل قريبة. وهو أحد دلائل الإعجاز. يستعيد الوحى كلام الرسول ويعيد صياغته فى القرآن. فقد استعاد الوحى إجابة الرسول ردا على سؤال اليهود عن مضمون إيمانه، وهى إيمانه بما أنزل على الأنبياء السابقين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى دون التفريق بينهم[4]. ويعيد صياغته مثل حديث «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا» بل قولوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» نزلت الآية لتعيد صياغة الحديث بألفاظه. وهو من دلائل الإعجاز[5]. وعندما قالت عائشة: «فو الله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة» نزلت الآية مستعيرة نفس الألفاظ، ومقرة على الاقتراح[6].

---

(١) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (٤ : ٤٠).

(٢) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ (٤ : ٥٨).

(٣) ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾، لباب المنقول، ص٩٣.

(٤) لما سأل اليهود الرسول عما يؤمن به قال: «أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى»، فنزلت آية ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (٢ : ١٦٢). العجاب، ص٨٩.

(٥) لباب المنقول، ص٣٩.

(٦) فنزلت آية ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (٢ : ١٥٨).

وقد يكون كلام البشر هو كلام الصحابة إذ طلب عمر اتخاذ مقام إبراهيم مصلى فنزلت الآية تعيد صياغة الطلب[1]. ولما رأى الناس الرسول مهموما قيل «مالك يا رسول الله لا تهتم فإن رؤياك فتنة لهم» فنزلت الآية لتعيد الصياغة وتؤكد على الرأى[2]. لا تكتفى الآية بالشكل الأدبى بل أيضًا تأخذ المضمون الفكرى. فعندما لقى أعرابى عليا وأصحابه وهم فى طلب أبى سفيان فقال لهم: «إن القوم قد جمعوا لكم فاخشوهم» فقالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فنزلت الآية تأخذ هذا القول، تعيد صياغته، تؤكد عليه[3]. الوحى تأكيد للواقع قولًا ومضمونًا. وقد يعيد الوحى صياغة كلام الجماعات المناهضة مثل اليهود عندما سألوا: «ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها؟» فنزلت الآية لترد على السؤال بعد أن تكرره مثل الإجابة[4]. وكذلك عندما قال الكفار: «إلهًا واحدا إن هذا لشىء عجاب» تعيد الآية نفس التساؤل وتتهكم عليه، وأنه لا غرابة فى جعل الآلهة المتعددة إلهًا واحدًا[5]. وعندما قال أبو لهب تبًا لك ألهذا جمعتنا من بعد تحذير الرسول فنزلت الآية تستعيد سب أبى لهب فى أدب وترد عليه[6].

### ٣- العبادات الفطرية

ويتناول الوحى حياة الناس وسلوكهم العملى، العبادات والمعاملات. ويدخل فى حوار مع الجماعات التحتية الخارجية كالكفار والمشركين أو الخارجية الداخلية مثل أهل الكتاب، اليهود والنصارى أو الداخلية مثل المنافقين[7]. ولا يقرر الوحى فقط ما

---

(١) كان الرسول يطوف بالبيت فقال: «هذا مقام أبينا إبراهيم» فقال عمر «أفلا تتخذه مصلى؟» فنزلت آية ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، وفى رواية قال عمر: «يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى»، العجاب ص٨٦. لباب المنقول ص١٨.

(٢) ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةً لِّلنَّاسِ﴾، السابق ض١٢٤.

(٣) ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾، لباب المنقول ص٥٠.

(٤) ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (٢: ١٤٢)، أسباب النزول، ص٢١- ٢٣.

(٥) ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾، المنقول ص١٦٧- ١٦٨.

(٦) ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾، السابق، ٢١٩.

(٧) الجماعات التحتية Sub-groups، والجماعات الخارجية Out-groups، الجماعات الخارجية الداخلية Out and In -groups الجماعات الداخلية In-groups.

هو موجود ويستجيب لمطالب الواقع بل أحيانًا يناهضها ويعارضها ويغيرها ويأتى بالبديل.

فعلى مستوى العبادات ليس الله عرضة للأيمان فى مواقف نسبية تتغير فيها الأحكام مثل الخصام بين الناس. وهو موقف طارئ على المصالحة والوئام. فالإيمان مبدأ لا يتغير بتغير المصالح وتبدل الظروف[1]. والقرض الحسن هو استبدال خير الآخرة بخير الدنيا ليس بنية التجارة بل بقصد الإيثار والتفضيل[2].

وتواصل الوحى مع الشعائر السابقة، الصفا والمروة والطواف، لإعادة توظيفها لصالح الدين الجديد. ربطًا بين الماضى والحاضر، بين التراث والتجديد[3]. وتواصل فى القصاص مع اليهودية[4]. وقد كانت عادة متبعة أيضًا عند العرب. والقصاص سنة بشرية دون إسراف فى القتل وإن رفض ولى القتيل العفو عن القاتل[5]. وكذلك فرض الصيام تواصلًا مع الأمم السابقة[6]. فالدين الجديد تواصل مع الدين القديم وتجاوز له كما قال المسيح عن شريعة موسى «ما جئت لألغى الناموس بل جئت لأكمله».

ولما كانت صلاة العصر تتم فى الهاجرة فقد نزلت التوصية بالحفاظ عليها[7]. وبناء على طلب أحد المسلمين عن كيفية العمرة نزلت آية تفصيلية لشرحها. وهو تشريع لا يلحق الأذى بالرؤوس. ويعوض غير القادر بالصيام[8]. ثم نزلت آية ضد الجدال فى

---

(١) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٢٤).

(٢) ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢: ٢٤٥).

(٣) ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٢: ١٥٨).

(٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢: ١٧٨).

(٥) ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢: ١٧٩).

(٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢: ١٨٣).

(٧) ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢: ٢٣٨).

(٨) ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ

الحج والرفث والفسوق[1]. ونزلت آية أخرى ضد المتوكلين الذين لا يتزودون. وتوالى نزول الوحى ضد من يسقط فريضة الحج[2]. وضد الإفاضة من أماكن غير مألوفة تكون الإفاضة من حيث يفيض الناس[3]. ولا تفاخر ولا تناسب فى الحج[4]. فالكل سواء فى الخلق. ولا طلب لرزق خاص من مال أو إبل بل تجرد وعود إلى الطبيعة. ويأتى التنزيل لنقد ما نهى الزكاة وحثهم على أن يعطوا مما أعطاهم الله من فضله[5].

والسؤال عن الخمر والميسر ليست الإجابة بالتحريم بل بالإقناع أن الإثم منهما أكبر من النفع[6]. إذ لما نزلت آية الخمر والميسر وأن إثمهما أكبر من نفعهما أراد بعض المنافقين استعمالها لمنافعهما فنزلت آية عدم الاقتراب من الصلاة أثناء السكر. لتصحيح الموقف واستكمال السعى نحو الكمال[7].

### ٤ - المعاملات الطبيعية

وفصّل الوحى العلاقات الشخصية بين الرجل والمرأة منذ عقد النكاح والمعاشرة والمحيض والخصومة والميراث واستثمار أموال المرأة والطلاق وحقوق المرأة وحق المرأة فى الغزو والمساواة بين الرجل والمرأة فى جميع الحقوق والواجبات. نكاح المؤمنة خير

---

بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٢: ١٩٦).

(١) ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢: ١٩٧).

(٢) ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (٢: ١٩٨).

(٣) ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢: ١٩٩).

(٤) ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ (٢: ٢٠٠).

(٥) ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣: ١٨٠).

(٦) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (٢: ٢١٩).

(٧) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٤: ٤٣).

من المشركة طمعًا فى نسبها. والأمة المؤمنة خير من الحرة المشركة[1]. فالوحى هنا يغير الواقع ويفضل الاتفاق فى المشارب والأهداف بين الرجل والمرأة على الحسب والنسب. وجماع النساء مستلقيات وغير مستلقيات وليس كما يدعى اليهود مستلقيات فقط[2]. فالوحى هنا يعارض تضييق اليهود رحمة الله. ولا يحل نكاح ما نكح الآباء احتراما لعاطفة الأبوة[3]. هذا بالإضافة إلى فارق السن بين الابن وامرأة الأب. ولا يجوز نكاح نساء الأبناء من الأصلاب. ولا يجوز نكاح الأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت والأمهات والأخوات فى الرضاعة وأمهات النساء والجمع بين الأختين[4]. وهى إحساسات طبيعية ليست فى حاجة إلى تشريع. فالنكاح للقرابة. ومن ثم فلا نكاح للأقرباء. ولا يجوز نكاح الأخت من الأب[5]. النكاح للمحصنات من النساء وما ملكت الأيمان. سبايا الحرب. وهو ما لم يعد موجودًا الآن باسم القوانين الدولية[6]. والاستمتاع بالنساء يتطلب إتيان أجورهن. وهو تصور تبادلى[7].

والمحيض ليس سبة يقتضى عزلة النساء كليًا كما كان يفعل اليهود بل هو أذى عند الجماع فقط[8]. فالوحى هنا يغير الواقع والعادات والأعراف. ولا تكتم المرأة ما خلق

---

(١) ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢: ٢٢١).

(٢) ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢: ٢٢٣).

(٣) ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (٤: ٢٢).

(٤) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٤: ٢٣).

(٥) ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٤: ٢٧).

(٦) ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ (٤: ٢٤).

(٧) ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (٤: ٢٤).

(٨) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢: ٢٢٢).

الله فى رحمها لتنسبه إلى رجل آخر[1]. فالوحى هنا يغير عادة جاهلية للتخصيب الجماعى غير الفردى حفاظًا على النسب خارج قرارات الأفراد.

وللنساء نصيب فى الميراث[2]. بل إن أولى القربى واليتامى والمساكين لهم نصيبهم رزقًا وقولًا معروفًا. فالعشرة مشاركة. والحياة المشتركة لها ثمنها. ولا يستثمر أموال المرأة زوجًا سفيهًا تبذيرا لأموالها[3]. وليتصور الرجل أن أولاده الضعفاء فى نفس الموقف طبقًا للمثل العربى «عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به»[4]. ولا يحل لأحد وراثة النساء كرهًا أو غصبا لهن لأخذ بعض أموالهن[5]. وهو ما كان يفعله قريب المتوفى فى إلقاء ثوبه على زوجته. والإيلاء ليس طلاقا بل مدته أربعة أشهر[6]. والمطلقات ينتظرن ثلاثة قروء قبل الزواج من جديد[7]. ولا يجوز رد المطلقة قبل أن تنقضى عدتها[8]. ولا يؤخذ منها ما أعطى لها إلا إذا أرادت الانفصال بمحض إرادتها أو ما يسمى بالخلع حفاظًا على حقوق المرأة. وإن طلقت المرأة ثلاثا فلا يحل لها الرجوع إلى الطليق الأول إلا بعد أن تنكح زوجًا غيره. حتى لا يتشجع الرجل على طلاق زوجته مرة أخرى ولبث

---

(١) ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢: ٢٢٨).

(٢) ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٤: ٧). ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٤: ٨).

(٣) ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٤: ٥).

(٤) ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٤: ٩).

(٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ (٤: ١٩).

(٦) ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢: ٢٢٦).

(٧) ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٢: ٢٢٨).

(٨) ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢: ٢٢٩)، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٣١).

الغيرة فى قلبه[1]. ويجوز رجوع المرأة إلى زوجها الأول. ولا يجوز منعها[2]. فالحبيب هو الحبيب الأول. والعشرة لها ثقلها. والتاريخ المشترك له وزنه. ولا يجوز أخذ الرجل المريض عهدا من امرأته ألا تنكح زوجا غيره فيعضلها[3]. فالواقع أقوى من الإرادة، والحاجة أقوى من العهد. ويجوز للمرأة المتوفى زوجها أن تبقى بعد العدة سبعة أشهر أخرى للدخول فى الوصية[4]. فلها جزء من الميراث نظرا للجهد المشترك والعيشة المشتركة بينهما. وفى حالة الطلاق يكون الزوج كريما قدر وسعه. فخسارة الزوج لا تعادلها خسارة. وإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان[5]. وتؤتى المرأة صداقها وليس لولى أمرها[6]. فلا وصايا فى الأموال. وعندما قالت المرأة يغزو الرجال ولا تغزو النساء ولهن نصف الميراث نزلت آية تساوى بينهما فى الفضل[7]. ولما حكم الرسول على الذى لطم زوجته بالقصاص منه وهو أقرب إلى العدل المجرد نزلت آية القوامة ربما بيعد نظر أكثر[8]. ولا فرق بين الذكر والأنثى فى الحقوق والواجبات الدينية بعد اعتراض النساء

---

(1) ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (2: 230).

(2) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (2: 232).

(3) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (2: 235).

(4) ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (2: 234). ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (2: 240).

(5) ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (2: 236).

(6) ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ (4: 4).

(7) ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ (4: 32).

(8) ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (4: 34).

على الخطاب الذكورى للوحى[1]. فالوحى يأخذ اعتراض النساء بعين الاعتبار.

وإذا كان السؤال عن اليتامى فالجواب إصلاح وخير لهم ومخالطتهم لأنهم إخوة[2]. ولا يستولى على أموال اليتامى[3]. فأكل مال اليتيم ظلم مثل أكل النار[4]. والخوف من عدم العدل مع اليتامى أحد أسباب تعدد الزوجات فالوصى يرغب فى مالها وجمالها. ويرفض تزويجها خارج منزله[5]. واستثمار أموال اليتيم حتى يكبر وتدفع له أمواله[6]. والغنى يستعفف، ويدير أموال اليتامى بلا أجر. والفقير يأكل بالمعروف[7].

وكان البخلاء يأمرون الناس بالبخل وعدم الإنفاق فنزلت آية مضادة بالإنفاق. وردا على من طالب بالإمساك عن الإنفاق الجواب بالإنفاق[8]. والسؤال عن الإنفاق الرد عليه هو العفو أى متروك لحرية الاختيار فى كل ما زاد عن الحاجة[9]. وقد تنزل الآية تأييدا لسلوك طبيعى فى الإنفاق فى سبيل الله[10]. وصدقة السر أفضل من صدقة

---

(١) ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ (٣: ١٩٥).

(٢) ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾ (٢: ٢٢٠).

(٣) ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا﴾ (٤: ٢).

(٤) ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (٤: ١٠).

(٥) ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ (٤: ٣).

(٦) ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (٤: ٦).

(٧) ﴿ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾ (٤: ٦).

(٨) ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (٢: ١٩٥).

(٩) ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ (٢: ٢١٩).

(١٠) ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٢: ٢٦٢). ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾ (٢: ٢٦٧).

العلن وكما أوصى المسيح من قبل[1]. وقبول الصدقات حتى ولو كان من المشركين الأنساب[2]. والصدقات واجبة للفقراء المتعففين عن السؤال[3]. والإنفاق سرا وعلانية، ليلا ونهارا[4].

والربا كسب بلا جهد لمجرد امتلاك الثروة. وهو ليس كالبيع[5]. تتعدد أشكاله والجوهر واحد[6]. والأفضل استرداد الأموال بلا فوائد[7]. والأتقى التصدق بالفوائد[8]. ومن يتنازل عن الربا له الجنة[9].

ويشرع الوحى للواقع حتى بلا سؤال مثل كتابة الدين والشهادة عليه حفظا للحقوق والواجبات للطرفين دون الاعتماد على الذاكرة أو الوعود الشفهية. والشهادة لرجل أو امرأتين نظرا لوضع المرأة قديما. أما إذا كانت التجارة حاضرة بالتبادل فلا حاجة إلى الكتابة[10]. وإن كان البيع والشهادة فى الأسفار فالرهن أو الأمانة والشهادة

---

(١) ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢: ٢٧١).

(٢) ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٧٢).

(٣) ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٧٣).

(٤) ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٧٤).

(٥) ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢: ٢٧٥).

(٦) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢: ٢٧٧).

(٧) ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٧٩).

(٨) ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٨٠).

(٩) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣: ١٣٠).

(١٠) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ

العلنية[١].

وليس الإيمان بالقول بل بالعمل، بالإفساد بل فى الإصلاح، بالإضرار بل بتحقيق المنافع[٢]. وهو حال كل فاسق ومنافق[٣].

والشهادة مطلب إنسانى، التضحية فى سبيل الحق[٤]. تتطلب الجهد والتعب والنصب[٥]. وفى نفس الوقت القتال شديد على النفس[٦]. والشهداء أحياء. عند ربهم يرزقون[٧]. والجنة امتحان واختبار فى الدنيا لمعرفة المجاهد والصابر[٨]. القتال لمن يقاتل ويبدأ بالعدوان[٩]. ولا قتال فى الشهر الحرام إلا إذا كان هناك عدوان[١٠]. والسؤال عن القتال فى الشهر الحرام والرد بالإيجاب فى حالة العدوان وقد بوأ الرسول المسلمين يوم أحد مقاعد للقتال ولكنهم عصوه[١١]. ومن يعص الرسول فى الحرب ولا يثبت

---

إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢: ٢٨٢).

(١) ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢: ٢٨٣).

(٢) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ (٢: ٢٠٤).

(٣) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (٢: ٢٠٦).

(٤) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٢: ٢٠٧).

(٥) ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢: ٢١٤).

(٦) ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢: ٢١٦).

(٧) ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ (٣: ١٤٠). ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (٣: ١٦٩).

(٨) ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٣: ١٤٢). ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (٣: ١٤٣).

(٩) ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٢: ١٩٠).

(١٠) ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢: ١٩٤).

(١١) ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣: ١٢١).

مكانه ويتوجه إلى الغنائم قبل النصر فإنه يكون سبب الهزيمة[1]. والتعلم من التجربة يذهب الحزن ويتجاوز الندم على ما فات[2]. وفى حالة اليأس يأتى التنزيل للتشجيع[3]. وإن قتل النبى فى الحرب فالرسالة باقية[4]. ويشجع التنزيل على النصر[5]. ويقذف الله الرعب فى قلوب الذين كفروا[6]. وبعد الغم ينزل الأمن[7]. وفى الأزمات يتميز الخبيث من الطيب[8]. أما الذين يفرون من المعركة فإنهم تعلموا من الخزى وغفر الله لهم[9]. ومن يستجيب للرسول بعد ما أصابهم من القرح هم الأبطال[10]. والنبى لا

---

(١) ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣: ١٥٢).

(٢) ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣: ١٥٣).

(٣) ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٣: ١٣٩). ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٣: ١٤٠).

(٤) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٣: ١٤٤).

(٥) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ (٣: ١٢٣-١٢٤).

(٦) ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (٣: ١٥١).

(٧) ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣: ١٥٤).

(٨) ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣: ١٧٩)، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣: ١٧٦).

(٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٣: ١٥٥).

(١٠) ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣: ١٧٢). ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٣: ١٧٣). ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

ينتقم من أصحابه ولا من أعدائه[1]. وأذل شيء للنفس هو التخلف عن القتال مثل المنافقين[2].

### ٥-المجموعات الخارجية

ويمكن تجميع أسباب النزول فى عدة مواضع للبيئة الاجتماعية ولأنواع التجمعات الدينية ومشاكل البيئة الاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالمرآة واليتامى أو الاقتصاد وفيما يتعلق بالربا أو الأخلاق فيما يتعلق بالصدقات أو بالحروب فيما يتعلق بالعدوان. والمجموعات العقائدية هم اليهود والنصارى أو أهل الكتاب. وهم أيضا الكافرون والمشركون وعبدة الأصنام فى الجاهلية. وهناك مجموعات داخلية مثل المنافقين.

ولا تنفصل هذه المجموعات عن بعضها البعض. فقد تنزل آيات متتاليات فى عدة مجموعات مختلفة من المؤمنين من المهاجرين والأنصار والكافرين والمنافقين وفى المؤمنين من أهل الكتاب فى آن واحد[3]. وقد تكون مجموعتان، الكفار والمنافقون، سببا فى النزول. يفسدان ويدعيان الإصلاح[4]. وقد تتوجه آيات إلى الكافرين وحدهم ولا ينفع الكافرين إنذار[5].

ولا يُسأل عن مصير الكفار فى الجحيم سواء كانوا من آل الرسول خاصة أم الكفار عامة[6]. وردا على أن الشهداء قد ماتوا وفقدوا نعيم الدنيا. نزلت آية خلود الشهداء[7]. ولما طلب الكفار من الرسول أن ينسب لهم الله نزلت آية التنزيه[8]. ولما

---

(٣: ١٧٤). ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣: ١٧٦).

(١) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣: ١٦١).

(٢) ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (٣: ١٦٧).

(٣) مثل أول آيات سورة البقرة، السابق ص ٢٢.

(٤) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (٢: ١١).

(٥) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢: ٦).

(٦) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (٢: ١١٩).

(٧) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (٢: ١٥٤).

(٨) ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (٢: ١٦٣).

تعجبوا من سماع الناس كلهم إلها واحدا. نزلت آية تتهكم من هذا التعجب و تعتبر أن التوحيد فطرى[1]. ونزلت بعض الآيات فى المشركين الذين أعرضوا عن سماع القرآن لجذبهم إليه[2]. فالسلوك الطبيعى هو مواكبة هذا الانجذاب. يخشون من البرق والرعد. ويجعلون أصابعهم فى آذانهم ولا يسمعون[3]. ويصرون على عدم الانصياع، ومع ذلك يدعو الوحى المشركين إلى عبادة الله[4].

واتهم المشركون الرسول بتبديل الوحى. يأمر بما ينهى، وينهى بما يأمر[5]. وظنوا أنه سيعود إلى الشرك كما عاد إلى القبلة. وظنوا أن لله أندادا[6]. والمشرك هو المرتد الذى يؤمن ثم يرتد عن إيمانه[7]. ولا يغتر أحد بأثرياء المشركين[8]. وما فائدة دعاء الرسول على المشركين؟[9]. والله يغفر كل شىء إلا الشرك به[10].

٦- المجموعات الخارجية الداخلية

وهم أهل الكتاب اليهود والنصارى. فهم مجموعات خارجية لأنها من غير المسلمين، وداخلية لأن المسلمين استئناف لهم، والمقصود من أهل الكتاب نظرا اليهود والنصارى ولكن عملا قد يكون المقصود اليهود. فالنصرانية أتت من داخل اليهودية وإصلاح لها.

---

(١) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢: ١٦٤).

(٢) ﴿الم﴾ (٢: ١)، السابق ص٢١.

(٣) ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (٢: ١٩)، السابق ص٢٥.

(٤) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (٢: ٢١)، السابق ٢٥.

(٥) ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢: ١٠٦).
﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٦: ١٠١).

(٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢: ١٥٣).

(٧) ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣: ٨٦).

(٨) ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (٣: ١٩٦).

(٩) ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٣: ١٢٨).

(١٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤: ٤٨).

لا يود أهل الكتب ولا المشركين أن ينزل الله الوحى على أحد سواهم[1]. ولا يود أهل الكتاب أن ينزل الوحى على غيرهم. ومن كذب بالرسالة من المشركين والنصارى واليهود ماتوا وهم كفار[2]. ولماذا ينكر اليهود والنصارى الإسلام وهو موجود عندهم فى التوراة والإنجيل؟[3]. ولا فائدة من المحاجة، واللجوء إلى الفطرة أفضل[4]. ولا تكون الموالاة لغير المؤمنين، من اليهود أو النصارى[5]. وبالرغم من عداوة اليهود والنصارى للمؤمنين إلا أنهم أعداء لبعضهم البعض. كل منهم ينكر دين الآخر[6]. ولن ترضى اليهود ولا النصارى عن المسلمين حتى يصبحوا مثلهم. وفرق بين الهوى والعلم[7]. وقد ادعى اليهود أن عزير ابن الله. كما ادعى النصارى أن المسيح ابن الله[8]. وقد طالب اليهود النصارى بالمعجزات. وطالب مثلهم نفس الطلب ولا معجزة بعد القرآن[9]. وإن كان اليهود يحبون الله فإنهم أولى باتباعه[10]. ولا يعنى الاتباع العبادة بل الطاعة[11].

---

(١) ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٢: ١٠٥).

(٢) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٢: ١٦١).

(٣) ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (٣: ١٩).

(٤) ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (٣: ٢٠).

(٥) ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (٣: ٢٨).

(٦) ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢: ١١٣).

(٧) ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢: ١٢٠).

(٨) ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ (٢: ١١٦).

(٩) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢: ١١٨).

(١٠) ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣: ٣١).

(١١) ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٣: ٣٢).

وبعد ظهور الإسلام تنتهى الدعوة إلى اليهودية والنصرانية[١]. رفض اليهود الإيمان بالإسلام لأنه ليس فى التوراة. ورفض النصارى أيضا لأنه يجعل المسيح مثل باقى الأنبياء[٢]. والأنبياء ليسوا هودا أو نصارى بل هم مسلمون[٣]. وبدلا من إنكار اليهود دين النصارى وإنكار النصارى دين اليهود وإنكار اليهود والنصارى الإسلام فمن الأفضل المباهلة، عبادة إله واحد يتساوى أمامه الجميع[٤].

يحرف أهل الكتاب الكلم عن مواضعه[٥]. يشترون الضلالة بالهدى. واليهود يحرفون الكلم عن مواضعه ويلوون ألسنتهم بالكلام يقصدون غير ما ينطقون به[٦].

وليس كل أهل الكتاب معادين للمسلمين[٧]. فالنجاشى كان أعلم النصارى.

وقد اختصم أهل الكتاب، كل يتمسك بدينه، والدين كله لله[٨]. ويرجع كل دين إلى إبراهيم[٩]. والإسلام يؤمن بجميع الأنبياء السابقين دون تفرقة بين أحد منهم[١٠].

---

(١) ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢: ١٣٥).

(٢) ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢: ١٣٧).

(٣) ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢: ١٤٠).

(٤) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣: ٦٤).

(٥) ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣: ٧٨).

(٦) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤: ٤٤-٤٦).

(٧) ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢: ١٢١).

(٨) ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٣: ٨٣).

(٩) ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣: ٨٤).

(١٠) ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣: ٨٥).

اليهود والنصارى مرتدون آمنوا باليهودية والنصرانية ثم رفضوا الإيمان بالإسلام[1]. تفرقوا بعد ما جاءتهم البينات[2]. كان فريق من أهل الكتاب يؤمن بمحمد قبل أن يبعث. فلما بُعث كفروا به[3]. وقد أخذ الله من قبل من الذين أوتوا الكتاب ميثاقا لبيان التنزيل للناس. فنبذوه واشتروا ثمنا قليلا[4]. ويقول اليهود إن موسى آية. ويقول النصارى إن عيسى آية. والآية فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار أى فى مظاهر الطبيعة وليس فى أشخاص الأنبياء[5].

والهجوم الأعنف على اليهود خاصة. وتتوجه إليهم معظم الآيات. يتصورون الله خلق العالم فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع. والله لا يمسه تعب ولا ينام ولا يصلى ولا يصبغ وكأنه بشر[6]. وقد أسقط اليهود تصورهم الأنانى المادى على الله وتصوروه فقيرا وهم أغنياء عندما نزلت آية يدعو الله الناس فيها ليقرضوه قرضًا حسنًا[7].

ويدعون العداوة لجبريل لأنه ينزل الأمر بالحرب والقتال على عكس ميكائيل[8]. و يتخذون الملائكة والنبيين أربابا من دون الله مثل عيسى وعزير[9]. ولم تدع النبوة إلى عبادة غير الله من الأنبياء والمرسلين[10]. وإيمان اليهود بالإسلام طبيعى لأنه تصديق

---

(١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (٣: ٩٠).

(٢) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣: ١٠٥).

(٣) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣: ١٠٦).

(٤) ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (٣: ١٨٧).

(٥) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣: ١٩٠).

(٦) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢: ٢٥٥).

(٧) ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٣: ١٨١).

(٨) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢: ٩٧-٩٨).

(٩) ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٣: ٨٠).

(١٠) ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٣: ٧٩).

لما بين أيديهم من الرسالات السابقة[1]. أنكر اليهود الرسول بالرغم من إعلامهم بأنه على ملة أبيهم إبراهيم[2]. والمسلمون أولى بإبراهيم من اليهود لأن المسلمين هم الذين يتبعونه[3]. يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون[4]. ونزلت آيات أخرى فى اليهود الذين أنكروا عدم نزول شيء بعد موسى[5]. يرفضون الإيمان بالرسول كما آمن السفهاء به[6]. ولا يؤمنون بما يصدق ما بين أيديهم. والوحى كل واحد[7]. ولا يستجيبون إلا لما لهم فيه مصلحة. ويعترضون على تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة[8].

وقد حرفوا كلام الأنبياء من قبل وبدلوا رسالة موسى وهم على علم بذلك[9].

وكانوا يطلبون الهدى فلما جاءهم مصدقا لما بين أيديهم كفروا به[10]. وينكرون كل البينات التى أتاها لهم بها الرسول[11]. وينكرون القرآن مع أنه مصدق للتوراة[12]. وهم

(١) ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (٣: ٤).

(٢) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (٣: ٢٣).

(٣) ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣: ٦٨).

(٤) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣: ٧١).

(٥) هى أول سورة البقرة ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٢: ٢)، السابق ص٢١ .

(٦) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٢: ١٣)، السابق ص٢٣.

(٧) ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (٢: ٤١)، السابق ص٢٩.

(٨) ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٢: ٤٥).

(٩) ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢: ٧٥).

(١٠) ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢: ٨٩).

(١١) ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (٢: ٩٩).

(١٢) ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢: ١٠١).

بمثابة الصم العمى البكم الذين لا يعقلون(١). ويدعون أن النبوة قاصرة على يعقوب وذريته ولم يكونوا حاضرين(٢). ويكتمون الحق وهم يعلمون(٣). أخفوا آية الرجم(٤).

وينكرون الإيمان بما نزل مصدقًا لما بين أيديهم(٥).

ولا إكراه فى الدين. ولا يجوز تعيين دين الطفل قبل أن يولد لا فى اليهودية ولا فى النصرانية(٦).

وقد تحجج بعض اليهود بعد الإيمان بالقرآن للحروف فى أول بعض السور(٧).

وخشى اليهود أن يحل بهم ما حل بقريش يوم بدر فحذرهم الوحى من نفس المصير(٨). ليست القضية يهودا أم نصارى بل قضية إيمان وعمل صالح. وإذا كان الرسول قد حكم ضيقا بهم أنهم فى النار فصحح الوحى الحكم(٩). وهو لا يتعارض مع كون الإسلام آخر الأديان(١٠). ويعتذرون بأن قلوبهم غلف(١١). وادعوا بأن يعقوب

---

(١) ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢: ١٧١).

(٢) ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢: ١٣٣).

(٣) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢: ١٧٤).

(٤) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (٢: ١٥٩).

(٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ (٤: ٤٧).

(٦) ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢: ٢٥٦).

(٧) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٣: ٧).

(٨) ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (٣: ١٢).

(٩) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢: ٦٢).

(١٠) وذلك فى آية ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٣: ٨٥).

(١١) ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢: ٨٨).

أوصاهم بالثبات على اليهودية[1]. ورفضوا الإسلام تقليدا لدين الآبـاء[2]. ولا يريدون أن يؤمنوا إلا بمن تبع دينهم والهدى هدى الله[3]. رؤساء اليهود يشترون بعهد الله ثمنا قليلا[4]. ويريدون الاحتكام إلى اليهودية لأن بها الرشوة وليس للإسلام لأنه خال منها[5]. ويريدون الاحتكام إلى الكاهن[6].

ويقولون إنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودات[7]. ويتصورون أن الأنبياء شفعاء لهم[8]. ويدعون أنهم أحباء الله وأنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودات[9]. وظنوا أنهم لا يموتون وأن الجنة لهم[10].

وهم أحرص الناس على الحياة[11]. وقالوا لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى[12]. ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وانكروا الكسب[13]. يزكون أنفسهم عند الله وبأنهم

---

(١) ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢: ١٤١).

(٢) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢: ١٧٠).

(٣) ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢: ٧٣).

(٤) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣: ٧٧).

(٥) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٤: ٦٠).

(٦) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٤: ٦٤).

(٧) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣: ٢٤).

(٨) ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٢: ٤٨).

(٩) ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢: ٨٠).

(١٠) ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢: ٩٤).

(١١) ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢: ٩٦).

(١٢) ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢: ١١٢).

(١٣) ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (٢: ١٣٩).

لا ذنوب لهم[1]. ويدعون أنهم خير أمة أخرجت للناس فنزل الوحى لتكذيبهم[2]. ويجادلون المسلمين ليردوهم عن إيمانهم[3]. ويؤججون العداوة بين المؤمنين، وينتصرون لفريق ضد فريق[4]. وقد شمتوا فى المسلمين بعد واقعة أحد[5]. وكانوا يؤذون النبى فيأتى التنزيل بالصبر[6]. وكيف يؤمنون بالطاغوت وهم يتلون الكتاب ويؤيدون الذين كفروا على الذين آمنوا؟[7]. وقد حاول فريق الإيقاع بين الأوس والخزرج لإرجاعهم إلى الجاهلية الأولى[8]. ويصدون عن سبيل الله من أراد الإيمان[9]. وعادوا إخوانهم الذين آمنوا بالإسلام[10]. واتهموهم بأنهم شرارهم. ويحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله[11]. وهم منافقون يريدون الإيمان بالإسلام أول النهار والكفر به آخره[12].

---

(١) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٤ : ٤٩).

(٢) ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٣ : ١١٠).

(٣) ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣ : ٦٩).

(٤) ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (٢ : ٨٥)

(٥) ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٢ : ١٠٩).

(٦) ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (٣ : ١٨٦).

(٧) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ (٤ : ٥١).

(٨) ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣ : ٩٨ - ١٠١).

(٩) ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣ : ٩٩).

(١٠) ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٣ : ١١١)، ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (٣ : ١١٣).

(١١) ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (٤ : ٥٤).

(١٢) ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٣ : ٧٢).

ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم[1]. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. وإذا خلا بعضهم إلى بعض تآمروا على المؤمنين ورفضوا الاعتراف بها لديهم تصديقا بها عند المؤمنين[2].

امتحنوا الرسول عما يؤمن به فلما أخبرهم بالإيمان بالرسل بما فيهم عيسى أنكروه[3].

أراد اليهود الإيمان بالإسلام دون شرائعه والإبقاء على شريعة موسى[4]. وشرط الإيمان قبول حكم الرسول[5]. يقتلون الأنبياء[6]. وهم جاحدون بنعم الله لا يوفون بالعهود ولا يخافون الله[7]. ولا يتكلمون فى الكتاب إلا بأصلهم[8]. ويبدلون الكتاب بأيديهم[9]. وينقضون العهود[10]. ويتبعون ما تتلوا الشياطين[11]. يلوكون بألسنتهم كلاما مزدوجا يفهم منه المدح فى الظاهر، والذم فى الباطن[12]. وقد سألوا موسى

---

(١) ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢: ٤٤)، السابق ص٢٩- ٣٠.

(٢) ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢: ٧٦).

(٣) ﴿قُولُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (٢: ١٣٦).

(٤) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُوا فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢: ٢٠٨).

(٥) ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤: ٦٥).

(٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣: ٢١).

(٧) ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ (٢: ٤٠)، السابق ص٢٨- ٢٩.

(٨) ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢: ٧٨).

(٩) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٢: ٧٩).

(١٠) ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢: ١٠٠).

(١١) ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ (٢: ١٠٢).

(١٢) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢: ١٠٤).

المستحيل رؤية الله[١]. ورفضوا الإيمان إلا أن ينزل الله قربانا تأكله النار. وقد أرسل لهم الله من قبل البينات ولكنهم كفروا بها[٢]. حرموا على أنفسهم قبل أن تحرم التوراة ما حرموا. زايدوا ثم كفروا بما طلبوه. لذلك أصبح الحلال هو الأصل فى الإسلام وليس الحرام[٣]. ومقياس التقوى الإنفاق مما تحبه النفس أى المجاهدة[٤]. وكفرة اليهود لن تغنى عنهم أولادهم ولا أولادهم من الله شيئًا[٥]. يعصون الشريعة أن أمرتهم بقتل النفس أو الخروج من الديار[٦].

والقبلة ليست اتجاها جغرافيا بل هى قصد روحى، توجه المسلمين نحو وجهة واحدة[٧]. وتساءل اليهود عن تحول قبلة المسلمين[٨]. واتهموا الرسول بأنه حول القبلة حسدا لهم[٩]. وادعوا أن تحويل القبلة إنما اشتياق الرسول إلى موطن أبيه وأمه. ولو ثبت على القبلة الأولى لآمنوا به لأنه يكون واحدًا منهم[١٠]. وادعوا أن الرسول يتابعهم

---

(١) ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢: ١٠٨).

(٢) ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣: ١٨٣).

(٣) ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣: ٩٣).

(٤) ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٣: ٩٢).

(٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣: ١١٦ - ١١٧).

(٦) ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (٤: ٦٦ - ٨٦).

(٧) ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢: ١١٥).

(٨) ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢: ١٤٢).

(٩) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢: ١٤٣).

(١٠) ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢: ١٤٥).

فى الدين ويخالفهم فى القبلة[1]. تفاخر اليهود والمسلمون، كل بقبلتهم بالرغم من أول بيت وضع للناس هو البيت الحرام بمكة[2]. ونحوه يأتم اليهود.

ليس اليهود بالضرورة هم المعارضون الرافضون للرسالة الجديدة بل هناك الأتقياء المؤمنون بها. يجدونها فى التوراة التى تتنبأ برسول اسمه أحمد من ولد إسماعيل[3]. وهم يعرفون الكتاب دون كتمانه[4]. منهم من يؤمنون بالكتاب[5].

أما النصارى فنقدهم أقل. فقد خرب النصارى بيت المقدس كما خربها بختنصر[6]. ويتصورون أن العماد بصبغ النصارى المولود الجديد بالماء لتطهيره[7]. من آمن بعيسى منهم كفر بمحمد. ومن كفر بعيسى آمن بمحمد. والإيمان واحد. ومن اليهود من آمن بمحمد لأنهم وجدوه مذكورا فى التوراة[8]. والمسيحيون يقولون بأن الله اتخذ ولدا. ويسجدون للصليب. ويأكلون لحم الخنزير ومن ثم فهم ليسوا مسلمين[9]. ولا داعى للمحاجة مع النصارى بل يكفى الابتهال إلى الله[10]. ويحاجج أهل الكتاب فى إبراهيم

---

(١) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢: ١٥٠).

(٢) ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣: ٩٦)، ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣: ٩٧).

(٣) ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢: ١٣٠).

(٤) ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢: ١٤٦).

(٥) ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣: ٧٥).

(٦) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢: ١١٤).

(٧) ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (٢: ١٣٨).

(٨) ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢: ٢٥٧).

(٩) ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٣: ٥٩).

(١٠) ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٣: ٦١).

وقد أنزلت التوراة والإنجيل من بعده. لم يكن إبراهيم يهوديا أو نصرانيا بل كان حنيفا مسلماً[1].

ومع ذلك، من النصارى مثل النجاشى من يعرف الحق[2].

## ٧- المجموعات الداخلية

ونزلت آيات عدة فى المنافقين الذين يدَّعون الإيمان باللسان دون القلوب[3]. إذا لقوا المؤمنين ادعوا الإيمان وإذا خلوا إلى أنفسهم استهزءوا به[4]. وهم مثل الذى أوقد نارًا فلما أضاءت ذهب النور، وظلوا فى ظلمات[5]. ويشمت المنافقون فى الشهداء بأنهم لقوا حتفهم ولو أنهم كانوا منافقين لعاشوا[6]. ويحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا[7]. ويبطئون فى تنفيذ الأحكام فإن وقعت مصيبة لم يشهدوا عليها[8]. ويحذر التنزيل من أخذهم أولياء[9]. وفى ساعة الأزمة لو كان الرسول فظا غليظ القلب لانفض الناس من حوله. لذلك يشيرهم الرسول. ويعزم الأمر[10].

---

(١) ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (٣: ٦٥ - ٦٧).

(٢) ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (٣: ١٩٩).

(٣) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٢: ٨)، السابق ص٢٣.

(٤) ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (٢: ١٤)، السابق ص٢٤.

(٥) ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ (٢: ١٧)، السابق ص٢٥.

(٦) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ (٣: ١٥٦).

(٧) ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (٣: ١٨٨).

(٨) ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ (٤: ٧٢).

(٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (٣: ١١٨).

(١٠) ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣: ١٥٩).

ويرفض الوحى الترهب وتحريم نعم الله على النفس[1].

وبالنسبة للمذنبين بدلا من كتابة ما يشين المذنب على بابه وإحراجه إجتماعيًا كما كان الحال عند بنى إسرائيل يأتى التنزيل بالمغفرة[2]. والذنب بعد التوبة مغفور[3]. وبالنسبة للمؤمنين بدلا من الشقاق بين المؤمنين الاعتصام بحبل الله[4]. والمؤمنون المخلصون هم الذين يقاتلون فى سبيل الله. يشترون الحياة الدنيا بالآخرة[5].

يقاتلون فى سبيل المستضعفين[6]. وهم غير المسلمين الذين قبلوا الصلاة والزكاة وتحرجوا من قبول القتال[7]. وهم غير المنافقين الذين يدَّعون أن المسلمين الذين استشهدوا يوم أحد لو لم يخرجوا للقتال لعاشوا[8].

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢: ١٦٨). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة: ٨٧).

(٢) ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣: ١٣٣).

(٣) ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣: ١٣٥).

(٤) ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣: ١٠٣). ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣: ١٢٢).

(٥) ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤: ٧٤).

(٦) ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (٤: ٧٥).

(٧) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٤: ٧٧).

(٨) ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٤: ٧٨).

# الفصل الثالث

# الزمان

## أولا ـ الناسخ والمنسوخ:

ويعنى الزمان «الناسخ والمنسوخ»، إلغاء الحكم السابق بحكم لاحق بعد فترة زمنية من أجل تعديل الحكم وإعادة تكييفه طبقا لتجربة التطبيق الأولى تخفيفا وهو الغالب أو تشديدا وهو الأقل. فمنهج الوحى منهج تجريبى، وأحكامه واقعية. وهو درس فى التجريب والتعديل طبقا للظروف المتغيرة. ولا يضر الوحى أن تتغير أحكامه طبقا لتغير الظروف. فالتغير سنة الكون. وهو العنصر الثابت فى الحياة.

ويأتى «الناسخ والمنسوخ» بعد أسباب النزول «وإن كان علم أصول الفقه قد أعطى الأولوية المطلقة للنسخ على النزول»[1]. فالوحى ينزل أولا ثم يتطور ثانيا. ومن ثم كان العلم بأسباب النزول يسبق العلم بالناسخ والمنسوخ. الأول أصل، والثانى فرع[2]. وتبدأ السورة ببيان ظرفها المكانى، مكية أو مدنية قبل أن تعرض فى بعضها أسباب نزولها. والنسخ مرتبط بأسباب النزول التى تبين ظروف الحكم الأول وتغيرها الذى اقتضى تغييره، وذلك مثل الطلاق ثم الرد ثم تحديد مرات الطلاق بثلاث[3]. انتقالا من القسوة إلى العشرة المطلقة ثم إلى العشرة المشروطة وبث الغيرة[4].

(١) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص ١١٨-١٣٦.

(٢) ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص٤-٥/ ٥٣/ ٥٥/ ٨٢-٨٤/ ٨٨-٩١/ ١٠٣-١٠٤.

(٣) الأولى فى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء). والثانية (وبعولتهن أحق بردهن). والثالثة (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)، والرابعة (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره)، ابن سلامة ص٢٥ .

(٤) السابق ص٢٩.

ولا يعنى الزمان النسخ الزمانى الكونى مثل النهارى والليلى فى تعاقب الليل والنهار، والصيفى والشتائى باعتبارهما من الفصول الأربعة وكلاهما فى الزمان الكونى، والفراشى والنومى وهو الزمان الذاتى، اليقظة والنوم. والنهارى والليلى زمن تعاقب الليل والنهار. وفيم الاستعجال لنزول الوحى ليلا والناس نيام ولم تحدث مشاكل تستدعى نزول الوحى؟[1]. قد يكون الحدث شخصيا والنبى قلق ليلا مثل البحث عن قبلة ولكن دلالته اجتماعية للناس بعد الاستيقاظ . فالوحى ليس فقط علاقة رأسية بين النبى ومصدره بل أفقية بين النبى والناس. وإن كان حدثا خاصا بينه وبين أزواجه فدلالته للمسلمين جميعا[2]. والصيفى والشتائى الزمان الكونى، زمان الفصول الأربعة. وقد يعنى ذلك وقوع الحرب أيام الحر أو البرد. ومع ذلك الدلالة حقيقية باستثناء مراعاة الوحى للزمان الجغرافى وليس فقط الزمان الإنسانى[3]. ويدل الفراشى والنومى على الزمان الشعورى فى اليقظة والنوم. ويظل السؤال قائما ما وجه العجلة وقت الاسترخاء والراحة والإنسان على الفراش وقد انعزل عن الناس أو قت النوم ولا تقع حوادث ولا مشاكل بل الحظر فى اعتبار الأحلام وقائعا؟ إنما يعنى زمان الأحكام أى زمان الفعل كما هو الحال فى علم أصول الفقه[4].

### ١- أدبيات الموضوع:

وقد كتبت فى الموضوع عدة محاولات قبل أن تدخل فى التصور الكلى لعلوم القرآن فى«البرهان» «والإتقان».

#### أـ «الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله تعالى» لقتادة(١١٧هـ)[5]

وقد كتب فى الناسخ والمنسوخ منذ القرن الأول مما يدل على أهميته وبروزه كموضوع

---

(١) الإتقان ص٥٨-٦٢.
(٢) السابق ص٦٣-٦٤.
(٣) الإتقان ص٦٥-٦٦.
(٤) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص ٣٠٩-٣١٦.
(٥) أربعة كتب فى الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب ـ جامعة بغداد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ص٣٥-٥٦.

مستقل قبل تكوين علوم القرآن. يكتفى بالرصد والتسجيل والتدوين والإحصاء سورة سورة دون أى مقدمة نظرية فى الموضوع ودون رصد أى دلالة للنسخ وتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان، ودون تحويل للرصد الطولى لسور القرآن إلى التحليل البنيوى.

لا يعتمد إلا على الرواية حتى مع اختلاف الروايات. يضيف فقط إذا كانت السورة مكية أو مدنية دون التطرق إلى دلالة النسخ فى المدنى أى فى التشريعات والنظم وليس فى المكى أى فى التصورات والعقائد[1]. ولا يقع النسخ فى كل السور مما يدل على إمكانية ثبات بعض التشريعات الخلقية العامة تعبيرا عن الطبيعة الإنسانية والفطرة البشرية بالرغم من تغيير الظروف الاجتماعية[2].

ب-«الناسخ والمنسوخ للزهرى» (١٢٤هـ)

واستمر التأليف فى الناسخ والمنسوخ فى القرن الثانى. واستقر العنوان بهذه الصيغة المزدوجة«الناسخ والمنسوخ» وليس بصيغة أكثر تجريدا مثل النسخ. وهو مجرد رصد وتسجيل دون تحليل نظرى باستثناء تحديد السورة مكية أو مدنية[3]. فالمكان تابع للزمان. ولا يعتمد إلا على الرواية.

جـ- «الناسخ والمنسوخ فى الكتاب والسنة» لابن سلام(٢٢٤هـ)[4]

وهو أول كتاب فى الموضوع. يعتمد على الرواية. فالعلم سند بل تعدد الروايات للمتن الواحد إذا كان نقلا بالمعنى وليس باللفظ[5]. ويعنى النسخ المعنى العام بحيث يشمل التخصيص والبيان. ويشمل النسخ بصرف النظر عن أنواع الناسخ قرآنا أو حديثا. ولا ضير أن ينسخ الحديث القرآن. والقرآن الحديث. لذلك تم ترتيب أنواع النسخ طبقا لدرجة الناسخ فيما بعد فى علم أصول الفقه.

---

(١) السابق ص٥٥-٥٦.

(٢) يذكر النسخ فى سبع عشرة سورة فقط: وخصصت له مؤلفات أخرى لأبى داود والسجستانى وأبى جعفر النحاس وابن الأنبارى ومكى وابن العربى وآخرون، الإتقان جـ٣/ ٥٩. البرهان جـ٢/ ٢٨.

(٣) أربعة كتب فى الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب جامعة بغداد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ص١٣-٣٤.

(٤) ابن سلام (أبو عبيد القاسم): الناسخ والمنسوخ فى الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.

(٥) السابق ص١٧.

والأهم هو ترتيب النسخ ليس طبقا لسورة سورة وآية آية كما هى العادة فيما بعد بل طبقا للموضوعات الفقهية. والفقه هو علم السلوك والأحكام الشرعية. وهو ما يتطلب استنباطها من آخر آيات نزلت من الناسخ وليس من المنسوخ[1]. أكبرها العبادات ثم الأحوال الشخصية ثم الحج والجهاد والشهادات ثم الطعام والشراب ثم الحدود ثم المواريث والوصية واليتامى ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم بعض الموضوعات الأخلاقية مثل الاستئذان والتوبة والإكراه فى الدين وإخفاء النفوس وقيام الليل والنجوى والاستغفار[2].

د- «الناسخ والمنسوخ» لأبى القاسم هبة الله بن سلامة(٤١٠)[3]

يعقد مقدمة نظرية عن أهم موضوعات النسخ مثل معنى النسخ لغة واصطلاحا وأنواعه بالنسبة للخط والحكم، وتوزيع الناسخ والمنسوخ على السور، ودخول النسخ على الأمر والنهى، والرد على الملحدين والمنافقين الذين يستخفون بالنسخ[4]. وبعد ذلك يتم رصد الناسخ والمنسوخ، سورة سورة، وآية آية من البقرة حتى الناس[5]. وهو من أفضل النصوص ترتيبا وشمولا ووضوحا وبيانا لدلالة النسخ.

هـ- «الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم» للقاضى بن العربى(٥٤٣هـ)

ويعرض لموضوع النسخ، سورة سورة وآية آية على نحو طولى وليس عرضيا، مجرد رصد دون تنظير من أجل العثور على منطق النسخ أو دلالته. والسور نفسها غير مرتبة

---

(١) لذلك وضع الناشر أو المحقق عنوانا فرعيا للدلالة على ذلك «أول كتاب مصنف فى الناسخ والمنسوخ ومرتب على أبواب الفقه».

(٢) العبادات(الصلاة، الزكاة، الصيام، المناسك) (٦٢)، الأحوال الشخصية (النكاح، الطلاق) (٤٠)، الشهادات (مع شهادة أهل الكتاب) (١٥)، الجهاد(الأسارى، الغانم) (١٥)، الطعام والشراب (السكر)، الحدود (٩)، الأخلاق (ما تخص النفوس، الإكراه، الاستغفار للمشركين) (٧)، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٧)، الوصية واليتامى (٦)، التوبة (٥)، الاستئذان (٤)، النجوى والتقوى (٣)، الحكم بين أهل الذمة (١).

(٣) أبو القاسم هبة الله بن سلامة: الناسخ والمنسوخ، مصطفى البابى الحلبى، مصر ط٢/١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

(٤) السابق ص٥-١٠.

(٥) السابق ص١١-١٠٦.

ترتيبا زمانيا بل توقيفيا مما يصعب معه رصد مسار النسخ ومنطقه[1]. تفصيلات عديدة دون نظرة كلية عامة باستثناء المقدمة التى تتضمن بنية نظرية تتعلق بشرائط النسخ. وهى ستة: أن يكون النسخ شرعيا لا عقليا، منفصلا غير متصل، وأن يختلف حكم الناسخ عن المنسوخ، واستحالة الجمع بين الحكمين أن يكون النسخ فى الحمل والعمل، ومعرفة المتقدم والمتأخر[2].

والبدل ليس شرطا. وإذا كان ضروريا يكون متعدد الأوجه مثل نسخ قدر الكم، وطريقة العمل، والتخيير بالإلزام، والقبلة بالقبلة، والتحريم بالإباحة، طبقا لقاعدة نسخ الأثقل بالأخف. ولا يكون النسخ إلا بمثله مثل نسخ الكتاب بالكتاب. والسنة بالسنة أو ما هو أعلى مثلَ نسخ السنة بالكتاب وليس بما هو أدنى، نسخ الكتاب بالسنة أو الإجماع أو الاجتهاد. ولا تعتبر الزيادة أو النقصان نسخا. ومعظم النسخ فى المدنى وليس فى المكى. ففى المدنى الشرائع، وفى المكى العقائد. وفى المكى التصور، وفى المدنى النظام.

يعتمد على الروايات. والغاية عملية فقهية وليست نظرية منطقية تروى ظروف كل نسخ مما يدل على ارتباطه بأسباب النزول. ويجعل ذلك باب النسخ فى علم أصول الفقه أكثر تنظيرا ودلالة[3]. لذلك كان «الناسخ والمنسوخ» للواحدى أفضل لأنه مادة خام يمكن تحويلها إلى منطق للنسخ برصد النسخ المتشابه والمختلف. ويستعمل الشعر وآراء الفقهاء دون الدخول فى جدل مع المتكلمين.

**و- «المصفَّى بأكُف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ» لابن الجوزى (٥٩٧هـ)[4]**

استمر التأليف فى الناسخ والمنسوخ حتى القرن السادس قبل تشكل علوم القرآن

---

(١) القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربى المعافرى المالكى: الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم، ووضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت ط٣ ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

(٢) السابق ص١١-١٥.

(٣) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص١١٨-١٣٦.

(٤) أربعة كتب فى الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب جامعة بغداد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ص١١-٥٥.

فى صيغتها الكاملة فى»البرهان» «والإتقان». وقد يغلف العنوان بصيغة أدبية تقوم على السجع كما هى العادة فى عناوين القدماء. ويتحول إلى علم مستقل. وبالإضافة إلى الرصد والتسجيل، سورة سورة[1]. تبدأ محاولات وضع أسس نظرية للنسخ فى فصول[2].

ز- «نواسخ القرآن» لابن الجوزى (٥٩٧هـ)[3]

ويدل العنوان بهذه الصياغة الجديدة على أن التركيز على النواسخ جمع»ناسخ» وليس على «المنسوخ» أى على اللاحق وليس على السابق، على الإثبات وليس على الرفع والإزالة. لذلك جاءت أقسام الباب الثامن، وهى تقريبا كل الكتاب، فى صيغة «ذكر الآيات التى أدعى عليهن النسخ فى سورة كذا» سورة سورة، من البقرة حتى الكافرون، تسعا وخمسين سورة. مما يوحى بأن النسوخ ادعاء، وأنه لا شىء منسوخا فى القرآن كما هو الحال عند منكرى النسخ من اليهود لإثبات شريعتهم التى لم تنسخها شريعة المسيح أو شريعة الإسلام[4].

وهو تصنيف ابن الجوزى وهو ما يعنى تأليف بلغة العصر. يبدأ بعقد نظرية فى سبعة أبواب قبل أن يبدأ التطبيق فى الباب الثامن[5]. الأول عن جواز النسخ والفرق بينه وبين البداء. والثانى وقوع النسخ فى القرآن. والثالث حقيقة النسخ. والرابع والخامس شروط النسخ المتفق عليها والمختلف فيها. والسادس فضيلة علم الناسخ والمنسوخ وضرورة تعلمه. والسابع أقسام المنسوخ.

(١) حوالى ٤٨ سورة، من البقرة حتى الكافرون.
(٢) المصفى ص١١-١٣.
(٣) الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى القرشى البغدادى: نواسخ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت(د.ت.).
(٤) «ثم أتيت بالآيات المدعى عليها النسخ على ترتيب القرآن إلا أنى أعرضت عن ذكر آيات ادعى عليها النسخ من حكاية لا تحصل إلا تضييع الزمان أفحش تضييع... لا أدرى أى الأخلاط الغالبة حملته على هذا التخليط. فلما كان مثل هذا ظاهر الفساد، وريت عنه غيرة على الزمان أن يضيع، وإن كنت قد ذكرت مما يقاربه طرفا لأنبه بمذكوره على مغفلة»، السابق ص١٢-١٣.
(٥) الأبواب السبعة الأولى(٢٥)، والثامن(٢١٣).

والنسخ موضوع مشترك بين علم أصول الفقه فى المصدر الأول لاستنباط الأحكام، القرآن وفى أحكام التكليف الخمسة[1]. ويظهر أيضا فى علم أصول الدين فى تطور النبوة وهو أيضا فى علم القرآن، حامل الزمان فى الحوامل الموضوعية. أما علوم الحكمة وعلوم التصوف فإنها يتعاملان مع الحقائق الثابتة الخالدة دون أخذ التطور والزمان بعين الاعتبار. فالحقيقة عند الحكماء واحدة. والدين عند الصوفية واحد.

وامتد الخطأ فى التفسير كما هو الحال فى كتاب هبة الله المفسر وهو ابن سلامة العزيز صاحب «الناسخ والمنسوخ» إلى الخطأ فى الناسخ والمنسوخ وجعل غير المنسوخ منسوخا وكما هو الحال فى كتاب الناسخ والمنسوخ للسدى[2]. وقد انعكس ذلك على التفسير فدخلت آراء المفسرين الفاسدة. واعتمدوا على أحاديث باطلة مما دفع المؤلف إلى كتابة مقدمات فى علم التفسير للتنبيه على ذلك مثل «المغنى فى التفسير»، «زاد المسير»، «تفسير التبيان فى علم القرآن» واختصاره فى «تذكرة الأريب فى تفسير الغريب»[3].

وفى المقدمة يظهر وعى المؤلف النظرى بضرورة تحويل العلم من النقل إلى العقل، ومن الرواية إلى الدراية، ومن التقليد إلى التجديد[4]. ووضع مقدمة بمثابة القواعد

---

(١) السابق ص٢٠-٢٢.

(٢) «ثم إنى رأيت الذين وقع منهم التفسير صحيحا قد صدر عنهم ما هو أفظع فآلمنى وهو الكلام فى الناسخ والمنسوخ. فانهم أقدموا على هذا العلم فتكلموا فيه وصنفوه. وقالوا بنسخ ما ليس بمنسوخ، ومعلوم أن نسخ الشىء رفع حكمه وإطلاق القول برفع حكم آية لم يرفع جرأة عظيمة. ومن نظر فى كتاب الناسخ والمنسوخ للسدى رأى من التخليط العجائب، ومن قرأ فى كتاب هبة الله المفسر رأى العظائم. وقد تداوله الناس لاختصاره. ولم يفهموا دقائق أسراره. فرأيت كشف هذه الغمة عن الأمة ببيان إيضاح التصحيح، وهتك ستر القبيح، متعينا على من أنعم الله عليه بالرسوخ فى العلم وأطلعه على أسرار النقل، واستلب زمامه من أيدى التقليد خلسة إلى يد الدليل. فلا يهو له قول منظم فكيف بكلام جاهل برسم»، السابق ص١٢.

(٣) «وإنى رأيت كثيرا من المتقدمين على كتاب الله عز وجل بآرائهم الفاسدة وقد دسوا فى تصانيفهم للتفسير أحاديث باطلة. وتبعهم على ذلك مقلدوهم. فشاع ذلك وانتشر. فرأيت العناية بتهذيب علم الأغاليط من اللازم... وأرجو أن تغنى هذه المجموعات عن كتب التفسير مع كونها مهذبة عن خللها، سليمة عن زللها»، السابق ص١١.

(٤) «فإن نفع العلم بدرايته لا بوراثته، وبمعرفة أغواره لا بروايته. وأصل الفساد الداخل على عموم تقليد سابقيهم، وتسليم الأمر إلى معظميهم من غير بحث عما صنفوه، ولا طلب للدليل عما ألفوه»، السابق ص١١.

والأصول واختيار الشكل الأدبى الأمثل من حيث الطول والقصر[1].

ح- «ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه» لابن البارزى(٧٣٨هـ)[2]

وسيتمر التأليف فى الناسخ والمنسوخ فى القرن الثامن، وقت تشكيل علوم القرآن فى»البرهان» للزركشى. ويضاف إلى العنوان التقليدى»القرآن العزيز» لبيان أن الموضوع يتعلق بالقرآن وجزء من علوم القرآن. ويمتاز الكتاب بمقدمة نظرية فى أنواع النسخ وبخاتمة أيضا حول أهم قضية فى النسخ العملى وهى آية السيف والقتال.

تبدأ المقدمة النظرية بتصريف النسخ فى اللغة بمعنى الرفع. وقد ورد فى القرآن بمعنيين. الأول نقل الكتابة أو تدوين الأعمال فى سجلات، والثانى رفع حكم ثابت بحكم ثابت آخر[3]. كما تضم ضروب النسخ الثلاثة، الأول رفع الحكم والخط. والثانى رفع الخط وبقاء الحكم، والثالث رفع الحكم وبقاء الخط. كما تتضمن مستويات الناسخ والمنسوخ الأربعة، نسخ الكتاب بالكتاب، والسنة بالكتاب، والسنة بالسنة وليس الكتاب بالسنة[4].

كما تتضمن وقوع النسخ فى الأوامر والنواهى وليس فى الأخبار. ثم تعطى بعض الإحصائيات فى النسخ مثل أول ما وقع فيه النسخ[5]. وليس فى كل السور ناسخ ومنسوخ. وبعضها به ناسخ دون منسوخ، والبعض الآخر به منسوخ دون ناسخ[6].

---

(١) «ولما رأيت المصنفين فى هذا العلم قد تباينوا. فمنهم من أطال بما لا حاجة بمثل هذا التصنيف إليه. ومنهم من قلد القائلين ولم يحكم على الاختلاف ببيان الصواب. ومنهم من نقص بحذف ما يحتاج إليه أنبئك بهذا الكتاب متوسطا. وحذفت كثيرا من الأسانيد والطرق خوف الملل»، السابق ص١٣.

(٢) أربعة كتب فى الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب جامعة بغداد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ص١٩-٥٩.

(٣) نقل الكتابة فى آية (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)، السابق ص١٩-٢٠.

(٤) هو جائز عند أبى حنيفة ممتنع عند الشافعى، السابق ص٢١.

(٥) وذلك مثل الصلاة الأولى، القبلة الأولى، الصوم الأول، الزكاة الأولى، الإعراض عن المشركين، الموارثة، العفو والصفح عن أهل الكتاب، المخالطة فى الحج، والعهد مع المشركين، المصفى ص٢٢.

(٦) السور التى بها ناسخ ومنسوخ ٣١سورة. والسور الخالية منهما ٤٣ سورة. والسور التى بها منسوخ دون ناسخ ٣٤، والسور التى بها ناسخ دون منسوخ ٦، السابق ص٢٢.

وآية السيف ناسخة لمائة وأربعة عشر موضوعا فى اثنين وخمسين سورة[1]. ثم نسخ بعضها. كما نسخ عمومها فى آخرها[2]. ونسخت آية القتال ثمانية مواضع فى سبعة سور[3]. وتستمر الإحصائيات كرصد دون إيجاد دلالاتها[4]. وقد نسخت آية بآيات وآيات بآية. فالنسخ كيف لا كم.

وتضم الخاتمة بعض المسائل النظرية[5]. مثل إطلاق بعض المتقدمين النسخ على التخصيص والاستثناء والأحوال المشكلة مثل الأمر بالقتال بعد الأمر بالصبر والصفح لاشتراك الجميع فى رفع الحكم المتقدم. على عكس المتأخرين الذى يفرقون بينهما. وهذا هو سبب فى جعل المتقدمين آية السيف ناسخة لمائة وأربع عشرة آية على عكس المتأخرين. فلا ينسخ بآية القتال إلا ما فيه نهى عن القتال. كما تذكر الخاتمة ضرورة تأخر الناسخ عن المنسوخ بفترة زمنية تسمح بتنزيل الحكم المنسوخ.

وقد استمر التأليف فى الناسخ والمنسوخ من القرن الأول حتى اليوم سواء من القدماء أو من المحدثين فى التراث أو فى الرسائل الجامعية. الف فيه المتكلمون من المعتزلة مثل أبى الحسين البصرى أو المفسرون مثل مقاتل بن سليمان أو من الحنابلة مثل أحمد بن حنبل أو من الصوفية مثل الحلاج أو من الفقهاء من أهل الظاهر مثل ابن حزم أو من النحاة مثل السيرافى أو من الأشاعرة مثل عبد القاهر البغدادى أو من الشيعة مثل القمى.

---

(١) وهى آية ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾.

(٢) والناسخ آية ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾. وناسخ العموم ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، السابق ص٢٢-٢٣.

(٣) وهى آية) ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، نسخت ثمانية مواضع فى سبع سور، السابق ص٢٣.

(٤) مثل: الآيات المنسوخ عمومها بالاستثناء أو ما فى معناه بعدها ثلاثة وعشرون موضعا فى إحدى عشرة سورة. والآيات المنسوخة على النظم مائة وثلاثة مواضع فى ثلاثين سورة. جملة المواضع المنسوخة ٢٤٩ موضعا. الآيات الناسخة١٠٨ موضع فى ٣٧ سورة.

(٥) السابق ص٦١-٦٢.

## ٢- النسخ لغة واصطلاحا:

والنسخ لغة يعنى إما الرفع والإزالة أو تصوير المكتوب[١]. والنسخ اصطلاحا يعنى المعنى الأول. والسؤال هو: ما الفرق بين النسخ والنسيان، والمثل الأخير فى الآية الشهيرة ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾؟ خير منها أى أكثر واقعية وطبيعية. مثلها فى الحكم مع اختلاف الصياغة الأدبية من الناحية البلاغية[٢]. وقد يكون الحكمان، المنسوخ والناسخ، خيارين إنسانيين مثل الإعراض عن اللغو أو عدم مجالسة من يقوم به[٣].

ليس «الناسخ والمنسوخ» من أبحاث الألفاظ أو المعانى بل من أبحاث الزمان أى الحوامل الواقعية أو التاريخية مثل المكان والموقف أى النزول.

وفى الترتيب يسبق المنسوخ الناسخ عادة. ولا يتغير الترتيب إلا استثناء[٤]. فالناسخ تال على المنسوخ بالضرورة فى الزمان، والمنسوخ متقدم عليه. فالحاضر ينسخ الماضى لأن التقدم خطى من الماضى إلى الحاضر. وأقصى مدة بين الناسخ والمنسوخ ست عشرة سنة أى نصف جيل إذا كان الجيل فى الثقافة القديمة أربعين عاما، ولا يزيد على ذلك إلا مرة واحدة[٥].

ولا يجوز نسخ الحكم قبل العمل به وإلا كان تحصيل حاصل، لا فائدة منه. لذلك هناك فترة زمنية بين الناسخ والمنسوخ حتى يظهر عدم التطابق بين الحكم الشرعى والواقع المتغير الجديد[٦].

---

(١) الأول فى آية ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. والثانى فى آية ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص٢٠ ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص٥.

(٢) السابق ص٩-١٠.

(٣) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾، والثانى ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾، السابق ص٤٥.

(٤) الإتقان جـ٣/ ٦٩-٧١.

(٥) البرهان جـ٢/ ٤٠-٤١ وهى آية ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ نسختها أول سورة الفتح.

(٦) ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص٢٥-٢٨.

والعلم بالناسخ والمنسوخ فضيلة لأنه علم بالتغير والتطور بأولوية الواقع على النص[1]. وفضل هذا العلم كبير إذ به يعرف تطور أحكام الشريعة ومطابقتها للواقع المتغير والقدرة. فالأحكام تتجدد بتجدد الواقع وإلا تحجرت أحكام وتطور الواقع فيحدث تمايز بين شدة الحكم وضرورة تغييره. وينشأ الصراع بين السلفيين المدافعين عن الحكم والتحديثيين المدافعين عن تغيير الأحكام بتغيير الواقع كما هو الحال فى تاريخ الحركات الإصلاحية الحديثة. ويشتد الأمر فيصبح صراعا بين الأصوليين المتشددين بالإبقاء على ثبوت الأحكام والعلمانيين المطالبين بالتشريع المدنى. وتنقسم الأمة إلى فريقين متنازعين. وقد يصل الأمر إلى حد القتال والحروب الأهلية تحت دعوى «تطبيق الشريعة الإسلامية»[2].

والسؤال هو: هل يجوز إذا ما تغيرت الظروف إلى سواء العودة إلى حكم المنسوخ دون الناسخ مثل بعض المجتمعات التى استشرى فيها شرب الخمور ويصعب اقتلاعه عن طريق التحريم. هنا يمكن العودة إلى المراحل الأولى التدريجية للتحريم مثل (فيهما... إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما) ثم عدم الشرب أثناء الصلاة؟ وإذا كان للنسخ طريقان، من الأخف إلى الأثقل مثل تحريم الخمر أو من الأثقل إلى الأخف مثل محاسبة أفعال النفس الداخلية والخارجية ثم الاقتصار على الخارجية فقط فهل يمكن طبقا للظروف المتجددة الأخذ بأحد الطريقين؟ هل المنسوخ إبطال الحكم نهائيا أم وقتيا، بحيث يمكن العودة إليه إذا ما تغيرت الظروف؟ هل الزمان فى تقدم مستمر أم أنه قد يتقهقر أيضا؟[3].

### ٣- وقوع النسخ شرعا وجوازه عقلا:

ومن المؤلفين من أنكر النسخ مثل أبى على محمد بن أحمد الجنيد(٣٨١هـ) فى كتابه

---

(١) السابق ص٢٨-٣٢.

(٢) المصفى ص١٢-١٣.

(٣) والأمثلة على ذلك كثيرة: فرض الإنفاق فى الأموال غير الزكاة، نكاح المتعة فى الحروب والهجرة، شرب قليل من الخمر بدواعى الصحبة خاصة بين النخبة... الخ.

«الفسخ على من أجاز النسخ»[1]. وهم قلة لا تمثل التيار الغالب. تسقط الزمان من الحساب، والتطور من الوحى. إنكار النسخ إنكار للتغيير، والتغيير سنة الكون[2]. وهو دفاع عن القرآن جهلا بالواقع ظنا أن التغيير عيب ونقص. وهو من مظاهر الكمال (كل يوم هو فى شأن).

وأول مقدمة نظرية فى إثبات النسخ على منكريه من اليهود وكما هو الحال فى علم أصول الفقه بدعوى عدم جواز البداء على الله أى الحكم بشىء ثم يبدو الأمر على خلاف ذلك[3]. وعلم الله ثابت لا يتغير. والحقيقة أن الأمر لا يتعلق بعلم الله فى ذاته. فهذا هو موضوع علم الكلام، الصفة الأولى فى الثلاثى، العلم والقدرة والحياة[4]. وهو درس فى تبعية العلم الإلهى لتطور الزمان وتغير المكان[5]. وفرق بين النسخ والبداء أن النسخ تغيير حكم التكليف بناء على مصلحة المكلف فى حين أن البدء تغيير علم نظرى ثابت بلا سبب. والنسخ لا يعنى فساد الحكم السابق بل تجاوز الواقع له فى حين أن البداء يعنى فساد العلم الأول. وإنكار النسخ خلط بين العلم الإلهى والواقع الإنسانى. فالنسخ ليس تجويزا للبداء على الله كما تقول اليهود، فعلم الله فى ذاته كصفة للذات ثابت وتعينه الأول فى اللوح المحفوظ متغير لأنه مخلوق[6].

والأصل النظرى الأول حول الجواز والوقوع عقلا وشرعا. والاختيارات ثلاثة: الأول عدم الجواز عقلا ولا شرعا لأن النسخ يعنى البداء. والثانى الجواز عقلا والامتناع شرعا لأن شريعة موسى لا تنسخ. والثالث الجواز شرعا لا عقلا حرصا على صورة شرائع الأنبياء. ويغيب الرابع وهو الجواز عقلا وشرعا وواقعا[7]. هو جائز عقلا لأن التكليف يقوم على المصلحة، والمصالح متغيرة وبالتالى كان شكل التكليف ودرجته

---

(١) أربعة كتب فى الناسخ والمنسوخ ص١٨-١١٩.

(٢) «وقد قال قوم لا يعدون خلافا ليس فى القرآن ناسخ ومنسوخ. وهؤلاء قوم عن الحق صدوا، وبأنفسكم عن الله ردودا» ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص٩.

(٣) ابن الجوزى: المصفى ص١١-١٢ «من النص إلى الواقع» جـ٢ بنية النص ص١٢١-١٢٤.

(٤) من العقيدة إلى الثورة جـ٢ التوحيد ص٤٢٧-٤٣٥.

(٥) الإتقان جـ٣/ ٥٩-٦٠.

(٦) البرهان جـ٢/ ٣٠.

(٧) السابق ص١٤-١٦.

متغيرين أيضا. وهو واقع شرعا نظرا لتغيير التكليف من نكاح المحرمات إلى تحريمه، ومن العمل يوم السبت إلى تحريمه، ومن أكل لحم الخنزير إلى تحريمه.

والنسخ واقع شرعا ونصا فى آية النسخ الشهيرة (وما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها). وفيها تمييز بين النسخ والنسيان. النسخ رفع وإزالة فعل إرادى. أما النسيان فهو ما يتجاوزه الزمن مثل الإماء والعبيد والغنائم والصيد وربما وضع المرأة ككل. والبديل أفضل من الأول أو مثله. أفضل أى أوسع وأرحب، ومثله فى الصياغة والإقناع. الأول بالإرادة، والثانى بالطبيعة[1]. وليس النسخ فقط جائز عقلا بل هو واقع شرعا سواء النسخ الكلى، نسخ شريعة بشريعة أو النسخ الجزئى، نسخ حكم بحكم آخر داخل الشريعة الواحدة[2].

والنسخ ممكن عقلا وشرعا لأن الواقع يتغير والوحى يتطور بتطوره. ويعد درسا فى التجريب، وأولوية الواقع على الوحى، ودخول عنصر الزمان فى تطور الأحكام. فهى متغيرة بتغيره، ومتطورة بتطوره.

وهناك فرق بين النسخ الكلى لمرحلة سابقة من مرحلة لاحقة مثل نسخ الإنجيل للتوراة، ونسخ القرآن للإنجيل، فهذا النسخ هو مجرد التبديل والتحويل وليس الإلغاء. ويتم عن طريق النسيان للمِثل (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)، فالفصل هو النسخ أو النسيان والنتيجة الإتيان بناسخ أفضل من المنسوخ أو مثله، أفضل فى الواقعية، ومثله فى المثالية. شريعة موسى تُنسخ بشريعة عيسى. وشريعة عيسى تنسخ بشريعة الإسلام[3].

ولا يثبت جواز النسخ بحجج صورية عقائدية بل بحجج علمية سلوكية. فكون الآمر يفعل بأمره ما يشاء حجة عقائدية كلامية. إنما الحجة هى تغيير الواقع والظروف،

---

(١) السابق ص١٧-١٩.

(٢) من العقيدة إلى الثورة جـ٤ النبوة- المعاد ص١٠٤-١٣٩. ويذكر أنه كان يجوز فى شريعة آدم وطائفة من أولاده نكاح الأخوات وذوات المحارم والعمل يوم السبت ثم نسخ ذلك فى شريعة موسى، المصفى ص١٢.

(٣) لا يقول ابن الراوندى بنسخ شريعة موسى: ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص١٥.

وبالتالى ضرورة إعادة صياغة الأحكام طبقا للواقع المتجدد[1]. فالرؤية العامة للتشريع هى أولوية الواقع على النص[2]. فالأحكام الشرعية تجريبية فى جدل مستمر بين المثال والواقع طبقا لقدرات المكلفين وقاعدة عدم جواز تكليف ما لا يطاق[3].

### ٤- النسخ فى الأحكام:

ولا يقع النسخ إلا فى التكليف، الأوامر والنواهى، اقتضاء الفعل أو الترك. وهو على ثلاثة مستويات: الأول الفرض أو الواجب أو الإلزام ويكون نسخه من الوجوب إلى المنع، مثل تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام. وقد يكون النسخ من الوجوب إلى الاستحباب أى المندوب مثل نسخ وجوب الوضوء عند كل صلاة وجعله فقط مستحبا. وقد يكون النسخ من الوجوب إلى الإباحة مثل نسخ وجوب الوضوء مما غيرت النار إلى الجواز. والثانى الاستحباب أو المندوب ويكون نسخه إما بالتحول إلى الوجوب أو إلى المنع والتحريم وإما إلى الإباحة مثل نسخ استحباب الوصية للوالدين إلى الإباحة. والثالث المباح. ولما كان المباح ليس حكما شرعيا خارجيا بل شرعيته فى طبيعته فهو مأذون فيه غير مأمور به. ونسخه إلى وجه واحد هو التحريم مثل نسخ إباحة الخمر إلى التحريم. ولا يوجد نسخ الإباحة إلى الكراهة. ونسخ المباح إلى واجب ليس نسخا لأن إيجاب المباح إبقاء تكليف وليس نسخا. والنهى مستويان. الأول التحريم. وقد ينسخ بالإباحة مثل تحريم الأكل على الصائم فى الليل بعد النوم والجماع، والثانى الكراهة[4].

وينقسم النسخ من حيث الأحكام الشرعية الخمسة. نسخ الفرض بالفرض ولا يجوز العمل به، وفرض نسخ فرضا ويجوز العمل به، وفرض نسخ ندبا للتشديد، وندب نسخ فرضا للتخفيف[5].

---

(١) المصفى ص١١.

(٢) وهو ما ثبت فى «من النص إلى الواقع» محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه(جزءان) جـ٢ تكوين النص جـ٢ بنية النص، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٥، دار المدار بيروت ٢٠٠٥.

(٣) السابق جـ٢، بنية النص ص٥٠٦-٥٠٧.

(٤) ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص٢٠-٢١.

(٥) الإتقان جـ٣/ ٦٢ من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص٥٧١-٥٨٣.

يدخل النسخ على الأمر والنهى فقط أو الأخبار التى تفيد الأمر[1]. وهو ثلاثة أقسام: الأول ما يقع قبل الامتثال فقد تطور الزمان قبل الحكم، وتغير النظر قبل العمل. وهو غير معقول ولا مفهوم. فالغاية تجريب الأحكام. دون تجريب أى تحقق فى الواقع لا يقع نسخ[2]. والثانى نسخ شرع من قبلنا هو النسخ الكلى وليس النسخ الجزئى، نسخ المراحل فى تطور الوحى وليس نسخ الأحكام[3]. والثالث الحكم لسبب ثم زوال السبب، فالحكم يدور مع العلة وجودا وعدما مثل آية السيف، وآيات التخفيف والتثقيل.

لا يقع النسخ إلا فى الأوامر والنواهى أى فى الأحكام وليس فى العقائد كتصورات أو فى الأخبار، أو فى القصص والأمثال[4]. الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان. أما القصص فحكايات أدبية مثل الأدب العالمى. والأمثال حكم الشعوب. نسخ الأخبار يعنى كذبها. النسخ فى الأحكام وليس فى العقائد. والأحكام تتعلق بالحوادث والسلوك البشرى والنظم الاجتماعية والسياسية. إلا يكون النسخ فى اللوح المحفوظ. فهذا تعين أول للعلم الإلهى بل يكون فقط فى أحكام البشر[5].

ولا يقع النسخ فى الأخبار لأن الخبر علم نظرى يتوقف على صدق الرواية أوكذبها بمطابقتها أو مخالفتها للواقع أو على صدق الراوى أو كذبه إراديا أم لا إراديا. الواقع رؤية، والخبر رواية. والخبر نوعان. إما الإعلان عن حقيقة شرعية مثل (لا يمسه إلا المطهرون) أو الخبر الخالص أى الصادق فالنسخ فيه تكذيبه[6].

ولا يعنى النسخ تصحيح قراءة الرسول للقرآن بعد أن تدخل الشيطان وألقى إليه ما ليس منه. وهى قصة الآيات الشيطانية الشهيرة. وبصرف النظر عن إخراجها وروايتها إلا أنه ليس من المعقول أن يكون للشيطان قوة جبريل فى النفث فى روع الرسول بل هو أقوى منه لأنه استطاع التدخل والتغيير والتدليس على جبريل والرسول. وتصحيح

(١) ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص٨-٩.
(٢) الإتقان جـ٣/ ٦١. البرهان جـ٢/ ٤١-٤٣.
(٣) من العقيدة إلى الثورة جـ٤ النبوة والمعاد ص ١٠٤-١٣٩.
(٤) المصفى ص١٢.
(٥) البرهان جـ٢/ ٣٠/ ٣٣.
(٦) ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص٢١-٢٢.

جبريل ليس نسخا لأن النسخ لا يكون إلا فى الأمر والنهى أى فى الأحكام، ولا يكون إلا بعد التنفيذ.والآيات الشيطانية فى العقائد وقبل التنفيذ. ولا يكون النسخ إلا بقرآن لقرآن أو بحديث لحديث أو لحديث بقرآن للتصحيح وليس لحديث الشيطان بقرآن. والنسخ هنا المذكور فى القرآن فى روايته يعنى مجرد الرفع والإزالة[1]. وإذا كان الشيطان يعنى تأويلا هواجس النفس ودوافعها السلبية فقد تكون الآيات الشيطانية تعبيرا عن رغبة الرسول فى حلول وسط مع المشركين وآلهتهم مؤقتا. وقد لاحظت عائشة من قبل أن الله يوافق على هوى الرسول.

والناسخ والمنسوخ فى القرآن أربعة أقسام: قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ. وقسم فيه ناسخ ومنسوخ، وقسم فيه ناسخ فقط دون منسوخ، وقسم به منسوخ فقط دون ناسخ[2]. ويدل الأول على أن الثبات أكثر من التحول، ويدل الرابع على أن التحول بلا ثبات. ويدل الثانى على جدل الثبات والتحول فى حين يدل الثالث على الثابت دون المتحول وهو الأقل. وليس كل السور بها ناسخ ومنسوخ. بعض السور ليس بها ناسخ ولا منسوخ لأنها خالية من الأمر والنهى[3]. وهناك سور بها ناسخ وليس بها منسوخ[4]. وهناك سور بها منسوخ وليس بها ناسخ[5]. وهناك سور بها ناسخ ومنسوخ[6]. وبعض السور بها ناسخ فقط أو منسوخ فقط أو بها كلاهما أو خالية من كليهما[7]. والأغلب هى السور الخالية من كليهما مما يدل على أولوية الثبات على التغيير. ثم تأتى السور بها منسوخ دون ناسخ والتى تعنى أولوية التغيير على الثبات وقدرة الواقع على تجاوز الأحكام. والسور التى بها ناسخ ومنسوخ تعنى تعادل الاثنين.وأقلها السور التى بها ناسخ دون منسوخ. فلا شىء نهائى فى الحكم. والواقع لا نهاية له.

---

(١) لذلك لا تعتبر ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ناسخا لكلام الشيطان، أو ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، أو ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، ابن سلامة ص٦٣-٦٤/ ٦٦/ ٩٧/ ١٠٠.

(٢) الإتقان جـ٣/ ٦٢، الأول(٤٣ سورة)، الثانى(٢٥)، الثالث(٦)، الرابع(٤٠)، البرهان جـ٢/ ٣٣-٣٥.

(٣) وعددها ثلاثة وأربعون، السابق ص٦.

(٤) وعددها ستة.

(٥) وعددها أربعون.

(٦) وعددها خمس وعشرون.

(٧) السور التى بها ناسخ ومنسوخ(٢٥). والسور التى بها منسوخ دون ناسخ(٤٠). والسور التى بها ناسخ دون منسوخ(٦). والسور الخالية من كليهما(٤٣). ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص ٣٩-٤٠.

### ٥- الفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء:

النسخ ليس التخصيص. النسخ من مباحث الزمان فى حين أن التخصيص من مباحث الألفاظ[١]. فالاضطرار استثناء من القاعدة، رخصة من العزيمة[٢]. وتوالى آيات الوصية ليس نسخا بل تخصيصا للأقربين بالأولاد والوالدين[٣]. وفرض الصيام على الأمم جميعا ثم على الأمة الإسلامية عام يتبعه خاص[٤]. وتعميم حكم الميراث على الأقربين ليس منسوخا بتخصيص الأولاد[٥]. بل هو تخصيص طبقا لعادة العرب ووضع المرأة فى الصدر الأول مما قد يدفع البعض بتخصيص آخر، المساواة فى الميراث، بعد تغيير وضع المرأة اليوم عما كان فى السابق، وشدة الهجوم على الشريعة بأنها لم تحقق المساواة بين الجنسين، والعصر هو عصر تمكين المرأة، ودراسات المرأة، وجمعيات المرأة، وقضايا المرأة.

وفرق بين النسخ والتخصيص. النسخ رفع حكم عام بحكم عام آخر فى حين أن التخصيص إبقاء الحكم العام مع مراعاة ظروف خاصة فى بعض الحالات لبعض الأفراد[٦]. قد يكون الحكم العام هو تقوى الأوصياء فى مال اليتامى ثم يتم تخصيص بالصلح بينهم وبين الموحى عليهم فى حالة الجور[٧]. وعدم دخول البيوت حتى

---

(١) من النص إلى الواقع جـ٢ ص٣١٦-٣٤٨.

(٢) لذلك آية ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، ليست منسوخة بآية ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ابن سلامة ص١٥.

(٣) لذلك ليست آية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ منسوخة بآية ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾. وهو ما يؤكده حديث «ومن لم يوحى بقرابته فقد ختم عمله بمعصية». وهو أيضا رأى الحسن البصرى وطاوس والعلاء بن زيد ومسلمة بن يسار، السابق ص١٦.

(٤) وذلك فى آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، السابق ص١٦-١٨.

(٥) آية (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ)، ليست منسوخة بآية ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾، بل مخصصة بها، السابق ص٣١. وكذلك آية (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) ليست منسوخة بل مخصصة بآية (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ)، السابق ص٣١-٣٢.

(٦) المصفى ص١٢.

(٧) الحكم العام فى آية (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)، والخاص فى (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)، ابن سلامة ص٣٢.

الاستئذان والسلام على أهلها عام ثم خصص بالبيوت المسكونة دون الخالية[1]. والغض من البصر عند رؤية النساء حكم عام يخصص بإمكانية ذلك للعجائز[2]. والاستئذان للدخول على النساء ليس ممن ملكت الأيمان ولا ممن لم يبلغوا الحُلم أما الغرباء والذين بلغوا الحلم فليستأذنوا قبل الدخول[3]. وتسبيح الملائكة بحمد ربهم واستغفارهم لمن فى الأرض حكم عام واستغفارهم للذين آمنوا حكم خاص. فليس كل من فى الأرض بمؤمنين[4]. ومن أصابهم البغى منتصرون حكم عام. ومن صبر وغفر كان ذلك من عزم الأمر حكم خاص[5].

والنسخ غير الاستثناء. النسخ من مباحث الزمان. والاستثناء من مباحث اللغة[6]. ويعرف الاستثناء بحروفه مثل»إلا«. وقد يكون الاستثناء فى العمل السابق بعد أن يتم تغييره مثل نكاح زوجات الأب. وكذلك الأمر فى الجمع بين الأختين[7]. الله يغفر كل شىء إلا الشرك وقتل النفس جهنم إلا بعد التوبة. وجزاء المنافقين فى الدرك الأسفل من النار إلا التائبين والمصلحين والمعتصمين بحبل الله والمخلصين للدين[8]. وكل إنسان

---

(١) الآية العامة فى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا)، والخاصة (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ)، السابق ص٦٩-٧٠.

(٢) العام (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)، والخاص (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ)، السابق ص٧٠.

(٣) العام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، والخاص(وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، السابق ص٧٠.

(٤) وآية (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) خاص، ابن سلامة ص٧٩.

(٥) الأولى (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)، والثانية (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)، السابق ص٨٠.

(٦) لذلك ليست آية (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى... وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) منسوخة باستثناء (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا) ابن سلامة ص١٤. وآية (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا) باستثناء آية (إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)، السابق ص٢٥. وآية (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) محكم. أما آية (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)، فإنها استثناء وليست منسوخة بآية السيف، السابق ص٢٩.

(٧) وهى آية (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)، وهى آية (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)، السابق ص٣٥.

(٨) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ)، (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ)، (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ... إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)، السابق ص٣٩-٤٠.

وارد النار إلا الذين اتقوا[1].

وفرق بين النسخ والاستثناء. فالنسخ إلغاء حكم عام بحكم عام آخر فى حين أن الاستثناء إبقاء حكم عام واستثناء حكم خاص منه[2].

فالنسخ رفع كلي والاستثناء رفع جزئي. وهو نفس الفرق بين النسخ والتخصيص[3]. الاستثناء ليس نسخا بل هو أقرب إلى تخصيص العام وتقييد المطلق، مثل سؤال الرسول أجرا على رسالته إلا المودة فى القربى[4]. والإنسان فى خسر إلا من آمن وعمل صالحا[5].

ويستثنى من قِتال من يحارب الله ورسوله من تاب[6]. ومغفرة كل شىء من ظلم الناس إلا الشرك بالله[7]. ويستثنى الإكراه على الكفر والقلب مطمئن بالإيمان[8]. ويضيع الخلف آثار السلف إلا من تاب وآمن وعمل صالحا[9]. والناس وآلهتهم فى جهنم إلا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. والنسخ هنا بمعنى تصحيح فهم اللغة وعدم التفرقة بين «ما» لغير العاقل «ومن للعاقل»[10]. ورمى المحصنات دون أربعة شهداء لجلدهن إلا الذين تابوا بعد ذلك[11]. ومن يدعو مع الله إلها آخر يخلد فى النار مهانا إلا من تاب

---

(١) ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾، السابق ص٦٢.

(٢) المصفى ص١٢.

(٣) ابن الجوزي: نواسخ القرآن ص٢٢.

(٤) وهي آية ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، ابن سلامة ص٨٠-٨١.

(٥) ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، السابق ص١٠٣.

(٦) ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾، ابن سلامة ص٤١.

(٧) المنسوخ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ والناسخ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾، السابق ص٥٧.

(٨) المنسوخ ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ والناسخ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وأيضا ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾، السابق ص٥٩.

(٩) ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، وأيضا ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، السابق ص٦٢.

(١٠) ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ منسوخة بآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، ابن سلامة ص٦٥.

(١١) ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾، السابق ص٦٧.

وآمن وعمل صالحا فإن سيئاتهم تبدل حسنات[1]. والشعراء يتبعهم الغاوون لأنهم يهيمون فى كل واد ويقولون ما لا يفعلون إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله وانتصروا أى كان شعرهم ملتزما[2].

وقد يكون مسار النسخ من المطلق إلى المقيد، ومن الحكم على كل الأعراب باعتبار الإنفاق فى سبيل الله عزما وأنهم أشد كفرا ونفاقا إلى تقييد الحكم ببعض الأعراب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر[3]. والاستدراك على اعتراض لا يعد نسخا. فبعد أن نزلت آية تعطى الأولوية فى الترتيب للزانية على الزانى فى حين أن الترتيب فى السرقة للسارق على السارقة نزلت آية أخرى تعطى الأولوية للصالحين على الصالحات، وللأيامى على الإماء[4].

٦- شروط النسخ وأحكامه:

وللنسخ شروط:

أ- وقوع تناقض بين حكمين شرعيين ولا يمكن الجمع بينهما فى سلوك واحد، فيكون أحدهما ناسخا والآخر منسوخا.

ب- ثبوت حكم المنسوخ قبل ثبوت حكم الناسخ حتى يحدث الرفع أو الإزالة.

جـ- ثبوت حكم المنسوخ بالشرع لا بالعادة والعرف. فالعرف لا يشرع بل يتغير.

د- معرفة حكم الناسخ بالنقل ليس بالعقل أو القياس. فهو أمر شرعى خالص وليس بالإجماع. فالإجماع اجتهاد جماعى.

---

(١) الآية الأولى (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ)، (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا)، والثانية (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)، السابق ص٧١.

(٢) الآية الأولى (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ...)، والثانية (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا)، السابق ص٧١-٧٢.

(٣) المطلق (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا)، (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا)، والمقيد (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، ابن سلامة ص٥٢.

(٤) الآية الأولى (الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ)، والثانية (وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ)، ابن سلامة ص٦٧-٦٨.

هـ- ثبوت الناسخ مثل ثبات المنسوخ من حيث القوة والدلالة، نسخ قرآن بقرآن أو سنة بسنة أو سنة بقرآن وليس نسخ قرآن بسنة، معرفة الناسخ والمنسوخ إذن شرط فى معرفة الأحكام[1].

والمنسوخ على أنواع بناء على التمييز بين الرسم والحكم أى بين القراءة والتشريع، بين النظر والعمل.

أ- ما نسخ رسمه وحكمه فلم يعد الحكم صالحا لا من حيث الصياغة النظرية ولا من حيث التشريع العملى.

ب- ما نسخ رسمه وبقى حكمه كآية الرجم. فقد نسخت الصياغة الأدبية إلى صياغة أكثر بلاغة فى حين بقى الحكم، فالتشريع ليس مجرد أوامر ونواهٍ صورية بل هى إيحاءات وإيماءات وإقناعات حتى يتم تطبيقها عمليا على نحو تلقائى.

جـ- ما نسخ حكمه وبقى رسمه، وهو معظم ما هو موجود فى القرآن. ألفت له كتب «الناسخ والمنسوخ». فهو جزء من تاريخ التشريع وتطور الوحى للتعليم والتدبر والعظة.

أما ما بقى حكمه ورسمه فليس ناسخا ولا منسوخا وإن كان مفترضا طبقا للقسمة الرباعية[2].

وينقسم النسخ بالنسبة إلى علاقة الحكم بالتلاوة إلى ثلاثة أقسام[3]. ما نسخ حكمه وتلاوته[4]. وما نسخ حكمه دون تلاوته[5]. وما نسخت تلاوته دون حكمه[6]. الأول

---

(١) المصفى ص١٢ ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص٢٣-٢٤.

(٢) المصفى ص١٣ ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص٣٣-٣٨.

(٣) الإتقان جـ٣/ ٦٢-٧٧، البرهان جـ٢/ ٣٠-٤١.

(٤) مثل آية «عشر رضعات معلومات» ونسخها بآية «خمس معلومات» وكانت الآيتان تقرآن أيام الرسول، السابق ص٦٢-٦٣.

(٥) مثل آية: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) و(أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ) وهما منسوختان بآية الزكاة، السابق ص٦٣.

(٦) مثل (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) نسخ منها وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى. لذلك حذفها عثمان من المصاحف، وآية (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ)، ونسخت بقيتها «لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه، سأل ثانيا. وإن سأل ثانياً فأعطيه سأل ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب. إن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية. ومن يعمل خيرا فلن يكفره». وقد نزلت سورة براءة ثم نسخت «إن

معقول ومفهوم، ولكن الثانى والثالث فى حاجة إلى توضيح وتقليل. فما نسخ حكمه وبقت تلاوته سلوك فى الحاضر وعيش فى الماضى، الحكم عملى، والتلاوة نظرية. وما نسخت تلاوته دون حكمه تعديل فى الصياغة الأدبية وأساليب البلاغة وهو ما يجعل القرآن يتفاضل فى الصياغة، وافتراض آيات أقل بلاغة من الأخرى وهو غير معقول ولا مفهوم. والتلاوة بلا حكم ليست مجرد تذكير بالماضى وإلا حدث انفصال بين الماضى والحاضر، بين النظر والعمل[1].

هذه القسمة الثلاثية الشهيرة عن نسخ التلاوة والحكم، ونسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ الحكم دون دون التلاوة قسمة منطقية أما أثناء التلاوة والحكم فليس نسخا. نسخ التلاوة والحكم وارد لأن نسخ الحكم يقتضى نسخ التلاوة، ونسخ التلاوة يتضمن نسخ الحكم[2]. إنما السؤال هو: لماذا تبقى التلاوة وينسخ الحكم، ولماذا ينسخ التلاوة ويبقى الحكم؟ تبقى التلاوة وينسخ الحكم كنوع من إدخال التطور فى البناء لمعرفة مسار التغير وقدره بين الظروف الأولى التى اقتضت الحكم الأول والظروف الثانية التى اقتضت الحكم الثانى[3]. وتنسخ التلاوة ويبقى الحكم لتغيير فى الصياغة الأدبية وأساليب البلاغة واختيار القول الإنسانى بدلا من الأمرى للإيحاء أو القول الخبرى بدلا من الإنشائى للكشف عن الواجب[4]. ولا يتم النسخ بمعجزة، محو الآية من

---

الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم. ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب» وكذلك أنسيت آية «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة». وكان الصحابة يقرءون «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»، وكذلك «إن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة» وأيضا «إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون» والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» وأيضا «أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا»، السابق ص٧٣-٧٥.

(١) مثل «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»، السابق ص٧٦.

(٢) مثل «ولو أن لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا. ولو أن له ثالثا لابتغى إليه رابعا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»، ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص٥.

(٣) السابق ص٥.

(٤) وذلك فى ثلاث وستين سورة مثل الصلاة إلى بيت المقدس، والصيام الأول، والصفح عن المشركين، والإعراض عن الجاهلين، السابق ص٤.

الصفحة تلقائيا. فلا يحدث شىء إلا بفعل فاعل[1].

وقد يكون النسخ فى المعانى لا فى الألفاظ . وهى تفرقة دقيقة تضاف إلى القسمة الرباعية بين الحكم والتلاوة. والمثال على ذلك أيضا غير دقيق. فإن الدعاء للوالدين جائز للمؤمنين والكافرين لأن احترام الوالدين تجربة إنسانية عامة وفطرة بشرية مطردة[2]. وقد يصبح المؤمن مشركا والمشرك مؤمنا. فالإيمان والشرك متغير فى حين أن احترام الوالدين ثابت لا يتغير.

٧- مستويات الناسخ:

ويجوز نسخ القرآن بالقرآن، والسنة بالسنة، والسنة بالقرآن. ولا يجوز نسخ القرآن بالسنة حتى ولو كانت متواترة مثله. والأولى عدم جواز النسخ بخبر الآحاد. ويجوز النسخ بنطق الخطاب وليس بدليل الخطاب. فالنسخ منطوق وليس استدلالا. لا ينسخ القرآن إلا بقرآن مثله، والسنة إلا بسنة مثلها. ولا تنسخ السنة القرآن لأنها فى هذه الحالة تخصيص. ولا ينسخ القرآن السنة لأنها فى هذه الحالة تربية وتدريب وتعليم[3]. لا ينسخ القرآن إلا القرآن وليس الحديث نظرا لاختلاف المستويين[4]. السنة تخصص وتفصل وتبين ولا تنسخ[5]. وذلك مثل تفصيل التوبة للذين يعملون السوء بجهالة[6]. والتفصيل بالتوبة بعد الذنب بعام أو بنصف عام أو شهر أو بأسبوع أو بيوم أو بساعة أو وقت الحشرجة. كل ذلك قبل الموت. ولا يعنى سوء النية والانتظار حتى آخر

---

(١) مثل «لا ترغبوا عن أبائكم فإن ذلك كفر بكم. الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله، والله عزيز حكيم»، السابق ص٦.

(٢) لذلك (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) تعم المؤمن والمشرك. وكذلك (فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)، وايضا (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)، ابن سلامة ص٦٠.

(٣) الإتقان جـ٣/ ٦٠-٦١، البرهان جـ٢/ ٣٠-٣٢.

(٤) من النص إلى الواقع جـ٢، ص١٣٢- ١٣٥.

(٥) لذلك لا تنسخ آية (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ)، بحديث «أحلت لكم ميتتان ودمان، السمك والجراد والكبد والطحال»، ابن سلامة ص١٥.

(٦) وذلك مثل بيان آية (أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) وبيان الحديث أن البكر بالبكر مائة جلدة وتغريب عام، والثيب بالثيب أى الرجم، السابق ص٣٣.

لحظة للتوبة[1]. وينطبق ذلك على المؤمن والكافر، وعلى المسلم والمشرك[2]. ولا يعنى النسخ بالضرورة نسخ آية بآية، واحدة بواحدة، بل قد تنسخ آية عدة آيات[3]. وقد يقع النسخ أكثر من مرة فى نفس الآية. تنسخ آية أحكام آيات أخرى ثم ينسخ أول الآية آخرها[4]. وقد يقع النسخ فى أول الآية أو فى أواخرها دون وسطها ويظل محكما مثل ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[5]. والنسخ فى آية واحدة بين أولها وآخرها. فإذا كان أولها منسوخًا وآخرها ناسخ يكون مضادا لشرط انفصال الناسخ عن المنسوخ وتقدمه عليه وحصوله فى الأمر والنهى بعد التمثل. وكيف ينسخ الأول والآخر والناسخ يكون سابقا للمنسوخ؟ وكيف تتعارض المشيئة الإلهية بين الأمر بالصبر ونسخها وعد الله أو توفيه الرسول ورجوع الكل إليه؟ [6].

وقد تؤثر القراءات فى الحكم بالنسخ منها قراءة (يُطِيقُونَهُ)، أو (يطّوقونه)[7]. ويعتمد على الشعر فى الحكم بالنسخ لضبط فهم معانى الحكم[8].

## ثانيا ـ دلالات النسخ:

ولا يكون النسخ إلا بنقل صريح وليس على عوام المفسرين ولا اجتهاد المجتهدين[9]. وإذا كان الناسخ والمنسوخ لا يعرفان إلا بالنقل عن طريق الرواية عند القدماء فإنه يُعرف بالعقل وبالطبيعة وبروح الشريعة عند المحدثين. فإذا ما تعارضت الرواية ضد العقل أخذ العقل وافترض احتمال خطأ النقل.

---

(١) الآية (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ)، السابق ص٣٤.
(٢) وهي آية (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)، السابق ص٣٤-٣٥.
(٣) البرهان جـ٢/ ٤٠. مثلا آية (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ)، ناسخة لمائة وأربع عشرة آية.
(٤) السابق جـ٢/ ٤٠. مثل (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ)، آخرها ناسخ لأولها.
(٥) السابق جـ٢/ ٤٠.
(٦) مثل آية (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ. فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ)، ابن سلامة ص٧٨.
(٧) السابق ص١٨-١٩.
(٨) استعمل الشعر فى «الناسخ والمنسوخ» لابن سلامة ثلاث مرات، السابق ص٢١/ ٢٣.
(٩) الإتقان جـ٣/ ٧١-٧٢.

وبالرغم من اختلاف العلماء فى تحديد الناسخ والمنسوخ إلا أنه مع ذلك يمكن ترجيح الآراء طبقا لمنطق النسخ. ويمكن أيضا الترجيح بآيات أخرى للقرآن أو بأحاديث أو بالشريعة.

ويمكن استقراء الآيات المنسوخة والآيات الناسخة لمعرفة منطق النسخ وما سماه المصلحون «روح الإسلام». وتستطيع روح الإسلام إنسانيته وواقعيته. أن تحدد الناسخ والمنسوخ. لذلك لا يهم إيجاد دلالات لكل مواقع النسخ بل يكفى الروح العامة. وهناك سبع دلالات للنسخ.

**١ - العام والخاص:**

إذا كان الله فى كل مكان فإن آية ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ تكون ناسخة لآية ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ﴿حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، فالناسخ عام والمنسوخ خاص. ولا تعارض بين العام والخاص. الله فى كل مكان متصور. والقبلة نظام. والتصور أساس النظام. والنظام يقوم على التصور[1]. وجود الله فى كل مكان لا ينسخ باتجاه القبلة شرقا أو غربا، شمالا أو جنوبا. والصفا والمروة لا ينسخان باقى مناسك الحج. وكيف تنسخ التعددية فى الدين[2].

وكيف تنسخ حرية الإرادة الإلهية والمشيئة فى الرحمة والعذاب لصالح آية السيف[3]. وتعذيب الله للمشركين من مشيئته ولا تنسخ[4]. ومشيئته فى كل شىء لا تنسخ. وكيف

---

(١) ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص٤٧-٥٣.

(٢) لذلك ليست آية (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ)، منسوخة بآية (وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)، وليست آية (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)، منسوخة بآية (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)، وهذه ليست منسوخة بآية (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)، ابن سلامة ص١٢-١٤. والتعددية فى آية (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)، السابق ص١٠٤.

(٣) لذلك تظل آية (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا)، السابق ص٦١. فى قراءاتى الأولى منذ أكثر من ثلاثين عاما للنسخ كنت مع آية السيف لأنها أكثر ثورية من آيات الحوار والاختيار والحرية. فقد كان العصر كله كذلك نظرا للعداء بيننا وبين الاستعمار والصهيونية فى الخارج، والإقطاع والرأسمالية فى الداخل. وبعد أن تجاوزت السبعين عاما انقلبت إلى النقيض ضد آية السيف.

(٤) مثل آية (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص٧٧ وكذلك آية

ينسخ إرجاع الحكم للإله العلى الكبير؟[1]. وكيف تُنسخ الإرادة الإلهية التى تعطى من زاد الآخرة ما يشاء، ومن زاد الدنيا ما يشاء إرادة أخرى بالتعجيل لمن يريد العاجلة وهو تأكيد للأولى؟[2]. وكيف ينسخ الأمر الإلهى بأنه سيتعامل بمفرده مع المخالفين بآية السيف وترك الأمر للمؤمنين؟[3]. وكيف تنسخ الحكمة الإلهية بآية السيف؟[4]. وكيف ينسخ تفويض الرسول الأمر إلى الله بما فى ذلك أمره؟[5].

وإذا كانت النفس قيمة فى ذاتها بصرف النظر عن إيمانها فإن القصاص يقوم على أن النفس بالنفس بصرف النظر عن جنسها. ذكرا أم أنثى، أم وضعها الاجتماعى حرا أم عبدا. لذلك تكون آية ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ ناسخة لآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾[6]. تعضد ذلك آيات وأحاديث أخرى مثل وقوف الرسول احتراما لجنازة يهودى دون أن يأبه لاعتراض من حوله بأنه يهودى وقوله «أليست نفسا؟» وهو ما يساعد اليوم جماعات حقوق الإنسان وجماعات المرأة دفاعا عن المساواة المطلقة بين البشر بصرف النظر عن الجنس والدين. وفى القصاص نسخ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى إلى القصاص من النفس بصرف النظر عن الوضع الاجتماعى أو الجنسى أو الدينى أقرب إلى المساواة بين البشر[7]. حتى ولو كان الناسخ فى نطاق أحكام التوراة لأن الإسلام تال لها ومؤكد لأحكامها.

---

(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)، السابق ص٧٨.

(١) ولذلك آية (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص٧٨.

(٢) الأولى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) الثانية (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ)، السابق ص٧٩-٨٠.

(٣) لذلك ليست آية (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) منسوخة بآية السيف، السابق ص٩٧.

(٤) لذلك تظل آية (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص١٠١.

(٥) لذلك تظل آية (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)، غير منسوخة.

(٦) ابن سلامة ص٥٦-٥٨.

(٧) لذلك آية (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى)، منسوخة بآية (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ)، وأيضا بآية (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)، ويؤكده حديث «أنا أحق من وفى بعهده» ابن سلامة ص١٥-١٦.

## ٢- الرحمة والعدل:

والاستغفار للمنافقين حكم باق بآية. ولا ينسخ بحكم ثان بآية. ويؤكد الحديث الحكم الأول[١]. فالحكم إنسانى وإن تعارض مع الحكم الإلهى المتعارض مع حكم آخر فالأولوية للحكم الإنسانى المتفق مع الحكم الإلهى. وجزاء القتل العمد جهنم منسوخ بالعفو والتعويض[٢]. والخوف من العذاب منسوخ بالمغفرة[٣]. وقد يأتى العذاب بناء على الطلب ناسخا للرحمة[٤]. وإذا كانت الرحمة سابقة على العدل عند الأشاعرة فإن آية (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)، تكون ناسخة لآية (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ)[٥]. وإذا كان العفو والصفح لهما الأولوية على العقاب فإن آية (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)، تكون ناسخة لآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[٦].

وكيف يمد الله فى ضلالة قوم، وهو نقيض رحمته، ثم يقتلون؟[٧]. وكيف تكون الدعوة إلى الاستقامة وعدم اتباع الأهواء، والاعتراف بالإيمان بما أنزل الله من كتب محكمة وباقى الآية منسوخة حتى (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا)، بآية السيف؟[٨].

وهناك مسار آخر من التوسيع إلى التضييق من عذاب المؤمنين ما دام الرسول

---

(١) الآية الأولى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)، والآية الثانية (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)، وحديث الرسول «لأزيدن على السبعين» وأيضا (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)، ابن سلامة ص٣٧-٣٨. وآية (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٤٧/ ٥٢.

(٢) آية (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا)، السابق ص٣٩.

(٣) آية (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)، منسوخة بآية (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)، السابق ص٤٤.

(٤) آية (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، منسوخة بآية (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ)، السابق ص٤٨.

(٥) السابق ص٤٣.

(٦) السابق ص٤٥-٤٦.

(٧) لذلك (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا)، ليست منسوخة بآية السيف، السابق ص٦٢.

(٨) آية (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)، وكذلك (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ)، محكمتان. وباقى الآية منسوخ حتى (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا)، السابق ص٧٩.

بينهم وما داموا يستغفرون. وهو ما يعطى الرسول شفاعة وما يقلل من شأن قانون الاستحقاق إلى التضييق. وهو الجزاء طبقا للأعمال بناء على المسئولية الفردية[1]. ولا يوجد تعارض بين أن يكون الجزاء من جنس الأعمال كقانون وضعى وقانون إلهى. فالشريعة وضعية. فالرغبة فى الدنيا والرغبة فى الآخرة رغبتان إنسانيتان وطريقان إلى الله[2]. وكيف ينسخ قانون الاستحقاق، الجزاء من جنس الأعمال، بآية السيف؟[3]. وكيف ينسخ سعى الإنسان والمسئولية الفردية لصالح الشفاعة والقرابة؟[4].

### ٣- التخفيف والإثقال:

والنسخ ليس على وجه العقوبة والتشديد بل على وجه اللين والتخفيف. فالرسالة للتبليغ قول ثقيل. والسبب فى التخفيف ضعف الإنسان[5]. والتخفيف فى حساب النفس من الأفعال الظاهرة والباطنة إلى الأفعال الظاهرة نفسها[6]. والتخفيف فى الشهادة من الشاهد الخارجى إلى الشهادة الباطنية والأمن الداخلى[7]. والتخفيف فى الشهادة على الزوجة الثانية من غياب الشهادة وهو ظلم للمرأة وافتراء عليها يوجب

---

(١) الآية ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، منسوخة بآية ﴿مَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾، ص٤٩.

(٢) لذلك آية ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾، ليست منسوخة بآية ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾، السابق ص٣٠/ ٥٥.

(٣) لذلك تظل آية ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾، وكذلك آية ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾، وآية ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، السابق ص٥٤-٥٥/ ٩٤، وأيضا ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾، لا تنسخها آية السيف، السابق ص٧٧.

(٤) الأولى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، والثانية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، السابق ص٨٧.

(٥) الأولى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، والثانية ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، ابن سلامة ص٩٦.

(٦) المنسوخ ﴿للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾، والناسخ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، و﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وكذلك حديث «إن الله تعالى تجاوز لأمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، ابن سلامة ص٢٧-٢٨.

(٧) المنسوخ ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾، والناسخ ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾، السابق ص٢٧.

الحد إلى شهادة أربعة عليه أنه من الصادقين[1].

ويتم النسخ من الأثقل إلى الأخف فى التهجد ليلا من النصف إلى الثلث إلى نصف الثلث[2]. ومثل نسخ الامتناع عن معاشرة النساء طوال شهر رمضان إلى الامتناع فقط أثناء النهار أثناء الصيام دون الليل من الإفطار إلى السحور[3]. وكذلك إطعام المسكين فى حالة الإفطار فى حالة الضرورة وليس على الخيار[4]. ومن علامات التخفيف منع الضرر وعدم جواز تكليف ما لا يطاق[5]. وكذلك يُنسخ تحريم نكاح الكتابيات لأن الحب أقوى من الدين. لا يعرف فروقا طبقية أو عرقية أو دينية أو طائفية[6]. والسؤال هو: لماذا يكون ذلك فقط للكتابيين وتحليل نكاح المؤمنات دون المشركين؟ ولماذا تحليل الطعام دون النكاح؟ والحج فريضة على القادرين دون غير القادرين[7]. ويكون التخفيف على الرسول من تحريم نكاح الأرامل إلى تحليله[8].

تخفيف عقاب البكرين الزانيين من الأذى، التعيير والشتم إلى الجلد[9]. فهل يجوز

---

(١) المنسوخ (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ)، الناسخ (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)، السابق ص٦٨-٦٩ (أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ)، السابق ص٩٣.

(٢) وهى آيات (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)، ابن سلامة ص٩٦.

(٣) والآيات الناسخة (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)... (فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ)، و(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا)... (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)، ابن سلامة ص١٨.

(٤) وهى آية (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ)، (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)، السابق ص١٨-١٩.

(٥) لذلك تعتبر آية (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) منسوخة آية (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ... فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)، بعد أن علم الرسول أن الهوام تؤذى رأس كعب بن حجرة، السابق ص١٩-٢٠.

(٦) لذلك نسخت آية (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ)، بآية (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ)، و(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ)، السابق ص٢٤.

(٧) الغرض فى آية (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)، والتخفيف فى (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). والسبيل هو الزاد والراحة أى المال والصحة طبقًا للحديث السابق ص٢٩.

(٨) التحريم فى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ)، منسوخة بآية التحليل (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ)، ابن سلامة ص٢٦.

(٩) الآية المنسوخة (وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا)، والناسخ (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ)، ابن سلامة ص٣٣.

الآن التعبير مرة ثانية من الجلد إلى الحبس، ومرة ثالثة من الحبس إلى الغرامة لمساعدة المتزوجين حديثا ولا يجدون سكنا؟ وقد يمكن التحول فيها بعد من العقوبات البدنية إلى الإحساس بالذنب وتأنيب الضمير إلى العقوبات الأخلاقية. وماذا يكون الحال لو تم ذلك برضا الطرفين وسعادتهما حينئذ هل يكون عقابا أم فرحا؟. وقد يكون النسخ لعادة وليس لنص مثل معاقبة الزانية طبقا للعادة العربية بحبسها فى المنزل حتى الموت إلى إثبات الزنى بأربعة شهود ثم الجلد أو التغريب أو الرجم للثيب. وهى اختيارات فى الآية. والحديث ليس ناسخا بل مفصلا ومبينا طرق الاختيار[1].

ونسخ الإرضاع بحولين كاملين بالتراضى والتشاور تخفيف. فحياة المرأة أهم من الولد[2]. وكذلك نسخ الحول للأرملة بأربعة أشهر قبل الزواج من جديد. وأيضا تخفيف النفقة على الرجل بالربع والثمن. وقد وقع التخفيف فى الحكم على أكل أموال اليتامى ظلما بالعذاب فى نار جهنم بالمخالطة والإصلاح والأكل بالمعروف للأوصياء الفقراء[3]. ومسار النسخ فى الإنفاق من الامتناع عن الأمر بذلك خشية الرفض بخلا وضغينة على الفقراء إلى الدعوة إليه فى سبيل الله[4]. وكذلك التحول من دعوة من لا يستمع ورفع اللوم عن ذلك إلى الدعوة إلى التذكير لأنه ينفع المؤمنين[5].

ومسار النسخ التحول من التصدق فى كل مرة يُسأل فيها الرسول حتى لا تكثر الأسئلة عن أشياء ويتم التضييق فى أحكامها إلى إلغاء هذا الشرط والاكتفاء بالصلاة

---

(١) وهى آية (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنكُمْ)... (أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا)، ابن سلامة ص٣٣.

(٢) نسخ الحولين فى آية (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)، بآية (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)، وكذلك نسخ آية (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)، بآية (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)، ابن سلامة ص٢٦-٢٧.

(٣) الآية المنسوخة (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا)، والناسخة (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ)... (وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)، ابن سلامة ص٣٢-٣٣.

(٤) الأول (وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ)، والثانى (هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ)، ابن سلامة ص٨٥.

(٥) الأولى (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ)، والثانية (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)، السابق ص٨٦.

والزكاة وطاعة الرسول[1].

والتخفيف فى القتال والاستنفار للجميع إلى استنفار البعض، من فرض العين إلى حد الكفاية[2]. ولما فهمت آية (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)، كما لا كيفا، وأن يقاتل كل مؤمن عشرة من الأعراب، ثم تخفيفها (الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا)[3]. وكذلك الإذن فى التخلف من منعه على الإطلاق إلى السماح به[4].

وقد يكون التخفيف من عدم قبول المهاجرات إلى الرسول بناء على اتفاق مع الطرف الآخر إلى قبولهن بعد امتحان إيمانهن وفصلهن عن أزواجهن ورد مهرهن إليهم وإعادة تزويجهن من المؤمنين بمهور جديدة[5]. وقد يكون التخفيف للرسول من الخوف من العذاب فى حالة العصيان إلى غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر لأنها حالة مثالية فريدة[6]. وقد يكو ن التخفيف له من تحريم النساء إلى تحليلهن[7].

ومن أسباب النسخ التوسيع وليس التضييق، الاختيار بين حكمين وليس التحديد

---

(١) الأولى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، والثانية (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)، السابق ص٩٠.

(٢) فرض العين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا)، وفرض الكفاية (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً)، ابن سلامة ص٣٨/ ٥٢.

(٣) السابق ص٤٩.

(٤) المنسوخة (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، والناسخة (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، السابق ص٥٢.

(٥) الآية الناسخة هى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، والمنسوخة (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، ابن سلامة ص٩١-٩٢.

(٦) المنسوخ (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)، الناسخ (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)، ابن سلامة ص٥٣/ ٧٧.

(٧) التحريم فى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ)، والتحليل فى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ)، السابق ص٧٤-٧٥.

بحكم واحد[1]. والشهادة لذوى العدل بصر ف النظر عن دينه[2]. وتحريم تناول طعام أهل الكتاب منسوخ بتحليله[3]. وقد يكون مسار النسخ من التشدد فى تصور الإنسان ووصفه بأنه ظلوم كفار إلى رؤية أكثر اعتدالا إلا فى بيان قدر الإنسان وقيمته[4].

ويعبر النسخ عن التحول من المثالية إلى الواقعية كما هو الحال فى تقنين الغنائم. نزلت آية (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)، بعد سؤال (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ)، وهى رؤية مثالية أن تكون الغنائم كلها لله وللرسول دون المجاهدين. ولما رأى الرسول قلة عددهم فى غزوة بدر قرر أن تكون الغنائم كلها لهم «من قتل قتيلا فله سلبه» و«من أسر أسيره فله فداؤه». وهى واقعية متناهية على الطرف الآخر. فلما وقعت غزوة بدر وكانت الغنائم أقل من عدد المجاهدين نزلت آية ثانية (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ)، وتوزيع أربعة الأخماس على المجاهدين جمعا بين المثالية والواقعية. وعيب هذه الرواية نسخ حديث للقرآن، ولا ينسخ القرآن إلا قرآن مثله، ولا الحديث إلا حديث مثله أو قرآن أقوى منه. ومع ذلك قد تكون مقبولة لأن القرآن نسخ الحديث أخيرا بعد نسخ القرآن[5]. ويدل النسخ على التحول من المثال إلى الواقع، ومما ينبغى أن يكون إلى ما هو كائن مثل التحرج من مؤاكلة الأعمى والأعرج ثم توضيح ذلك فيما بعد[6].

ويقوم النسخ على التدرج فى التغيير كما هو الحال فى الخمر ببيان حسن مذاقه والرزق

---

(١) لذلك تظل آية (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ)، غير منسوخة بآية (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)، ابن سلامة ص٤١-٤٢ .

(٢) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ)... (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)، ناسخ (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) منسوخ، (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا)... (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ) منسوخ. (فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) ناسخ، السابق ص٤٢-٤٣.

(٣) (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، منسوخ بآية (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ)، السابق ص٤٦.

(٤) المنسوخ (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) والناسخ (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)، ابن سلامة ص٥٧-٥٨ .

(٥) السابق ص٤٨-٤٩، والآية الناسخة (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ)، السابق ص٩٠.

(٦) هى آية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) ثم أتبعتها بآيات (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ)، (وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ) (وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ)، ابن سلامة ص٣٦.

منه ثم الأمر والنهى ببيان المنفعة والضرر وغلب الضرر ثم بالنهى عنها وقت الصلاة فحسب وأخيرا منع الاقتراب منها. لم يرد التحريم بلفظه بل بالتساؤل استهجانا عن وقت الانتهاء منها، وكيفية الصبر عليها، واتباعها وصفها بالفواحش والبغى[1].

ومسار النسخ هو مسار التاريخ، والتحول من كثرة المؤمنين الأولين وقلة الآخرين إلى كثرة المؤمنين الأولين وكثرة المؤمنين الآخرين. فالإيمان فى تزايد. والرسالة فى توسع[2]. فالتدرج مدعاة إلى الأمل، والثقة فى المستقبل.

ونادرا ما يكون من الأخف إلى الأثقل مثل السماح بمتعة النساء فى السفر ثم تحريم ذلك فيما بعد، وقد كان التحليل فى القرآن بشرط أداء الأجر. وهو ما أكده الحديث. ثم جاء التحريم فى حديث من الرسول وليس من الله ولو أن الحديث يجعل التحريم من الرسول ومن الله[3]. ثم جاء التحريم فى القرآن إلا على الأزواج أو ما ملكت الأيمان. وما ملكت الأيمان متوقف على القدرة على الشراء. ولا فرق بين الإيجار والشراء إلا فى الطبقة الاجتماعية، الإيجار للفقراء، والشراء للأغنياء.

٤- عدم تكليف ما لا يطاق:

وقد يكون الدافع على التحول من الأثقل إلى الأخف هو عدم تكليف ما لا يطاق، إذا كان الإسلام دينا واقعيا يمتنع فيه تكليف ما لا يطاق، فإن آية (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

---

(١) الآية الأولى (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا)، والثانية (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)، والثالثة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)، والرابعة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)، وعبارات الاستهجان فى آيات مثل (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)، (أَتَصْبِرُونَ)، (أَلاَ تَتَّقُونَ)، (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)، ابن سلامة ص٢٠-٢٣/ ٣٧/ ٥٩.

(٢) الأولى (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ)، الثانية (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ)، ابن سلامة ص٨٩.

(٣) آية التحليل (مَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً)، وحديث «استمتعوا من هؤلاء النساء» بعد أن شكا إليه المسلمون العزبة. ولما نزل خيبر حرم ذلك مع أكل لحم الحمير الأهلية «إنى كنت أحللت لكم هذه المتعة ألا وأن الله ورسوله قد حرمها عليكم فيبلغ الشاهد منكم الغائب» والتحريم فى آية (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)، ابن سلامة ص٣٥-٣٦.

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)، تعتبر ناسخة[1]. وتكون آية (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) تكون ناسخة لآية (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)[2]. وتكون آية (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) ناسخة لآية (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ)[3]. والتقوى قدر الاستطاعة، والجهاد على قدر المقدرة[4].

### ٥- الإنفاق والزكاة:

وإذا كان الإسلام دين الأخوة والمؤاخاة فإن آية (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ)، تكون ناسخة لآية (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ)[5]. والإنفاق فى المال غير الزكاة بناء على حديث «فى المال حق غير الزكاة»[6]. ومن ثم لا تنسخ آية الزكاة باقى أوجه الإنفاق. والقرابة أساس الميراث، فقد تم نسخ الميراث التعاقدى الذى ينص على أنه فى حالة الوفاة يأخذ هذا القدر من المال بين المتعاقدين. فإن لم يتم التعيين يؤخذ السدس. وتم نسخ ذلك كله بالقرابة (أُولُو الْأَرْحَامِ)[7]. كان الميراث بالهجرة ثم نسخ إلى الميراث بالنسبة[8]. وقد يكون التخفيف فى اكتناز الذهب والفضة دون إنفاقها فى سبيل الله وما ينتج عنها من عذاب أليم بآية الزكاة. الأول حكم أخلاقى والثانى حكم

---

(١) ابن سلامة ص٦٢-٦٥.

(٢) السابق ص٦٤-٧٠.

(٣) السابق ص٩٦-١٠٣.

(٤) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) وأكدتها آية (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) ثم خففت بآية (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)، السابق ص٣٠/ ٦٧/ ٩٣.

(٥) ابن الجوزى ص١٤٢-١٤٤.

(٦) ومن ثم كانت آية (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)، ليست منسوخة بآية الزكاة، وكذلك آية (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)، وآية (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ)، ابن سلامة ص١١/ ٢٠/ ٢٣-٢٤، وآية (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)، وكذلك (خُذِ الْعَفْوَ)، غير منسوخة بآية الزكاة، السابق ص٤٧ وكذلك آية (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)، ليست منسوخة بآية الزكاة، السابق ص٨٦.

(٧) (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) منسوخة بآية (أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ)، ابن سلامة ص٣٦-٣٧.

(٨) الآية الأولى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)، (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)، ثم نسخ ذلك بآية (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)، السابق ص٥٠.

تشريعي اجتماعي اقتصادى. الأول ليقظة الشعور والثانى للتقنين، وإذا عاد الناس اليوم إلى اكتناز الذهب والفضة وأثروا على حساب الفقراء فهل يعود الحكم الأول؟[1].

٦- حرية الإيمان:

وإذا كان الإسلام هداية يقوم على حرية الإيمان فإن آية (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، وآية (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)، لا تعتبران منسوختان لأنهما تعبران عن روح الإسلام مثل (قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ). وتكون آيات مثل (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)، (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)، ناسخة لغيرها من آيات التخصيص[2]. والشق على قلوب الناس لمعرفة صدق نواياهم لا يُنسخ بآية السيف[3]. فالعبادة فعل حر[4]. وإذا كان الإسلام يعترف بحرية الأديان فإن آية (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) تعتبر ناسخة لآيات تخصيص دين واحد[5]. ويظل عدم الإكراه فى الدين قائما لا تنسخه آية السيف[6]. ويستطيع المؤمن أن يكفر بعد إيمانه، يضل بعد أن اهتدى، ويعود إلى الإيمان بعد الكفر إلى الهداية بعد الضلال[7]. وينسى فعل الكفر ولا يبقى إلا فعل الإيمان وهو ما يسمى بالتوبة. فالتوبة تنهى القتال[8]. وكيف ينسخ عدم الإكراه فى الدين؟[9]. وكيف ينسخ عدم سيطرة الرسول على الاختيار بين الإيمان والكفر؟[10]. والإسلام اختيار حر من

---

(١) السابق ص٥١.

(٢) السابق ص١٤٩-١٥١/ ١٨٠-١٨١.

(٣) آية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ)، (وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا) غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٤٠-٤١.

(٤) وكذلك آية (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص٧٧.

(٥) ابن الجوزى ص٩٢-٩٤.

(٦) ابن سلامة ص٢٧.

(٧) وهي آية (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ)، (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ)، السابق ص٢٩.

(٨) (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ)، السابق ص٥١.

(٩) لذلك تظل آية (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وكذلك آية (وما أنت عليهم بجبار)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٥٤/ ٦٠.

(١٠) لذلك تظل آية (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص١٠٠.

الناس دون إكراه، حرية الرفض قبل حرية القبول[1]. وطاعة الرسول طاعة لله. والإنسان حر فى أن يعصى ويتولى. وليس لأحد عليه سلطة[2]. والإعراض عن المخالفين ليس منسوخا[3]. والميثاق بين المسلمين والمخالفين باق لم تنسخه آية السيف[4]. والقتال فى سبيل الله تكليف للرسول لا تنسخه آية السيف[5]. وترك الآخرين وشأنه لا تنسخه آية السيف[6]. وترك المعادين وشأنهم لا ينسخ بالتبرؤ منهم[7].

ويظل الإنسان مسئولا عن نفسه وليس عن الآخرين. وجعل نفسه مسئولا عنهم باسم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد يكون فيه اعتداء على حرياتهم كما يحدث من جماعة تحمل هذا الاسم هذه الأيام. ونسخ الآية لا يكون بحديث[8]. وكيف ينسخ الوعي الذاتى والمسئولية الفردية؟[9]. ولا ينسخ الاهتداء الذاتى أو الإنذار من الضلال لصالح القتال وآية السيف[10].

---

(١) لذلك لا تعتبر آية (فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا)، محكمة فقط بل أيضا آية (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، منسوخة بآية السيف، ابن سلامة ص٢٩.

(٢) الحكم الأول (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)، والثانى (وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)، غير منسوختين بآية السيف، السابق ص٣٨.

(٣) آية (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ)، ليس منسوخا بآية (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)، أو بآية السيف، السابق ص٣٨.

(٤) وهى آية (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ)، (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)، وهى غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٣٨.

(٥) وهى آية (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ)، السابق ص٣٨.

(٦) (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ)، السابق ص٣٨.

(٧) آية (فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)... (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)، غير منسوخة بآية (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) السابق ص٣٩.

(٨) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)، غير منسوخة بحديث «والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليعذبكم الله بعقابه أو تدعون فلا يجاب لكم»، ابن سلامة ص٤٢. وآية (فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)، وكذلك آية (وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)، غير منسوختين بآية السيف السابق ص٤٥/ ٧٩، وآية (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٤٧

(٩) لذلك تظل آية (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) وكذلك آية (وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)، غير منسوختين بآية السيف، السابق ص٥٤/ ٧٢/ ٧٨.

(١٠) (وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ)، وآية (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)، السابق ص٧٢-٧٣. وأيضا (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص٧٥.

وترك الذين يتخذون الدين لعبا ولهوا غير منسوخ بالقتال. فكل إنسان مسئول عن نفسه[1]. وعدم سب الذين يدعون من دون الله حتى لا يسبوا الله بغير علم غير منسوخ بآية السيف[2]. وكذلك ترك افتراءات الناس والانتظار، وعمل كل إنسان قدر استطاعته، كل ذلك غير منسوخ بآية السيف[3]. وترك أذى المخالفين وعدم طاعتهم لا تنسخه آية السيف[4]. والمكذبون بالرسالة أحرار، وليس الرسول وكيلا عنهم. لا تنسخ حرياتهم آية السيف[5]. وكيف تنسخ حرية الاختيار بين الإيمان والكفر لصالح المشيئة الإلهية، وبالتالى تنعدم المسئولية، ويتوقف قانون الاستحقاق؟[6]. ولم نسخ خلق الأفعال وحرية الاختيار إلى الجبرية؟[7]. وقد يكون النسخ إيثارا للداخل على الخارج، ولأفعال القلوب على أفعال الجوارح بلغة الصوفية، وبالنية على اللسان. فالصلاة بالقلب وليست تمتمة بالشفتين. يسمع المصلى صوت قلبه ولا يسمع الآخرون صوته[8].

### ٧- التعددية الفكرية:

التعددية فى الإسلام أصل. وأهل الكتاب تعبير عنها[9]. الإسلام كآخر الأديان لا يعنى الإسلام بالمعنى الحرفى بل بالمعنى المجازى وهو إسلام الوجه لله. والوحى كله

---

(١) آية (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا)، (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)، غير منسوختين بآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)، السابق ص٤٥.

(٢) وهى آية (لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)، السابق ص٤٥-٤٦.

(٣) وهى آيات (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)، (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ)... (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)، (قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)، (وَأُمْلِي لَهُمْ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٤٥-٤٦.

(٤) (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٧٤.

(٥) (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ)، (لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)، آيتان لا تنسخهما آية السيف، السابق ص٤٤.

(٦) لذلك تظل آية (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)، غير منسوخة بآية (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ)، السابق ص٦١.

(٧) الأولى (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا)، والثانية (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)، السابق ص٩٦/٩٨ وأيضا (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)، لا تنسخ بآية (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)، السابق ص٩٩.

(٨) لذلك نسخت آية (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)، بآية (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً)، السابق ص٦١.

(٩) لذلك كانت آية (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) ليست منسوخة بآية (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا)، السابق: الناسخ والمنسوخ ص١١. وليست آية (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)، بآية السيف، السابق ص١٤.

من عند الله بصرف النظر عن مراحله[1]. وكيف ينسخ التاريخ[2]. وإذا كان الإسلام يعترف بالديانات السابقة اليهودية والمسيحية فإن آية ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، لا تعتبر ناسخة لآيات التعددية الدينية مثل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾[3].

وهل الحوار مع المخالفين منسوخ بآية السيف وهو ما يناقض روح القرآن؟[4]. وكيف يكون الصفح الجميل منسوخا بآية السيف؟[5]. وحزن الرسول على المخالفين عاطفة إنسانية لا تنسخها آية السيف. وكيف تنسخ المغفرة للذين لا يرجون أيام الله من الذين آمنوا بآية السيف؟[6]. وهل الله أكثر قسوة على المشركين من الرسول الذى أصر على الاستغفار لهم أكثر من سبعين مرة؟[7]. وكيف ينسخ الهجر الجميل بالقتال؟ وأيهما أقسى على النفس الهجر أم القتل[8].

وكيف ينسخ الصبر بآية السيف؟[9]. ولماذا عدم العجلة على غير المؤمنين منسوخ بآية السيف، وقتل المشركين[10]. وإذا كان الله هو الذى سيحكم بين الناس يوم القيامة

---

(١) آية ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، غير منسوخة بآية السيف ص٤٥.
(٢) لذلك تظل آية ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٥٤.
(٣) ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص٤٢.
(٤) لذلك فإن آية ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ غير منسوخة بآية السيف ابن سلامة ص٦٦-٦٧ وكذلك آية ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وأيضا ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، السابق ص٧٩.
(٥) لذلك تظل آيات ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٥٨/ ٨١.
(٦) ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٧٥.
(٧) وهي آية ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، السابق ص٨٢، وآية ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، السابق ص٩٣.
(٨) لذلك لا تنسخ آية ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ بآية السيف، السابق ص٩٦.
(٩) لذلك تظل آيات ﴿اصْبِرْ﴾، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، غير منسوخة بآية السيف، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، السابق ص٦٠/ ٦٤/ ٧٤/ ٨٦/ ٨٧/ ٩٤/ ٩٥/ ٩٧.
(١٠) كذلك ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾، ليست منسوخة بآية السيف، السابق ص٦٢.

فلم الاستعجال فى قتالهم[1].

وتربص كل فريق بالفريق الآخر لا تنسخه آية السيف لأن التربص حذر وحيطة وانتظار وليس قتالا[2]. والانتظار للكدح فى الحياة لا تنسخه آية السيف[3]. ولماذا لا تنسخ إمهال الكافرين الوقت لإعادة النظر بآية السيف[4].

وكيف تنسخ آية الحياة الطبيعية، الطعام والشراب والمتعة بآية السيف والقتل والموت؟[5]. ولم يُنسخ ترك المخالفين يخوضون ويلعبون حتى يلاقوا ربهم فيحاسبهم وهو تطبيق لقانون الاستحقاق وذلك بأية السيف؟[6]. وكيف يسلك المسلمون سلوكا إنسانيا طبيعيا وإطعام المسكين واليتيم والأسير ثم ينسخ ذلك السلوك بآية السيف؟ وهل المسلمون أكثر رحمة بالمخالفين من الوحى؟[7]. ولماذا التفرقة بين الأسير المؤمن والأسير المشرك والأسر واحد؟

وإذا كان الإسلام دين السلام فإن آية (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) تكون ناسخة لآيات القتال مثل (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[8]. وإذا كان الإسلام دين السلام فإن آية (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)، لا تكون منسوخة بآيات السيف والقتال[9].

---

(١) لذلك آية (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) غير منسوخة بآية السيف، ابن سلامة ص٧٧.

(٢) لذلك فإن آية (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا)، وآية (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ)، ليست منسوختين بآية السيف، السابق ص٦٤/٨٧.

(٣) لذلك تظل آية (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)، وآية (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ)، غير منسوختين بآية السيف، السابق ص٧٦.

(٤) لذلك تظل آية (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا)، غير بآية السيف، السابق ص٩٩.

(٥) لذلك تظل آية (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا)، وكذلك آية (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ) غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٥٨.

(٦) وهى آية (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)، السابق ص٨٠/ ٩٥.

(٧) لذلك تظل آية (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) غير منسوخة، السابق ص٩٧.

(٨) السابق ص١٦٦-١٦٧.

(٩) مثل آيات (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)، (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)، (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)، السابق ص٧٠-٧٤.

والسلم قاعدة، والحرب هو الاستثناء، ومن ثم لا تنسخ الدعوة إلى السلم المتبادل بآية القتال[1]. فما معنى أن تنسخ آية السيف مائة وأربعا وعشرين آية؟ ألهذا الحد القتال هو الكلمة الفصل؟ وماذا عن الدعوة بالحق، ولا إكراه فى الدين، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فيكفر؟ بل أن تعبير آية السيف تعبير مضاد لروح الإسلام وتأباه روح العصر. وقتال العدو مشروط بعدوانه[2]. وليس منسوخا بقتاله على الإطلاق وفى كل الأحوال[3]. وتحريم القتال فى الشهر الحرام ليس منسوخا بقتال المشركين على الإطلاق إلا فى حالة العدوان[4].

ولو أخر الكافرون المؤمنين فإن ذلك لا يوجب قتالهم بل منع أذاهم[5]. والجهاد فرض كابتلاء فى الأموال والأنفس، والصبر والتقوى من عزم الأمور. ولا يحتم ذلك قتال المخالفين فى الدين. والإعراض عن غير المؤمنين ووعظهم باق ولا ينسخه أمر بقتال[6]. والعفو عن غير المؤمنين والصفح عنهم غير منسوخ بقتالهم[7]. بل إن التعبير

(١) لذلك تظل آية (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)، محكمة غير منسوخة بآيتى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)... (وَهُمْ صَاغِرُونَ)، السابق ص ٤٩.

(٢) ومن ثم لا تعتبر (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)، منسوخة بآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، السابق ص١١-١٢. وكذلك آية (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا) ليست منسوخة بآيتى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)... (حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)، السابق ص١٢.

(٣) لذلك ليست آية (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ)... (وَلَا تَعْتَدُوا)، وآية (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) منسوخة بآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، وكذلك آية (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ)، وآية (فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ليست منسوختين، السابق ص١٩.

(٤) وهى آية (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ)، ليست منسوخة بآية (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، السابق ص٢٠.

(٥) لذلك تظل آية (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى) غير منسوخة بآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)، السابق ص٣٠.

(٦) لذلك تظل آية (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)... (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)، غير منسوخة بآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)، ابن سلامة ص٣٠-٣١.

(٧) وهى آية (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ)، وكذلك (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ)، السابق ص٣٧/ ٥٨/ ٦٧/ ٧٤/ ٨٠/ ٨٧/ ٨٨، السابق ص٣٧/ وكذلك آية (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)، (فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ)، وأيضا (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ)، (فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ)، (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)، (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ).

نفسه بإجبارهم على إعطاء الجزية غير متفق مع مؤاخاة أهل الكتاب. وإن تولى غير المؤمنين فكل فريق يتحمل اختياره. ولا ينسخ بآية السيف لأن الاختيار حر، الإيمان أو عدم الإيمان[1].

وكيف تخرق المعاهدات بين المسلمين وغيرهم وأولاد العمومة وكلهم عرب يحافظون على العهد ويرعون المواثيق وتصبح منسوخة بآية السيف؟[2]. وتعقد معاهدة بين الرسول والمشركين وعدم رد المؤمنات المهاجرات ثم تنسخ بجواز ردهن وفصلهن عن أزواجهم ورد مهورهن وإعادة تزويجهن من المؤمنين بمهور جديدة . وكيف ينسخ ذلك بالقتال وينقض الرسول والمسلمون عهدهم؟[3].

وكيف ينتهى القتال فى الأشهر الحرم الأربعة وهى استراحة المحاربين لتأليف القلوب وتحقيق «الموادعة» أى«التهدئة» بلغة هذه الأيام لصالح القتال الدائم فيتحول من وسيلة إلى غاية؟[4]. وكيف ينسخ حكم الله بين البشر لصالح آية السيف؟[5]. وكيف يتوقف سبب القتال ضد الكفار وتنتهى مبرراته، ومع ذلك يظل القتال قائما بلا سبب؟[6]. وكيف ينسخ التوقف عن القتال إذا ما توقف الطرف الآخر عنه بآية السيف التى تجعل القتال غاية وليس وسيلة، مبدأ دائما وليس ظرفا مؤقتا؟[7]. وكيف يكون

---

(١) لذلك تبقى آية (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ)، وأيضا (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) لم تنسخها آية السيف، السابق ص٧٠.

(٢) لذلك تظل آية (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ)... (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ)، محكمة وليست منسوخة بآية السيف، السابق ص٥٠.

(٣) وهى آية (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، السابق ص٩٢.

(٤) لذلك تظل آية (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه)... (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ)، محكمة (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ)، غير مفسوخة بآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، السابق ص٥١.

(٥) لذلك تظل آية (وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٥٤.

(٦) لذلك تظل آية (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)، محكمة غير منسوخة، وأيضا آية (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)، غير منسوخة بآية (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)، السابق ص٥٠.

(٧) الأولى (لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ). والثانية (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ)، السابق ص٩١.

نزول آية من الله منسوخا بآية السيف؟ إلى هذا الحد يكون الحكم للسيف؟[1]. وكيف يكون الوحى نذيرا منسوخا بآية السيف؟ أليس التبليغ سابقا على القتال، الإسلام أو الجزية أو القتال؟[2]. وكيف تنسخ الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتى هى أحسن بآية السيف؟[3].

كان عصر التدوين عصر فتوحات وقتال. والآن العصر عصر جهاد وسلام لدرء العدوان «وسلام الشجعان».

---

(١) وهى آية (لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّه)، ... (مِنَ الْمُنتَظِرِينَ)، السابق ص٥٣، والأصدق الشاعر:
السيف أصدق أنباء من الكتب ∴ فى حده الحد بين الجد واللعب.

(٢) لذلك تظل آية (إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) غير منسوخة، وكذلك (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)، السابق ص٥٥/ ٥٩/ ٦٦/ ٧٣، وكذلك (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ)، وأيضا (وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ)، (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ)، وكذلك (إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ)، وأيضا (إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ)، وأيضا (إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص٧٥.

(٣) لذلك آية (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص٦٠، وآية (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) ليست منسوخة بآية السيف، السابق ص٦٢، وأيضا آية (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ) ليست منسوخة بآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)... (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)، السابق ص٧٣.

# الباب الثانى

---

# الحوامل الموضوعية الذاتية

## (الرواية)

# الفصل الأول

# الخبر

## ١ - الرواية والخبر:

تعنى الحوامل الموضوعية الذاتية الحوامل التى تجمع بين الموضوع وهو المحمول والذات أى الجانب الشعورى الذاتى وهى الرواية. فالوحى رواية وخبر وإخبار وإعلان. والرواية قص إنسانى. الرواية سماع بالأذن، وحفظ بالذاكرة، وأداء باللسان. والخبر توجه من المتكلم إلى السامع، ومن المعطى إلى المتلقى، ومن الرسول إلى المرسل إليه أو إليهم. الوحى فى حاجة إلى وسيط بشرى للتبليغ. هو رسالة مباشرة للرسول وحده. يتم تبليغها بعد ذلك بالوسائط البشرية. فالوحى ليس فرديًا، يتكرر لكل فرد. بل هو إبلاغ لفرد واحد هو الرسول. وهو الذى يقوم بعد ذلك بإبلاغ الناس عن طريق الرواة. لذلك وضعه علماء أصول الفقه تحت عنوان «الأخبار»[1].

وأول الحوامل الموضوعية الذاتية الخبر الذى به تقرير عن واقع من خلال رواية الذات. فالخبر هو الإخبار. والحدث هو روايته. الرواية أكبر من الخبر. الرواية كل، والخبر جزء. الرواية بها سند ومتن كما هو الحال فى علم الحديث، فى حين أن الخبر هو مجرد المتن والإعلان والرسالة. لا شىء يقع فى الخارج إن لم تتم رؤيته فى الذات، إدراكا بالسماع. فالوحى صوت وليس رؤية. يستحيل الوحى رؤية لأن الحقائق لا تُرى بل تبلّغ. وإذا تجلى الحق للجبل فإنه يدك وينهار. الوحى رؤية يكون أقرب إلى الشىء وكما

---

(١) من النص إلى الواقع جـ٢، بنية النص ص١٦٧ - ١٩٠م.

تجلى ذلك فى عبادة الأصنام، وتصور الله شمسًا أو قمرًا أو برقًا أو رعدًا أو نهرًا كأحد مظاهر الطبيعة أو صنعًا إنسانيًا عن طريق الإبداع الفنى، وإعادة خلق الطبيعة فى تمثال أو صنم أو معبد. الوحى أقرب إلى السمع منه إلى البصر، وإلى الشعر والموسيقى منه إلى الفنون التشكيلية. لذلك تغنى المؤلفون لله فى المعابد. وأصبح الإنشاد الدينى والموسيقى الدينية أحد مظاهر التعبير عن الإيمان. فالمسافة بين الدين والفن ليست بعيدة. كلاهما يقوم على إعادة التمثل للحق. لذلك لاحظ عديد من الفلاسفة الرومانسيين أن الفنون السمعية أقرب إلى القلب من الفنون البصرية[1].

## ٢- من الأسانيد إلى المتون:

يركز القدماء على الأسانيد دون المتون. فصحة الخبر فى سنده وليست فى متنه أى فى سلامة النقل وليست فى صدق المنقول[2]. فهناك العالى والنازل من الأسانيد. العالى الواصل إلى الرسول، والنازل هو البعيد عنه[3]. الأول هو المتصل، والثانى هو المنفصل. فلا فرق فى الخبر بين نقل القرآن ونقل الحديث. وعلو الإسناد دليل على صحة الحديث لقربه من الرسول أو من إمام من أئمة الحديث أو إلى أحد الكتب الستة بالموافقات والإبدال والمساواة والمصافحات. الموافقة مع أحد أصحاب الكتب. والبدل الاتفاق مع شيخ الشيخ، والمساواة وجود أحد أصحاب الكتب بين الراوى والنبى. والمصافحة كثرة العدد بواحد وكأنه قد تمت مصافحته. وقد يكون العلو تقدم وفاة الشيخ عن قرينه أو وفاة الشيخ دون التفات إلى آخر.

أما النزول فلا دليل على صحته. فليس رجاله أعلم أو أحفظ أو أتقن أو أجل أو أشهر أو أروع من العلو. ومن ثم صدق المحمول فى صحة النقل أى فى سلامة الحامل دون النظر فى صدق المحمول فى ذاته ومدى اتفاقه مع العقل والواقع. وهما الركيزتان الرئيسيتان، والعنصران المكونان للوحى[4].

---

(١) الفنون البصرية أم السمعية، أيها أقرب إلى الذوق العربى؟ حصار الزمن، مركز الكتاب العربى للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٢٦٥- ٢٩٤.

(٢) من نقد السند إلى نقد المتن، حصار الزمن، جـ٣، علوم ص١٥٣٠ ١٦٥.

(٣) الإتقان جـ١/ ص٢٠٧- ٢٠٩.

(٤) الوحى والعقل والطبيعة، قراءة فى كتاب «القانون فى الطب» لابن سينا، حصار الزمن جـ٣ علوم ص٥٣٩- ٥٨٥.

والعالى والنازل صورتان رأسيتان للوحى حتى ولو كان مبلغا من الرسول أفقيا للناس. فمازالت الصورة الشعبية المألوفة هو نزول الوحى من أعلى إلى أدنى. لذلك أصبح «التنزيل» مرادفا للوحى. وعلى أساس هذا التصور وضع مفهوم «أسباب النزول».

### ٣- أنواع الأسانيد والمتون:

ومثل علم مصطلح الحديث هناك المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج، ثلاثة فى السند وثلاثة فى المتن[١]. وبالرغم من أن علم القراءات متعلق بالنص الشفاهى إلا أنه يخضع أيضا لمنطق الرواية العامة. لا فرق بين النص الشفاهى والنص المدون.

المتواتر هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب. وهو نقل غالب القراءات. وهو أغلب النقل. وقد نقل عن عبد الله بن مسعود إنكار أن تكون المعوذتين من القرآن. مع أنهما متواترتان، وأنه كان يحكهما من المصحف، وأن الرسول أمر بالتعوذ بهما فقط. كما أنه أسقط الفاتحة لأنها وضعت حماية له بين دفتين. والمشهور ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر. ووافق العربية والرسم، النقل الشفاهى والمدون، القراءة والكتابة. والآحاد هو ما صح سنده وخالف العربية أو الرسم ولم يكن مشهورًا[٢]. أما فيما يتعلق بالمتن فالشاذ ما لم يصح سنده[٣]. والموضوع كقراءات الخزاعى[٤]. وهذا يدل على ارتباط النقل بالناقل سمعًا وحفظًا وأداء[٥]. والمدرج هو ما زيد فى القراءات للتفسير بغاية الإيضاح. وهى عملية لا شعورية، فالإيضاح جزء من نقل الذاكرة. ومع ذلك لا تجوز الرواية بالمعنى كما يحدث أحيانًا فى علم الحديث[٦].

---

(١) الإتقان جـ١/ ٢١٠- ٢٢١/ ٢١٥.

(٢) مثل قراءة «وعباقرى حسان»، «قرات أعين»، السابق ص٢١٥.

(٣) مثل «مالك يوم الدين»، «إياك يُعبد»، السابق ص٢١٦.

(٤) مثل قراءات الخزاعى، السابق ص٢١٦.

(٥) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص١٥٨ - ١٦٧.

(٦) مثل «وله أخ أو أخت من أم»، السابق ص٢١٦. وأيضا «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج»، «وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم».

### ٤- أنواع المنقول:

والمنقول ثلاثة أقسام. الأول قسم يقرأ به وهو ما نقله الثقات ووافق العربية وخط المصحف. فالنقل الخارجي الخاص بالسند مشروط بلغة المتن قراءة، وبخط المصحف كتابة. النقل ليس شرطًا مطلقًا للصحة لأنه خاص بالسند وحده في حين أن الصحة متعددة الجوانب في السند والمتن. والثاني صح نقله عن الآحاد. وصح في العربية، وخالف لفظه الخط. فيقبل ولا يقرأ به لمخالفته الإجماع. والآحاد يورث الظن وليس اليقين. ومن ثم كانت صحة النقل ظنية من حيث السند. وإذا صح الآحاد باتفاقه مع النطق أي مع القراءة دون موافقة الخط فإنه يقبل نظرا، ولا يقرأ به عملًا. وهو ما يستحيل عمليا فما هذا القرآن الذى ليس بقرآن؟. والثالث نقله غير ثقة ولا وجه له في العربية فلا يقبل وإن وافق الخط. هو قليل وهو ما يفتقد لشرط صحة السند، التواتر والآحاد، ولا يتفق مع القراءة الشفاهية وإن اتفق مع خط التدوين. فالخط أدنى درجات اليقين لأنه متعدد الجوانب والأشكال. ويختلف من مصر إلى مصر على ما هو معروف في علم الخطوط. والتنقيط والتشكيل إضافتان متأخرتان. وربما يضاف قسم رابع مردود وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة. وهى حالة افتراضية لأنه لا خفاء في النقل. فالسند هو الأساس والمتن هو الفرع. فأى خلل في السند لا يشفع له أى صحة في المتن. وفي الحالات الثلاث، أنواع المنقول كلها تتعلق بالسند والمتن من حيث هو شكل، قراءة وكتابة، وليس من حيث هو مضمون. المتن هنا امتداد للسند وليس مستقلا عنه. والمنقول ليس فقط سندا بل متنا، ليس فقط وسيلة بل أيضا غاية[1].

### ٥- القرآن متواتر بالسند:

القرآن متواتر في كله وأجزائه. والتواتر يورث اليقين. ويقين النقل سابق على يقين الفهم. والدواعى أى البلاغ والبيان تدفع نحو التواتر[2]. وإن لم يتواتر بعضه، سورة المعوذتين مثلا ،فإن شيوعهما وتداولهما والاستشهاد بهما، وتعضيد الحديث لهما يجعلهما

(١) الإتقان جـ١/ ٢١٣- ٢١٥.

(٢) البرهان جـ٢/ ص١٢٥- ١٢٨.

بمقام التواتر. وعدم نقلهما من البعض يقلل من شرط العدد، ولكن نقلهما من البعض الآخر يجعل العدد كافيًا. والآحاد يورث العلم الظنى والعمل اليقينى، وهو اليقين التداولى.

السؤال إذن:ألا يمكن إثبات صدق المحمول بصرف النظر عن صحة الحامل وهو التواتر؟ المحمول موضوع «متعال» فى حين أن الحامل جهد بشرى خالص ومنطق للنقل الشفاهى أو المدون. بهذه الطريقة يصبح المحمول مشروطا بالحامل. وهو ما يتنافى مع علاقة المشروط بالشارط فى الموضوعات المتعالية.

والتواتر فى النهاية اجتهادى بشرى ومنطق إنسانى واختراع منهجى. وهو شرط صحة القرآن. فصحة الحامل هنا شرط صحة المحمول وكأن المحمول ليس له صدق فى ذاته بصرف النظر عن حامله[1].

٦- الصدق الذاتى للمتن:

وقد استقر القرآن الآن فى النفوس والعقول والأذهان. ولم يعد أحد عمليا يشك فى صحة النقل. وإذا أراد القارئ أن يبين مهارته فى القراءة باستحداث بعض القراءات غير المتداولة فإنه يكون من جانب الأداء الفنى الذى يستحسنه البعض ويستهجنه البعض الآخر. ومن ثم كان الدخول فى المسائل التاريخية الصرفة وقت الرواية والأخبار والقراءة والتدوين من نافلة القول. والعجيب أن هذه المادة مازالت تدرس فى الجامعات والمعاهد الدينية كجزء من نقل التراث وتدريسه. الاستشراق وحده هو الذى يحاول بعث هذه الموضوعات لإثارة الشك حول الصحة التاريخية للروايات، أسوة بما تم فى باقى الكتب المقدسة بل وفى المدونات الإنسانية الكبرى مثل شعر هوميروس ثم الشعر الجاهلى بل فى كل الأعمال الإنسانية مثل أعمال شكسبير وإنكار مؤلفها. وكذلك يفعل بعض مدعى التجديد والمتأثرين بالاستشراق. وهو تجديد خارج المكان والزمان والتاريخ، مجرد فرقعات إعلامية تخطئ ولا تصيب، غايتها الإثارة والضجة. وتثبيتها تقوية الاتجاهات المحافظة وليس حركات التجديد وكما حدث فى قضية «الشعر

(١) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص١٥٠- ١٥٣.

الجاهلى» و«التصوير الفنى»، والدعوة إلى «الترتيب الزمانى»، وتاريخية النص القرآنى إذا ما وضع فى إطار تاريخ الأديان المقارن.

المهم هو صدق المتن وتطابقه مع التجربة الحية التى يشعر بها كل قارئ ومستمع. هو نوع من الوحى المباشر وكان القرآن قد أنزل على القارئ أو السامع فى التو واللحظة. فالقرآن مجموعة من التجارب الأولى التى يمكن أن تتكرر فى حياة البشر. الصدق هنا ليس عن طريق السند بل عن طريق المتن. وليس عن طريق اللغة، قراءة وكتابة، ولكن عن طريق الحدس المباشر. والصدق الذاتى. هو طريق عمر بن الخطاب محدث هذه الأمة. فلا فرق بين النزول والصعود، بين الوحى والواقع، بين كلام الله وكلام البشر، بين العلم الإلهى والعلم الإنسانى إلا فى درجة اليقين، وأشكال الصياغة، والنظرة الكلية الشاملة. فالصدق صدقان: صدق نازل، وصدق صاعد. واليقين يقينان:يقين تنزيل ويقين تأويل. والصحة صحتان:صحة تاريخية للسند، وصحة شعورية للمتن. وكما قال الصوفية «عن ربى عن قلبى أنه قال».

والتطابق مع التجربة الحية يحيل إلى تطابق آخر مع العقل. ويثير فى الذهن أفكارا وتصورات وبراهين. فالعقل والتجربة واجهتان لشىء واحد. العقل تصديق ثان للتجربة. يميز بين التجربة الحية والهوى بين الفطرة والانفعال، بين البداهة والميل. لذلك طلب إبراهيم البرهان ليس لكى يؤمن بل لكى يطمئن قلبه، والمزاوجة بين العقل والقلب. لذلك كان مطمح الفلاسفة الجمع بين الصدق العقلى والصدق التجريبى[1]. ولا يعنى العقلى الصدق الصورى، تطابق النتائج مع المقدمات، وتطابق الفكرة مع ذاتها بل تصديق العقل لمضمون التجربة الحية فى البداهة العقلية والفطرة الطبيعية. الصدق العقلى ذو مضمون. يتجه نحو الأشياء ذاتها وليس فقط وسائل معرفته وطرق روايته. فالحقيقة شىء وروايتها شىء آخر[2]. لذلك اعتنى الأدب والفلسفة المعاصرة فى الغرب بالسرد، والرواية، والقص، والزمان الداخلى، والسيرة الذاتية[3].

---

(١) وهو ما تجلى فى الفلسفى الغربية عند ديكارت وبيكون، مقدمة فى علم الاستغراب، ص٢٤٨- ٢٨٢.

(٢) هذا هو الفرق فى علوم الإعلام الغربية بين Truth، Truth-Telling.

(٣) أشهرها ثلاثية بول ريكير «الزمان والسرد». Temps et Récit.

والتطابق مع التجربة الحية والعقل هو أيضا تطابق مع الواقع. فالتجربة الحية هى موطن التقاء العقل بالواقع. العقل حدس معاش. والواقع تجربة معاشة[1]. فالعقل والواقع ركيزتا التجربة. يحمى التطابق مع الواقع الوحى من أن يصبح مجرد خطاب مغلق على ذاته. تكفيه اللغة كمكون رئيسى له. كما تحميه من أن يصبح مجرد تفريغ عن الكرب. وتفريغ للهم كما يحدث عند الدعاة الجدد وكأن وظيفة الوحى هو التطهير كما كانت وظيفة الفن عند بعض قدماء اليونان[2]. الواقع هو الواجهة الثانية للوحى.داخل فيه منذ الحوامل الموضوعية له:المكان والبيئة الاجتماعية والزمان. وهو الذى يسمح بالتحول من النظر إلى العمل، ومن القول إلى الفعل. الوحى يبدأ من الواقع صياغة وإليه يعود فاعلية وتأثيرًا. وقد نشأت تيارات معاصرة فى الغرب تجعل مهمة الفلسفة رؤية الواقع وليس الابتعاد عنه أو تغليفه بشبكة من التصورات أشبه بشبكة العنكبوت التى تعمى أكثر مما تكشف، وتخبئ أكثر مما تظهر[3].

تبغى روح العصر الصدق الذاتى، وهو الصدق المباشر وليست رواياته وصحته التاريخية. فقد يكون المتن صحيحا شعوريا والسند كاذب تاريخيا. وقد يكون السند صحيحا تاريخيا والمتن كاذب شعوريا. وفى هذه الحالة صدق المتن له الأولوية على صحة السند. وبالتالى تتحول علوم القرآن من علوم الرواية والخبر والسند إلى علوم الدراية والخبرة والمتن.

---

(١) الأصح معيش ومعيشة، ولكن معاش ومعاشة أصبحتا أكثر تداولاً وقبولا فى الآذان.

(٢) هو فيثاغورث.

(٣) وذلك مثل فلسفات مين دى بيران وبرجسون ووليم جيمس وهويتهيد ورافيسون. لذلك كتبنا كتابا عن «برجسون، فيلسوف الحياة» والذى كتب بدوره عن وليم جيمس وهويتهيد ورافيسون.

## الفصـــــل الثانى
## القـــــراءة

### ١-منطق النقل الشفاهى:

ووضع علم القراءات لضبط النقل الشفاهى بعد أن اتسعت الآفاق وتداخلت اللهجات[١]. وقد ارتبط بعلوم القرآن لأنه علم منطق النقل الشفاهى. كما ظهر علم القراءات كمنطق شفاهى للنص قبل التدوين والتنقيط والتشكيل والإعراب والخطوط. وهنا تأتى أهمية أبى الأسود الدؤلى فى التنقيط فى القرن الرابع. وقد يختلف النطقان، قراءتان لرسم واحد نظرا لأن التنقيط لم يظهر إلا متأخرا لضبط هذه الاختلافات[٢]. علم القراءات هو منطق النقل الشفاهى كما أن علم الحديث هو منطق النقل الكتابى. الأول لضبط الصوت والثانى لضبط الحرف وهى خاصية علوم القرآن. لم تنشأ حول التوراة والإنجيل. وقد نقل القرآن شفاهًا من خلال الحفاظ والرواة[٣]. ولا يهم أسماؤهم ولا عددهم، أحياؤهم وشهراؤهم، ذكورهم وإناثهم[٤]. ولكل قراءة رواية. واعتمدت علوم القرآن على علم مصطلح الحديث لروايته.

---

(١) «ثم لما اتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، قام جهابذة الأمة، وبالغوا فى الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ بأصول أصلوها، وأركان فصلوها»، الإتقان جـ١/ ٢٠٦.

(٢) السابق جـ١، ص٢١٢.

(٣) السابق جـــ١، ص١٩٩/ ٢٠٦.

(٤) فى حديث النبى: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبى بن كعب»، الإتقان جـ١/ ١٩٩. وفى رأى أنس بن مالك جمع القرآن على عهد الرسول أربعة من الأنصار أبى بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، السابق ص٢٠٠. وكان المشهورون بالقراء: من الصحابة سبعة: عثمان، على، أبى، زيد بن ثابت، ابن مسعود، أبو الدرداء، أبى موسى الأشعرى، السابق ص٢٠٤.

والإجـازة من الشيخ ليست شرطا للقراءة، وليس أخذ المال شرطا فى إجازة الشيخ.

والتعليم على ثلاثة أوجه:حسبة دون عوض وهو عمل الأنبياء وأجره فى الآخرة، وبالأجر وهو مختلف عليه. والأرجح جوازه. والتعليم بغير شرط وهو الأفضل. وهوّ جائز اجتماعيا. والقراءة كرامة من الله للبشر وليس للملائكة الذين يحبون سماع القرآن.

ويمكن السؤال عن القراءات وتدوين الأسئلة. ويمكن حفظ كتاب كامل لمعرفة اختلاف القراءات.

وهو علم نقلى وليس علما عقليًا، نقلى فى اللغة، ونقلى فى الإسناد[1]. هو علم نقلى خالص يعتمد على الروايات والأسانيد. وإن حضر القياس فحضوره فى قبل فى اللغة[2]. هو علم نقلى وليس علما عقليا، نقلى فى اللغة، ونقلى فى الإسناد. وإثبات القراءة بالرواية دور لأن الرواية قراءة، والقراءة رواية. وعلوم القرآن علوم دفاعية مثل علم الكلام ضد المبطلين والمشككين والمحرفين للنص القرآنى[3].

ويُحمل القرآن حفظًا. والحفظ فرض كفاية على الأمة. وأوجه حمله مثل أوجه حمل الحديث. ومناهج النقل الشفاهى السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة والإجازة، والمكاتبة، والوصية، والإعلام والوجادة. القراءة على الشيخ هى المستعملة سلفا وخلفا. والسماع من لفظ الشيخ جائز لأن القراء أخذوه عن الصحابة وليس عن النبى مباشرة. وقد عُرضت على النبى القراءة مرة كل عام. وكيفيات القراءة ثلاث:التحقيق وهو إعطاء كل حرف حقه، والحدر وهو إدراج القراءة وسرعتها

(١) «وأئمة القراء لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة. والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر، والأصح فى النقل. وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا حشو لغة لأن القراءة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها»، السابق جـ١/ ٢١١.

(٢) الدانى:جامع البيان، ص٣٤٨.

(٣) السابق، ص١٥- ١٦.

وتخفيفها. والثالثة التدوير وهو التوسط بين المقامين من التخفف والحدر[1]. ويستحب الترتيل. التحقيق للرياضة والتعليم والتمرين. والترتيل للتدبر والتفكير والاستنباط. فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيق.

المهم فهمه وتدبره[2]. حتى لا تنطبق على الحافظ الصورة القرآنية (كالحمار يحمل أسفارا). فالقرآن ليس صوتا بل معنى. ويقتبس من القرآن فى الشعر أو النثر. فالتجربة القرآنية والتجربة الشعرية واحدة مثل التشابه بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية[3]. والاقتباس منه المقبول ومنه المباح ومنه المردود. المقبول فى الخطب والمواعظ والعهود. والمباح فى القول والرسائل والقصص. والمردود ما نسبه الله إلى نفسه أو يكون السياق هزوا[4]. ولا تدخل أمثلة القرآن فى الشعر.

---

(١) الإتقان جـ١/ ٢٧٩- ٢٩١.

(٢) ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

(٣) من الفناء إلى البقاء جـ١ الوعى الموضوعى.

(٤) مثل:

أوحـــى إلـى عشـاقه طـرفه ... هيهـات هيـهات لمـا توعـدون

وردفـه ينطـق مـن خـلفه ... لمثـل هـذا فليـعمل العاملون

وأيضا:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ... ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف

أبـشر بقـول الله فـى آيـاته ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وأيضًا:

الملك لله الذى عنت الوجو ... ه له . وذلت عنده الأرباب

متفرد بالملك والسلطان قد ... خسر الذين تجاذبوه وخابوا

دعهم وزعم الملك يوم غرورهم ... فسيعلمون غدا من الكذاب

وأيضا:

سل الله من فضله واتقه ... فان التقى خير ما تكتسب

ومن يتق الله يصنع له ... ويرزقه من حيث لا يحتسب

وأيضا:

مجـاز حـقيقـتها فاعـبروا ... ولا تعمـروا، هـونوها تهـن

وما حُسن بيت له زخرف ... تراه إذا زلزلت لم يكن

فأدخلنى بيتا أحرج من التابوت ... وأدهى من بيت العنكبوت

الإتقان جـ١/ ٢١٦- ٢١٧.

## ٢- التأليف فى علم القراءات:

بدأ التأليف فى علم القراءات مبكرا. واستمر كصناعة مثل باقى العلوم متأخرا حتى تحول إلى كتب مقررة فى الكليات والمعاهد الأزهرية[١]. وكثرة التأليف فيه تدل على الاختلافات فى قراءة النص. ويختلف التأليف كميًا من جزء واحد إلى أربعة أجزاء[٢]. وتتشابه العناوين.

وكثرة التأليف فى علم القراءات ظاهرة تسترعى الانتباه مما يدل على أهمية ضبط قراءة النص شفاهيًا قبل تدوينه[٣]. له علماؤه من أهل العناية أى أهل الاختصاص والتأليف فى أدق التفصيلات.

وكلها قراءات واقعة طبقا للهجات المدن والأمصار. ولكل قارئ أو مجموعة من القراء مدينته التى ينتسب إليها بحيث تحولت إلى نموذج للقراءة مثل مكة والمدينة والكوفة والبصرة أو مصر من الأمصار مثل الحجاز والشام والعراق[٤]. بل انه يمكن تأسيس علم للقراءات ولهجات الأمصار[٥]. ويرتبط بعلم التفسير. فبناء على تعدد القراءات تختلف التفاسير. وهى أيضا قراءات فردية ترتبط بإبداعات القراء وإحساسهم بموسيقى القرآن مثل موسيقى الشعر. فهى أدخل فى الفن وإن كان أصلها فى علم اللغة وفن التجويد. ومشاهير القراء مثل مشاهير المطربين لهم جماهيرهم، وأجرهم مثلهم. ويرتبط علم القراءات بالجماهير والاحتفالات والمآتم ومهارات القراء وأسعارهم فى إحياء الليالى.

---

(١) أولها أبو عبد الله الحسين أحمد بن خالوية:الحجة فى القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ١، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ

(٢) أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى:الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر مجاهد (٤ أجزاء)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٣) يكفى معرفة مؤلفات ابن مهران وحده وهى:الغاية فى القراءات العشر، المبسوط فى القراءات العشر، القراءات العشر، القراءات السبع، مذهب حمزة فى الهمز، الاستعاذة بحججها، الشامل فى القراءات، طبقات القراء، كتاب الحداث، آيات القرآن، غرائب القرآن، الوقف والابتداء، قراءة أبى عمرو، وقوف القرآن، الانفراد، شرح المعجم، شرح التحقيق، قراءة ابن مسعود، رؤوس الآيات، اختلاف السور، ابن مهران: «الغاية فى القراءات العشر»، ص٥- ٦.

(٤) السابق، ص٤.

(٥) وهو علم اللسانيات طقبا للمناطق الجغرافية Geo-linguistics

وقد تجاوز التأليف فى علم القراءات التأليف فى علوم القرآن ذاتها حتى وكأنه قد أصبح مستقلا ومتضخما عن العلم الأم مثل المقدمات النظرية فى علم أصول الدين خاصة مبحث الجوهر والأعراض وتضخمها على مباحث العقائد ذاتها ونظرية الذات والصفات والأسماء والأفعال[1].

وقد استقل علم القراءات عن علوم القرآن. وأصبح مستقلا مع علم التجويد. له غاية عملية هو كيفية قراءة القرآن فى المحافل العامة. وبدأ التأليف فيه مبكرا للغاية منذ القرن الثانى. واستمر حتى الثانى عشر وحتى اليوم. وهو من أهم العلوم التى تدرس فى المعاهد والكليات الأزهرية لتخريج مقرئين ومنشدين للمناسبات الدينية والمآتم وأجهزة الإعلام وقنوات الفضاء وإذاعات القرآن الكريم.

ويمكن تصنيف التأليف فى علوم القرآن طبقا لموضوعاتها إلى خمسة أقسام:الأول متون المؤلفات العامة فى علم القراءات، والثانى الشروح والملخصات عليها، والثالث متون القراءات، والرابع اختلاف القراءات، والخامس علم الأصوات.

## أ- المؤلفات العامة:

### ١ - «التذكرة فى القراءات» لابن غليون (٣٩٩هـ)

وهو نموذج لجمع القراءات فى أدق رواياتها واختلافاتها دون تنظير يذكر إلا فى أقل الحدود[2]. وهو مؤلف ضخم الحجم. يقوم على أكبر قدر ممكن من جمع اختلافات القراءات وأقل قدر ممكن من التنظير. وقد كان من الممكن تجميع الظواهر الصوتية المتشابهة فى الإدغام والحذف فى أصول نظرية عامة، إلا أن جمع أكبر قدر ممكن من القراءات واختلافاتها كان هو الهم الأكبر. وتناثرت الأصول النظرية فى سورة البقرة

---

(١) من العقيدة إلى الثورة جـ١ المقدمات النظرية، الفصل الرابع: نظرية الوجود، ثالثًا:فينومينولوجيا الوجود «الأعراض»، ص٤٨٩- ٥٤٤. رابعًا:أنطولوجيا الوجود «الجواهر»، ص٥٤٤- ٦٣٦.

(٢) الشيخ أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غليون:التذكرة فى القراءات، دار الكتب العلمية، الناشر دار ابن خلدون، الإسكندرية، التوزيع دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

أو من خلال عرض اختلافات القراءة عرضا طوليا، سورة سورة، وآية آية[1]. وتوضع البسملة والاستعاذة من الأصول وهى ليست كذلك[2]. وتغلب الرواية على الدراية. البداية بروايات القراء وكما هو الحال فى علم الحديث[3]. كلها أسماء أعلام مع أن العلم لا شخصى. وهناك سرد لاختلافات الفروع دون ضمها فى أصول، للجزئيات دون الكليات. هى «أزهرية» صرفة و«تاريخية» خالصة. ويمكن جمعها من أجل إرساء قواعد نظرية فى الأصوات أو اللهجات بدلا من تكرارها فى كل سورة ولا يوجد أى تعليل لها. لذلك جاء اسم الكتاب مؤشرًا على ذلك «التذكرة» وربما اسم المؤلف أيضا «ابن غليون». والغاية من ذلك كله ضبط النقل الشفاهى للنص وليس تحليله النظرى. ويخلو من الأدلة النقلية من الحديث أو الشعر لأنه لا يستدل ولا يبرهن. وتظهر بعض الأصول النظرية متناثرة خلال عرض الاختلافات سورة سورة وآية آية مثل باب الإدغام، وكذلك بعض موضوعات الإحالة والحد[4].

ويرصد الكتاب الاختلافات فى القراءات كما هو الحال فى علم الخلافيات فى الفقه أكثر من الاتفاق. لذلك امتلأ بالسرد دون التنظير بالتفريق بين المختلفات وليس بالجمع بين المتشابهات. ويصل الأمر إلى الاختلاف المضاعف بين الروايات فى القراءات، وبين القراءات للنص، والاختلاف حول كل حرف ولفظ، والروايات المختلفة حول القراءات المتعددة، والاختلاف فى أصول القراءات للحروف. وهناك مذاهب فى الحروف قد انعكست فى اختلافات القراءات[5]. والمذهب هو رأى النحو أو القارئ. وتتعدد المذاهب بتعدد القراء.

وقد انتهت هذه المادة بنهاية عصرها بعد أن استقرت القراءات وأصبحت متداولة

---

(١) الأصول النظرية فى المقدمة مثل:الإدغام والإشمام، هاء الكناية عن الواحد المذكر، الميم، المد والقصر، الهمزة، قد، تاء التأنيث، الباء عن الفاء، لام هل وبل، الغنة، الفتح والإمالة، الراء المفتوحة، الوقوف، التفخيم. والأصول النظرية الأخرى عبر السور مثل:ياءات الإضافة، الياءات المحذوفة، اجتماع الاستفهامين. الوقف على أسماء منقوصة نكرة.

(٢) ابن غليون:التذكرة فى القراءات ص٢٠- ٢٢.

(٣) السابق ص٩- ١٩.

(٤) السابق، ص١٢٥- ١٢٦/ ١٣١- ١٣٥/ ١٣٨- ١٦٠.

(٥) السابق، ص٩٧/ ١٠٠/ ١٠٥.

ومستقرة، ولم يبق منها إلا فن التجويد وبراعة القراء فى جذب انتباه السامعين.يثيرها المستشرقون وكأنهم اكتشفوا ما لا يعرفه القدماء، وادعاء وجود مخطوطات جديدة خاضعة لعلم النقد التاريخى الحديث الذى لم يعرفه القدماء. والهدف التشكك فى الصحة التاريخية للقرآن وليس العلم البرىء من أجل زعزعة العقائد وجعل القرآن شبيها بالكتب المقدسة الأخرى، التوراة والإنجيل والزبور، وما وقع فيها من تبديل وتغيير وتحريف.

### ٢- «المقدمة فى أصول القراءات» لابن الطحان (٥٦١هـ)

ولها موضع فريد. إذ إنها محاولة خالصة للتنظير دون أى اعتماد على أدلة نقلية من القرآن أو الحديث أو الشعر أو كلام العرب[١]. هى أقرب إلى علم الأصوات الخالص. يدور حول عشرين أصلا بالإضافة إلى الإعراب عن الحركات والسكون[٢]. وتستنبط من اختلاف القراءات المتعاقبة على أنواع الروايات. يحققها الإقراء، ويحكمها الأداء. ومنها ما ليس أصلا فى القراءة مثل البسملة والتسمية. ويمكن ضم أصلين معا على التخفيف والتثقيل، والتفخيم والتدقيق.

### ٣- «إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى» للواسطى القلانسى(٥٢١هـ)

ويتبع نفس القسمة الثلاثية التقليدية لعلم القراءات[٣]: الأول القراء والأسانيد

(١) الإمام الشيخ أبو الإصبع عبد العزيز بن على بن الطحان الاشبيلى:المقدمة فى أصول القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ ص١٢٧- ١٤٢.

(٢) وهى فى العد ثلاثة وثلاثون:البسملة، التسمية، المد، اللين، المط، القصر، الاعتبار، التمكين، الإشباع، الإدغام، الإظهار، البيان، الإخفاء، القلب، التسهيل، التخفيف، التثقيل، التتميم، التشديد، النقل، التحقق، الفتح، الثغر، الإرسال، الإحالة، البطح، الاجتماع، التغليظ، التفخيم، التدقيق، الروم، الإشمام، الاختلاس. السابق ص١٣٢.

(٣) الإمام الحافظ أبو العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطى القلانسى:إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى، تحقيق د.عثمان محمود غزال، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ.

العشرة[1]. والثانى المذاهب اللغوية[2]. والثالث التطبيق الطولى[3]. وبين الثانى والثالث التسمية والفاتحة[4]. وعلى غير العادة أكبرها الثالث ثم الأول، وأصغرها الثانى[5]. التنظير لحساب الرصد. والعنوان دال على ذلك «إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى» أى أنه كتاب تعليمى للتلميذ ومجرد مذكرة للأستاذ. يغيب منه الحديث والشعر. وشروح المحقق تعالمية طويلة. والفهارس العامة مجرد رصد لأسماء أعلام وأسانيد لا تتكرر ولا دلالة لها. والمراجع فى النهاية أيضا يغلب عليها التعالم لأنها لم يعتمد عليها فى التحليل والتعليل والتنظير.

## ب- الشروح والملخصات:

### ١- «إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع» للشاطبى (٥٩٠هـ)

وهو غير الشاطبى الغرناطى الأندلسى الشهير صاحب «الموافقات» فى علم أصول الفقه(٧٩١هـ) لابن شامة الدمشقى (٦٦٥هـ). ومثل باقى العلوم العقلية النقلية العربية، الكلام والفلسفة وأصول الفقه والتصوف ظهرت شروح المتون مثل شرح «الشاطبية». فالمتن من القرن السادس، والشرح من القرن السابع. وكلاهما من المغرب[6]. ويتبع التسمية الثلاثية التقليدية، الأول القراء والأسانيد[7]. والثانى المذاهب اللغوية[8].

---

(١) السابق، ص٤٣- ١٠٨.

(٢) وهى:الإدغام والإظهار، والهمزة، الساكن والمتحرك، الوقف والابتداء، المد والقصر، الإمالة، السابق ص١٠٩- ١٣٠.

(٣) السابق ص١٣٣- ٣٥٣.

(٤) السابق ص١٣١- ١٣٢.

(٥) الأول (٦٣)، الثانى (٢٠)، الثالث (٢٢٣).

(٦) الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة الدمشقى:إبراز المعانى من حرز الأمانى، تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

(٧) بيان من نقل عنهم شىء من وجوه القراءات من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أسماء القراءات بالأمصار الخمسة، تميز ما يعتمد عليه من القراءات، القراءات السبعة، فضائل القرآن وقراءته، القراء السبعة ورواتهم وأخبارهم، الرموز التى يشير بها الناظم إلى القراء السبعة ورواتهم، اصطلاح الناظم فى التعبير عن أوجه الخلاف، السابق ص٣- ٦٠.

(٨) الإدغام والإظهار، الكناية، المد والقصر، الهمزة، السكون والتنوين، الوقف والبداية، الياءات، الخط، السابق ص٧٦- ٣١٨.

والثالث الشرح الطولى[1]. أكبرها الثالث كالعادة ثم الثانى، وأصغرها الأول[2]. وبين الأول والثانى الاستعاذة والبسملة والفاتحة[3]. وفى النهاية التكبير ومخارج الحروف وصفاتها[4]. يعتمد على الحديث والشعر، والشعر أكثر. ويعتمد الشارح على شعره الخاص بالإضافة إلى شعر الآخرين. والأحاديث بها الخيال الخلاق الكثير[5].

٢- «سراج القارئ المبتدئ وتذكر المقرئ المنتهى» لابن الفاصح العذرى البغدادى (٨٠١هـ)[6]

المتن أيضا من القرن السادس، والشرح من السابع. ويستمر شرح نفس منظومة «حرز الأمانى ووجه التهانى» للشاطبى. والشرح نوع أدبى بين القصر والطول. تحل الألفاظ، وتستخرج القراءات بعبارات سهلة دون الدخول فى التعاليل المطولة مثل كتب إعراب القرآن وتفسيره. وله مصادره فى شروح سابقة[7]. ويتضمن الشرح ترجمة حياة الناظم وشرح الأعلام وسيرهم الذاتية[8]. ويدل العنوان أيضا على أنه مذكرة للطالب والأستاذ. ويقسم الشرح تحت كلمات شارحة مثل «توضيح» وهى الأغلب و«تنبيه» و«تفريع»[9]. ويعتمد الشرح على الحديث أكثر من الشعر[10]. ومن حيث الموضوعات لا يقوم الشرح على القسمة الثلاثية التقليدية لعلم القراءات، الأول أسماء القراء والرواة

(١) فرش الحروف، السابق ص٣١٩- ٧٢٩.
(٢) الأول (٣٦)، الثانى (٢٨٠)، الثالث (٤٢٢).
(٣) السابق ص٦١- ٧٥.
(٤) السابق ص٧٣٠- ٧٦٠.
(٥) الحديث (١٨)، الشعر (٨٦).
(٦) الإمام أبو القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن الفاصح العذرى البغدادى: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى، ضبطه وصححه وخرّج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م- ١٤٢٥هـ.
(٧) أول من شرحها علم الدين السخاوى من ناظمها مباشرة وتابعه الشراح مثل الفاسى وأبى شامة وابن جبارة والجعبرى وغيرهم، السابق ص٥.
(٨) السابق ص٦.
(٩) توضيح (١٧)، تنبيه (٢)، تفريع (١).
(١٠) الحديث (٩)، الشعر (٢).

والأسانيد. والثانى الموضوعات والأصول اللغوية[1]. والثالث فرش الحروف[2]. بل يعتمد على قسمين فقط الثانى والثالث مع مقدمة عن الاستعاذة والبسملة والفاتحة[3]. والثانى أكبر من الأول[4]. وينتهى بالتكبير ومخارج الحروف وصفاتها[5].

**٣- «المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية» للهروى القارى(١٠١٤هـ)[6]**

وتأتى مرحلة الشرح أيضا فى علم القراءات أسوة بباقى العلوم، شرح النظم نثرا. والمتن لابن الجزرى(٨٣٣هـ)[7]. وهو مجرد عرض لمادة المتن مع ضرب الأمثلة من القرآن، وأحيانا شرح الشعر بالشعر[8]. والمتن نفسه مقسم إلى موضوعات. ولا يخلو من بعض الفوائد. والمتن والشرح فى الأصوات دون أسماء وأسانيد ودون فرش الحروف[9]. ومقسمة إلى أبواب.

**٤- «شرح قواعد البقرى فى أصول القراء السبعة» للجبورى(١١٣٨هـ)[10]**

وهو شرح كما جرت عليه عادة المتأخرين بالنسبة لمتون المفسرين[11]. والمحقق حاصل على إجازة فى الإقراء أى أن القراءة أصبحت علما مستقلا وتخصصا تعطى فيه الدرجات العلمية. وهو غير ما يقصده المحدثون بالقراءة أى التأويل، والانقراء أى

---

(١) الإدغام والإظهار، الهاء، المد والقصر، الهمزة، السكون والتنوين، الإمالة، الوقف والابتداء، الباء، سراج القارئ ص٤٧- ١٧٠.

(٢) فرش الحروف، السابق ص١٧١- ٣٣٣.

(٣) السابق ص٣٥- ٤٠.

(٤) الأول (١٣٠)، الثانى (١٦٣).

(٥) سراج القارئ، ص٣٣٤- ٣٤٦.

(٦) الملا على بن سلطان الهروى القارى: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، تحقيق محمود عبد السميع الشافعى الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م- ١٤٢٤هـ.

(٧) «إن المقدمة.. ما رأيت لها شرحا كاملا يبين بيانا شاملا يكون لتحقيق الحقائق كافلا فسنح ببالى أن أضع عليها شرحا معتدلا، لا مختصرا مخلا ولا مطولا مملا..»، السابق ص٩.

(٨) السابق ص٢٥.

(٩) وهى مخارج الحروف وصفاتها، التجديد والتدقيق واستعمال الحروف، الراءات، الضاد والظاء، التحذيرات، الميم والنون المشددين والميم الساكنة، السكون والتنوين، المدات، الوقوف، المقطوع والموصول وحكم التاء، همزة الوصل...، السابق ص ١٥٧- ١٦٣.

(١٠) الشيخ القارئ سلطان بن ناصر الجبورى: شرح قواعد البقرى فى أصول القراء السبعة، تحقيق هناء الحمصى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص١٥/ ١٢٧.

(١١) المتن للشيخ محمد بن قاسم البقرى نافع الشناوى(١١١هـ)، وشهرته «متن البقرية».

القابلية للتأويل. وكان التأليف بناء على سؤال[1]. يركز على القواعد والرواية للقراء السبعة. ويدخل علم الأصوات داخل كل قارئ[2]. فالقارئ هو وحدة التحليل وليس علم الأصوات. كل قارئ صاحب قواعد وراو. والشرح لفظا لفظا وعبارة عبارة على عادة الشراح. ويعتمد على الشعر. فالقرآن والشعر صنوان. كلاهما يخضعان لعلم الأصوات[3].

**٥- «الفتح الرحمانى شرح كنز المعانى بتحرير حرز الأمانى فى القراءات» للجمزوردى (ت بعد ١١٩٨هـ)[4]**

وهو شرح للنظم بالنثر. والمتن هو «حرز الأمانى» الشهير بالشاطبية. ويخلو القسم الأول من أسماء القراءات وأسانيدهم. ولا يبقى إلا المذاهب الصوتية ثم فرش الحروف[5]. والمذاهب الصوتية متكررة كالعادة[6].

**٦- «مختصر بلوغ الأمنية» للضباع[7]**

ومازال الأحياء يشرحون الأموات. فهذا المختصر شرح على نظم تحرير مسائل الشاطبية للشيخ حسن خلف الحسينى المقرئ. فالمقرئ قارئ وعالم. مؤد ومنظر، مغن وملحن. هو شرح للنظم. والمتن نمطى فى قسمته الثلاثية إلى الاستعاذة والبسملة ثم علم الأصوات ثم فرش الحروف[8]. ولا جديد فى المذاهب الصوتية بالنسبة للقدماء.

---

(١) السابق ص١٨.

(٢) وهم:أبو عمرو، ابن كثير، نافع، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائى.

(٣) السابق ص٤١/ ٦٩- ٧٠.

(٤) سليمان بن حسين بن محمد الجمزوردى:الفتح الرحمانى شرح كنز المعانى بتحرير حرز الأمانى فى القراءات، تحقيق ودراسة شريف أبو العلا العدوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٥٢هـ- ٢٠٠٢م.

(٥) المذاهب الصوتية ص٢٤- ١٢٥. فرش الحروف ص١٢٦- ١٦٧.

(٦) الإدغام الكبير، هاء الكناية، المد والقصر، الهمزة، تاء التأنيث، لام هل وبل، الفتح والإمالة، اللامات، الوقف والابتداء، ياءات الإضافة، ياءات الزوائد..إلخ.

(٧) فضيلة الشيخ على محمد الضباع شيخ المقارئ المصرية:مختصر بلوغ الأمنية. ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

(٨) الاستعاذة والبسملة ص٥- ٦. المذاهب الصوتية ص٧- ٣٩. فرش الحروف ص٤٠- ٤٩. التكبير ص٥٠.

فقد أصبح التأليف تكرارا وإعادة[1].

٧- «شرح أبيات الدانى الأربعة فى أصول ظاءات القرآن» لمؤلف مجهول

وهو فى علم القراءات. شكله الأدبى شرح النظم. ويشرح بالقرآن. فالشعر صياغة للقرآن، والقرآن صياغة للشعر. كلاهما شكلان أدبيان لتجربة حياتية واحدة[2].

## ٣- ماذا يعنى نزول القرآن على سبعة أحرف؟:

### أ- التأليف فى الموضوع

نشأ علم القراءات بناء على حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» فى صيغته المركزة مثل تدوين علم الكلام والفرق بناء على حديث الفرقة الناجية. وكثرت التآليف فى الموضوع أهمها:

١ - «الحجة فى القراءات السبع» لابن خالويه(٣٧٠هـ)[3]

وترصد اختلاف القراءات، سورة سورة، وآية آية. ويظهر ارتباط القراءات بالنحو والإعراب. فالإعراب جزء من القراءات. والقراءات جزء من التفسير لأثرها فى المعنى. فالتفسير شرح كلى للقراءة بعد ضبطها لغويا. وتعنى «الحجة» الدليل والبرهان على صحة إحدى القراءات دون الأخرى. ويتم الاعتماد على الشعر ثم الحديث ثم أقوال السابقين وأقوال الصحابة[4]. وقد يكون الشعر مجهول المؤلف أو معروف المؤلف. فالمهم الشعر وليس الشاعر. وتوجد مقدمة صغيرة نظرية لفن القراءة[5]. فبعد القراءات السبع فى الأمصار الخمسة اتضح أن كل قراءة تتبع مذهبها فى اللغة العربية ثم القياس

---

(١) وهى:الإدغام الكبير وهاء الكناية، المد والقصر، الهمزة، السكون والحركة، الإدغام الصغير، الإمالة، الراءات واللامات، الوقف والابتداء، ياءات الإضافة، ياءات الزوائد..إلخ.

(٢) أربعة كتب فى علوم القرآن، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٣٨م، ص١١-٢١.

(٣) أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه:الحجة فى القراءات السبع، تحقيق أحمد فريد المزيدى، قدم له الدكتور فتحى حجازى، جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ

(٤) الشعر (٧٠)، الحديث (٣).

(٥) الحجة فى القراءات السبع، ص١٧- ١٩.

عليه بطريقة مقبولة فاتفقت الدراية والرواية والاختيار مع الأتباع. فاختلاف القراءات راجع إلى اختلاف مذاهب اللغة. والمحك فى النهاية القراءة المشهورة وليس الشاذة. وقد توخى الكتاب الاقتصار والاقتداء بالقدماء والنقل عنهم بألفاظ بينة ومقالات واضحة.

**٢- «الحجة للقراء السبعة، أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر مجاهد» للفارسى(٣٧٧هـ)[١]**

والحجة، عنوان تكرر فى كتب القراءات. ويخلو الكتاب من أية مقدمة نظرية. ويعطى القراءات سورة سورة، وآية آية، من أول «الفاتحة» حتى «الناس». ترصد كل القراءات الممكنة وتعطى الحجة على صحة أحدها. سورة سورة. وآية آية. وهو نفس العنوان السابق تقريبا لابن خالويه. كما يخلو من أى منطق للقراءة أو نتائج تتعلق بالفكر. لا يوجد فى المقدمة إلا الدعوة إلى السلطان[٢]. وهو إكمال لمحاولة أخرى سابقة[٣]. يغرق فى التفصيلات، وإعراب الآيات من أجل حسن قراءتها. وأحيانا يتخلل عناوين السور بعض الموضوعات النظرية مثل «الاختلاف فى إمالة الألف التى تليها الراء»[٤]. وهو مجرد رصد دون عرض لمذاهب الأصوات ودون تجميع لموضوعات متناثرة بمناسبة قراءة معينة[٥]. يهتم بالاختلافات فى قراءة كل سورة وتذكر فى أول كل سورة إلا فيما ندر. والفهارس التحليلية فى نهاية الجزء الرابع مادة خصبة لاستخراج دلالاتها مثل القراءات مرتبة حسب السور والآيات، والقراءات مرتبة ألفبائيا حسب اللفظ. يعتمد على الحديث وأثار الصحابة والتابعين والأشعار والأرجاز والأمثال والأعلام[٦].

---

(١)أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى:الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوى (٤ مجلدات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٢) «أطال الله بقاء مولانا الملك السيد الأجل المنصور، ولى النعم، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العز والبسطة والسلطان، وأيده بالتوفيق والتسديد، وعضده بالنصر والتمكين»، السابق جـ١/ ٢٩.

(٣) السابق جـ١/ ص٢٩- ٣٠.

(٤) السابق جـ١/ ٢٤٥- ٢٥٧.

(٥) السابق جـ٤/ ٢١٤- ٣٣٥/ ٣٣٦- ٣٦٤.

(٦) الأحاديث القولية (٥٨)، الفعلية (١١)، أثار الصحابة والتابعين(٤)، القوافى (٧٠٠)، الارجاز(٢٨٠)، أنصاف الأبيات(٣٣)، الأمثال(١٩).

### ٣- «التبصرة فى القراءات السبع» للقرطبى (٤٣٧هـ)[١]

وهو كتاب نموذجى فى علم القراءات. يبدأ بأسماء القراء وأسانيدهم ثم ذكر الاختلافات فى الفاتحة والبقرة، والمذاهب الصوتية بمناسبة سورة البقرة ثم الحروف ابتداء من البقرة، ونهاية بالتكبير[٢]. وفى المقدمة النظرية الصغيرة يظهر القصد من الكتاب وهو كشف وجوه القراءات واختيار العلماء، ومن قرأ بكل حرف من الصدر الأول، وأقاويل النحويين وأهل اللغة. وكان يمكن أن يسمى أيضا «الكشف عن وجوه القراءات»[٣]. وتتناثر المذاهب الصوتية عند القراء[٤]. ويبرز القياس فى علم الأصوات على نحو لا شعورى[٥]. ويتم تحديد السور مكية أو مدنية عرضًا وعدد آياتها. كما تحدد القراءات فى مدارس تنتمى إلى المدن مثل الكوفة والبصرة وبغداد حيث عاش القراء الأوائل. وقد ساهم علماء الأندلس فى هذا الفن بالرغم من بعد المكان.

### ٤- «جامع البيان فى القراءات السبع المشهورة» للدانى (٤٤٤هـ).

ويقسم علوم القرآن نفس القسمة الثلاثية النمطية[٦]. الأول القراءة والأسانيد والروايات. والثانى المقدمة النظرية فى علم الأصوات[٧]. والثالث التطبيقات

---

(١) الإمام أبو محمد القيسى القيروانى القرطبى: التبصرة فى القراءات السبع، اعتنى بتصحيحه ومراجعته جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا (د. ت).

(٢) الإسناد فى القراءة ص٧- ١٣. أسماء القراء وأسانيدهم المتصلة حتى النبى ص١٧- ٥٨. اختلاف القراءات فى الفاتحة والبقرة ص٥٨- ٦٣. المذاهب الصوتية بمناسبة البقرة ص٦٣- ١٥٣. الحروف (السور) ابتداء من البقرة ص١٥٣- ٢٩٢. التكبير ص٣٩٢- =٣٩٤.

(٣) السابق ص١٥- ١٦.

(٤) مثل هاء الكناية عن المذكر، المد والقصر، اجتماع الهمزتين، الوقف والابتداء، الروم والإشمام، الإظهار والإدغام، السكون والتنوين، الفتح والإمالة.. إلخ.

(٥) باب ما جرى فى التسهيل على غير قياس، السابق ص١٠٢- ١٠٥.

(٦) الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى: جامع البيان فى القراءات السبع المشهورة، تحقيق الحافظ المقرى محمد صدوق الجزائرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.

(٧) «باب فى ذكر الأخبار الواردة بالحض على اتباع الأئمة من السلف فى القراءة والتمسك بها أداه الأئمة القراء عنهم منها، جامع البيان ص٣٧- ١٤٥. «باب ذكر أسماء أئمة القراءة والناقلين عنهم وأنسابهم وكناهم ومواطنهم ووفاتهم ونكت من مناقبهم وأخبارهم»، السابق ص٤٣- ١٤٥.

العملية[1]. أكبرها الثالث كالعادة ثم الثاني. وأصغرها الأول[2]. وما بين الأول والثانى تعرض قضية الاستعاذة والتسمية[3]. وهى مشكلة أصولية هل البسملة جزء من القرآن أم أنها فاتحة كل سورة للفصل بين السورتين؟ وهل الفاتحة جزء من القرآن أم أنها مقدمة للقرآن كله؟. وفى النهاية يذكر موضوع التكبير عند قراءة بعض السور[4]. وقد تم التأليف بناء على سؤال مما يدل على أن التأليف بناء على حاجة محلية من واقع البيئة[5]. وهو كتاب جامع للأصول والفروع، يورد الاختلافات فى القراءات. يوضح الخفى، يختصر ويعلل، ولا يكرر ولا يطول. يعتمد على نفسه، ومفيد للقارئ والطالب والناسخ والدارس[6]. الروايات أربعة، والطرق مائة وستون والاتفاق بين الأئمة أو بين الحرميان (نافع وابن كثير). ولكل قارئ مذهب، ولكل عالم لغوى طريقة. فالمذاهب أفراد، والأفراد مذاهب، وليست أنساقا تصورية أو أبنية نظرية. وتعتمد القراءات على قليل من الشعر والحديث باستثناء المقدمة النظرية عن نزول القرآن

---

(١) القسم الثانى عن الأصول النظرية، جامع البيان ص١٥٤ - ٣٨٦.

(٢) الأول(١٣٠)، الثانى(٢٤٢)، الثالث(٤١٣).

(٣) «باب ذكر الاستعاذة ومذاهبهم فيها، السابق ص١٤٥ - ١٤٧. «باب ذكر مذاهبهم فى التسمية والفصل بها بين السورتين، السابق ص١٤٧ - ١٥٤.

(٤) «باب ذكر التكبير فى قراءة ابن كثير وذكر الأخبار الواردة عن المكيين فى ذلك»، السابق ص٧٩٢ - ٧٩٩.

(٥) «فانكم سألتمونى إسعافكم برسم كتاب فى اختلاف قراءة الأئمة السبعة بالأمصار، محيط بأصولهم وفروعهم، مبين لمذاهبهم واختلافهم، جامع للمعمول عليه فى روايتهم والمأخوذ به من طرقهم، ملخص للظاهر الجلى، موضح للغامض الخفى، محتوى على الاختصار والتعليل، خال من التكرار والتطويل، قائم بنفسه، مستغن عن غيره، يذكّر المقرئ الثاقب، يفهّم المبتدئ الطالب، ويخفف على الناسخ، ويكون عونا للدارس»، السابق ص١٦.

(٦) «وذكرت لكم الاختلاف بين أئمة القراءة فى المواضع التى اختلفوا فيها من الأصول المطردة والحروف المتفرقة. وبينت اختلافهم بيانا شافيا، وشرحت مذاهبهم شرحا كافيا. وقربت تراجيحهم وعباراتهم. وميزت بين طرقهم ورواياتهم. وعرّفت بالصحيح السائر، ونبهّت على السقيم الدائر. وبالغت فى تلخيص ذلك وتقريبه. واجتهدت فى إيضاحه وتهذيبه. وأعطيته حظا وافرا من عنايتى، ونصيبا كاملا من روايتى. وأفردت قراءة كل واحد من الأئمة برواية من أخذ عنه تلاوة، وأدّى الحروف عنه حكاية دون رواية من نقلها سماعا فى الكتب، ورواية فى المصحف، إذ الكتب والصحف غير محيطة بالحروف الجلية، ولا مؤدية عن الألفاظ الخفية، والتلاوة محيطة بذلك ومؤدية عنه»، السابق ص١٦.

على سبعة أحرف[1]. والآن انتهى عصر الرواية وبدأ عصر الدراية. وانتهى عصر السند وبدأ عصر المتن. وانتهى علم الرجال وبدأ علم النقد الداخلى. ولا يهم رصد الاختلافات فى القراءات سورة سورة، وآية آية بل المهم تحليلها وبيان أثرها على فهم المعنى. فالقراءة وسيلة وليست غاية. والمؤلف على وعى بالمنهج الطولى، سورة سورة وحرفا حرفا[2]. وقد عُرف المصريون بعلم القراءات وفن التجويد لدرجة أن المدرسة المصرية أصبحت هى المدرسة بالأصالة فى كل العالم الإسلامى فى كافة أرجائه فى أفريقيا وآسيا بل فى أوربا والأمريكيتين واستراليا. وهناك مدارس أخرى فى الشام والعراق والحجاز والمغرب العربى[3]. وقد انتهى علم القراءات المنقولة اليوم لصالح القراءات التداولية وإلا كانت القراءة تقعرا وتعالما وتفاخرا وادعاء لمهارة القراء وفنونهم. ويقرأ القرآن اليوم باللهجات المصرية والشامية والمغربية والحجازية والخليجية والتركية وباقى اللهجات الأفريقية والآسيوية والأوروبية والأمريكية. بل وتقرأ داخل المصر الواحد طبقا للهجات البدو والحضر، الصعيد أو بحرى. ما أبدعه القدماء هو قيام علم القراءات على علم الأصول وتقسيم الحروف حسب مخارجها من الحلق أو الشفاه أو الأنف أو اللسان[4].

### ٥- «كتاب التيسير فى القراءات السبع» للدانى(٤٤٤هـ)[5]

هو تلخيص لكتاب «جامع البيان» السابق. ويشتركان فى نفس التبويب دون إضافة جديدة[6]. وهى القسمة التقليدية الثلاثية للعلم. الأول القراء والرجال والأسانيد[7].

---

(١) الشعر(٦)، الحديث(١٩).

(٢) السابق ص٣٨٧.

(٣) جامع البيان ص١٩٤.

(٤) السابق ص٢٧٤.

(٥) الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى:التيسير فى القراءات السبع، عنى بتصحيحه أوتو يرتزل. طبعة جديدة اعتمد فى أصلها على الطبعة التى نشرتها جمعية المستشرقين الألمانية بمطبعة الدولة باستامبول عام ١٩٣٠. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ. جامع البيان(٧٨٥)، التيسير(١٧٠).

(٦) السابق ص٧- ٨.

(٧) «ذكر أسماء القراء والناقلين عنهم وأنسابهم وبلدانهم وكناهم وموتهم، ذكر الرجال، ذاك الإسناد الذى أدى إلى القراءة عن هؤلاء الأئمة من الطرق المرسومة عنهم رواية وتلاوة»، السابق ص١٧- ٢٥.

والثانى المذاهب والرجال والأصول النظرية[1]. وبين الأول والثانى الاستعاذة والتسمية[2]. والثالث التطبيق الطولى سورة سورة، وآية آية[3]. أكبرها كالعادة الثالث ثم الثانى وأصغرها الأول[4]. وفى النهاية التكبير عند ابن كـثير[5]. صححه مستشرق لأن المستشرقين يعتنون بالجانب المادى للنص من أجل زعزعة الصحة التاريخية للحديث عن طريق الاختلافات فى الروايات. وتبدأ معظم الفقرات بفعل «قرأ» أو باسم القارئ. فالقراءة مرتبطة بالقارئ، والموضوع بالذات.

## ٦- «المفتاح فى القراءات السبع» للقرطبى(٤٦١هـ)[6]

وهو استجابة لسؤال لوضع كتاب عن اختلافات القراءات السبع المشهورة بالمشرق وقد سبق التأليف فيه[7]. وينقسم إلى قسمين فقط المذاهب الصوتية وفرش الحروف دون الأسانيد[8]. ويطول باب المذاهب الصوتية وإن ظل أصغر من الجزء التطبيقى، فرش الحروف[9]. وتفصل المذاهب الصوتية فى أبواب وفصول[10]. ويطول باب الهمزة باعتباره أهم الأبواب. وتتعدد المذاهب الصوتية كما تتعدد المذاهب الفقهية والفرق

---

(١) مذاهب الإدغام والكناية والمد والتقصير والهمزة والفتح والإمالة والوقف واللامات والسكون، السابق ص٢٨- ٦١.

(٢) السابق ص٢٦- ٢٧.

(٣) فرش الحروف، السابق ص٦٣- ١٨٣.

(٤) الأول (١٣)، الثانى(٣٤)، الثالث(١٢٤).

(٥) السابق ص١٨٤- ١٨٥.

(٦) الشيخ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبى:المفتاح فى القراءات السبع، تحقيق أحمد فريد المزيدى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.

(٧) «سألتمونى.. أن أملى عليكم كتابا مختصرا فى ما اختلف فيه القراء السبعة المسمون بالمشهورين دون غيرهم من الأئمة العظام الذين قرأت بقراءاتهم فى تحويلى بديار المشرق التى ذكرت بعضها فى الكتاب «الوجيز»، وأن ألخص لكم أبوابه، وأقرب عليكم فصوله، وأوضح عبارته ليكون لكم مفتاحا لحفظ كتاب «الوجيز»..»، السابق ص٩- ١٠.

(٨) «فانى رأيت ألا أذكر الأسانيد التى أوصلت إلينا هذه القراءات كراهة أن يطول بها المختصر. إذ هى مذكورة فى غير هذا المختصر من كتبى»، السابق ص١٠.

(٩) مذاهب الأصوات ص١٢- ٥٥. فرش الحروف ص٥٦- ٢٣٠.

(١٠) أهمها:الإظهار والإدغام. الدال وتاء التأنيث ولام هل وبل، الحروف الساكنة والمتحركة، الهمزة، الاستفهام، الإمالة والتفخيم..إلخ.

الكلامية. وتحدد السور مكية أو مدنية فى فرش الحروف. كما يذكر الاختلاف فى أسماء السور. ولقد استقرت القراءة الآن، ولا داعى لفتح الموضوع من جديد. فعلم القراءات علم تاريخى خالص مازال يدرس فى المعاهد والكليات الأزهرية. ويتخصص فيه الآسيويون والأفارقة الفخورون بمعرفة العربية من أصولها الأولى. فالأولوية للغة التداولية أو إذا أثرت اختلافات القراءات على فهم المعانى. والسؤال الآن هو القراءات الأوروبية بعد تحول كثير من الأوروبيين إلى الإسلام. وقد استقرت اللهجة المصرية فى القراءات، وأصبحت من أشهر القراءات. يفتخر بتعليمها باقى الأقوام والشعوب حتى أصبح علم التجويد علما مصريا خالصا. تتجلى فيه إبداعات المقرئين، وإظهار المعانى بالأصوات. فالقراءات أداء مثل عازفى الموسيقى وعلاقتهم بالنوتة الموسيقية[1]. وقد يضاف إلى ذلك ملاحة الوجه وحسن الصوت مما يجعل القارئ يتجاوز مشاهير المطربين.

٧- «الكافى فى القراءات السبع» لابن شريح(٤٧٦هـ)[2]

ويهدف إلى نفس ما تهدف إليه المؤلفات السابقة فى علم القراءات. يصف الأربعة عشرة رواية المشهورة عن القراءات السبعة. يبين الأصول والفروع، ويحذف التطويل. ومن هنا تأتى التسمية، «الكافى». يقدم المختلف على المتفق ليكون أسهل فى الحفظ وأقرب إلى الدرس. ويعتمد على تجربة المؤلف فى القراءة وليس فقط على الرواية. كما يعتمد على أسانيده الخاصة طلب للاختصار وسهولة الحفظ[3]. ويتبع القسمة الثلاثية

---

(١) الآن هناك أصوات مصرية شهيرة لها حضورها فى كافة أرجاء العالم الإسلامى مثل:عبد الباسط عبد الصمد، شعيشع، المنشاوى.

(٢) أبو عبد الله محمد بن شريح:الكافى فى القراءات السبع، تحقيق وتعليق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٤م. وطبعة أخرى تحقيق محمود عبد السميع الشافعى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٣) «فإنى أذكر فى هذا الكتاب الأربع عشرة رواية المشهورة عن السبعة المشهورين.. وجامع فيه أصولها، ومبين فروعها، بحذف التطويل، والقصد إلى الاختصار مع تمام المعانى ليكون كافيا للعالم، وتذكرة ومنتهى المتعلم، وتبصرة. وسميته «الكافى». وأعلم أنى مقدم المتأخر من المختلف فيه لأضمه إلى نظيره ليكون ذلك أسهل للحافظ، وأقرب للدارس. ثم لا أذكره فى موضعه اكتفاء بذكره أولا. وربما نبهت على ما أمكننى منه فى مكانه... واختصرت فيه إلى أقرب أسانيدى، وأرفعها طلبا للاختصار، وليسهل على من أراد حفظها..»، السابق ص٥- ٦.

المشهورة لكتب علم القراءات:الأسانيد، والمذاهب الصوتية، وفرش الحروف[1]. وأكبرها كالعادة القسم الثالث التطبيقى. وتدرس المذاهب الصوتية بمناسبة سورة البقرة[2].وهى نفس القسمة الثلاثية التقليدية. الأول القراء ورواياتهم وأسانيدهم وتتبع طرقهم[3]. والثانى المذاهب وأصول القراءات[4]. والثالث التطبيق الطولى سورة سورة، وآية آية[5]. وبين الأول والثانى الاستعاذة والبسملة والفاتحة[6]. ويشترك الأندلسيون فى علم القراءات عند المشارقة. وهو كتاب تعليمى كما يتضح من العنوان. ومقدمة المحقق تعليمية شارحة واضحة أشبه بمذكرات الطلاب. ويعقد جدولا توضيحيا للأصول النظرية حول المد وأقسامه. ويغيب النظر والتعليل. ولا يعتمد على الشعر أو الحديث أو آراء السابقين.

٨- «الإقناع فى القراءات السبع» للأنصارى(٥٤٠هـ)[7]

وهو كتاب نمطى فى علوم القرآن. يبين فى المقدمة تفاضل العلم وتكامله. ويستأنف كتابىّ «التبصرة» للقيسى و«التيسير» للقرشى[8]. ويتبع القسمة الثلاثية الشهيرة فى علم القراءات:القراء والأسانيد، المذاهب الصوتية، فرش الحروف[9]. ولأول مرة يكون

---

(١) الأسانيد ص٧- ١٦. المذاهب الصوتية ص١٧- ٦٠. فرش الحروف ص٦١- ٢٢٠.

(٢) وأهمها:المد والقصر، الإدغام والإظهار، السكون والتنوين، الفتح والإمالة، الوقف والاستئناف، التفخيم والتضعيف..إلخ.

(٣) أسماء القراء والرواة عنهم، اتصال قراءتى بهؤلاء الأئمة، اتصال قراءة الأئمة السبعة بالنبى، السابق ص٢٨- ٣٥.

(٤) المد والقصر، الهمزتان، الإدغام والإظهار، السكون والتنوين، الفتح والإمالة، الوقف، اللامات والزاءات، السابق ص٣٩- ٧٦.

(٥) فرش الحروف، السابق ص٧٧- ٢٣٦.

(٦) السابق، ص٣٥- ٣٨.

(٧) الشيخ الإمام أبو جعفر أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى:الإقناع فى القراءات السبع، حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدى، قدم له وقرظه د.فتحى عبد الرحمن حجازى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

(٨) السابق، ص١٣- ١٩.

(٩) أسماء القراء وأسانيدهم ص٢٠- ٩٢، المذاهب الصوتية ص٩٣- ٣٦٩، فرش الحروف ص٣٧٠- ٤٨٧.

أكبرها الثانى، المذاهب الصوتية[1].

وينتهى بالتكبير[2]. وتساعد الفهارس التفصيلية على اكتشاف بعض الدلالات الخاصة بالآيات أو الأحاديث النبوية والآثار والأشعار[3].

**٩- «المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر» للنشار (القرن التاسع الهجرى)[4]**

ويدل العنوان على تواتر القراءات السبع وتحررها من الشواذ. وكان التأليف استجابة لمطلب[5]. وقد اختلفت المذاهب الصوتية بين القراء[6]. ويخلو الكتاب من أى مقدمة نظرية. لذلك لا يوجد إلا قسم واحد، فرش الحروف سورة سورة. ولا يتجاوز مجرد رصد لاختلافات القراء دون الاعتماد على الحديث أو الشعر.

**١٠- «غيث النفع فى القراءات السبع» للصفاقسى[7]**

ومازال التأليف فى علم القراءات مستمرًا من القدماء إلى المحدثين، ومن الأموات

---

(١) القراء: نافع، ابن كثير، أبو عمرو بن العلاء، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائى. المذاهب الصوتية: الإدغام الكبير، الإدغام الصغير، الإمالة، الراءات، اللامات، الهمزة، المد، الحركة والسكون، الهاءات، الوقف والابتداء، ياءات الإضافة، كيفية التلاوة وتجديد الأداء.

(٢) السابق، ص٤٨٨ - ٤٩٢.

(٣) الأحاديث (١٠)، الأشعار (٤).

(٤) الإمام أبو حفص عمر بن قاسم بن محمد المصرى النصارى المعروف بالنشار: المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعى الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٥) «فقد سألنى بعض أصدقائى ومن هو من إخوانى فى الله وأحبائى أن أجمع له كتابا فى القراءات السبع المتواترة التى لا يوجه عليها المنع، وأن أذكر ما لكل شيخ أداءه من الخلاف وأن تكرر»، السابق ص١٦.

(٦) «فيالذكر قد أخبر الله تعالى أن القرآن العظيم تيسير إلا أن يكون الخلاف مما يكثر دوره كالمد والقصر والإدغام الكبير لأبى عمرو، وصلة ميم الجمع لابن كثير وقالون، وهاء الكناية لابن كثير، والنقل لورش، وترقيق الراءات له، وتغليظ اللامات له، والسكت لحمزة، وعدم الغنة لخلف، والفتح والإمالة، وبين اللفظين وأحكام النون الساكنين والتنوين، ووقف حمزة وهشام على الهمز، ووقف الكسائى على هاء التأنيث..»، السابق ص١٦.

(٧) ولى الله سيدى على النورى الصفاقسى: غيث النفع فى القراءات السبع، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

إلى الأحياء. وكأن الموضوع مازال مطروحًا ولم يصبح علما تاريخيا خالصا. يبدأ بمقدمة إنشائية عن علم القرآن اعتمادا على القرآن والحديث فى فضل تعلم القرآن وتعليمه. ألف فيه القدماء متونا وشروحا مشهورة مثل «الشاطبية». فقد تواترت القراءات عن النبى الذى أبلغ نزول القرآن على سبعة أحرف، سواء فى صيغة بسيطة أو فى صيغة مركبة يطالب فيه جبريل بالتخفيف على أمته من حرف إلى سبعة كما هو الحال فى الصلاة ونزولها من خمسين إلى خمس طبقا لخبرات الأنبياء السابقين، وعدم تكليف ما لا يطاق. والتواتر شرط فى صحة القراءة الصحيحة دون الشاذة. وشرط المقرئ الإسلام والعقل والبلوغ، بالإضافة إلى إخلاص النية لله وتحسين الهيئة والملابس اللائقة. ويقرأ المقرئ على الشيخ عدة قراءات وعديد من الروايات مع اتباع مذاهبهم فى القراءة مع حفظ الكتاب عن ظهر قلب ومعرفة الخلاف الواجب والتمييز بينه وبين الخلاف الجائز، ومعرفة طرق كتابته إذا قرأ من خط اليد[1]. وبدلا من المذاهب الصوتية تذكر مصطلحات الكتاب[2]. ثم يأتى فرش الحروف الذى يستغرق الكتاب كله[3]. ويظهر القليل من علم الأصوات داخل كل سورة مثل المدغم والمهال مع تحديد مكان السورة مكية أم مدنية. وتُضاف بعض الأقسام الفرعية مثل:تفريع، تنبيه، تكميل، فائدتان، فوائد، ويعتمد على الشعر، أبيات معدودة أم قصائد طوال[4].

### ب- تعدد اللهجات

وقد أنزل القرآن على سبعة أحرف بنص الحديث. فما هو الحرف؟ وما هى الأحرف؟ وقد اختلفت الآراء إلى أن وصلت إلى الأربعين:وهو إشكال لا حل له لأن الحرف يقال على حرف الهجاء والكلمة والمعنى والجهة. وقد تكون الحروف هى القراءات أو كيفية النطق فى التلاوة صحيحة أم شاذة. وقد يراد بها الأوجه التى يقع بها التغاير[5]. وقد يكون المقصود الاختلاف فى النحو والإعراب طبقا لفهم المعنى. وقد يكون المراد

(١) السابق ص٣- ١٣.
(٢) السابق ص١٤- ١٧.
(٣) السابق ص٢١- ٣٤٠.
(٤) الأشعار (٨٠)، القصيدة الطويلة، ص١٣٤- ١٣٦.
(٥) الإتقان جـ١/ ١٣١- ١٤١.

سبعة من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة. وقد يكون المراد سبع لغات مختلفة وليس فقط لهجات متعددة للغة واحدة. وكلها عربية[1]. وقد تعنى اللغة الجانب التشريعى فى صيغ الخطاب[2]. واختلف العلماء فى هذه الأحرف السبعة بين القراءات واللهجات من الصوتيات وهو ما اتخذه علم القراءات إلى المعانى ومستويات العمق عند الفلاسفة والصوفية أهل التأويل[3].

فماذا تعنى هذه القراءات السبع؟. هل هى الحروف فى الحديث الشهير أو لهجات القبائل العربية أو سبعة أنواع من القرآن أو سبع لغات عربية أو سبعة أوجه من المعانى المتفقة أو بعض الآيات أو سبعة أحرف مختلفة معانيها أو أنها ضرورة انتهى عصرها أو علوم القرآن أو مباحث الألفاظ أو أساليب البلاغة أو أوجه النحو أو طرق التلاوة أو المقامات والأحوال الصوتية؟[4]. والتساؤلات حول هذه الأحرف السبعة كثيرة: معناها، ووجه إنزالها، اختلافها، مكانها فيه أم فى لهجات الأمصار..إلخ[5].

ولا تعنى اللغة هنا اللسان، العربى أو الأعجمى بل اللهجة أو الحرف طبقا للحديث الشهير «أنزل القرآن على سبعة أحرف». فقد نزل القرآن بلهجة قريش وراجعها عدة مرات. وتعنى الأحرف السبع لهجات الأمصار أى القراءة وليس مباحث الألفاظ والمعانى أو الإثبات والحذف أو تبديل الأدوات أو التوحيد والجمع أو التذكير والتأنيث أو الاستفهام والخبر أو التشديد والتخفيف أو الخطاب والإخبار أو الإخبار عن النفس وغير النفس أو التقديم والتأخير أو النفى والنهى أو الأمر والإخبار أو تغيير الإعراب أو الحركات اللوازم أو التحريك والتسكين أو الاتباع وتركه أو الصرف وتركه بل

(١) وهى لغات قريش، وتميم، وهذيل، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر.

(٢) مثل: الأمر والنهى، والحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسر، والمستثنى والمستثنى منه.

(٣) عند البعض الآخر هى: تصريف الأسماء، تصريف الأفعال وجوه الإعراب، النقص والزيادة، التقديم والتأخير، الإبدال، اللغات واللهجات وهو الأصح، ابن غلبون: التذكرة فى القراءات، مقدمة المحقق، ص٦ - ٧. «باب ذكر الخبر الوارد عن النبى بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان ما ينطوى عليه من المعانى ويشتمل عليه من الوجوه»، جامع البيان، ص٢٠ - ٣٦.

(٤) البرهان جـ١/ ٢١١ - ٢٢٧.

(٥) جامع البيان ص٢٣.

اختلاف اللغات والتصرف فى اللهجات[1]. ويقرأ القرآن فى أمة أمية. سماعا وليس كتابة. ويقرؤه الرجل والمرأة والغلام والشيخ والسيد والجارية. ولكل طريقته فى القراءة وصوته ومخارج حروفه وإقليمه وقبيلته فى مجتمع بدوى ولدى قبائل رحل وأثناء الحج من كل فج وصوب[2].

وقد تعنى الجانب البلاغى[3]. وقد تنطبق على علوم الصوفية[4]. وقد يراد بها موضوعات الكلام أى علم. أصول الدين ونظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء[5].

وقد يكون الهدف من هذه الحروف السبعة إقرار التعددية فى القراءة وإدخال الصوت الإنسانى والاعتراف باللهجات الإقليمية داخل اللغة الواحدة للتخفيف على الناس. فقد أقر الرسول كل قراءة على اختلاف القراءات وتباينها. وقال لكل قارئ «أصبت»، «كل شاف كاف»، «كلاهما محسن». فكما أن الصواب فى الاجتهاد متعدد فكذلك القراءة للنص متعددة وإلا وقع الخلاف كما وقع فى العقائد بناء على حديث «الفرقة الناجية». وقد تم التعلم من تجارب الأمم السابقة «إن من قبلكم اختلفوا فأهلكهم ذلك».

وقد يتدخل الخيال من أجل الإيحاء بالتخفيف بمراجعة الملائكة مثل مراجعة

---

(1) اعتمادا على حديث: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف:زاجر آمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال إلى آخره فى السبعة أحرف»، السابق ص٢٥-٣٦.

(2) وهو معنى حديث: «لقيت جبريل عند أحجار المراء. فقلت:يا جبريل إنى أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ قط. قال:إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»، جامع البيان ص٢١. وهو معنى حديث: «اقرأوا كما علمتم»، السابق ص٣٣.

(3) مثل:الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والاستعارة والتكرار، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب وهى أساليب الكلام مثل التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والإفراد، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات. السابق ص١٣٧ - ١٣٨.

(4) مثل:الزهد والقناعة مع اليقين والجزم، والخدمة مع العطاء والكرم، والفتوة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء، والتضرع والاستغفار مع الرضا والشكر، والصبر مع المحاسبة والمحبة، والشوق مع المشاهدة، السابق ص١٣٨.

(5) وهى:الإنشاء والإيجاد، والتوحيد والتنزيه، وصفات الذات، وصفات الفعل، والعفو العذاب، والحشر والحساب، والنبوات، السابق ص١٣٨.

ميكائيل الحديث الأول عن حرف واحد ثم حرفين جتى الوصول إلى سبعة أحرف. مثل مراجعة جبريل الرسول ليلة الإسراء والمعراج فى عدد مرات الصلاة، وإنزاله من خمسين إلى خمس بناء على تجارب الأمم السابقة[1]. لذلك فى بعض الصياغات «فاقرءوا ما تيسر منه». ويظهر الرسول فى المنام لتثبيت قراءة القارئ[2]. وقد يدخل جبريل وميكائيل معا لمراجعة الرسول والتأكيد على تعددية القراءة. جبريل على يمينه وميكائيل على يساره. الرسول هو الذى يطلب الاستزادة من عدد القراءات. من واحد إلى اثنين إلى ثلاث إلى خمس إلى سبع، وهى أعداد فردية أشبه بمقامات الصوفية وزوجية باستثناء الأربع. وفى كلتا الحالتين هى مقولية حسابية تقف على العدد الرمزى فى الشرق القديم سبعة وفى القرآن، سبع سموات وسبع أرضين، وسبع ليال وفى الثقافة الإسلامية فى مختلف علومها. وهل حجم الملاك مثل حجم الرسول وجناح جبريل فى الإسراء والمعراج ما بين السموات والأرض؟ والرسول يستغيث بميكائيل لمراجعة جبريل نوع من التصوير الفنى والإخراج المسرحى[3]. وفى إخراج آخر يدخل العذاب والرحمة كعامل محدد لعدد القراءات أو التعجيل والإسراع[4].

---

(١) مثل «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، جامع الأصول ص٢٠. وفى صياغة أخرى «حين لقى جبرائيل عليه السلام فقال له: إنى ارسلت إلى أمة أمية... فقال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف». وفى صياغة ثالثة قال جبريل: «إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقال الرسول: اسأل الله المعافاة والرحمة. إن ذلك ليشق على أمتى ولا يستطيعونه. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن عل حرفين، فقال له مثل ما قال له فى الأولى حتى انتهى القرآن إلى سبعة أحرف». «فمن قرأ بحرف منها فقد أصاب»، جامع البيان ص٢٥.

(٢) السابق ص٤٩، النشر فى القراءات العشر جـ١/ ٢٣، منار الهدى ص١٨.

(٣) هو حديث: «أتانى جبريل وميكائيل فقعد جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى فقال جبريل: بسم الله أو يا محمد اقرأ القرآن على حرف. فنظرت إلى ميكائيل فقال: استزده فقلت زدنى، فقال: بسم الله اقرءوه على حرفين، ثلاثة أحرف. فنظرت إلى ميكائيل فقال: استزده فقلت: زدنى. قال: بسم الله اقرؤه على خمسة أحرف. فنظرت إلى ميكائيل. فقال: استزده. فقلت زدنى. قال: بسم الله =اقرأه على ستة أحرف. فنظرت إلى ميكائيل فقال: استزده. قلت: زدنى. فقال: بسم الله اقرأه على سبعة أحرف»، جامع البيان ص٢٢.

(٤) مثل حديث: «فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهى العدة. فقال جبريل: اقرأه على سبعة أحرف كلهن شاف كاف لا يضرك كيف قرأت ما لم تختم رحمة بعذاب أو عذابا برحمة» أو «ما لم تختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب بمغفرة» أو بزيادة «هلم وتعال وأقبل وأسرع واذهب وعجل»، جامع البيان ص٢٢.

ليست القراءات السبع الموجودة الآن بل تنوع القراءات على مدى العصور[1]. ليست قراءات تاريخية لقراء معينين[2]. فلا يقال قراءة فلان أو فلان.

## ٤- التاريخ والرمز:

ولماذا تتوقف القراءات على سبع ولا تستمر إلى عشر أو إحدى عشرة أو أربع عشرة؟ هل العدد سبع تاريخى أم رمزى؟ ليس المراد بالسبعة الحصر بل التعدد دون حصر. فإذا كان المقصود اللهجات فالقبائل أكثر من سبع؟ وهل القبائل هى التى وجدت فى شبه الجزيرة العربية وقت الإعلان والتبليغ أم هى القبائل فى كل زمان ومكان؟.

وقد كثرت التآليف فى الموضوع وأهمها:

أ- «المبسوط فى القراءات العشر» للأصبهانى (٣٨١هـ)[3]

وتتعدد القراءات بين السبع، وهى الأشهر، والعشر، والأربع عشرة. ويخلو من أية مقدمة نظرية. بل يكتفى بالروايات والأسانيد للقراءات على تتبعها سورة سورة، وآية آية. والثانى أضعاف الأول حجما[4]. وفى الأسانيد يذكر القراء وأماكنهم وأسانيد كل قارئ، وقرأ على من؟ ومثل الرواية سمع من من؟ ومعظمها أسماء أعلام دون جرح أو تعديل. وبمناسبة اختلاف القراء تذكر بعض الاختلافات المشابهة[5]. وتذكر بعض المذاهب الصوتية من خلال عرض اختلافات قراءات السور على التوالى. فيذكر

---

(١) الإتقان جـ١/ ٢٢٣- ٢٢٦/ ٢٢٩.

(٢) «وقال أبو بكر بن العربى: ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها»، السابق ص٦٢٣. «وقال مكي: من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هى الأحرف السبعة التى فى الحديث فقد غلط غلطا عظيما»، السابق ص٢٢٤. «وقال القراب فى الشافى: التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر وأوهم أنه لا يجوز الزيادة على ذلك، وذلك لم يقل به أحد»، «وقد اشتد إنكار أئمة هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة فى مثل ما فى التيسير والشاطبية»، السابق ص٢٢٥.

(٣) أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانى: المبسوط فى القراءات العشر، تحقيق وتعليق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٤) الروايات والأسانيد (٣٨)، السور والحروف (٢٤٨).

(٥) السابق ص٤٢- ٤٣.

المذهب فى الإدغام والإظهار أثناء قراءة السور، والمذهب فى الهمز وحذفه، والتفخيم والإمالة والمد، واجتماع الهمزتين فى أول الكلمة، ومذهب حذف الياءات وإثباتها، وفتح الياءات وإسكانها. وكلها استقراءات فى سورة البقرة[1]. ثم يتكرر إثبات الياء وفتحها فى عشرات السور الأخرى. وكلها من كلام العرب[2]. والسؤال الآن: ما فائدة ذلك كله بعد أن استقرت القراءات؟ هل هى دراسات تاريخية خالصة قبل أن تستقر مما قد يوحى بالشك فى القراءات الحالية كما يفعل المستشرقون فى التدوين عن طريق الكتابة والخط للتشكيك فى مصحف عثمان؟ ولماذا يدرس حتى الآن فى المعاهد والكليات الأزهرية؟ ربما ترجع أهميته إذا أثر فى فهم المعنى، وبالتالى يكون أدخل فى علم التفسير.

**ب- «الغاية فى القراءات العشر، الترجيح بينها بالأدلة والبراهين» لابن مهران (٣٨١هـ)[3]**

وهو نفس عنوان «الحجة». وبالرغم من أنه رصد سورة بسورة وآية بآية إلا أنه محاولة تنظيمية مبدئية داخل سورة البقرة حول الإدغام والإمالة[4]. وكذلك حول حذف الياء وإثباتها وفتح الياءات وإثباتها[5]. ولكل قراءة أسانيدها كما هو الحال فى علم الحديث. والسند مجرد ذكر أسماء الأعلام وليس خصائص القراء. وتوجد قراءات متعددة داخل كل رواية. كما توجد طرق متعددة داخل كل قراءة[6]. وقد تم التأليف استجابة لسؤال مما يدل أن علم القراءات فرض الواقع والاختلافات فى النطق[7]. أحيانا

---

(١) السابق ص٤٤- ٥١/ ٥١- ٥٥/ ٥٥- ٦١/ ٦٢- ٦٣/ ٦٣- ٦٤/ ٦٥- ٦٦/ ٨٦- ٨٧/ ٨٧- ٩٠/ ١٠٦- ١١٠/ ١٢٠/ ١٢٨/ ١٣١.

(٢) السابق ص٩٨/ ١١٠/ ١٢٠/ ١٢٨/ ١٣١/ ١٣٥/ ١٣٩/ ١٤٣/ ١٤٧/ ١٥٣/ ١٥٥/ ١٦٣/ ١٧١/ ١٧٥/ ١٨١/ ١٨٤/ ١٨٨/ ١٩٢/ ١٩٩/ ٢٠٢/ ٢٠٧/ ٢١٠/ ٢١٩/ ٢٣٠/ ٢٣٢/ ٢٣٢/ ٢٤١/ ٢٤٢/ ٢٤٦- ٢٤٧/ ٢٤٩/ ٢٥٧/ ٢٦٣/ ٢٦٥/ ٢٨٣.

(٣) الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران: الغاية فى القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ ص٧- ١٠٣.

(٤) السابق ص٣٢- ٤٧.

(٥) السابق ص٩٩- ١٠٣.

(٦) «فهذه أسانيد القراءات التى أقرأناها، وأخذناها لفظا اختصرناها كراهة للإطالة فيها. وسيأتى بعدها الحروف واختلافهم فى كل سورة..»، السابق ص٣١.

(٧) «سألت أسعدك الله أن أجمع لك القراءات التى قرأت بها لفظا بجميع الروايات التى وجدتها نقلا عن ذكر

تكون القراءات سبع، وأحيانا أخرى عشر. ولا يعتمد إلا على القرآن دون الحديث أو الشعر أو كلام العرب وعاداتهم فى القول.

جـ- «المستنير فى القراءات العشر» لابن سوار (٤٦٩هـ)(١)

قد لا يتفق اسم الكتاب «المستنير» مع منهجه فى الرواية والأسانيد. فالاستنارة تعنى إعمال العقل وإذا كانت القراءة إبداعا وأداء فكيف تنقل بالأسانيد؟ والمقدمة فى أهمية علم القرآن بوجه خاص وطلب العلم بوجه عام، وأفضلية العلم على العبادة، وأنه أسهل طريق إلى الجنة. ثم يتوجه العلم بحديث نزول القرآن على سبعة أحرف بصياغاته المختلفة ابتداء من الحسية إلى الخيالية. ثم تأتى أهمية إتباع السنة فى القراءة، وأهمية إعراب القرآن، وخطورة اللحن فيه. وللقرآن وتعليمه فضل(٢). وينقسم الكتاب إلى القسمة الثلاثية المعروفة فى علوم القرآن:الأسانيد، والمذاهب الصوتية، وفرش الحروف(٣). وتذكر عشرة أسانيد(٤). والمذاهب الصوتية سابقة على الفاتحة والبقرة(٥). وينتهى فرش الحروف بالتكبير(٦). وتظهر مصطلحات جغرافية لعلم الأصوات مثل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة(٧). ونادرا ما يعتمد على الشعر(٨).

---

الأسانيد وأن اختصرها بألفاظ لطيفة وتراجم موجزة خفيفة لتقرب على متحفظها وتسهل فلا تطول، وتكثر فتثقل، فأجبتك مستعينا بالله..»، السابق ص٧.

(١) الإمام أبو طاهر بن سوار:المستنير فى القراءات العشر، اعتنى به وعلق عليه جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٢م.

(٢) السابق ص٢٤- ٣٨.

(٣) الأسانيد ص٣٩- ١٥٨، المذاهب الصوتية ص١٥٩- ١٩٨، فرش الحروف ١٩٩- ٤٤٩.

(٤) عبد الله بن كثير المكى، نافع بن أبى نعيم، عبد الله بن عامر اليحمصبى، أبو عمرو بن العلاء، أبو بكر عاصم بن أبى النجود، أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات، أبو الحسن على بن حمزة الكسائى، أبو جعفر يزيد بن القعقاع، يعقوب بن إسحق الحضرمى، محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب.

(٥) مثل النون والتنوين، الهمز، والسكون والحركة، الوقف والابتداء، الإمالة.. إلخ.

(٦) السابق ص٤٥٠- ٤٥١.

(٧) السابق ص٢٣.

(٨) السابق ٣٩.

د- «الكنز فى القراءات العشر» للواسطى(٧٤٠هـ)[١]

ويمثل أعلى درجة من التنظير فى علم القراءات[٢]. يدور حول الأقسام التقليدية الثلاثة. الأول أسماء الأئمة وبلادهم ورواتهم وأسانيدهم[٣]. والثانى الأصول النظرية[٤]. والثالث فرش الحروف[٥]. وأكبرها كالعادة الثالث والثانى. وأصغرها الأول[٦]. والمؤلف على وعى بهذه القسمة الثلاثية: المقدمة والأصول وفرش الحروف. ويدور كله حول الإدغام كرابط موضوعى بين العرض الطولى، سورة سورة وآية آية. والأصول عشرة. والمؤلف على وعى ببنية الكتاب الثلاثية[٧]. وسبب التأليف إبداع نوعى أدبى جديد يبتعد عن الاختصار والإطالة وينحو نحو الوضوح[٨]. يعتمد على الشعر دون الحديث[٩]. ويخلو من الحجج والتعليل. ويبرز طريقة المصريين الذين عرفوا بفن التجويد.

هـ- «النشر فى القراءات العشر» لابن الجزرى(٨٣٣هـ)[١٠]

وعلى عكس «الكنز» وقدرته على التنظير، يأتى مسهبا مطولا جامعا مواده من كتب

(١) الإمام العلامة الشيخ عبد الله بن عبد المؤمن ابن الوجيه الواسطى:الكنز فى القراءات العشر، تحقيق هناء الحمصى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) أسماء الأئمة وبلادهم ورواتهم وأسانيدهم، السابق ص١١- ٣٥.

(٣) قواعد الكتاب، مخارج الحروف وصفاتها، الهمس، الأصول عشرة:الإدغام والإظهار، هاء الكناية، الهمز، المد والقصر والوقف على الساكن، الإمالة كانت لاما فى الأسماء والأفعال، ترقيق الراءات وتفخيمها، تغليظ اللامات وترقيقها، الوقف، الياءات، والعاشر فى الاستعاذة والبسملة والتكبير عند ابن كثير، السابق ص٣٦- ١٢٣.

(٤) السابق ص١٢٤- ٢٧٠.

(٥) الأول(٣٠)، الثانى(٨٣)، الثالث(١٤٧).

(٦) السابق ص١٠.

(٧) «وقد ألف أئمة القراء فى هذا العلم كتبا كثيرة عدًا. غير أنها مختلفة بين مختصر مخل بالمقصود أو مطول جدًا. فرأيت أن أصنف لك أيها الطالب كتابا جامعا بين الوضوح والاختصار فى قراءات السبع أئمة الأمصار»، السابق ص٩.

(٨) الشعر(٢).

(٩) السابق ص٢٣- ٢٤/ ٣٤/ ٤٣.

(١٠) الإمام الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى:النشر فى القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ(جزءان).

سابقة مع ذكره لها تباعا لذلك تضخم كما. وتسند أصول الكتاب[1]. ويتبع أسلوب «قلنا. قلت» الأسلوب المملوكى للحوار مع النصوص السابقة المقتبس منها[2]. قرأها على مشايخه، وأجازوا له النقل عنها. لذلك ينقص الإبداع ويفرق بين الكتاب والمفردة التى قد تكون مجرد كراسة أو كتيب أو نسخة وحيدة. والكتب ليست مرتبة ترتيبا زمانيا مما يدل على غياب الوعى التاريخى. ويعتمد على الشعر دون الحـديث[3]. ويظهر نوع أدبى جديد هو «تنبيهات»[4]. ويقوم على أربعة أقسام. الأول عرض الكتب السابقة[5]. والثانى القراءات العشر وأسانيدها[6]. والثالث بعض الأصول النظرية[7]. وبين الثانى والثالث الاستعاذة والبسملة[8]. وفى الرابع وتظهر أصول على الأصوات[9]. كما تظهر مفاهيم علم أصول الفقه[10].

### و- «تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة» للجزرى أيضًا (٨٣٣هـ)[11]

يتم التركيز هذه المرة أكثر من الكتاب السابق حتى ليبدو وكأنه ملخص له. يتبع نفس التقسيم الثلاثى:الأول القراء والأسانيد والأنساب والكنى والبلدان وسيرتهم

---

(١) السابق جـ١/ ٧.

(٢) السابق ص٦١- ٨٢.

(٣) الشعر (٣٦).ش

(٤) تنبيهات (٢٣).

(٥)ثلاثة وخمسون كتابا وثلاث مفردات، النشر جـ١/ ٥٠- ٨١.

(٦) السابق جـ١/ ٨٢- ١٥٦.

(٧) صفات الحروف، التجويد، الوقف والابتداء، الإدغام والإظهار، الهاء، المد والقصر، الهمز، التنوين والسكون، مخارج الحروف، الفتح والإمالة، الوقف والابتداء، التغليظ والترقيق، مرسوم الخط، الباء، اللام. السابق جـ١/ ١٥٧- ٣٧٨. جـ٢/ ٣- ١٥٤.

(٨) السابق جـ١/ ١٩٢- ٢١٢.

(٩) السابق جـ١/ ١٦٠- ١٧٧.

(١٠) السابق ص٢١٩/ ٢٨١.

(١١) الإمام المحقق محمد بن محمد بن على بن يوسف الجزرى:تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م (ويهمل الناشر تقويس الآيات القرآنية).

الذاتية[1]. والثانى المذاهب اللغوية[2]. والمذاهب رجال، والرجال مذاهب مثل حمزة وورش. والثالث فرش الحروف[3]. وأكبرها الثالث كالعادة ثم الثانى، وأصغرها الأول[4]. وبين الأول والثانى تذكر الاستعاذة والتسمية وأم القرآن[5]. وفى النهاية يذكر التكبير فى قراءة ابن كثير[6]. وفى المقدمة يذكر سند الكتب وإرجاعه موصولا إلى الدانى[7]. وقد تم التأليف استجابة لمطلب[8]. ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر.

ز- «الروضة فى القراءات الإحدى عشرة» للبغدادى المالكى(٤٣٨هـ)

سفر ضخم[9]. يتضمن ثلاثة أقسام نمطية غلبت على معظم المؤلفات فى علم القراءات:الأول الروايات والأسانيد والقراءات، والثانى الأسس النظرية فى علم الأصوات أو الأصول، والثالث فرش الحروف إلى التطبيق العملى لها سورة سورة

(١) أسماء القراء وأنسابهم وبلداتهم وكناهم وموتهم، السابق ص١٣- ٣٧.
(٢) الإدغام، الكناية، المد والقصر، الهمز، الوقف والابتداء، الفتح والإمالة، الراءات، اللامات، أواخر الكلم، مرسوم الخط، السكون والحركة، الإضافة والزوائد، السابق ص٤١- ٨٤.
(٣) السابق ص٨٥- ٢٠٢.
(٤) الأول(٣١)، الثانى(٤٧)، الثالث(١٢٠).
(٥) السابق ص٣٨- ٤٠.
(٦) السابق ص٢٠٣- ٢٠٤.
(٧) السابق ص٩- ١٢.
(٨) «فإنكم سألتمونى.. أن أصنف لكم كتابا مختصرا فى مذاهب القراء السبعة بل العشرة بالأمصار، يقرب عليكم تناوله ويسهل حفظه ويخف عليكم درسه ويتضمن الروايات والطرق ما اشتهر وانتشر عند التالين وصح وثبت عند المتعددين من الأئمة المتقدمين.. واعتمدت فى ذلك على الإيجاز والاختصار وترك التطويل والتكرار وقربت الألفاظ وهذبت التراجم ونبهت على الشيم بما يؤدى إلى حقيقته من غير استغراق لكى يوصل إلى ذلك فى يسر وبتحفظ من قرب..»، السابق ص١٢.
(٩) أبو على الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى المالكى:الروضة فى القراءات الإحدى عشرة، دراسة وتحقيق د.مصطفى عدنان محمد سلمان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا (جزءان). ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م. وهى رسالة علمية مقدمة للنشر والتحقيق، ونشر مشترك بين السعودية وسوريا. تختلف فيها بعض عناوين الفهرس مع بعض عناوين الكتاب.

وآية آية[1]. أكبرها الثالث ثم الثانى وأصغرها الأول[2]. مهمة الأول معرفة الرواة عن طريق ترجمتهم أى سيرهم الذاتية[3]. ونسبتهم إلى أسماء المدن والأمصار مما يبين أهمية اللهجات فيما يمكن تسميته علم الجغرافيا اللغوى مثل علم النفس اللغوى[4]. وقد انتهى هذا العصر، ولم نعد فى عصر هؤلاء الرجال. فهو جزء تاريخى خالص. والثانى فى علم الأصوات مع ضرب الأمثلة[5]. وهو ما لا يغنى عن دراسة الموضوعات. وكل فرد، مثل حمزة أو الكسائى مذهب لغوى. فعلماء اللغة مذاهب مثل مذهب حمزة فى الهمزة[6]. ويتم تفصيل الهمزة وأنواعها، والساكن والمتحرك، والوقف بالروم والإشمام، والإدغام الكبير والصغير، والمد والقصر..إلخ. أما الجزء الثالث، فرش الحروف فيبدأ بالتحديد المكانى للسورة، مكية أو مدنية مما يدل على ارتباط القراءات بأسباب النزول. وهو مجرد استعراض طولى لاختلاف القراءات بعد وضع أصولها الصوتية وضبط رواتها وأسانيدها. فبالرغم من أن كل آية مسألة إلا أنها لم تتحول إلى موضوع، وبالتالى اختفت البنية وغاب العرض الموضوعى. وتبدأ كل مسألة بأفعال «قرأ»، «روى»، «تفرد»، إذا شذت القراءة عن الإجماع. وأحيانا تبدأ بأفعال تدل على الاختلافات فى القراءة مثل «اختلفوا»، «انقسموا». ومن ثم لم تعد الحاجة إلى القسمة إلى أبواب وفصول طالما لا توجد موضوعات بل مجرد رصد لآيات. وإذا غابت فلعدم وجود موضوع. وإن وجدت فإنها مسألة صغيرة مثل فصل ذكر التكبير[7]. وقد تم التأليف بناء على سؤال مما

---

(١) الأول:الأئمة ومن روى عنهم، ترجمة الأعلام، الأسانيد:نافع، ابن كثير، ابن عامر، عاصم، أبو عمرو، حمزة، الكسائى، أبو جعفر، يعقوب الحضرمى، الأعمش، خلف. جـ١/ ١١٠- ١٧٩. والثانى الأصول:الهمزة، الإدغام، الإمالة، الياءات، التسمية، جـ١/ ١٧٩- ٥١٧. والثالث فرش الحروف من الفاتحة حتى الإخلاص جـ٢/ ٥١٧- ١٠٠٤.

(٢) الأول (٦٩)، الثانى (٣٣٨)، الثالث(٤٨٨).

(٣) الروضة جـ١/ ١٢٧- ١٧٩.

(٤) علم النفس اللغوى Psycho-linguistics. علم الجغرافيا اللغوى Geo- linguistics.

(٥) وهو ما يمكن تسميته علم اللغة التطبيقى Applied Linguistics أو علم الأصوات التطبيقى Applied Phonetics.

(٦) الروضة جـ١/ ٢٣١- ٢٥٥.

(٧) السابق جـ٢/ ٩٩٥- ٩٩٦.

يدل أن علم القراءات نشأ طبقا لحاجة محلية صرفة[1]. ويعتمد على القرآن أولا ثم على الشعر بصورة أقل دون الحديث[2].

حـ- «إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر» للبناء (١١١٧هـ)[3]

وهى دراسة لعلم القراءات مقسمة التقسيم الثلاثى الشائع: أسماء القراء وأسانيدهم، مذاهب الأصوات خاصة الإدغام، فرش الحروف أى التطبيق العملى سورة سورة وآية آية. وأكبرها هو الثالث كالعادة. والإدغام هو الموضوع لأنه ضم حرفين فى صوت واحد[4]. وفى مقدمة نظرية صغرى يتم تعريف علم القراءات، موضوعه، واستمداده، وفائدته، وغايته[5]. وينتهى بالتكبير[6]. ثم تأتى قائمة فيما يتعلق بختم القرآن العظيم[7]. مما يدفع إلى التساؤل هل القرآن كتاب دراسة فى علوم القرآن أم كتاب عبادة وأدعية وابتهالات كما هو الحال فى الممارسات الشعبية الآن؟ ويعتمد على الشعر دون الحديث[8]. ويركز على الاختلاف أكثر من الاتفاق دون إحساس بالحرج، وأفضل من تضخيم الاستشراق للاختلاف للشك فى الصحة التاريخية لنص القرآن أسوة بالكتب المقدسة السابقة.

## ٥- المشهور والشاذ:

وهو أحد موضوعات علم القراءات[9]. القرآن الوحى المنزل على محمد للبيان

---

(١) «سألت.. أن أجمع لك ما نثرته فى الخلافات من القراءات التى تلوت بها على شيوخ أهل العراق ذوى السماعات والإجازات والتلاوة على غيرهم من الشيوخ. وقد أجبتك على سؤالك.»، الروضة جـ١/ ١٠٩.

(٢) الشعر (٣).

(٣) العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطى الشهير بالبناء: إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.

(٤) الأسماء ص٩- ٢٧، المذاهب الصوتية ص٢٨- ١٥٨، فرش الحروف ص١٥٩- ٦٠٩.

(٥) السابق ص٦- ٩.

(٦) السابق ص٦١٠- ٦١٥.

(٧) السابق ص٦١٦- ٦٢٠.

(٨) الشعر ص٥١/ ١٠٦/ ١٩٨/ ٢٧٥/ ٢٨١/ ٣١٤/ ٣٣٥.

(٩) البرهان جـ١/ ٣١٨- ٣٣٨. وقد ألف فيه أبو عمرو الدانى كتاب «التيسير»، ونظمه الشاطبى فى لاميته،

والإعجاز قبل سماعه وقراءته وتحويله إلى صوت. والقراءات هى اختلاف ألفاظ الوحى فى قراءة أو كتابة الحروف من تخفيف وتثقيل، والترجيح بينها واختيار أحدها دون الأخرى. وهو مناقض لتعددية القراءات[1]. وإذا اختلف إعرابان لا يفضل أحدهما على الآخر وكأن المعنى التداولى هو المحك فى استعمال الناس. فى حين أنه فى علم أصول الفقه الترجيح أحد طرق رفع التعارض[2]. وتوجيه القراءات وبيان أهم ما ذهب إليه كل قارئ دليل على حسب المدلول عليه أو مرجح دون إسقاط القراءة الأخرى لأن كلتيهما متواترتان[3].

والقراءات السبع متواترة عند الجمهور أو مشهورة. لذلك لا يجوز العمل بالقراءة الشاذة[4]. فى حين أنه فى خبر الآحاد يجوز العمل به ولكنه يظل من حيث النظر ظنى الدلالة. والقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وبيان معانيها.

والخلافات فى علوم القرآن كثيرة سواء فى النص المكتوب أو فى القراءة الشفاهية مما يدل على أهمية الحوامل بالنسبة للمحمول. ولا يُوجد حل يقينى لهذه الخلافات. تعتمد على الروايات أكثر مما تعتمد على التحليل، على النقل وليس على العقل. والسؤال هو:كيف تستطيع الذاكرة أن تعى كل هذه الروايات والاختلافات فى القراءات والأسانيد؟ وهو ما يدعو إلى التفكير فى التحول من العلوم النقلية إلى العلوم العقلية ثم من العلوم العقلية إلى العلوم الإنسانية واللغة التداولية. إذا اختلفت القراءات تحسم بلغة قريش التى نزل بها القرآن[5]. فاللغة هنا تدخل كعامل مرجح فى القراءات:

---

وأبو جعفر بن الباذشى كتاب «الإقناع»، وأبو الكرم الشهرزورى كتاب «المصباح» فى القراءات العشر، السابق ص٣١٨.

(١) الإتقان جـ١/ ٢٨٨- ٢٢٩.

(٢) من النص إلى الواقع جـ٢، بنية النص ص٤١٢- ٤٢٢.

(٣) البرهان جـ١/ ٣٣٩- ٣٤١، وقد صنف فيه أبو على الفارسى كتاب «الحجة» ومكى كتاب «الكشف»، والمهدوى كتاب «الهداية»، وابن جنى كتاب «المحتسب»، وأبو البقاء.

(٤) الإتقان جـ١/ ٢٨٨/ ٣٤١، البرهان جـ١/ ٣٣٦- ٣٣٨.

(٥) الإتقان جـ١/ ١٦٩.

واختلافات القراءات نوعان:نوع يخل بالمعنى وهو الأهم، ونوع لا يخل بالمعنى بل مجرد رصد لغوى لا يؤثر فى فهم المعنى[1]. واختلاف القراءات هى أحد أسباب اختلاف الأحكام[2].

ويرجع اختلاف القراء إلى عدة أوجه:إعراب كلمة دون تغيير معناها، وإعرابها مع تغيير معناها، تبديل حروف كلمة دون إعرابها، الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورة الكتابة دون معناها، الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورة الكتابة ويغير معناها، التقديم دون التأخير، الزيادة والنقص فى الحروف والكلمات[3].

ولاختلاف القراءات بعض الفوائد منها التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة وعدم إخضاع الوجدان البشرى للحرف. فالحرف صوت يسمع أو رسم ينظر، والوجدان إحساس وحياة[4]. وهو فضل الأمة، وشرفها على غيرها من الأمم التى وقعت فى حرفية النصوص. وهنا يكون الصوفية والفلاسفة والمعتزلة وجميع أهل التأويل على حق. وقد فرض التأويل نفسه على باقى الكتب المقدسة السابقة كبديل عن تعدد القراءات. وهو عمل عظيم الأجر لأنه يتطلب الجهد فى المعرفة، والذوق فى الفهم، والوجدان فى الإدراك. يحمى الكتاب من افتراض التحريف والتغيير والتبديل عن طريق إثبات تعدد القراءات. وهو يعادل تعدد الصواب فى علم أصول الفقه. وإنكار القراءة الواحدة فى علوم القرآن مثل إنكار الفرق الناجية فى علم أصول الدين. وقد تكتشف أحد القراءات ما تخفيه قراءة أخرى على مستوى المعانى[5].

ويفرح المستشرقون كلما كثرت الاختلافات ليس فقط فى القراءات بل فى الخطوط لزعزعة الثقة بالصحة التاريخية للنص كما فعل النقد التاريخى فى القضاء على الصحة التاريخية للعهدين القديم والجديد.

---

(١) الإتقان جـ٤/ ٧٨.

(٢) الإتقان جـ١/ ٢٢٦- ٢٢٨، وذلك مثل الاختلاف فى نقض الوضوء باللمس بسبب اختلاف القراءة فى (لمستم) و(لامستم)، وجواز وطأ الحائض عند الانقطاع قبل الغسل أو عدمه بسبب اختلاف قراءة (يطهرن).

(٣) البرهان جـ١/ ٢٣٤.

(٤) الإتقان جـ١/ ٢٢٧- ٢٢٨. مثل (يطهرن) بالتشديد أو التخفيف.

(٥) وهو ما حاوله السيوطى فى كتاب «أسرار التنزيل» وقد تكون هذه التعددية فى القراءات أحد أوجه الإعجاز.

## التأليف فى الموضوع:

وقد ازدهر التأليف فى تعدد القراءات منها:

١- «المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» لابن جنى (٣٩٢هـ)[١]

وهو كتاب فى القراءات الشاذة من أحد كبار علماء اللغة ابن جنى صاحب «الخصائص». يستعرضها سورة سورة، وآية آية بعد مقدمة قصيرة عن معنى الشاذ وما كتب عنه من قبل[٢]. فالقراءة نوعان صحيحة وشاذة. وفى كل منها عدة تآليف[٣]. وما شذ عن القراءات السبعة نوعان:الأول عارض الصنعة لا يهم ولا يدخل فى التحليل. والثانى ما شذ عن السبعة، وغمض على الصنعة. وهو موضوع الكتاب. وهى أيضا مرويات لها أسانيدها. وبما أن المؤلف لغوى فانه يعتمد على الشعراء اعتماده على القرآن والشعر بالآلاف، بعدد صفحات الكتاب.

٢- «بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات» للمهدوى (٤٤٠هـ)[٤]

وهو كتاب صغير الحجم، خال من القسمة إلى أبواب أو فصول. يكثر من الاعتماد على الحجج النقلية. ويتكرر الحديث لاختلاف صياغاته لأهمية الدليل النقلى. وهو إجابة عن سؤال افتراضى «إن قال قائل:ما سبب هذا الاختلاف الذى كثر بين القراءة فى ألفاظ القرآن؟»[٥]. فقد اشتمل المصحف على جميع الحروف المنزل عليها القرآن[٦].

---

(١) أبو الفتح عثمان ابن جنى:المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، (جزءان.)

(٢) السابق جـ١/ ١٠١- ١١٠.

(٣) فى القراءات الصحيحة «القراءات السبعة» لابن مجاهد، «والحجة فى القراءات» للفارسى.

(٤) أربعة كتب فى علوم القرآن، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص٢٥- ٣٥.

(٥) السابق ص٢٥.

(٦) السابق ص٢٨.

والقراءة المستعملة التى لا يجوز ردها لها شروط ثلاثة:موافقة خط المصحف، عدم خروجها على لسان العرب، وثبوتها بالنقل الصحيح[1].

٣- «مفردة نافع بن عبد الرحمن المدنى» لأبى عمرو الدانى(٤٤٤هـ)[2]

وقد تخصصت دراسات مستقلة عن كل قراءة من القراءات السبع لبيان خصائصها وميزاتها عن القراءات الأخرى. والمؤلف مقرئ. وموضوع الكتاب الاختلاف بين أصحاب نافع الذى أخذوا عنه القراءة تلاوة، وأدوها حكاية[3]. وتذكر عن كل واحد روايتان إلا عن ورش وقالون ثلاث روايات فيكون المجموع عشر روايات. واليقين من الرواية وليس من علم الأصوات باعتبارها علمًا طبيعيًا يربط بين مخارج الحروف وأدوات النطق اللسان والحلق والأنف والشفتان.

وكعادة كتب القراءات بالرغم من قسمتها إلى أبواب وفصول إلا أنها تضم ثلاثة أقسام:الأول أسانيد الروايات. والثانى مذاهب الأصوات[4]. والثالث فرش الحروف أى تطبيق مذاهب الأصوات فى سور القرآن سورة سورة[5]. وتبدأ بالخلافات فى الاستعاذة والتسمية. والثالث أكبرها[6]. وبعض السور خالية من الأمثلة[7]. وتعدد القراءات مقدمة لتعدد المعانى. واختلاف الروايات مقدمة لاختلاف التفسيرات وليس فقط لحسن الأداء فى فن التجويد.

٤- «مفردة عبد الله بن كثير المكى» لأبى عمرو الدانى (٤٤٤هـ)[8]

وهى دراسة لقراءة مفردة مع ذكر الاختلافات مع باقى القراءات. والاختلاف

---

(١) السابق ص٣٠.

(٢) أبو عمرو الدانى:مفردة نافع عبد الرحمن المدنى، تحقيق د.هاشم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

(٣) هؤلاء الأربعة هم:إسماعيل بن جعفر ابن أبى كثير الأنصارى، إسحق بن محمد المسيّبى، عيسى بن مينا قالون، ورش المصرى، السابق ص١٥.

(٤) وهى ضم ميم الجمع، الهمزة، المد واللين، الإظهار والإدغام، الإحالة،..إلخ. السابق ص٢٦- ٤٨.

(٥) السابق ص٤٩- ٨١.

(٦) القسم الأول(٨)، الثانى(٢٣)، الثالث(٦٦).

(٧) السابق ص٦٥.

(٨) أبو عمرو الدانى:مفردة عبد الله بن كثير المكى، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤١٨هـ- ٢٠٠٨م.

أهم من الاتفاق، والتعبير عنه بلفظ ابن كثير[1]. وينقسم كعادة كتب علم القراءات إلى القسمة الثلاثية الشهيرة:الأسانيد، والحروف أى الأصوات ثم فرش الحروف أى تطبيق الأصوات على القرآن سورة سورة، وآية آية[2]. وهو الجزء الأكبر. وليس فى كل سورة اختلاف[3]. ويشمل علم الأصوات الموضوعات المعروفة فى كل كتاب بمناسبة سورة البقرة[4]. فالقراءة هى منطق الرواية الشفاهى كما أن التواتر هو منطق الرواية المدونة. وبالرغم من وجود أبواب لها عناوين فى عبارات شارحة وفصول بلا عناوين إلا أنها لا تخلو من التحليل النظرى. وتكتفى بمجرد رصد اختلاف القراءات بين الروايات[5]. ولا تتجاوز القراءة التشكيل إلى بيان المعانى. وتنتهى الدراسة بالتكبير الذى يعنى ليس مجرد قول «الله اكبر» بل التعظيم والتهليل والمدح والإطراء بعيدا عن القصد والعمل والعقل. وانفراد القراءة بخصوصيات تعنى أنها فن وأداء[6]. تعتمد على الشعر لضبط القراءة بالنسق البلاغى الشعرى[7]. ويحيل العمل إلى باقى الأعمال مما يدل على وحدة مشروع التأليف[8]. ويضاف إلى الكتاب ملحقا بنفس البنية الثلاثية الأسانيد والأصوات وفرش الحروف لذكر الاختلافات بين القراءات[9]. ومن الصعب

---

(١) «هذا الكتاب أذكر فيه.. قراءة أبى معبد عبد الله بن كثير المكى الدارى.. من رواية أبى عمرو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن سعيد بن جرجة المخزومى المكى المعروف بقنبل عن أبى الحسن أحمد ابن محمد القواس عن أصحابه عن فيما خالف فيه نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى.. من رواية عيسى بن قالون عنه دون ما اتفقا عليه، وأجعل ذلك بلفظ ابن كثير خاصة دون لفظ نافع ليقرب حفظه على الطالبين ويسهل مآخذه على المتنقلين..»، السابق ص١٥.

(٢) الأسانيد ص١٧- ٢٧، الحروف والأصوات ص٢٨- ٣٨، فرش الحروف ص٣٩- ١٠٨.

(٣) السابق ص٩٩/ ١٠٤/ ١٠٧- ١٠٨.

(٤) ومثل:المد والقصر، الهمزة، الإظهار والإدغام، الفتح، ياءات الإضافة.

(٥) السابق ص١٠٩.

(٦) السابق ص١٣٧.

(٧) السابق ص٦٢.

(٨) السابق ص٣٦.

(٩) الاختلاف بين قنبل والبزى عن أصحابها، السابق ص١٠٩- ١٣٨.

الآن العودة إلى التاريخ بعد أن استقرت القراءات التداولية فى آذان الناس. أما الفهارس التحليلية فهى مادة خام جيدة لتحليلها وإيجاد دلالاتها على علم القراءات[1].

٥- «مفردة أبي عمرو بن العلاء البصرى» لأبى عمرو الدانى(٤٤٤هـ)[2]

وموضوعه اختلاف هذه القراءة عن باقى القراءات بلفظ البصرى[3]. ويتبع نفس القسمة الثلاثية فى علم القراءات:الأسانيد، والأصوات، وفرش الحروف. وأكبرها القسم الثالث التطبيقى كالعادة[4]. ويبدأ بذكر فضائل صاحب القراءة وأئمته الذين أخذ عنهم القراءة وصولا إلى الرسول. والمؤلف يجمع بين تراث المغرب وتراث المشرق، من قرطبة إلى الشام. ويقوم منطق الكتاب على ذكر القراءة من الرواية ثم رصد الخلاف بين قراءة وأخرى بلفظ القارئ على سبيل الاقتصاد والإيجاز[5]. أما المذاهب الصوتية فإنها تعتمد على طبيعة الأصوات ومخارج الحروف والسهولة الطبيعية والجمال الصوتى[6]. والإعراب مدخل للقراءة. ويعتمد على الشعر باعتباره تقابلا نسقا بلاغيا سابقا على القراءة. كما يعتمد على بعض الأحاديث التى يتدخل فيها الخيال والإخراج إلى حد كبير مثل روايته فى المنام[7]. وينتهى بملحق عن أسانيد رواية السوسى وأصواتها وتطبيقها على فرش الحروف[8].

---

(١) وذلك مثل فهرس مصطلحات التجويد، وفهرس الأعلام، وفهرس الجماعات والقبائل، وفهرس الأماكن، وفهرس القوافى، وفهرس الكتب المذكورة فى المتن، وفهرس الآيات والشواهد.

(٢) أبو عمرو الدانى:مفردة أبى عمرو بن العلاء البصرى، تحقيق د.حاتم الصالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

(٣) تهذيب قراءة أبى عمرو بن العلاء المازنى البصرى.. من رواية أبى عمر حفص بن عمر الدورى، عن اليزيدى، عنه، مما خالف فيه بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى.. من رواية عيسى بن مينا قالون، عنه، بلفظ أبى عمر خاصته على سبيل الاختصار والإيجاز»، السابق ص٢٢- ٢٣.

(٤) الأسانيد ص٤٠- ٤٥، الأصوات ص٤٥- ٧٤، فرش الحروف ص٧٥- ١٥٧.

(٥)السابق ص٢٥- ٣٩.

(٦)مثل:المد، الهمزة، الإدغام، الإمالة، الياءات، الروم والإشمام..إلخ السابق ص٤٧- ٧٤.

(٧)السابق ص٢٥.

(٨) السابق ص١٥٨- ١٧٧.

## ٦- «تهذيب الاختلاف» لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)[1]

وبعد دراسة مفردات القراءة تأتي المقارنات من أجل «تهذيب الاختلاف»، وإيجاد العناصر المشتركة بينها عن طريق وسيط قادر على الجمع بين قراءتين[2]. يكشف عن مستوى أعلى من التنظير. ويضع منطقا للاختلاف. ورواية الاختلاف عامل مساعد. واللفظ هو مستوى الجمع والفرق[3]. وقد تم التأليف بناء على سؤال[4]. وهي نفس المادة في المفردات الثلاث مكررة مما يدل على وحدة العمل، والإحالة إلى بعضه البعض[5]. ويتبع نفس القسمة الثلاثية لمعظم كتب علم القراءات: الأسانيد، وعلم الأصوات وفرش الحروف. ويضيف ثلاثة أجزاء عن الاختلافات[6]. وتتكرر عناصر علم الأصوات[7]. وتفيد الفهارس التحليلية في إيجاد بعض الدلالات بالنسبة

---

(١) أبو عمرو الداني: تهذيب الاختلاف، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م، ص٨٢- ١٤٤.

(٢) «تهذيب الاختلاف بين أبي موسى عيسى بن مينا قالون من طريق أبي نشيط محمد بن هارون عنه بلفظه، وبين أبي سعيد ورش. وكلاهما عن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم على سبيل الإيجاز والاختصار. وفيه الاختلاف بين أحمد بن يزيد الحلواني وبين أبي نشيط، وكلاهما عن قالون بلفظ الحلواني، وفيه الاختلاف بين أبي على الجمال الرازي وبين أبي عون الواسطي، وكلاهما عن الحلواني عن قالون بلفظ أبي عون. وفيه الاختلاف بين القاضي إسماعيل بلفظه وبين أبي نشيط، وكلاهما عن قالون»، السابق ص٨٣.

(٣) السابق ص٨٣.

(٤) «سألتني، نفعنا الله وإياك، أن أخرج لك الاختلاف بين أبي موسى عيسى مينا قالون المقرى وبين أبي سعيد عثمان بن سعيد ورش المقرئ فيما اختلفا عن نافع بن عبد الرحمن بن نعيم المدني من الأصول المطردة ومن فرش الحروف المتفرقة دون ما اتفقا عليه عنه من ذلك فأجبتك إلى ما سألته، وخرّجت ذلك لك على ما رغبته، وجعلته مفردا بلفظ قالون خاصة من رواية أبي نشيط محمد بن هارون عنه دون لفظ ورش لكي يقرب عليك حفظه ويخف عليك متناوله»، السابق ص٨٤.

(٥) وهي إحالات إلى مؤلفات الداني الأخرى كالأصول والتمهيد والتهذيب، السابق ص٩٧/ ٩٩/ ١١٤/ ١٤٣.

(٦) الأسانيد ص٨٥- ٨٩، الأصوات ص٨٩- ١١٠، فرش الحروف ص١١١- ١٢٠، الاختلاف بين أبي نشيط والحلواني ص١٢١- ١٣٠، الاختلاف بين أبي عون والجمال وكلاهما عن الحلواني ص١٣١- ١٣٦. الاختلاف بين إسماعيل بن إسحق القاضي وأبي نشيط وكلاهما عن قالون ص١٣٧- ١٤٤.

(٧) مثل ميم الجمع، المد والقصر، الهمزة، الإظهار والإدغام، الفتح والإمالة، الراءات واللامات، الباءات.. إلخ.

لنشأة مصطلحات علم التجويد، وبالنسبة للأعلام، والأماكن وأهمية مصر، والآيات والشواهد[1].

٧- «مفردة قراءة ابن كثير المكي» للموصلي(٧١٣هـ)[2]

والغرض من الكتاب تجريد مذهب ابن كثير، وإفراد مذهبه وروايته وقراءته ومراجعة ما قاله الشاطبي عنه عن طريق شاهدين عدلين. هي دراسة على قراءة، دراسة الموصلي على قراءة ابن كثير مثل الدراسات الحديثة. ويهتم بالاتفاق أكثر من الاختلاف[3]. ويعرف الكتاب باسم القارئ وكنيته ونسبه ومناقبه وسنده واتصاله بالنبي، ومولده ووفاته، وذكر روايته وسند قراءته، واتصالها بابن كثير[4]. وينقسم كالعادة إلى القسمة الثلاثية الشهيرة في علم القراءات: حياة القارئ، والمذاهب الصوتية بمناسبة سورة الفاتحة، وفرش الحروف ابتداء من سورة البقرة. وينتهي بالتكبير[5]. وأكبرها القسم الثالث التطبيقي. والمذاهب الصوتية متكررة[6]. وبعد أن استقرت القراءة الآن وأصبحت متداولة أصبح علم القراءة علما تاريخيا خالصا من أجل العلم. وربما ما زالت بعض الخلافات في التشكيل الذي يغير المعنى. ويستعمل الشعر لضبط بعض الاختلافات في القراءة. فالشعر والقرآن نسقان بلاغيان[7].

٨- «رسالة في علم القراءة بالقراءات الشواذ» ليوسف أفندي زادة(١١٦٧هـ)[8]

ولم يقتصر التأليف في علوم القرآن على القراءات السبع أو العشر بل شملت أيضا

---

(١) السابق ص١٥١- ١٦٥.

(٢) أبو موسى جعفر مكي الموصلي: مفردة قراءة ابن كثير المكي، تحقيق وتعليق د. خالد أحمد الشهداني، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

(٣) السابق ص١٩- ٢١.

(٤) السابق ص٢٢- ٢٨.

(٥) التعريف بالقارئ ص٢٢- ٢٨، المذاهب الصوتية ٣٧- ٧٢، فرش الحروف ص٧٣- ٢٧٤، التكبير ص٢٧٥- ٢٨٢.

(٦) مثل: الوقف والابتداء، هاء الكناية، المد والقصر، المد، الهمز، الحركة والسكون، الإظهار والإدغام، الدال والذال، تاء التأنيث، لام هل وبل، التاء والثاء.. إلخ.

(٧) السابق ص٩٧.

(٨) أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الأماسي الإسلامبولي الحنفي المدعو بيوسف أفندي زادة (١٠٨٥- ١١٦٧/ ١٦٧٤- ١٨٥٤)، رسالة في علم القراءة بالقراءات الشواذ، تصدير وتقديم وتحقيق تغريد محمد عبد الرحمن حمدان وعمر يوسف عبد الغني حمدان، مطبعة الطيرة، الطيرة. سلسلة تحقيق التراث الإسلامي (١)، العلوم القرآنية، علم القراءات. تصدرها وتشرف عليها دار الندوة، الطيرة.

القراءات الشاذة. تعتمد على السابقين والاقتباسات منهم والتنصيص عليها بعلامة «انتهى»[1]. وتذكر فتاوى ابن الصلاح والنورى والسبكى وابن الحاجب والعسقلانى فى تحريم القراءات الشاذة. وهى لب الكتاب[2]. كما يعتمد على الشعر أكثر من القرآن والحديث[3]. ويحيل إلى بعض كتب أصول الفقه الحنفى مثل أصول البزدوى[4]. والمؤلف يصف نفسه بصفات الاحتقار والذل باسم التواضع[5]. والقراءة الشاذة ما لم تتوافر فيها الشروط الثلاثة:موافقة اللغة العربية وموافقة أحد المصاحف العثمانية، وتواتر نقلها[6].

## ٦- علم الأصوات:

والقرآن غير القراءات. القرآن هو الوحى المنزل على محمد للبيان والإعجاز. فى حين أن القراءات اختلاف ألفاظ الوحى فى الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد مثل القراءات السبع. تتضمن التعبير. وهى متواترة أو مشهورة عند الجمهور. وقد استثنى البعض الألفاظ المختلف فيها عند القراء أو أوجه الأداء مثل المد والإمالة وتحقيق الهمزة بالنقل أو التبديل أو الوسط أو الإسقاط. وهى اختيارية وليست توقيفية، من اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء. اختفى التمييز بينها ابتداء من القرن الخامس[7].

### أ- التأليف فى الموضوع:

### ١ - «الإدغام الكبير» لأبى عمرو البصرى(١٥٤هـ)[8]

وهو أحد موضوعات علم القراءات. وهى دراسة صوتية نظرية تبدأ بتعريف

---

(١) السابق ص٤٩- ٥٨.
(٢) السابق ص٤٠- ٨٢.
(٣) الأشعار ص٤- ٥.
(٤) السابق ص٧.
(٥) «فيقول أحقر خدام القرآن وأدنى أهل هذا الشأن..»، السابق ص١ .
(٦) السابق ص٢.
(٧) الإتقان جـ١/ ٢٢٢- ٢٢٣، البرهان جـ١/ ٣١٨- ٣٣٨.
(٨) الإمام زبان بن العلاء بن عمار الشهير بأبى عمرو البصرى:الإدغام الكبير، تحقيق أنس بن محمد حسن مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص٧.

الإدغام ثم تطبيقه على القرآن سورة سورة. فالإدغام هو اللفظ بحرفين حرفا كالثانى مشددا. وينقسم إلى كبير وصغير. الكبير ما كان الأول من الحرفين متحركا. والصغير ما كان الأول فيهما ساكنا. وينقسم إلى فصلين:الأول رواته، فالرواية مصدر العلم، والثانى أحكامه وأداؤه. ويعتمد على الشعر[1]. وتنقسم بعض الفصول إلى تنبيهات[2].

٢- «القطع والائتناف أو الوقف والابتداء» للنحاسى(٣٣٨هـ)[3]

والمصطلحان الأوليان غريبان، والثانيان مألوفان. فالقطع هو الوقف والائتناف هو الابتداء. هى قضية الوقوف أو الاستمرار فى قراءة القرآن بحيث لا يتغير المعنى المقصود. وتعتمد على الذوق فى الفهم، والاتساق فى المعنى، والبداهة والفطرة. وقد أفاض فيه النحويون[4]. وتضم مقدمة شبه نظرية عن الموضوع تبين نشأة الموضوع بتوجيه قرآنى[5]. ثم تذكر فضائل القرآن وفضائل أهله[6]. ثم تذكر قراءة النبى وتبيينه إياها، وإنكاره الوقف على غير تمام، وكيف تعلم أصحابه القرآن[7].

وقد تكلم الصحابة والتابعون فى الموضوع من قبل[8]. فهو موضوع فى أتم الحاجة إليه[9]. ويذكر الكتاب أسانيد القراءات[10]. ثم يبدأ التطبيق العملى بعد ذلك سورة

---

(١) السابق ص٧- ٣٤.

(٢) السابق ص٨/ ٢٠.

(٣) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاسى:القطع والائتناف أو الوقف والابتداء، تحقيق أحمد فريد المزيدى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٤) السابق ص١٩- ٣٥.

(٥)مثل (ورتل القرآن ترتيلا)، (بلسان عربى مبين)، (الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان)، السابق ص١٩- ٢١.

(٦) مثل: «إن خيركم من قرأ القرآن وعلمه»، السابق ص٢٢- ٢٦.

(٧) مثل قول الرسول لمن جمع بينه وبين الله «بئس الخطيب أنت فقم»، وأيضا «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، اقرءوا ولا حرج، ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ولا تختموا ذكر عذاب برحمة»، السابق ص٢٧- ٢٨.

(٨) السابق ص٢٩- ٣١.

(٩) السابق ص٣٢- ٣٤.

(١٠) السابق ص٣٥.

سورة[1]. وتذكر العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار[2].

٣- «المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتداء» لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى (٩٢٦هـ)[3]

والمتن للنعمانى[4]. والزيادة من المقرى[5]. ويدخل فى الأصول النظرية مباشرة[6]. ثم يطبقها فى عرض طولى من الفاتحة إلى الناس[7]. وبدلا من الذل فى وصف المؤلف نفسه يكون التفخيم والتعظيم فى الدنيا والآخرة إلى درجة الغرور[8].

٤- «منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء» للأشمونى (القرن الحادى عشر)[9]

وتظل القسمة الثلاثية التقليدية فى علوم القرآن مع تقليص أسماء الرواة والأصول النظرية وتكبير العرض الطولى التطبيقى سورة سورة، وآية آية[10]. يقتصر الأول على

---

(١) المقدمة (٢٧)، التطبيق (٥٤٦).

(٢) الآيات (١٣٥)، الأحاديث (٤٩)، الأشعار (١٠٨).

(٣) شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصارى: المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتداء، علق عليه شريف أبو العلاء العدوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م- ١٤٢٧هـ. (أسفل كتاب «منار الهدى»)

(٤) «فهذا مختصر المرشد فى الوقف والابتداء الذى ألفه العلامة أبو محمد الحسن بن على بن سعيد العمانى..»، السابق ص٩.

(٥) «وأنا أذكر مقصود ما فيه مع زيادة بيان محل النزول وزيادة أخرى غالبها عن أبى عمرو عثمان بن سعيد المقرى»، السابق ص١٠.

(٦) وهى الألف الوصل، الياءات، هاء التأنيث، الهاءات، هاء الكناية، الوقوف على آخر الكلمة المتحركة منونة وغير منونة، كلا، ضم كلمتين، السابق ص٢٤- ٦٩.

(٧) السابق ص٧٠- ٨٦٩.

(٨) «قال سيدنا ومولانا قاضى القضاة، شيخ مشايخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام، عمدة المحققين، زين الملة والدين.. متع الله وتبتهج سرورا. وقد أخبر عنهم الصادق المصدوق، ممثلا بأنهم جراب مسكا وأعظم بذلك فخرا وتبشيرا. فيالها من نعمة طهروا بها تطهيرا، وجاوزوا بها غرا ومهابة وتحبيرا. فهم أعلى الناس درجات فى الجنان. تخدمهم فيها الملائكة الكرام عشيا وبكورا. ويقال لهم فى الجنتين وتبشيرا..»، السابق ص٧- ٨.

(٩) أحمد بن محمد عبد الكريم الأشمونى: منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء، علق عليه شريف أبو العلا العدوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م- ١٤٢٧هـ.

(١٠) القسم الأول(١٢)، الثانى(١٧)، الثالث(٨٠٠).

فائدة أولى، ذكر الأئمة الذين اشتهر عنهم هذا الفن[1]. ويقتصر الثانى على فائدة ثانية فى الوقف والابتداء مع تنبيهات مهمة[2]. ويفصل الثالث الوقف والابتداء فى كل سورة[3]. وينتهى بفائدة تتعلق بمعانى ألفاظ القرآن، انتقالا من علم الأصوات إلى علم المعانى من مؤلف آخر[4]. ويظهر مكان الوحى داخل فرش الحروف وتحديد كل سورة مكية أو مدنية. ما يبدو تجميع بعض الآيات حول الآية المذكورة، مما يدل على بداية تشكل التفسير الموضوعى. وتظهر بعض العناوين الجانبية لإبراز موضوعاتها لكسر حدة العرض الطولى. كما تبرز بعض الفوائد[5]. ويتم الاعتماد على الشعر فى حين يغيب الحديث[6]. وتظهر عبارات التواضع الذى قد يصل إلى الذل لوصف المؤلف نفسه[7].

## ب- آليات القراءة:

وهناك عدة آليات للقراءة أهمها:

### ١- الوقف والابتداء أحد وسائل منطق القراءة[8]

وهما مرتبطان بالنفس فى النطق من أجل الاستراحة فى الكلام. فالنطق عناء وجهد، وليس مجرد تلفظ بالقول. لا يخل بالمعنى ولا بالفهم[9]. وهو مثل فن «المونتاج» فى الشريط السينمائى، متى يتم قطع صورة أو وصلها. لذلك خرجت مذاهب فى فن

---

(١) السابق ص١٢- ٢٣.
(٢) السابق ص٢٤- ٦٩.
(٣) السابق ص٧٠- ٨٧١.
(٤) هو إسماعيل النيسابورى، السابق ص٨٧٢- ٨٨١.
(٥) مثل مطلب عدد ياءات الزوائد، مطلب ينفع القارئ، مطلب عدد الأنبياء الذين فى القرآن، مطلب فيما اتفق عليه من قطع فى عن ما، فائدة، فائدة نفيسة.
(٦) الأشعار (١٣٥).
(٧) «أما بعد. فيقول العبد الفقير القائم على قدمى العجز والتقصير، الراجى عفو ربه القدير..»، الاسبق ص٨- ٩.
(٨) الإتقان جـ١/ ٢٣٠- ٢٥١، البرهان جـ١/ ٣٤٢- ٣٧٥.
(٩) مثال ذلك ضرورة الربط بين ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ و﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، الإتقان جـ١/ ٢٤٣.

الوقف والابتداء[1]. وهو ليس فنا واحدا فى عدد التقطيع. قد يكون ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ثمانية.

والوقف اختيارى واضطرارى. الاختيارى طبقا لتذوق المعنى وحرية الفهم، وفردية القارئ، وشخصية المستمع. وهو الجانب الذاتى فى القراءة. والاضطرارى هو ما يحافظ على المعنى دون الإخلال به إلى اللا معنى. وهو الجانب الموضوعى فى القراءة. لذلك لا يتم الوقف والابتداء بتصنع بعض القراء وتكلفهم أو تأويل بعض الأهواء ووجود أحكام مسبقة. لا يتم عن تعمد وسوء نية بل عن طبيعة وحسن نية[2]. ويحتاج إلى كثير من العلوم:القراءة، والقصص، واللغة، والفقه والنحو. ولا يقوم بالوقف والابتداء إلا عالم نحوى متخصص فى القراءات، عالم بالتفسير والقصص وبلغة القرآن[3]. وربما يضاف إليه عالم التفسير حتى لا يخطئ فى المعنى. يجمعهم جميعا العلم بالمعنى. وهو ليس بدعة بل ضرورة لضبط الفهم واستنباط الأحكام[4]. وقد توجد حالات الموصول فيها لفظا والمفصول فيها معنى فتقتضى الأولوية للمعنى عن اللفظ. فاللفظ حامل للمعنى[5]. وقد تختلف المصطلحات بين المتقدمين والمتأخرين[6]. إذ يطلق المتقدمون مصطلحات الوقف والقطع والسكت على الوقف فى حين أن المتأخرين فرقوا بينها. فالقطع هو إنهاء القراءة، والوقف قطع الصوت عن الكلمة زمنا لإعادة التنفس ثم استئنافها بعد ذلك. والسكت قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف من غير تنفس.

والوقف على أنواع كثيرة:تام، وحسن، وقبيح. التام يحسن الوقف عليه. والابتداء بعده. ولا يكون بعده ما يتعلق به[7]. والحسن ما يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بعده[8]. والقبيح ما ليس بتام ولا حسن، فلا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه،

(١)الإتقان جـ١/ ٢٣٩- ٢٤٠.
(٢)السابق ص٢٤٣..
(٣) الإتقان جـ١/ ٢٤١- ٢٤٣.
(٤) السابق ص٢٤٣.
(٥) الإتقان جـ١/ ٢٥٢- ٢٥٤. وذلك مثل آية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾.
(٦) السابق ص٢٤٣- ٢٤٤.
(٧) السابق ص٢٣٢/ ٢٣٩، البرهان جـ١/ ٣٥٠- ٣٥٥.
(٨) مثل (الحمد لله) و(رب العالمين).

ولا الموصوف دون وصفه، ولا الرافع دون المرفوع، ولا الناصب دون المنصوب، ولا المؤكد دون التوكيد، ولا المعطوف دون المعطوف عليه، ولا البدل دون المبدل منه، ولا إن وكان وأخواتها دون أسمائها، ولا اسم دون خبر، ولا مستثنى دون الاستثناء، ولا موصول دون الصلة، ولا الفعل دون المصدر، ولا الجار دون المجرور، ولا الشرط دون المشروط.

وقد ينقسم الوقف إلى أربعة أحكام:تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك[1]. فالتام ما لا يتعلق بشيء بعده ويحسن الوقوف عليه، والابتداء بعده. وعادة ما يكون فى نهايات الآيات. مثال ذلك ياء النداء والمنادى، ولام القسم والقسم. والكافى هو ما انقطع فى اللفظ وتعلق بالمعنى، فيحسن الوقوف عنده، والابتداء بعده، وكل الآيات التى بها حروف التعليل والاستثناء، والاستدراك والاستفهام والتهديد. فالاتصال متطابق مع سيلان الانفعال. والحسن هو ما يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بعده[2]. والقبيح هو ما لا يفهم منه المراد حين الوقوف[3].

ولا يجوز الوقف على حرفين، بل على حرف دون آخر وإلا وقع التضاد[4]. وهناك استثناءات من الوصل بعد أسماء الصلة[5]. وهناك مذاهب على الوقف فى المستثنى منه دون المستثنى بين الجواز المطلق والمنع المطلق[6]. ويجوز الوقف فى النداء[7]. ولا يجوز الوقوف بعد القول[8]. ولا يجوز الوقوف بعد «بلى» فى سبعة مواضع وباقى المواضع عليها خلاف وبعضها جواز[9]. ويجوز الوقوف بعد «نعم» ولا يجوز[10]. وكل ما يجوز الوقف عليه يجوز الابتداء بعده[11].

---

(١) الإتقان جـ١/ ٢٣٢- ٢٣٤.

(٢) مثل (الحمد لله) و(رب العالمين).

(٣) مثل ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ ﴾ ثم الابتداء بآية ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾.

(٤) مثل الوقوف على (لا ريب) وعلى (فيه)، الإتقان جـ١/ ٢٤١.

(٥) السابق ص٢٤٤- ٢٤٥.

(٦) السابق ص٢٤٥.

(٧) السابق ص٢٤٦.

(٨) السابق ص٢٤٦

(٩) الإتقان جـ١/ ٢٤٧- ٢٤٨.

(١٠) السابق ص٢٤٨.

(١١) السابق ص٢٤٨.

وقد يكون الوقف خمس مراتب: لازم، ومطلق، وجائز، ويجوز لوجه، ومرخص لضرورة[1]. فاللازم ما وصل طرفاه وغير المراد[2]. والمطلق ما يحسن الابتداء بعده كالاسم المبتدأ، والفعل المستأنف، والمفعول المحذوف، والشرط، والاستفهام، والنفى. والجائز ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذبهما معًا. والمجوز لوجه فى حالة السببية والجزاء مما يوجب الفصل والوصل معًا. والمرخص للضرورة فى حالة عدم استغناء ما بعده عما قبله لكن يرخص لانقطاع النفس مع طول الكلام. ولا يلزم الوصل بالعود لأن الكلام مفهوم. وما لا يجوز الوقوف عليه كالشرط دون الجزاء، والمبتدأ دون الخبر. ويقبل الوقف حين طول الفواصل والقصص والجمل المعترضة[3].

وقد يكون الوقف على ثمانية أضرب:تام، وشبيه بالتام، وناقص، وشبيه بالناقص، وحسن وشبيه بالحسن، وقبيح وشبيه بالقبيح[4]. وهى نفس القسمة الرباعية دون وضع حد فاصل بين الأقسام نظرا لوجود ظلال منها تربط بينهما. فالتام هو ما يتوقف عليه ويبتدئ بعده. والشبيه بالتام ما يكون تاما فى تفسير إعراب وقراءة غير تام على نحو آخر مثل فواتح السور. لذلك يتفاضل التام. والناقص والشبيه بالناقص عكس التام والشبيه بالتام. والحسن إذا كان التعلق من جهة اللفظ. والشبيه بالحسن إذا كان حسنا على تقدير وكافيًا أو تامًا على تقدير آخر. والقبيح والشبيه بالقبيح عكسه. فالقبيح هو الوقف اضطرارا والكلام لم يتم بسبب انقطاع النفس أو عدم الفائدة أو فساد المعنى. ويتفاضل القبيح، فبعضه أقبح من بعض.

وللوقف فى كلام العرب عدة أوجه أهمها تسعة: السكون، والروْم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق[5]. السكون هو الأصل فى الوقف على الكلمة المتحركة وصلا وهو ضد الابتداء. لا يبتدأ بساكن ولا يوقف على متحرك. والروْم النطق ببعض الحركة أو تضعيف الصوت بالحركة ويختص بالمرفوع

---

(١) السابق ص٢٣٤- ٢٣٨.

(٢) مثل (وما هم بمؤمنين) وضرورة الوقف حتى لا يوصل بآية (يخادعون الله).

(٣) الإتقان جـ١/ ٢٤٠- ٢٤١.

(٤) السابق ص٢٣٦- ٢٣٨، البرهان جـ١/ ٣٥٤- ٣٥٥.

(٥) الإتقان جـ١/ ٢٤٨- ٢٥٠.

والمجزوم والمضموم والمكسور دون المفتوح. والإشمام الإشارة إلى الحركة بغير تصويت. والإبدال فى الاسم المنصوب المنون يوقف عليه بالألف بدلا من التنوين. والنقل فيما آخره همزة بعد ساكن. والإدغام فيما آخره همزة بعد ياء أو واو زائدتين. والحذف للياء الزائدة، إثباتها وصلا وحذفها وقفا. والإثبات للياء المحذوفة وصلا وإثباتها وقفا مثل هادٍ، والٍ. والإلحاق ما يلحق بآخر الكلم من هاء ساكن مثل عم.

وإذا كانت الصفة للاختصاص فلا وقف على الموصوف. وقد يجوز الوقوف على المستثنى منه دون المستثنى إذا كان متصلا. ولا يوقف على الجملة الندائية. ولا يوقف على أسماء الصلة مثل «الذى» و«الذين»[1].

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختيارا لا تدعو إليه الضرورة كالوقف. وأقسامه مثل أقسام الوقف الأربعة: التمام، والكفاية، والحسن، والقبح، بحسب التمام وعدمه وفساد المعنى وإحالته. وقد يكون الوقف حسنا والابتداء قبيحا. وقد يكون الوقف قبيحا والابتداء حسنا[2].

و«كلا» فى القرآن على ثلاثة أقسام: ما يجوز الوقف عليه والابتداء به، وما لا يجوز الوقف عليه والابتداء به، وما يجوز الابتداء به دون الوقوف عليه، وتغيب القسمة الرابعة ما لا يجوز الابتداء به وجواز الوقوف عليه. ولا يجوز الوقف بعد «كلا» إلا فى سبعة مواقف للردع[3]. ولا يوقف على «نعم» لاتصالها بما سبق[4].

**٢- والإمالة والفتح جائزتان. وهما لغتان مشهورتان لدى فصحاء العرب**

الفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة أهل نجد. فالإمالة من الأحرف السبعة ومن لحون العرب[5]. وترجع إلى الكسرة والياء، ويقعان بسبب كثرة الاستعمال ووجوهها

---

(١) البرهان جـ١ ٣٥٦- ٣٥٩.
(٢) الإتقان جـ١/ ٢٣٨- ٢٣٩.
(٣) البرهان جـ١/ ٣٦٨- ٣٧٥.
(٤) الإتقان جـ١/ ٢٤٦- ٢٤٧.
(٥) وقد ألف فيه كموضوع مستقل ابن الفاصح كتاب «قرة العين فى الفتح والإمالة وبين اللفظين» جـ١/ ٢٥٥.

أربعة:المناسبة والأشعار بالأصل أو فى بعض المواضع أو بالشبه. وفائدتها سهولة اللفظ. وتميل معظم القراءات العشر. وما يمال مذكور فيها. وقد كرهها البعض لضرورة تفخيم القرآن[1]. وهى مجرد رخصة، وهما أقرب إلى صوت الرجال، وبه غلظة وشدة، وتعظيم وتبجيل، وتحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إمالة. وإذا كان المعنى لا يختلف فالأمر بغير ذى دلالة كبيرة إلى حسن الصوت وتذوق القراءة وإيجاد المعنى.

### ٣- الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب من ظواهر القراءات

وهو جزء من علم الأصوات فى الغرب الحديث. فالإدغام هو اللفظ بحرفين حرفا. وينقسم إلى كبير وصغير. الكبير ما كان أول الحرفين متحركا. وسمى كذلك لكثرة وقوعه. وسببه طلب التخفيف. والصغير ما كان الحرف الأول ساكنا. وهو واجب وممتنع وجائز. وهو قسمان:الأول إدغام حرف من كلمة فى حروف متعددة من كلمات متفرقة. والثانى إدغام حروف قربت مخارجها وهى سبعة عشر حرفا. وكل حرفين التقيا أولها ساكن وكانا مثلين أو جنسين يُدغم الأول. وقد كرهه البعض. ويعاد الموضوع فى أحكام النون الساكن والتنوين وأقسامها الأربعة:الإظهار، والإدغام، والإقلاب والإخفاء. فالإظهار لجميع القراء فى ستة أحرف. والإدغام فى ستة. والإقلاب عند حرف واحد. والإخفاء عند باقى الحروف وهى خمسة عشر. وهى حالة بين الإدغام والإظهار. ولابد من الغنة معه[2].

### ٤- والمد والقصر جزء من جماليات الصوت وتذوق المعنى والإيحاء به للمستمع حين القراءة[3]

المد هو زيادة مط فى حرف المد عن الحد الطبيعى، والقصر عكسه، حذف الزيادة والإبقاء على المد الطبيعى، وهى لحروف العلة الثلاثة. وسببها لفظى ومعنوى. اللفظى همز أو سكون. وله سبع مراتب:القصر، فوق القصر قليلا على أطوال مختلفة حتى المرتبة السابعة وهى الإفراط. والمعنوى قصد المبالغة فى النفى. وقد يجتمع السببان اللفظى

---

(١) نظرا لحديث «نزل القرآن بالتفخيم».

(٢) الإتقان جـ١/ ٢٦٣- ٢٧٠.

(٣) السابق جـ١/ ٢٧١- ٢٧٦.

والمعنوى مثل «لا إله إلا». وإذا تغير سبب المجد جاز المد مراعاة للأصل. وإذا اجتمع سببان قوى وضعيف عمل بالقوى.

**٥- ويخفف الهمز لأنه أثقل حروف العرب نطقا وأبعدها مخرجا. وفرض تخفيفه[١]**

وهو أربعة أنواع. النقل لحركة إلى الساكن قبله، والإبدال، تبديل الهمزة الساكن حرف مد من جنس حركة ما قبلها، والتسهيل بينها وبين حركتها، والإسقاط بلا ثقل. وهو ما يسمى فى النحو الحديث همزة القطع وهمزة الوصل وهى تتبع جماليات النطق، سهولة أو صعوبة.

## ٧- فن القراءة:

ويمكن تجويد القرآن[٢]. وهو حلية القراءة، وإعطاء الحروف حقها، هو رياضة للألسن والعناية بمخارج الحروف السبعة عشر. وقد يصل التجويد إلى حد الغناء. ويبتدع فيه الترعيد والتخصيص والتطريب والتحزين. ويجوز أخذ قراءة واحدة لاستمرار اللحن الواحد. كما يجوز الجمع بين عدة قراءات بشرط عدم التنافر بينها. ويمكن الجمع إما بالحرف أو بالوقف. وللجمع شروط خمسة: حسن الوقف، وحسن الابتداء، وحسن الأداء، وعدم التركيب، ورعاية الترتيب دون تلفيق.

ومن أصل فن القراءة تحسين الصوت، والقراءة من المصحف خشية النسيان، والسؤال عنه حين التردد خشية الوقوع فى الخطأ. ولا تقطع القراءة للحديث الجانبى مع أحد وترك اللفظ والحديث. ولا يقرأ بالأعجمية. فالقرآن لسان عربى مبين. ولا يُقرأ بالشواذ. ويقرأ على ترتيب المصحف دون خلط سورة بسورة أو القراءة التعليمية فيجوز أن تكون موضوعية فى القصص أو فى الأمثال أو فى الأخلاق أو فى الإجتماع أو فى السياسة. وتوفى الحروف حقها من القراءة. ويسجد عند قراءة آيات السجدة. وعند الختم يشرع فى ختم آخر. ولا تكرر سورة الإخلاص عند الختم وهى تعادل ثلث

---

(١) السابق ص٢٧٧- ٢٧٨.

(٢) السابق ص٢٨١- ٢٩١.

القرآن. ولا يتخذ القرآن معيشة للتكسب فيها وهو ما عم حول القبور. وتكون القراءة ثوابا للميت وهو ما كثر فى زيارات القبور.

والأوقات المختارة للقراءة بداية تحول القرآن إلى وثن وسحر وخرافة، مثل الليل أو النصف الأخير أو بين المغرب والعشاء أو بعد الصبح. ومن الأيام يوم عرفة ويوم الجمعة ثم الاثنين والخميس. ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان والأول من ذى الحجة. ومن الشهور رمضان. ويبتدأ ليلة الجمعة وختمه ليلة الخميس. والختم أول النهار وأول الليل. وفى الشتاء أول الليل وفى الصيف أول النهار. فى شهر أو نصف شهر أو جمعة أو ثلاثة أيام. ويصام يوم الختم. والتكبير من الضحى إلى آخر القرآن. والدعاء عقب الختم. وبهذه الطريقة تصبح القراءة حرفة ومهنة. إنها القراءة طبقا للحاجة وبحثا عن حل، وتلبية لمطلب.

وللتلاوة آدابها[1]. وهى آداب عامة للعلم واحترام كتب العلم مثل القرآن. وهى مقدمة لتحويل القرآن إلى أحجيات. ومن هذه الآداب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته. والخشية الآن المغالاة فيه ونسيان العالم، زيادة فى الحسنات وشفاعة به يوم القيامة ونزول البركة على أهله وإنارته. هو مأدبة الله. لا ينسى بعد الذكر. ويؤخذ فى العهود. ويستعاذ بالله قبل القراءة. وتقرأ البسملة. ولا تحتاج إلى نية فى حين أن الأعمال بالنيات، والقراءة عمل وقصة. ويرتل ترتيلا تفخيما لألفاظه وتعظيما لها. والبكاء عند قراءتها الذى يتحول هذه الأيام عند مشايخ القضاء إلى تمثيل للتأثير فى الناس، تكسبا به. وهنا تصبح قراءة القرآن كالأحجبة المكتوبة. وتقوم بوظيفتها فى التبرك والتعوذ بها، وكأن القراءة فى حد ذاتها دون فهم قادرة على فعل الأعاجيب وكما يحدث فى الممارسات الشعبية خاصة عندما تحل المصائب.

وتكون القراءة فى مكان نظيف، والمسجد أفضل. وجلوس القارئ مستقبلا القبلة بخشوع وسكينة ووقار. ويقرأ بعد السواك تعظيما وتطهيرا. وهذه ليست آداب بل توصيات. والكثير منها بديهى ذوقى فى آداب العلم والمتعلم. وعلى هذا النحو تدخل القراءة كجزء من الشعائر والرسوم. وتتحول تدريجيا من فعل «اقرأ» إلى فعل المقدس. ويتحول من دافع ذاتى إلى شيء موضوعى، ومن حامل ذاتى إلى حامل موضوعى.

---

(١) السابق جـ١/ ٢٩٢-٣١٨.

# الفصل الثالث

# التدوين

## ١ - التأليف فى الموضوع:

التدوين هو تحول النص الشفاهى إلى نص مكتوب، والصوت إلى الحرف، والقراءة إلى الكتابة. هو منطق النص القرآنى المدون من الحروف والألفاظ. والسؤال هو كيفية الانتقال من الشفاه إلى التدوين، ونقل الحروف السبعة إلى المصحف العثمانى؟[1]. ويرتبط علم القراءات بعلم الخطوط مثل طريقة كتابة الألف الرحمان أو الرحمن، السموات أو السماوات. لذلك كان الاتفاق مع المصحف من شروط صحة القراءة وبالتالى الكتابة.

وقد تم التأليف فى الموضوع على نحو مستقل مثل معظم موضوعات علوم القرآن قبل أن تنتظم كلها فى علم واحد فى «البرهان» و«الإتقان». وأهمها:

أ- «كتاب المصاحف» للسجستانى (٣٣٠هـ)[2]

«المصاحف» عنوان آخر لعلوم القرآن. يشير إلى القرآن ككتاب مدون، كشىء مرئى وليس كوحى مقروء ومسموع. وهى نظرة تشبيهية وليست تنزيهية كما هو الحال فى التجسيم والتشبيه فى علم العقائد. ولا يشير إلى علوم القرآن ككل بل إلى أحد موضوعاته الجزئية وهو التدوين. ويعتمد على الرواية الشفاهية فى تدوينه أو فى

---

(١) الإتقان جـ١/ ١٤١.

(٢) السجستانى أبو بكر أبى داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

مادته العلمية[1]. وتكثر الروايات والأسانيد لدرجة أن تصبح أهم من المتون[2]. يخلو من التحليلات النظرية أو الاستدلالات على اختلاف المصاحف فى تدوينها. ويكتفى برصد هذه الاختلافات لدراسات نظرية أخرى فى علوم التدوين. خاصة علم الكتابة لتعليلها، وكيف يستطيع المعنى ضبط التدوين والقراءة.

وينقسم إلى خمسة أجزاء. الأول كتابة القرآن والأمر به وجمعه. والثانى توحيد مصحف عثمان بالرغم من الاختلافات بين مصاحف الصحابة. والثالث مقارنة وحدة مصحف عثمان مع تنوع مصاحف الصحابة. والرابع صنعة المصحف كتابة وورقا وتجليدا وتغليفا وتزيينا. والخامس تجارة المصحف، بيعا وشراء ونقلا وتقديسا. أكبرها الثانى وأصغرها الأول[3]. وتتداخل الأجزاء فيما بينها مثل آخر الجزء الثانى عن اختلاف مصاحف الصحابة وأول الثالث حول نفس الموضوع[4]. كما يتداخل الجزء الرابع عن المصحف كشيء للصناعة والجزء الخامس عن المصحف كسلعة للبيع والشراء[5]. ويتم اتباع هذه الاختلافات سورة سورة ابتداء من البقرة[6].

وكلها موضوعات علمية خالصة تتعلق بفن الكتابة. وتقسيمه إلى أجزاء، تعشيرا أو تربيعا كنوع من التسهيل والقسمة الكمية الإجرائية التى لا تؤثر فى مضمونه[7]. أما صنعة المصحف وتجليده وتذهيبه وتزيينه ونسخه ونقله والاتجار به فهى ظاهرة اجتماعية اقتصادية فنية لا شأن لها بمضمون الوحى. ومنها حساسيات لم يعد لها وجود الآن مثل نسخه من نصرانى أو تصغير الخط وتكبيره أو طريقة فصل السور أو ترقيمها وترقيم الآيات أو أخذ الأجر على كتابته أو قراءته أو تقسيم سوره إلى طوال وقصار. كلها ظواهر اجتماعية اقتصادية فنية متغيرة بتغير عادات المجتمع. أما وراثته والسفر

(١) السابق ص٥.
(٢) السابق ص١٤٥ – ١٦١.
(٣) الأول (٢٧)، الثانى (٥٢)، الثالث (٤٥)، الرابع (٤٢)، الخامس (٤٠).
(٤) السابق ص٦٠ – ٩١/ ٩٢ – ١٠١.
(٥) السابق ص١٣٧ – ١٨٢/ ١٨٣/ ٢٢٤.
(٦) السابق ص٦٧ – ٨٨.
(٧) السابق ص١٣١ – ١٣٥.

به إلى أرض العدو أو تعليقه ووضعه فى اتجاه القبلة فهو تحول تدريجى من الكتاب إلى المقدس. كذلك عدم جواز مسه إلا عن طهر أو بعد مس الذكر أو ممن ليس على وضوء أو رهنه فكلها عادات اجتماعية متغيرة كما يحدث اليوم من تعليقه فى الصدور وحول النحور ووضعه فى العربات وفوق المناضد وفى الفنادق وتعليق أجزاء منه أحجبة وتعاويذ أو تهاديه فى المناسبات الوطنية والدينية فى كافة الطبقات الاجتماعية من رؤساء الدول وقواد الجيش حتى الأفراح والأعراس، وحمله أمام الزفة من احتفال تتساقط عليه الورود وتتقدمه الراقصة. وأيضا تقبيله بالشفتين ووضعه على الجبين وعدم جواز حرقه، بقايا تقديس للجسد كرد فعل على تفعيل الروح. وثورة الاتصالات الآن تجاوزت هذا التصور الشيئى لمصدر العلم. إذ يمكن نقل المصحف الآن عبر شبكات الاتصال التى تخترق أرض العدو والصديق.

وبعد تقنين مصحف عثمان وتداوله فى مشارق الأرض ومغاربها ما فائدة العودة إلى رصد الاختلافات بين مصاحف الصحابة؟ ألا يشكك ذلك فى الصحة التاريخية للمصحف وهو ما يفعله المستشرقون حتى يصبح النص القرآنى مثل غيره من النصوص الدينية، التوراة والإنجيل، مشكوكا فى صحته. وإن كان القرآن لم يمر بفترة شفاهية مثل الكتب المقدسة السابقة ليخضع لمناهج النقل الشفاهى كما خضع الحديث فإنه على الأقل يخضع لمناهج النقل الكتابى. ومازالت مناهج النقل التاريخى تعتمد على صدق الكاتب اعتمادا على آية (ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) كما هو الحال فى علم أصول الفقه مثل الإجازة والمناولة[1]. والسؤال اليوم هو: هل هذه الاختلافات صحيحة تاريخيًا؟ ولماذا تكون أكثر صحة عن مصحف عثمان؟ وهل أهملها عثمان عن قصد أم لضعف تواترها[2]؟ وإذا كان البعض منها صحيحا تاريخيا، وهو ما لا يمكن التيقن منه، فأن الأذن لم تتعود عليه. وسيظل القرآن المقروء باللسان والمسموع بالآذان والمحفوظ فى الصدور أقوى تأثيرا فى النفس من القرآن «المعدل» طبقا لاختلافات الصحابة. وهل يستطيع النقاد اليوم لطول المسافة الزمنية بين زمن

---

(١) السابق ص٣٧- ٤٠، من النص إلى الواقع جـ٢، بنية النص ص١٥٠- ١٦٦.

(٢) «اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف»، ص١٨- ١٩.

التدوين وزمن اليوم وعدم عيشهم نفس تجارب القراء القدماء فى السماع المباشر للقرآن الشفاهى قبل التدوين أن يصلوا إلى نتائج مغايرة تماما لمصحف عثمان؟ وإذا وصلوا افتراضا إلى شىء من هذا ألا يكون ضرره أكثر من نفعه ويجعل القرآن عرضة فى كل عصر للتغيير والتبديل طبقا لمهارة النقاد وتطور مناهج النقد؟

ب- «المحكم فى نقط المصاحف» للدانى (٤٤٤هـ)[١]

وهو جزء من علم القراءة والتدوين، وأثر كل منهما على الآخر واعتماد ذلك على علم النحو عند المتقدمين والمتأخرين[٢]. ويستعمل المنهج التاريخى لمعرفة متى بدأ التنقيط، وكيف تطور من القدماء إلى المحدثين، من المتقدمين إلى المتأخرين، وأهمية أبى الأسود الدؤلى كأول من اقترح التنقيط. ويعنى التنقيط التشكيل والإعراب. وقد يسبب الخطأ فى التنقيط خطأ فى المعنى. وقد تكون صحة المعنى أحد وسائل ضبط التنقيط. وترجع حساسية الموضوع إلى التدخل فى كتابة الوحى بعلامات ترشد إلى القراءة. وقد يتطور الوضع ويصبح تغييرا فى لفظ الوحى. وتقل الشواهد النقلية فى البداية ثم تكثر فى النهاية. ويستشهد بالشعر مرة واحدة[٣]. ولا يُتبع فى التنقيط سورة سورة وآية آية بل يُجمع طبقا للحروف وهى بداية التنظير. والملحق فى نهاية الكتاب استمرار له. ولا يتميز بشىء خاص كنوع من الخاتمة التنظيرية للموضوع، إلا إذا كان الاستعانة برسم الحروف ومكان التنقيط عليها أو بجانبها يستحق جزءا خاصا متميزا عن الكتاب. وفى هذه الحالة يكون الكتاب صنعة وليس تأليفا[٤]. وفى النهاية يتعامل الكتاب مع المصاحف باعتبارها شيئا يرى بالخط ولا يسمع بالأذن أو يقرأ باللسان. فالحرف فى النهاية بدن، والمعنى روح[٥].

---

(١) الدانى (الإمام الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان): المحكم فى نقط المصحف، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م- ١٤٢٥هـ.

(٢) «هذا الكتاب علم نقط المصاحف وكيفيته على صيغ التلاوة ومذاهب القراءة فيما اتفقوا عليه وما اختلفوا، وعلى ما سنه الماضون، واستعمله الناقطون، وما يوجبه قياس العربية، وتحققه طريق اللغة، مشروط ذلك بأصوله وفروعه، مبينا بعلله ووجوهه، مع ذكر السنن الواردة عن السلف الماضين والأئمة المتقدمين فى النقط ومن ابتدأ به أولا، ومن كرهه منهم، ومن ترخص فيه إلى غير ذلك مما ينضاف إليه ويتصل به من ذكر رسم فواتح السور ورؤوس الآى والخموس والعشور، ومن أبى ذلك ومن أجازه»، السابق ص٩.

(٣) السابق ص٤٠.

(٤) السابق ص١٢١- ١٤٦.

(٥) يستعمل فى اللغات الأجنبية نفس الشىء بكتابة الحروف كما تقرأ مثل xvossing .

والكتاب مقسم إلى أبواب وفصول عدة دون تمييز موضوعى بينها ودون ترقيم. والفصول بلا عناوين[1]. فأتت أقرب إلى الفقرات المتتالية حول بداية التنقيط بعد أن كانت المصاحف خالية منها ثم الحكم الشرعى فيه بين السلب والإيجاب، وقسمة المصاحف إلى تعشير وتخميس، وما يجمع فى أوائل السور من أسمائها ومكانها وعدد آياتها. ويشمل التنقيط علامات الوقف والوصل والحروف المعجمة، والتشديد والسكون والمد والتنوين والإدغام. وتأخذ الهمزة مساحة طويلة ومواضع كتابة ومواضع كتابتها، والألف القصر والمد، وحذف حروف العلة وطريقة كتابتها. وهى موضوعات كانت لها مناسباتها القديمة واستقرت ولم تعد تثير أى إشكال فى القراءة أو الكتابة.

جـ- «تناسق الدرر فى تناسب السور» للسيوطى (٩١١هـ)[2]

يعرض لأسرار ترتيب القرآن. وهو أحد موضوعات علوم القرآن عن الترتيب الموضوعى التوفيقى عند القدماء وليس الترتيب الزمانى التاريخى عند المحدثين. وبتعبير المحدثين الأول البنية، والثانى التاريخ. وهو صراع قائم بين العرب والمستشرقين. فقد اختار العرب البنية، والمستشرقون التاريخ طبقا لجدل الدفاع والهجوم. والتوقيف لا يحتاج إلى تعليل. ومع ذلك يتم تعليل الترتيب الموضوعى بمضمون السور حتى ولو بدا مفتعلا. ويتم الربط بناء على التفسير، تفسير مضمون السور، وربط آخر آية فى السورة بأول آية فى السورة التالية كبيان وجه الاتصال بين السورتين. فالمناسبة هى الموضوع وليس أسباب النزول. والموضوع هو العقائد والشرائع والمصالح. يفسر القرآن بالقرآن، ثم القرآن بالحديث، ويندر تفسير القرآن بالشعر لأنه لا ضرورة له إلا فى تفسير القرآن باستعمالات اللغة والبلاغة[3]. والآيات منتقاة كأدلة وبالتالى ليست كثيرة. ويتم عرض المناسبات، سورة سورة، وآية آية، طبقا للفهم الطولى فى علوم التفسير. ويعرض التبويب فى الباب أول الكتاب كما هو الحال فى الرسائل العلمية الحديثة. ويبدأ برصد

---

(١) ومع ذلك الأبواب (٢٠) والفصول التى تنقسم إليها بعض الأبواب (١٥).

(٢) الحافظ جلال الدين السيوطى: تناسق الدرر فى تناسب السور، دار الاعتصام، القاهرة، جـ١، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

(٣) السابق ص١٥٩.

أقوال السابقين. وهو تجميع لكثير منها مما دفع خصومه مثل السخاوى إلى اتهامه بالسرقة العلمية، وهى عادة القدماء فى التأليف فى ثقافة لا تعرف حق الملكية الفكرية ونسبة الأفكار إلى أصحابها[1]. فالأفكار تنتسب إلى حضارة جماعية يشارك الجميع فى صنعها[2]. لذلك سُمىّ السيوطى «الحافظ».

## ٢- تسمية القرآن:

وأول مظهر من مظاهر التدوين التسمية، تسمية القرآن وسوره. التسمية إعلان وبيان[3]. وقد سُمىّ القرآن على وزن ما سمى به العرب كلامهم، القرآن على وزن الديوان، والسورة كقصيدة، والآية كالبيت، والفاصلة كالقافية[4].

وللقرآن خمسون اسماً يمكن تجميعها فى أنواع: الأول ما يدل على الكلام قراءة وكتابة وحديثا وتنزيلا ووحيا وزبورا. وقد يوصف كل اسم بوصف كتاب عزيز، كتاب مبين، القرآن الكريم، كلام الله، أحسن الحديث، «العروة الوثقى»، «صحف مكرمة»، مرفوعة مطهرة، ذكر مبارك، صراط مستقيم، حكمة بالغة، قول فصل، نبأ عظيم، قرآن عربى، القصص الحق. وأحيانا يكون الوصف ثلاثيا متتاليا مثل (فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة). وأحيانا تكون التسمية معرفة بالألف مثل «الكتاب»، «الفرقان»، «النبأ»، «الوحى»، «العروة»، أو تنزيل رب العالمين، «أمر الله» أو بالإضافة «كلام الله»، «حبل الله»، «صراطى»، «أحسن الحديث». وأحيانا تكون نكرة «قرآن»، «نور»، «موعظة»، «شفاء»، «ذكر»، «حكمة»، «قول»، «روح»، «بيان»، «علم»، «حق»، «هداية»، «عجبا»، «تذكرة»، «صدق»، «عدل»، «أمر»، «منادى»، «بشرى»، «مجيد»، «زبور»، «بشير»،

---

(١) السابق ص٥٨.

(٢) Intellectual property. انظر أيضا بحثنا..

Property and the concept of clash of civilizations، cultures and civilizations، Conflict or Dialogne، Vol.i. the meridian thought، pp.335- 344.

(٣) الإتقان جـ١/ ١٤٣- ١٦٣، البرهان جـ١/ ٢٧٣- ٢٨٢. وصف فيه الحرانى ووصلت إلى نيف وتسعين.

(٤) السابق ص١٤٣.

«نذير»، «بلاغ». وهو فى الغالب مفرد. وأحيانا يكون مثنى مثل «مثانى». وأحيانا يضاف إلى لام التوكيد مثل «لتنزيل»، «لتذكرة». وأحيانا يكون جمعا مثل «بصائر»، «قصص»، «صحف». وأحيانا يأتى الاسم مفردا وهو الغالب وأحيانا عطوفة اسم على آخر مثل «هدى ورحمة»، «صدق وعدل»، «هدى وبشرى»، «بشير ونذير».

والثانى «الكتاب المبين». الكتاب هو التدوين، الحروف والألفاظ . وهو مبين وواضح بالرغم من المبادئ اللغوية التى وضعها لشرحه وتفسيره وتأويله، وليس بالضرورة لأنه جامع للعلوم والقصص والأخبار.

وهو قرآن. وهو لفظ غير مشتق مثل لفظ «الله» وإن كان مشتقا. فمن القراءة إذا كان مهموزًا أو من القران أو من القرن إن لم يكن مهموزًا من قرن السور والآيات بعضها ببعض أو من القرائن أى الأدلة التى يصدق بعضها بعضًا أو من البيان والتوضيح[1].

وهو «قرآن كريم» مقروء بالصوت، كريم فى عطائه لمعانيه. وهو كلام الله وقول فصل. يجمع بين الشفاهى والمدون. كلام يُسمع ويُقرأ. وهو مشتق من الكلم أى التأثير. وهو نبأ عظيم للإخبار. وهو قول. وهو فصل. وهو أحسن الحديث الذى يحدث به الناس. وهو «تنزيل» من رب العالمين. وهو «وحى» يُنذر به. وهو «بلاغ للناس» لما أمروا به ونهوا عنه وليس لأنه بل بلاغة وكفاية عن غيره. وهو مبارك. وهو المهيمن. وهو الزبور أو السفر إحالة إلى الكتب المقدسة السابقة ففضل عليه المصحف.

والثالث على صيغه اللغوية مثل «مثانى»، «متشابه»، «عربى»، «بيان». فالمثانى إيقاع موسيقى وليس لأنه بيان ثان لما تقدمه من الكتب المقدسة. أو لتكرار المواعظ والقصص أو لأنه نزل مرة باللفظ ومرة بالمعنى[2]. والمتشابه حرية اختيار معنوى وليس لأنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق. والعربى نسبة إلى اللغة وتفرد العربية بين باقى اللغات. وهو بيان من الوضوح. وهو «عجب» مما أوحى بالإعجاز. وهو «قصص» أى شكل

(١) بعد أن جمع أبو بكر القرآن طلب تسميته فاقترح البعض «إنجيل» والبعض الآخر «سفر» وهو تسمية اليهود. واقترح ابن مسعود «المصحف» بناء على ما رآه فى الحبشة من كتب. الإتقان جـ١/ ١٤٩.

(٢) وهو نفس اشتقاق اسم «سفر التثنية Deutronomy» فى العهد القديم.

من الأشكال الأدبية. وهو «الحكيم» فى النظم والبيان وإحكام الآيات دون تحريف أو تبديل أو تباين أو اختلاف. وهو العزيز المتعالى. وهو البصائر والرؤى.

والرابع يدل على المعارف النظرية مثل «علم»، «حق»، «صدق»، «فرقان». هو «علم» لأنه يعطى المعارف النظرية. وهو «حق» لأنه علم صادق. وهو «صادق» يمكن التحقق من صدقه. وهو حكمة طالما بحث عنها الفلاسفة. والحكمة وضع الشىء فى محله.

والخامس مجموعة من الأسماء تدل على عالم الأخلاق والتوجه العملى مثل: «هدى»، «رحمة»، «موعظة»، «ذكر»، «قيم»، «تذكرة». هو «هُدى» و«هدًى»، توجيه وإرشاد نحو الصراط المستقيم أو «هادى». وهو رحمة مهداة. لا يشق على الناس. وهو موعظة وقيمة أخلاقية. وهو «قيّم» لأنه قيمة تضع القيم. وهو «ذكر» و«تذكرة» ينبه الناس بما لديهم من فطرة، وإذكاء للوعى التاريخى. وهو «عدل». فالصدق نظرى وعملى. وهو أمر وواجب. وهو «ينادى» على الناس للإيقاظ . وهو بشرى للناس بالنهاية السعيدة كما كان الإنجيل بشارة طيبة. وهو «بشير». وهو «نذير».

والسادس بعض الصفات الإنشائية للتمجيد والتعظيم مثل «على»، «مجيد»، «عزيز»، «مُكرّم»، «مطهر»، «مرفوع». فالعلو للقدر، والمجيد للعظمة والشرف، والعزيز للعزة على معارضته، والمكرم للاحترام، والمطهر للنقاء، والمرفوع للرفعة. وهو عجب.

وهناك مجموعة من الصور الفنية مثل «نور» وهو من صور الله (الله نور السموات والأرض). وبه يدرك غوامض الكلام. وهو «فرقان» لأنه يفرق بين الحق والباطل. وهى أيضا تسمية الفاروق عمر. صورة مستقاة من السيف. وهو اسم لسورة وتفصيل آياته اسم «فصلت». وهو شفاء، صورة مستقاة من علم الطب، يشفى من الأمراض القلبية كالجهل والغل والحقد. أما الشفاء من الأمراض البدنية فعن طريق النفس نظرا لارتباط الجسم بالنفس وليس مباشرة كما هو الحال فى العادات الشعبية، قراءة القرآن على المريض أو كتابة أحجبة تعلق على الأعضاء المؤلمة. وهو حبل يعتصم به الناس. والحبل هو السبب الموصل للغاية. وهو «العروة الوثقى» التى تربط بين الناس. وهو صراط مستقيم يمشى عليه الناس، طريق لا عوج فيه. وهو «روح» من أمر الله، تحيا به القلوب والنفوس. وهو إيمان ويقين فى القلب.

## ٣- تسمية السور:

ليست أسماء السور توقيفا من النبى وإلا لما اختلفت وتعددت. وكانت الأسماء تقترح من الصحابة أيضًا ولا توقف فقط من النبى[1]. فلكل صحابى مصحف به أسماء سور خاصة به مما يدل على أنها من اختيار ه للتعرف عليها. فبعض السور لها أكثر من اسم مثل الفاتحة[2]. وسور أخرى لها أكثر من اسم أو ثلاثة أسماء[3]. وتعدد أسماء السور[4].قد يكون لكل سورة اسمان. أو ثلاثة أسماء أو أكثر[5]. وقد يجمع اسم واحد بين سورتين[6]. وقد يكون الاسم الثانى اسما أو وصفا. الاسم مفرد مثل تسمية النحل النعم، والموصوف عبارة مثل تسمية «يس» قلب القرآن، والطلاق النساء القصرى. وقد يتغير الاسم بالتشكيل مثل الممتحِنة أو الممتَحنة أو الاشتقاق مثل المتحينة الامتحان، والتحريم المتحرم أو لم تحرم.

---

(١) الإتقان جـ١/ ٥٠، البرهان جـ١/ ٢٦٩- ٢٧٢.

(٢) وأيضا فاتحة الكتاب، خاتمة القرآن، أم الكتاب، أم القرآن، القرآن العظيم، السبع المثانى، الكنز، الكافية، الأساس، النور، سورة الحمد، سورة الشكر، سورة الحمد الأولى، سورة الحمد القصرى، الرقية، الشفاء، الشافية، سورة الصلاة، الصلاة، الدعاء، السؤال، تعليم المسألة، المناجاة، التعويض. وسورة براءة التوبة، والفاضحة والعذاب المشقشقة والمنقرة والبحوث، والحافرة، والمثيرة، والمبعثرة، والمخزية، والمنكلة، والمشردة، والمدمدمة. وسورة لم يكن البينة والقيامة والبرية والانفكاك.

(٣) البقرة سنام القرآن، فسطاط القرآن. والمائدة المتقذة والعقود، الإسراء سبحان وبنى إسرائيل وغافر الطول والمؤمن. وفصلت السجدة والمصابيح وسأل المعارج والواقع، وأرأيت الدين والماعون، والكافرون المشقشقة والعبادة، وفصلت السجدة والمصابيح والجاثية الشريعة والدهر.

(٤) البرهان جـ١/ ٢٦٩- ٢٧٢.

(٥) للبقرة اسمان:فسطاط القرآن. واسم آل عمران فى التوراة «طيبة». وتسمى «النمل» «النعم». وتسمى «حم عسق» الشورى. وتسمى «الجاثية» «الشريعة»، وتسمى «محمد» «القتال». ولسورة «المائدة» ثلاثة أسماء مع «العقود» «والمنقذة». ولسورة «غافر» «الطول، «والمؤمن»، ولسورة براءة عدة أسماء أخرى مثل «التوبة» أو «الفاصمة»، «الحافرة» «العذاب»، «المشعشعة»، «المبقرة»، «المسورة»، «التجوث»، السابق ص٢٦٩.

(٦) تسمى البقرة وآل عمران الزهراوان. الإتقان جـ١/ ١٥٥، والفلق والناس المعوذتان أو المشقشقتان. تسمى الأنفال بدر، والنحل النعم، والكهف أصحاب الكهف، محمد القتال، وق الباسقات، واقتربت الفجر، والمجادلة الظهار، والحشر بنى النضير، طه الكليم، الشعراء الجامعة، النحل سليمان، السجدة المضاجع، فاطمة الملائكة، يس قلب القرآن، والنصر التوديع، وتبت المسد، والإخلاص الأساس، والشعراء الجامعة، والزمر الغرف، وغافر الطول، ومحمد القتال، والقمر والرحمن عروس القرآن، والمجادلة الظهار، والحشر بنى النضير.

ويمكن استخراج أسماء كثيرة لكل سورة من معانيها كما جرت بذلك عادة العرب. وكلما كان المعنى خاصية كان أقرب إلى الاسم مثل سورة «البقرة» أو «النساء» أو «الأنعام»[1]. وفى قصص الأنبياء إذا امتلأت سورة بأسماء الأنبياء يؤخذ اسمها من أكثر الأنبياء تكرارا أو من أطولهم فى القصص خاصة إذا ما أخذت سورة أخرى أسماء أنبياء آخرين حتى لا تتكرر أسماء الأنبياء أسماء للسور[2].

وترتبط أسماء القرآن وسوره بالكتب المقدسة السابقة. فالقرآن هو «الزبور» وهو المهيمن على الكتب المقدسة السابقة ومطورا لمضمونها[3]. وقد تمت روايات بعض الأحاديث لتأكيد هذه الاستمرارية بين الكتب المقدسة السابقة والقرآن. فالتوراة هى السبع الطوال. والزبور هى المائتين. والإنجيل المثانى. وزيد عليها المفصل فى «فصلت»[4]. وقد تستمد بعض الأسماء من التوراة مثل «اقتربت» التى تسمى «القمر»، وفى التوراة «المبيضة».

ويمكن تصنيف الأسماء فى سبع مجموعات:الأولى قصص الأنبياء بصرف النظر عن الترتيب الزمنى أو الكمى، الطول والقصر[5]. وقد يكون الاسم للنبى أو للعائلة مثل «آل عمران». وقد يكون لمعجزة للنبى مثل «المائدة» معجزة عيسى، و«الإسراء» معجزة محمد. وقد يكون جامعا للأنبياء[6]. والثانية أسماء الحيوانات[7]. والثالثة

---

(١) «ينبغى البحث عن تعدد الأسامى:هل هو توقيفى أو بما يظهر من المناسبات؟. فان كان الثانى فلم يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معانى كثيرة تقتضى اشتقاق أسماء لها»، وهو قول الزركشى فى البرهان، الإتقان جـ١/ ١٥٩– ١٦٠. «ولا شك أن العرب تراعى فى كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون فى الشيء من خلق أو صفة تخصه أو يكون معه أحكم أو أكثر أو سبق لإدراك الرأى للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها»، السابق ص١٦٠.

(٢) الإتقان ص١٦٠.

(٣) وهو ما يدل عليه اللفظ الألمانى Aufheben.

(٤) الإتقان جـ١/ ٢٤٥/ ١٦٣.

(٥) سورة الأنبياء(١٣):نوح، هود، إبراهيم، يونس، سليمان، يوسف، محمد، المزمل، المدثر، مريم، لقمان، يونس، سبأ، آل عمران، أهل الكهف.

(٦) مثل سورة: الأنبياء، القصص، الأحزاب.

(٧) مثل: «البقرة»، «الأنعام»، «الفيل»، أو الحشرات مثل العنكبوت أو الزواحف مثل النمل أو الطيور مثل النحل.

تكون الأسماء طبقا لأمور المعاد. الاعتقادية وهو البعد الجديد فى الثقافة الجاهلية فى شبه الجزيرة العربية[1]. والرابعة تكون طبقا للأمور الاجتماعية، والسياسية. مما يدل على جدل الوحى والواقع[2]. كما تؤخذ من المجموعات والشعوب[3]. وهذا يدل على ارتباط الوحى بالأقوام والأوطان. والخامسة قد تكون طبقا للموضوعات الخلقية مثل التوبة والإخلاص من الفضائل، والهُمزة من الهمز واللمز والغمس من الرذائل. وقد تكون من الموضوعات الإيمانية[4]. ويتفرد الإنسان بسورة. كما يتفرد الجن نقيض الإنس بسورة أخرى[5]. والسادسة قد تكون بالنسبة إلى الظواهر الطبيعية[6]. وقد تكون الأسماء بالنسبة للزمان[7]. وقد يؤخذ الاسم من علاقة الله بالطبيعة مثل «فاطر»، رب الفلق، «ربك الأعلى»، «بيده الملك»، «غافر». والسابعة قد يؤخذ الاسم من الحروف فى أوائل السور[8]. وقد يكون «طه» اسم آخر للرسول كما هو الحال فى الثقافة الشعبية، ليس حرفين. وليس كل السور التى تبدأ بالحروف اشتقت أسماؤها منها مثل «الم» واسمها البقرة أو آل عمران أو الروح أو العنكبوت أو لقمان أو السجدة، ومثل «الر» اسمها يونس أو هود أو يوسف أو إبراهيم أو الحجر، وطسم واسمها الشعراء، وطس واسمها النمل، وطسم واسمها القصص، وحم واسمها غافر، وفصلت أو الشورى أو الزخرف أو الدخان أو الجاثية أو الأحقاف نون والقلم. فى أسماء السور حتى يسهل نطقها.

---

(١) مثل:الأعراف، الحشر، القيامة، الذاريات، الصف، القلم، الحاقة، المعارج، المرسلات، النبأ، النازعات، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الطارق، الغاشية، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، الواقعة، يوم التغابن، اليوم الآخر، الكوثر، المسد، المجادلة، الجاثية، الزخرف.

(٢) مثل:الأنفال، الحج، السجدة، الشورى، الفتح، الحجرات، الصف، الجمعة، الطلاق، التحريم، المطففين، التكاثر، الماعون، النصر، الناس.

(٣) مثل:الروم، الأحزاب، قريش، البلد.

(٤) مثل:التوبة، الهمزة، الإخلاص، الشرح.

(٥) مثل:المؤمنون، الكافرون، الشعراء، الماعون، المنافقون.

(٦) مثل:الرعد، النور، الدخان، الطور، النجم، القمر، الحديد، البروج، الشمس، التين.

(٧) مثل: الفجر، الليل، الضحى، القدر، العصر.

(٨) مثل:يس، ص، ق، طه، طس.

وقد تكون الحروف حرفا أو اثنين. فى حين أن الحروف أسماء السور قد تكون ثلاثية مثل «الم» أو رباعية مثل «المص»، «المر» أو خماسية «كهيعص».

وإعراب أسماء السور بين التدوين واللغة. ومع ذلك فهى أقرب إلى الشكل منها إلى المضمون، ومن اللفظ أقرب منها إلى المعنى. وهى تتعلق ببداية السور عندما تصبح اسما لها من ضمن الأسماء الأخرى مثل ) قل أوحى(، )اقتربت الساعة(. وكذلك الحروف أوائل السور هل هى معربة أم مبنية، مصروفة أم ممنوعة من الصرف[1].

## ٤- جمعه وحفظه:

لم يجمع القرآن فى عهد الرسول بالإجماع. وفى أى عصر جمع القرآن بعد ذلك، فى أى من الخلفاء الأربعة عليها خلاف كما هو الحال فى تدوين الإنجيل. النظريات المحافظة تجعل الجمع مبكرا قدر الإمكان، الخليفة الأول. والنظريات الأكثر تحررا وجرأة تجعله متأخرا حتى الخليفة الرابع. ولا يهم الحسم التاريخى بل الدلالة النقدية. حجة الجمع المتأخر حرج المتقدمين من فعل ما لم يفعله الرسول[2]. وقد يُجمَع بين العصور الثلاثة فى نظرية الجمع ثلاث مرات، فى كل عصر مرة، عصر الرسول، ثم أبى بكر، ثم عثمان، الجمع والترتيب[3]. ويتسع عدد الجامعين أو يضيق طبقا لبعض الأهواء السياسية. إذا اتسع فإن الإرث النبوى متاح للجميع. وإذا ضاق فإنه يقتصر على نخبة صغيرة تجمع بين النبوة والخلافة، بين الدين والسياسة. ويختلف الناس على إدخال عثمان أو على بسبب الخلاف السياسى فى عصر الفتنة. وقد وضعت بعض الأحاديث من أجل تقوية فريق على فريق[4].

---

(١) الإتقان جـ١/ ١٦٢- ١٦٣.

(٢) السابق جـ١/ ٦٤- ١٧٢، البرهان جـ١/ ٢٣٣- ٢٤٣.

(٣) هم أربعة من الأنصار: أبى بن كعب، معاذ بن جبل، زيد بن ثابت، أبو زيد. وقد يحل أبو الدرداء محل أبى بن كعب. وربما كان منهم عثمان، وتميم الدارى، وسعد بن عبيد، ومجمّع بن جاريه. وقد يتفرد عثمان بالجمع، وقد يدخل على وعاصم الذى قرأ على أبى عبد الرحمن السلمى الذى قرأ على على، وعبد الله بن مسعود، وأبو يوسف الأشعرى، وسالم مولى أبى حنيفة، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر، وأبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، البرهان جـ١/ ٢٤١- ٢٤٣.

(٤) مثل «طوبى للشام» ثم يأتى التعليل لأن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليه. ثم تأتى الزيادة «تؤلف القرآن فى الرقاع»، البرهان، جـ١/ ٢٥٦.

وكان التدوين لا يتم إلا بشهادة رجلين طبقا للعقود[1]. وقد تلعب الصدف دورا فى الجمع وعدم نسيان شىء[2]. ثم خرقت باقى المصاحف التى جمع منها عثمان المصحف[3]. ثم نسخ من المصحف الموحد خمسة أو سبعة أرسله إلى الآفاق وربما كانت أربعة فى كل ناحية واحد، الكوفة والبصرة والشام والحجاز. ثم زادت ثلاثة إلى مكة واليمن والبحرين.

والبسملة والمعوذتان فواتح للسور أو جزءان منها موضوع أصولى فى المصدر الأول للتشريع، القرآن[4]. والفاتحة فضلها. وهى السبع المثانى. والبسملة جزء من السورة أو فاتحة لها فى الأصل من علوم القرآن دخلت فى علم أصول الفقه[5]. ونسيت فى أول سورة براءة أو أنها خلت منها عن قصد. والحكمة منها تسوير السورة، والفصل بين السور السابقة والسورة اللاحقة[6]. وقد سقطت «البسملة» فى أول «براءة». وهى عادة العرب عند نقض العهود. وقد يكون السبب أنها كانت جزءا من «الأنفال» ثم فرق بينهما. وقد يكون السبب هو أن «البسملة» أمان فى حين أن «براءة» سيف. وقد يكون السبب تاريخيا صرفا، أن الوحى لم ينزل بها[7].

### ٥- قسمته وترقيمه:

ويتكون القرآن من سور وآيات. والسور تهمز ولا تهمز. فإذا همزت فهى من أسأرت أى أفضلت. والسؤر هو ما بقى من الشراب فى الإناء. وقد يكون مشتقا من السور،

---

(١) أبى عمر أن يكتب الرجم لأنه كان وحده، الإتقان جـ١/ ١٦٨.

(٢) تذكر الروايات أن سورة آخر التوبة لم توجد إلا مع أبى خزيمة الأنصارى. وكذلك آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت. وكذلك آية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت، الإتقان جـ١/ ١٦٥- ١٧٠، البرهان جـ١/ ٢٣٩. وقد يكون مجمّع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة، السابق ص٢٤١.

(٣) الإتقان جـ١/ ١٦٩/ ١٧٢، البرهان جـ١/ ٢٤٠.

(٤) أين أسباب النزول؟، من النص إلى الواقع جـ٢، بنية النص، ص١٣٦- ١٣٨.

(٥) الإتقان جـ١/ ١٧٢- ١٧٣، من النص إلى الواقع جـ٢، بنية النص ص١١٠- ١١٢.

(٦) السابق ص١٨٤- ١٨٦.

(٧) البرهان جـ١/ ٢٦٢- ٢٦٣.

سور البناء، سور المدينة لإماطته. وقد يكون مشتقا من الارتفاع. وقد يكون مشتقا من السور أى التصاعد وتركيب بعضها على بعض. والسورة قرآن تشتمل على آيات، أقلها ثلاثة. وبها فاتحة وخاتمة أى أنها شكل أدبى[1].

وتعنى الآية فى اللغة ثلاثة معانى، جماعة الحروف، العجب، والعلامة. ولا يهم وزنها لأنها ليست شعرًا. وفى الاصطلاح الآية قرآن مركب من جمل، متقطعة مع ما قبلها وما بعدها، وهى وحدة صغيرة داخل وحدات أكبر، وقد تكون كلمة واحدة لحالة فريدة مثل )مدها متان(. وهى توقيف إلا إذا كان التقسيم مبينا على وحدات المعانى وليس وحدات الألفاظ . وأوائل الحروف، وهى ست آيات. والكلمة لفظة واحدة من حرفين أو أكثر. وأكثرها عشرة أحرف[2].

وتقسم السور طبقا للكم إلى السبع الطوال، والمائين، والمثانى، والمفصل[3]. السبع الطوال هى السور السبع الأولى. والمائون هى السور التى تزيد كل منها عن مائة آية. والمثانى ما ولى المائين أقل من مائة آية أو لتثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر والقصص. والمفصل ما ولى المثانى من قصار السور. وتسمى أيضا بالحكم[4]. وتنقسم نسبيا إلى طوال وأواسط وقصار. وقد انتهت القضية الآن بعد عصر التدوين وتقنين القرآن عبر التاريخ فى مصحف عثمان بالخط العثمانى، من الخليفة الثالث حتى دولة الخلافة، من المدينة إلى استانبول. وقد يقسم القرآن أحزابا أو أجزاء كما هو الحال الآن. ويطبع فى أجزاء متفرقة لسهولة الحمل والتوزيع والاستخدام فى المناسبات.

وعدد السور والآيات والكلمات والحروف فائدة منه دون قراءة كيفية[5]. أما عدد

---

(١) الإتقان جـ١/ ١٥٠- ١٥١، البرهان جـ١/ ٢٦٣- ٢٦٥.

(٢) البرهان جـ١/ ٢٦٦- ٢٦٨.

(٣) السبع الطوال:البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، براءة. الإتقان جـ٢/ ١٧٩- ١٨٣، البرهان جـ١/ ٢٤٤- ٢٧٢.

(٤) وهى حوالى اثنتى عشرة سورة:ق، الحجرات، القتال، الجاثية، الصافات، الصف، تبارك، الرحمن، الإنسان، سبح، الضحى.

(٥) قال السخاوى: «لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد فى كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك»، الإتقان جـ١/ ١٩٧.

الآيات فى كل سورة فلا نفع فيه[1]. يكفى العدد الكلى للسور[2]. ومن ثم لا إشكال فى اعتبار الحروف الأولى فى أوائل بعض السور آيات أم حروف ولم تكن الصحف القديمة كاملة العدد[3]. والحكمة فى تسوير القرآن جعل القرآن وحدات من السور، كل سورة آية ومعجزة. والإعجاب ليس كما بل كيفا. وقد تكون آية واحدة معجزة. كل سورة بها رحمة وموضوع مما يفسر أهمية التفسير الموضوعى للقرآن[4]. وكذلك كانت الكتب المقدسة السابقة، التوراة والإنجيل.

وسور القرآن ثلاثة أقسام. قسم لا خلاف عليه لا إجمالا ولا تفصيلا، وقسم فيه خلاف تفصيلا لا إجمالا، وقسم فيه اختلاف إجمالا وتفصيلا[5].

كما أن اتفاق بعض السور فى عدد الآيات واتفاق بعض الآيات فى عدد الحروف، واتفاق حروف البسملة مع العدد تسعة عشر كل ذلك لا دلالة له بالرغم من تحوله إلى علم الحروف والأعداد كأحد العلوم الدينية السحرية التى بها تكتب الألغاز والأحجبة لشفاء الأصدقاء والإضرار بالأعداء.

وقد تقسم الحروف القرآن إلى أنصاف فكلمة «نكرا» تقسم النون القرآن ما قبلها، وتقسم الكلمات والكاف إلى القرآن ما بعدها. وتقسم الآيات فى كلمة «الجلود» ما قبل الجيم وما بعد اللام، وتقسم الآيات فى كلمة «يأفكون». وتقسم السور فى كلمة «الحديد». وهى بداية مدخل الخرافات فى علم الأعداد التى لا فائدة منها، وضرورة البحث عن فائدة بالضرورة.

---

(١) الإتقان جـ١/ ١٩١- ١٩٥.

(٢) الإتقان جـ١/ ١٨٤- ١٩٨، البرهان جـ١/ ٢٤٩- ٢٥٢.

(٣) العدد ١١٤ سورة. وإذا ضمت «الأنفال» و «براءة» يكون ١١٣ سورة، وعدد الآيات ستة آلاف، وعدد الحروف ٣٠٠٢٣٦٠٠٠ أو ٣٠٠٢١٠٠٠، وعدد كلمات القرآن ٧٧٩٣٤ كلمة، الإتقان جـ١/ ١٩٧- ١٩٨، البرهان جـ١/ ٢٤٩.

(٤) وهو موضوع الجهة الثالثة من مشروع «التراث والجديد»، الموقف من الواقع أو نظرية التفسير التى تقوم بالتفسير الموضوعى للقرآن حول دوائر ثلاث: الوعى الذاتى، الوعى بالآخر، الوعى بالعالم، أنظر
Method of Thematic interpretation، Islam in the Modern world vol.١، Religion، Ideology and Derelopment. Pp.٥٠٩ -٤٨٤..

وهى نفس البنية السياسية فى «نظرية الدوائر الثلاث، قراءة بعد نصف قرن، مصر والعرب والعالم».

(٥) الأول أربعون سورة، والثانى أربع سور، والثالث سبعون سورة.

وأنصاف القرآن ثمانية[1]. بالحرف نون قبل مثل (نكرا) أو بالكلمات التى تنتهى بحرف الدال مثل (والجلود). والنصف على عدد السور وهو تصور كمى للقرآن وتقطيع وحدة واحدة بلا هدف. ويتحول الأمر إلى تمرينات رياضية، عدد تكرار الكلمات دون تحليل للمضمون، وعدد الكلمات التى أولها أو آخرها شين أو عدد الحروف المتحركة أو السور التى تجمع حروف المعجم وعدد الميمات. وقد تستعمل الآيات لتحقيق مناطها فى الرد على الفرق المخالفة كالمرجئة والمشبهة والمجبرة. وهو التوظيف السياسى فى فهم الآيات.

أما بالنسبة لترتيب السور والآيات فانه ليس مثبتا مسبقا فى اللوح المحفوظ بل هو فعل بشرى خالص. ويدل على اختلاف ترتيب مصحفى أبى وابن مسعود[2]. والترتيب ليس زمانيا مما يدل على أهمية الموضوع وليس التطور، البنية وليس التاريخ. وكل محاولة لإعادة ترتيب القرآن ترتيبا زمانيا فى قرآن مدون جديد هو قرآن للدراسة وليس قرآنا للتعبد[3]. والمشهور أن ترتيب الآيات توقيفى. وفى هذه الحالة لا توجد له أسباب. وإذا كانت له أسباب فهو اصطلاحى معلل. وتعدد الأسباب إما بحسب الحروف مثل «الحواميم» أو لموافقة أول السور لآخر ما قبلها أو للوزن فى اللفظ أو لمشابهة جملة السورة لجملة أخرى[4]. والغالب أن ترتيب السور توقيفى[5]. وقد يجمع بين النظريتين التوقيف والاصطلاح. التوقيف من الرسول باستثناء سورتى الأنفال والبراءة من الاصطلاح تفويضا من الأمة[6].

وتدخل المناسبة فى التدوين أى ترتيب الآيات فى السور. كما تدخل فى أساليب البلاغة. وهى مناسبة توقيفية على عكس أسباب النزول. أسباب النزول «دياكرونية»

---

(١) البرهان جـ١/ ٢٥٣- ٢٥٦.
(٢) الإتقان جـ١/ ١٧٧/ ١٨١- ١٨٢، البرهان جـ١/ ٢٥٦- ٢٦٢.
(٣) وهو ما قام إليه بلاشير فى ترجمته للقرآن وإعادة ترتيب سوره وآياته ترتيبا تاريخيا. وما وعى إليه أيضا خلف الله أحمد خلف الله فى بعض مقالاته الصحفية.
(٤) الإتقان جـ١/ ١٧٢- ١٧٦، البرهان جـ١/ ٢٦٠- ٢٦٢.
(٥) الإتقان جـ١/ ١٧٦- ١٧٧.
(٦) السابق جـ١/ ١٧٧.

ومناسبة الآيات للسور «سنكرونية» بلغة اللسانيات الغربية المعاصرة[1]. والحكم بأن هذا الترتيب التوقيفى مطابق للوح المحفوظ يند عنه التجربة والحكم. والمناسبة فى اللغة المشاكلة والمقاربة ورابط الآيات بينها بعام أو خاص، عقلى أو حسى أو خيالى، والسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين فى الراهن أم فى الواقع. ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط أو لا تكون كل آية مستقلة عن الأخرى. ويكون الارتباط بالعطف أو التضاد مثل القبض والبسط أو شبه التضاد مثل السماء والأرض والاستطراد والتخلص عكسه وحسن المطلب والغرض العام للسورة والعادة[2]. وعلى هذا النحو تفسر فواتح السور وخواتيمها، والمناسبة هى المقاربة. وفائدتها ربط الكلام بعضه ببعض من أجل بناء محكم الأجزاء، آخر كل سورة مرتبطة بأول سورة قبلها. وهى مبنية على أن ترتيب السور توقيفى[3].

والتوقيف لا يعنى إلغاء السببية[4]. ومن الأسباب حسب الحروف، وموافقة أول السور وآخر ما قبلها، والوزن فى اللفظ، والمشابهة بين جملة السور. وتفتح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت[5]، وتناسب السور ومقاصدها[6]. وقد يتصل اللفظ باللفظ دون المعنى[7].

وقد يكون السبب المضمون الجامع مثل «الفاتحة» التى تضمنت التوحيد والربوبية والإسلام والتمايز عن الديانات الأخرى والمراحل السابقة للوحى. وتضمنت «البقرة» قواعد الدين. وتكملها «آل عمران». فى «البقرة» الدليل على الحكم وفى «آل عمران»

---

(١) السابق جـ٣/ ٣٢٢- ٣٣٨. ألف فيه أبو جعفر بن الزبير شيخ أبى حيان «البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن»، وبرهان الدين البقاعى «نظم الدرر فى تناسب الآى والسور»، ولخص السيوطى فى «تناسق الدرر فى تناسب السور».

(٢) «لا يُطلب للآى الكريم مناسبة لأنها حسب الوقائع المفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا»، السابق ص٣٢٣.

(٣) البرهان جـ١/ ٣٥- ٥٢، وصنف أبو جعفر بن الزبير.

(٤) الإتقان جـ١/ ٣٣٢- ٢٣٤.

(٥) السابق ص٢٣٤- ٣٣٧.

(٦) وذلك مثل افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتمجيد، السابق ص٣٣٧- ٣٣٨.

(٧) البرهان جـ١/ ٥٠- ٥١.

الجواب عن شبهات الخضوع. وفى «النساء» جميع أحكام الأسباب بين الناس الطبيعية كالنسب والمصاهرة والتعاقدية. و«المائدة» سورة العقود. و«الأنعام» و«الأعراف» ذكر للمقاصد. لذلك قد تكون آخر القرآن نزولا. فالتُرتيب:البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، يشير إلى وحدة المقصد[1].

## ٦- فواصله وفواتحه:

وتدخل فواصل الآى فى القراءة إذا كان النقل شفاهيًا بالصوت وفى التدوين إذا كانت القراءة من الخط. وإن كان الأول فهو مثل الوقف. واللفظ قرآنى(كتاب فصلت آياته). الفاصلة كلمة فى الآية كقافية الشعر وقرينه السجع. هى حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها إفهام المعنى. يحكمها السجع[2]. وتعرف توقيفا أو قياسا. والقياس صوتى إيقاعى مثل الشعر. وقد يحتم ذلك مراعاة المناسبات لهذا الغرض مثل التقديم والتأخير وحذف بعض الحروف أو الكلمات أو زيادتها[3]. والصرف لما لا يصرف. والتذكير أو التأنيث إيثار أغلب اللفظين الإفراد والتثنية والجمع، إبدال العاقل بغير العاقل، والإمالة، والمبالغة. وإيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل. وهى فى الحقيقة موسيقى القرآن مثل موسيقى الشعر.

والفواصل أربعة أنواع:التمكين، والتصدير، والتوشيح، والايغال. التمكين هو ائتلاف القافية. وهو التمهيد للتأثر بالقرينة، وللشاعر بالقافية. والتصدير أن يكون اللفظ بعينه تقدم فى أول الآية. وهو رد العجز على الصدر. والتوشيح أن يكون فى أول الكلام ما يستلزم القافية. ودلالته معنوية. فى حين أن التصدير دلالته لفظية. والايغال هو نوع من الإطناب[4].

---

(١) فى مصحف عبد الله بن مسعود تتقدم «النساء» على «آل عمران». وترتيب بعضها بعد بعض ليس أمرا أوجبه الله بل هو أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم. ولهذا كان لكل مصحف ترتيب، البرهان جـ١/ ٢٦٢.

(٢) الإتقان جـ١/ ٢٩٠- ٣١٥، البرهان ص٩٨- ١٠١.

(٣) وأيضا مثل:الاقتصار على أحد الوجهين، الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، اعتبار الظاهر مضمرا، إبدال الفاعل بالمفعول..إلخ، الإتقان ص٢٩٦-٣٠٢.

(٤) الإتقان جـ١/ ٣٠٢- ٣١٠. البرهان جـ١/ ٩٢- ٩٨.

ويرتبط التدوين بالقراءة أو تختم مقاطع الفواصل بحروف المد اللين. ومبنى الفواصل على الوقف. ويحافظ على الفواصل لحسن النظم والتئامه. وتقسم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب فى الحروف. وتأتلف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام. وقد تجتمع فواصل فى موضع واحد ويخالف بينها فى مواضع[1].

والفواصل فى علم البديع خمسة أقسام:مطرف، ومتواز، ومرصع، ومتوازن، ومتماثل. المطرف اختلاف الفاصلتين فى الوزن واتفاقهما فى السجع. والمتوازى الاتفاق فى الوزن والتقفية. والمتوازن الاتفاق فى الوزن دون التقفية. والمرصع الاتفاق فى الوزن والتقفية. والمتماثل المساواة فى الوزن دون التقفية[2].

وهناك نوعان فى البديع متعلقان بالفواصل. الأول التشريع أو التوأم وهو بناء الشاعر بيته على وزنين فى العروض. إذا سقط جزء أصبح الباقى من الوزن الآخر. والثانى الالتزام وهو لزوم ما لا يلزم. وهو الالتزام فى الشعر أو النثر بحرف أو حرفين بشرط عدم الكلفة. وأفضل السجع ما تساوت قرائنه أو تتلوه أو ما طالت قرينته الثانية أو ما كان قصيرا أو سرد المعانى أو بناء الفواصل على الوقف أى بالسكون أو النهاية بألف ونون.

وتدخل فواتح السور فى موضوع التدوين أو فى فنون البلاغة[3]. فمن البلاغة حسن الابتداء لأنه أول ما يطرق السمع. وتسمى براعة الاستهلال. وفواتح سور القرآن عشرة أنواع بعد إحصائها وتصنيفها فى مجموعات كعادة القدماء فى علوم القرآن:الثناء على الله، إثباتا لصفات الكمال ونفيا لصفات النقص، وحروف الهجاء، والنداء، والجمل الخبرية، والقسم، والشرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء، والتعليل[4]. وبراعة الاستهلال بالفاتحة. فقد نزلت مائة وأربعة كتب أودعت أسرارها فى أربعة:التوراة

---

(١) البرهان جـ١/ ٦٨- ٧٥/ ٧٨- ٨٤.

(٢) الإتقان جـ٣/ ٣١١- ٣١٥.

(٣) الإتقان جـ٣/ ٣١٦- ٣١٩، البرهان جـ١/ ١٦٤- ١٨١. ألف فيه ابن أبى الأصبع «الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح»

(٤) إثبات صفات الكمال ونفى صفات النقص (١٤ سورة)، حروف الهجاء (٢٩)، النداء(١٠).

والإنجيل والزبور والفرقان. ثم أودعت علوم القرآن. ثم أودعت فاتحة الكتاب[1]. وكذلك حوت سورة (اقرأ) كل العلوم[2].

وكما يطرق أول الكلام السمع كذلك يطرقه آخر الكلام الذى يشمل الأدعية والوصايا والفرائض والتحميد والتهليل والمواعظ والوعد والوعيد والتبجيل والتعظيم والتعريض والحض[3]. والحروف أوائل آية سواء كانت معربة أم لا. يكون عليها الوقف. كتبت فى المصاحف. وقد تكون مأخوذة من اسم الله أو أقسم بها الله أو من حروف الهجاء أو اختصار الجمل أو اسما لسور أو سر الكتاب أو لبساطة التأليف أو رغبة فى التأويل أو لإثارة الذهن والخيال، وهى نصف حروف المعجم. وهو تسع وعشرين سورة طبقا لأسرار الأعداء[4]. وتقديم المفردات على مركباتها حركة طبيعية فى النطق والهجاء والخط. وتناسب فواتح السور خواتمها وخاتمة التى قبلها.

## ٧- رسمه وخطه:

وهو موضوع تحويل الشفاهى إلى مدون، والقراءة إلى كتابة[5]. وقد يستقل الموضوع عن علوم القرآن.

وقد تطورت الكتابة من حيث فصل الحروف وربطها[6]. والسؤال هو: كيف يكون الخط توقيفيا إذا كانت أشكاله قد تطورت؟[7].

---

(١) أودع علم أصول الدين فى (رب العلمين، الرحمن الرحيم)، ومعرفة النبوة فى (الذين أنعمت عليهم)، ومعرفة المعاد فى (مالك يوم الدين)، وعلم العبادات فى (إياك نعبد)، وعلم السلوك أى حمل النفس على الآداب الشرعية فى (إياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم)، وعلم القصص وأخبار الأمم السابقة فى (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم). السابق ص٣١٨.

(٢) وكذلك فى سورة (اقرأ) براعة الاستهلال، والأمر بالقراءة، والبداية باسم الله، والإشارة إلى علم الأحكام، وتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته، والإشارة إلى الأخبار، السابق ص٣١٩.

(٣) الإتقان جـ٣/ ٣٢٠- ٣٢١، البرهان جـ١/ ١٨٢- ١٨٦.

(٤) البرهان جـ١/ ١٧٣- ١٧٨.

(٥) الإتقان جـ٤/ ١٤٥- ١٦٦. صنف فيه الكثيرون من المتقدمين والمتأخرين مثل أبو العباس المراكشى «عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل».

(٦) كانت «بسم الله الرحمن الرحيم» «تكتب بسمللهرحمنرحيم»، السابق ص١٤٥.

(٧) الإتقان جـ٤/ ١٤٥.

والقاعدة كتابة اللفظ بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء والوقف عليه. ثم فصلت هذه القاعدة فى ست قواعد هى:

أ-الحذف مثل حذف الألف من ياء النداء أو اجتماع ألفين أو حذف من كل منقوص نون. وتحذف الألف فى حالات كثيرة. والدافع سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة وقوع المنفعل المتأثر فى الوجود[1].

ب-الزيادة، زيادة الألف بعد الواو مثل بنوا إسرائيل.

جـ-الهمز، إذ يكتب الساكن بحرف حركة ما قبل أو وسطا أو آخرا، والمتحرك إذا كان أولا ووسطا بحرف حركته.

د-البدل يكتب بالواو للتفخيم مثل الصلوة.

هـ-الوصل والمفصل مثل ألا.

و-الكتابة على أحد القراءتين.

وتوضع النقاط والأشكال فوق الحروف مثل الهمز والتشديد والنقاط والفواتح والخواتم. ولا تكتب الأقسام، الأجزاء والأشعار وأسماء السور[2].

وقد تدون القراءة الشاذة. وفى حالة الزيادة تكون الكتابة حسب القراءة. وتكتب فواتح السور على صورة الحروف[3]. وللكتابة آداب مثل تحسين الكتابة وبيانها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة، والكتابة فى الشيء الصغير. ويكتب بالذهب ويكره كتابة على الحيطان والجدران والسقوف. وماذا عن حوائط المساجد؟[4]. ولا يكتب المصحف إلا مصرى من أجل إتقانه اللغات[5].

والإجماع على اتباع رسم المصاحف العثمانية فى الوقف إبدالا وإثباتا وحذفا ووصلا

---

(١) السابق ص١٤٦- ١٥٧.
(٢) الإتقان جـ٤/ ١٦٠- ١٦٢.
(٣) السابق ص١٥٧- ١٥٨.
(٤) السابق ص١٥٨- ١٦٠.
(٥) السابق ص١٦٠.

وقطعا بالرغم من اختلاف القراء. فالعثمانيون آخر من حفظوا القرآن[1]. وهز ذلك الآن والتشكك فيه يشبه ما يستقصيه المستشرقون فى مصاحف اليمن والبحث عن المصحف الأصلى أسوة بالإنجيل الأصلى[2].

ويكره أخذ الأجرة على كتابة المصحف. وقد أصبحت المصاحف الآن تجارة، طباعة وتغليفا وتزيينا وتلوينا وزخرفة وتحلية بالفضة. والقيام للمصحف بدعة. وقد استبدل به القيام للوجهاء. وتقبيل المصحف تحويله إلى وثن. وتطييب المصحف التعامل معه كوثن. وهو للقراءة والتدبر وليس للتحنيط. وإذا بليت بعض أوراقه فانها لا توضع فى شق الحوائط حتى لا تسقط وتداس بل تغسل أو تحرق وهى وثنية لأن المصحف ليس الأوراق بل المعانى. كما أن الإنسان ليس الجسد بل الروح. وهذه بقايا تجسيم يهودى. ولا يصغر المصحف فى «مصيحف» أو فى المسجد فى «مسيجد» لضرورة التفخيم والتعظيم. ويحرم لمسه للمحدث ليس لأنه نجس بل لمزيد من اليقظة والصفاء بعد الغسل[3].

وعلى هذا النحو يتحول المصحف من الحامل إلى المحمول، ومن البشرى إلى المقدس فى الممارسات الشعبية التى تكتشف أصولها الوثنية.

---

(١) السابق جـ١/ ٢٥٠-٢٥١.

(٢) Proto-Evangelium، Ud. Evangelium.

(٣) الإتقان جـ٤/ ١٦٣-١٦٦.

# الباب الثالث

---

# الحوامل الذاتية

## (اللغة)

# الفصـــل الأول
# اللفظ والمعنى

وتعنى الحوامل الذاتية دور الذات العارفة فى تلقى الوحى وفهمه وإعادة التعبير عنه وإيصاله. الوحى هنا مجرد خطاب إلى مخاطب أو رسالة إلى مرسل إليهم. وهو المعنى المعاصر للخطاب كعالم مستقل بذاته عن حوامله الموضوعية مثل المكان والزمان والبيئة الاجتماعية أو الموضوعية الذاتية مثل الخبر والقراءة والتدوين. القرآن موضوع للبحث اللغوى والبلاغى وعلم القراءات والتفسير عند القدماء وليس موضوعا للتقديس. ولما كانت اللغة أحد العلوم الإنسانية أصبح القرآن موضوعا للعلوم. وإذا كانت اللغة هى الحامل الرئيسى للنص عند القدماء فإن العلوم الاجتماعية هى الحوامل الرئيسية للنص عند المحدثين. لم نعد فى عصر اللغة بل فى عصر العلوم الإنسانية. وعلوم اللغة عند القدماء تعادل العلوم الاجتماعية والإنسانية عند المحدثين. كانت ثقافة القدماء لغوية شعرية فى حين أن ثقافة المحدثين علمية أدبية.

وتشمل اللغة موضوع اللفظ والمعنى كما هو الحال فى مباحث الألفاظ عند الأصوليين، وفنون القول وأساليب البلاغة وإعجاز القرآن، وأخيرا التفسير والفهم والتأويل كمقدمة لعلم التفسير. وقد تصل المباحث اللغوية إلى حد التخصص والتفصيل بحيث تصبح غاية فى ذاتها وليست مجرد وسيلة، من علوم القرآن. فتتشعب وتصبح موضوعا لغويا بذاتها.

## ١- التأليف فى الموضوع:

وقد تم التأليف فى هذه الموضوعات كموضوعات مستقلة قبل أن تنتظم فى علوم القرآن أهمها:

### أ- «معانى القرآن» للكَسَائى (١٨٩هـ)

كان التأليف فى الألفاظ والمعانى مبكرا جدًا منذ القرن الثانى، والمعانى قبل الألفاظ.. ولا تنفصل المعانى عن الألفاظ فى علوم اللغة. بدأت علوم القرآن بعلوم اللغة. لذلك تظهر قصة الإعراب التى هى جدل اللفظ والمعنى. فالإعراب السليم عند الفهم السليم بصرف النظر عن أصل اللغة توقيفية أم اصطلاحية. يبدأ الإعراب لغويا قبل أن تتحول اللغة إلى فنون القول وأساليب البلاغة. فالنحو قبل البلاغة. والنحاة قبل البلاغيين. ويوظف الإعراب فى ضبط القراءات وتصحيحها. وكلاهما يؤديان إلى المجاز وأساليب البلاغة. لذلك تظهر أهمية ضبط الحركات، الضمة والفتحة والكسرة(١).

وتُستعرض معانى الألفاظ، سورة سورة، وآية آية بالمنهج الطولى من المعوذتين والبسملة والبقرة حتى الناس وكما هو الحال فى مناهج التفسير دون أن تكون بالضرورة كل آية داخل كل سورة بل فقط بما يقتضيه تعريف الألفاظ . وتظهر قضية الشواذ فى الألفاظ وفى المعانى. وهى ما سميت فيما بعد «الغريب» فى ألفاظ القرآن(٢). ويستشهد بالشعر. فالشعر هو ديوان العرب. فيه تفسير الكتاب طبقا للقول المشهور(٣). وأحيانا يكون الشعر منسوبا لقائله، سواء كان الكسائى أو غيره أو مرسلا(٤). كما يستشهد بأمثال العرب فى الجاهلية. فاللغة العربية، مثل الشعر، متصل لغوى وثقافى وفنى قبل الإسلام وبعده. ويُعتمد على عادات العرب فى الكلام. فاللغة للتداول(٥). كما يتم الاستشهاد بالقراءات الصحيحة. فالقراءة أساس الإعراب. وهو جدل اللفظ والمعنى(٦). والمعيار

---

(١) على بن حمزة الكسائى: معانى القرآن، أعاد بناءه وقدم له د. عيسى شحاتة عيسى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبده غريب)، القاهرة١٩٩٨ .

(٢) السابق ص١٠٨/ ٢٤٨.

(٣) الشعر (٣٤)، السابق ص٦٥.

(٤) الكسائى ص١٩٧/ ٢٠٥.

(٥) السابق ص٦٢/ ٦٦/ ٨٩/ ١٠١/ ١٠٧/ ١٢٨/ ١٣٠/ ١٣٣/ ١٥٠/ ٢٠١/ ٢٠٣/ ٢٠٧/ ٢٠٨/ ٢١٢/ ٢١٤/ ١٣٧/ ٢٣٩/ ٢٤٢/ ٢٥٠-٢٥١/ ٢٥٩/ ٢٥٦.

(٦) السابق ص٦٠.

قراء أهل مكة[1]. ويتم الاعتماد على الرواية وحدها والنقل عن السابقين دون إعمال للعقل أو القياس. وهم قليل نظرا لأن المؤلف من القرن الثانى ولم يسبقه الكثير. وأحيانا يتم الاعتماد على القراءة المقارنة لمجموع اللغات السامية، العربية والعبرية لمزيد من التوثيق مع ضرب أمثلة من اللغة العبرية فى معانى الألفاظ[2]. ولا يتم الاعتماد على الحديث مثل الاعتماد على الشعر.

ولغة التدوين هى لغة قريش، والقراءة لأهل مكة. ولهجات العرب كثيرة ومتعددة، منها لهجات قيس وكنانة وبنى تميم[3]. ومنها عادات العرب فى الخطاب[4]. لذلك تظهر بدايات علم القراءات من إضمار وحذف، وتقديم وتأخير، وجمع وإفراد، وإضغام وتنوين، وحذف وتكرار، ونقصان وزيادة، ومبالغة وتفخيم، وتصغير وتحقير، واستعمال الضمائر مما يقترب من أساليب البلاغة وفنون القول. والكسائى مثل الفراء صاحب مذهب لغوى[5]. وتظهر بعض الموضوعات الأخرى الخاصة بالحوامل الموضوعية مثل المكان فى المكى والمدنى، والزمان فى الناسخ والمنسوخ، والبيئة الاجتماعية فى أسباب النزول.

ويخلو الكتاب من أى قسمة إلى أبواب أو فصول أو مسائل لتحديد بنية الموضوع. كما يخلو من أى مقدمة نظرية حول جدل اللفظ والمعنى. يبدأ مباشرة بالبسملة ثم بالفاتحة[6]. فالتأليف مازال مبكرا كى يبلغ درجة التنظير المتأخر.

ب- «معانى القرآن للأخفش» الأوسط (٢١٥هـ)[7]

والعنوان دال فى معانى الألفاظ أى فى جدل اللفظ والمعنى المقارب للتفسير. هو أقرب إلى شرح معجم ألفاظ القرآن، سورة سورة، وآية آية دون أى مقدمة نظرية فى

(١) السابق ص٦٠/ ١١٢/ ١٩٣.
(٢) السابق ص٦٨/ ١١٥/ ٢٣٩.
(٣) السابق ص٦٧/ ١١٣-١١٥/ ١٩١/ ٢١٢/ ٢٥٨.
(٤) السابق ص١٩٧.
(٥) للفراء أيضا(٢٠٧هـ) «معانى القرآن».
(٦) الكسائى ص٥٩.
(٧) أبو الحسن سعيد بن سعد المجاشعى البلخى البصرى المعروف بالأخفش الأوسط: معانى القرآن. قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

جدل اللفظ والمعنى أو فى نظرية فى التفسير. ربما كان الوقت مبكرا لظهور نظرية «النظم» عند عبد القاهر الجرجانى فى القرن الرابع. ويتم شرح القرآن بالقرآن دون أى وسيلة شارحة أخرى لغوية أو بيانية أو عقلية أو تاريخية. فجاء الشرح أقرب إلى الإعراب وتحليل مجرد للألفاظ دون الذهاب إلى ما هو أبعد إلى علوم المعانى والدلالات. فغلب على المعانى اللغة والنحو والإعراب والتشكيل. وتظهر بعض المقولات الخاصة بتركيب الجملة مثل الفصل والاسم والزمان والتأنيث والتذكير. وقد يتجاوز الأمر إلى أساليب البلاغة مثل المجاز والاستثناء والدعاء والإضافة والمجازاة[1]. ويتم الاعتماد على الشعر المنسوب إلى قائله أو المجهول[2]. وكذلك الاعتماد على الحديث وعلى أقوال الصحابة.

جاءت التحليلات متجزأة دون رؤية عامة مما يبين أهمية علوم القرآن كرؤية كلية. ويبدو أن تطور العلوم من النشأة والتكوين إلى البنية مرهون بهذا التطور من الجزئى إلى الكلى. لذلك جاءت الآيات قصيرة متقطعة، مجرد ألفاظ متناهية فى الصغر إلى درجة الحروف، حروف الاستفهام وغيرها[3]. وتدخل قراءات أخرى دون استقراء لها[4]. كما تعطى كتابات أخرى واستبدال الحروف مثل السين والصاد مما يدل على ارتباط القراءة بالكتابة، والصوت بالخط. ونظرا لغياب التحليل النظرى تصبح القراءة مملة لا استنباط فيها. المادة أداة للعمل، ومادة التحليل خاصة بفهارسها التحليلية للآيات والمسائل النحوية وللأعلام وللقوافى وللأجزاء وأنصاف الأبيات مرتبة أبجديا[5].

**جـ- «ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن العظيم» للمبرد عالم اللغة الشهير (٢٨٥هـ) صاحب الكامل[6]**

وتظهر موضوعات علوم القرآن قبل تنظيرها فى القرنين الثامن والتاسع عند

---

(١) السابق ص٥٠-٦٢.

(٢) الأشعار(٢٧٥) أجزاء وأنصاف الأبيات(٢٠).

(٣) الأخفش ص١٦١.

(٤) السابق ص١٨١.

(٥) السابق ص٣١٩-٣٥٦.

(٦) الإمام العلامة أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ ص١٠٥-١٢٦، وله أيضا«معانى القرآن»، السابق ص١٠٨.

الزمخشرى فى «البرهان» (٧٩٤هـ) والسيوطى فى «الإتقان» (٩١١هـ) متفرقة منذ القرن الثالث.

فالبداية من علم اللغة، والمدخل اللغوى لعلوم القرآن، ومحاولة وضع نسق منطقى وليس مجرد رصد للموضوع، سورة سورة، وآية آية. هو نسق رياضى يقوم على احتمالات ثلاثة: اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين وهو الطبيعى، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وهل يوجد الترادف أم أن كل لفظ له ظلال من المعنى غير الآخر؟ ويعتمد على القرآن ثم الشعر ثم الحديث. كما يعتمد على كلام العرب وقول العرب[1]. والشعر إما معروف صاحبه أو شعر مرسل.

د- «غريب القرآن على حروف المعجم» للسجستانى (٣٣٠هـ)[2]

كتاب فى الألفاظ وحدها، أصالتها وغربتها مرتبة ترتيبا أبجديا كما هو الحال فى المعاجم اللغوية. الغريب فى الكناية، والشاذ فى القراءة. الغريب فى الخط والشاذ فى الصوت. وهو السجستانى صاحب كتاب «المصاحف» المشغول بتدوين الفروق بين الخطوط والقراءات. والغريب فى الأول يتوقف على التداول. فقد يكون اللفظ غريبا فى البداية مألوفا فى النهاية مثل معظم الألفاظ المعربة. وقد يكون غريبا فى بيئة ثقافية لغوية مألوفا فى بيئة ثقافية أخرى. فالأمصار مثل مصر والشام والمغرب عوالم ثقافية. والحروف فى أوائل السور ليست نموذجا للغريب اللفظى بل للغريب البلاغى لإثارة الانتباه عن طريق الصوت كما هو الحال فى «السيمفونيات» الحديثة أو دقات المسرح الحديث. وكثير من الألفاظ المذكورة ليست غريبة بل مألوفة مثل لفظ أمانى[3]. فقد اتسع لفظ الغريب بحيث شمل المألوف.

وهو مجرد إحصاء لألفاظ القرآن وفقا لترتيب حروف المعجم ترتيبا أبجديا، وكما هو الحال فى المعاجم المفهرسة الحديثة لألفاظ القرآن. وهو ليس تفسيرا موضوعيا طبقا

---

(١) الآيات(٧٥)، الأشعار(٣٥)، الأحاديث(٥)، كلام العرب(٣)، قول العرب(٢).

(٢) الإمام أبو بكر محمد بن عزيز السجستانى: غريب القرآن على حروف المعجم، دراسة وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية، دار أطلس، دمشق١٩٩٣م.

(٣) السابق ص٩٨.

للألفاظ والموضوعات لأنه لا توجد أى محاولة للتجميع والتنظير فى حقول دلالية متشابهة أو مختلفة. ولا حكمة ظاهرة فى التركيب طبقا لحروف المعجم. وكان يمكن إيجاد تصنيف آخر أكثر دلالة من حيث إيجاد نسق للألفاظ حول حقوق دلالية متمايزة. وتقسيم القرآن طبقا للألفاظ يقضى على الجملة والتركيب والسياق والمنطوق والمفهوم والدلالات العامة. وتتكرر الألفاظ دون داعى أو جديد. ويخلو الكتاب من أى تحليل نظرى فى المقدمة أو فى الوسط أو فى الخاتمة. توجد فقط إحالة عابرة فى أول الكتاب لما يمكن أن يوحى بأنه منهج للتأليف، القصد منه قرب تناول القرآن وسهولة حفظه[1]. ويشرح القرآن بالقرآن وبالشعر وبالحديث وبالأمثال العربية[2]. ويكون الشرح للفظ مرة وللجملة مرة أخرى. كما يذكر تعدد القراءات[3]. وبالرغم من الشرح اللفظى إلا أنه يقع فى التفسير الشيئى للألفاظ كما هو الحال فى بداية سورة العاديات[4]. وبالرغم من كثرة الفهارس الفنية لجذور المفردات القرآنية الغريبة وللآيات القرآنية والقراءات والأحاديث والأشعار والأمثال والأعلام والقبائل والمدن والأماكن إلا أنها تظل بلا دلالات كبيرة[5].

### هـ- «الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز» للدامغانى(٤٧٨هـ)[6]

والعنوان مشابه لتعبير «الأشباه والنظائر» فى علم القواعد الفقهية ولكنه فى الحقيقة بين الألفاظ والمعانى من ناحية والتفسير من ناحية أخرى. فهو تفسير لبعض ألفاظ القرآن مرتبة ترتيبا أبجديا(حوالى خمسمائة لفظ). وهو نوع من التفسير الموضوعى اللفظى الأبجدى، أشبه بالمعجم المفهرس أو القاموس دون أى دلالة أبعد من الألفاظ. ومعانى الألفاظ متعددة بل ومتضاربة لتعدد التفسيرات وإمكانيتها. فالإنسان مثلا له عشرون

---

(١) «هذا تفسير غريب للقرآن ألف على حروف المعجم ليقرب تناوله، ويسهل حفظه على من أراده»، السابق ص٩٦.

(٢) الأحاديث(١٣)، الأشعار(٢٥)، الأمثال(١٠).

(٣) السجستانى ص١٢٩/ ١٧٠.

(٤) السابق ص٢٤١-٢٤٢/ ٢٩٠.

(٥) السابق ص٣٨٣-٤٦٠.

(٦) الإمام الشيخ أبى عبد الله الحسين بن محمد الدمغانى: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تقديم وتحقيق عربى عبد الحميد على، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م-١٤٢٤هـ.

وجها[1]. وتتراوح بين المعانى الحسية والعقلية، العيانية والمجردة، الحقيقية والمجازية. والتضاد ليس فى ذاته بل للسماح للاختيار بين أحد المعنيين طبقا للحاجة والظروف. وكذلك تتعارض معانى لفظ الجنة لاختيار أحدها[2]. وتغفل هذه الطريقة التجزيئية المتقطعة السياق الدلالى للألفاظ ونواتها. وتمنع من السيولة الفكرية والاتصال النظرى بينها. لذلك جاءت قصيرة أشبه بمعانى القاموس الحديث ومن محض الذاكرة دون الاعتماد على معاجم الألفاظ الحديثة كما هو الحال عند المحدثين. ولا يُعرف هل هذه المعانى اشتقاقية أم اصطلاحية أم عرفية طبقا للمعانى الثلاثة للفظ عند الأصوليين[3]. ويخلو التحليل من أى بنية نظرية أو قسمة للمعانى تتجاوز الألفاظ . وإذا كان لكل لفظ معنى فأين ظلال المعانى وقدرتها على الإيهام والتأثير[4]. ويتراوح التفسير بين المعانى المطلقة والأشخاص المحددة موروثة أو وافدة[5]. ويتراوح الإنسان بين المعانى العامة والأشخاص المحددة، أشبه بأسباب النزول. وتفسر الأفعال والحروف مع الأسماء مثل القاموس الشامل. بل قد تضمن بعض الأسماء المعربة مثل أتون[6]. ويعتمد بطبيعة الحال على القرآن أكثر من اعتماده على الحديث، تفسيرًا للقرآن بالقرآن. كما يستعمل الشعر[7].

وكان الدافع على التأليف استكمال ما نقص عند المفسرين مثل «وجوه القرآن» لمقاتل ابن سليمان، وإغفال حروف من القرآن لها وجوه كثيرة. فجعله مرتبا على حروف المعجم لتسهل مطالعته وحفظه[8].

---

(١) السابق ص٦٨-٧١.

(٢) السابق ص١٢٣-١٢٤/ ١٥٣-١٥٤.

(٣) من النص إلى الواقع، بنية النص جـ٢ ص٢٥٢-٢٥٥.

(٤) تأويل الظاهريات ص١٥٤-١٥٦.

(٥) تفسير «أحد» على ثمانية أوجه: الله، النبى، بلال تمليخا، زيد بن حارثة، أحد من الخلق، دقيانوس، ساتى الملك، الوجوه والنظائر ص٤٣.

(٦) السابق ص١٢٦-١٢٧.

(٧) السابق ص١٤٧.

(٨) «إنى تأملت كتاب وجوه القرآن لمقاتل بن سليمان وغيره فوجدتهم قد أغفلوا حروفا من القرآن لها وجوه كثيرة. فعمدت إلى عمل كتاب مشتمل على ما صنعوا وما تركوا منه، وجعلته مبوبا على حروف المعجم ليسهل على الناظر فيه مطالعته وعلى المتعلم حفظه»، السابق ص٣٧.

و- «معجم مفردات ألفاظ القرآن» للراغب للأصفهانى (٥٠٣هـ)[1]

واستمر ذلك حتى الفهارس الحديثة. ومؤلفو هذا النوع بين علماء اللغة والنحو والبلاغة والأدب وعلوم القرآن. ويتم تبويب الألفاظ طبقا للحروف الأبجدية كالمعجم المفهرس. وهو اختيار لغوى وليس اختيار موضوعيا. فالحروف الأبجدية عرض تاريخى توضع تحتها الألفاظ التى تشير إلى الموضوعات الاجتماعية والسياسية مثل «بئر معطلة وقصر مشيد». فهى آية ليست فقط تحت حرف الباء ولكنها تدل على أسباب انهيار المجتمعات، تعطيل مصالح الناس، الآبار، وبناء الاقطاعى فوقها القصور المشيدة[2]. يقوم على مجرد الرصد دون أى استنتاجات. وهو عمل قواميس اللغة. يعتمد على القرآن ثم الشعر ثم الحديث[3]. وتطبع الأشعار والألفاظ بالمداد الأحمر لإبراز أهميتها. وترقم الأشعار وليس الألفاظ . ولا تستعمل أقوال القدماء بل أحيانا أقوال بعض الصحابة. ويتم التركيز على اشتقاق الألفاظ والقراءات المختلفة[4].

ز- «البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» للكرمانى (٥٠٥هـ)[5]

ويظهر فيه موضوع التكرار فى القرآن، يتبع نفس المنهج فى علوم التفسير ليرصد مظاهر التكرار أو التشابه بين الآيات لتقليلها ونفيها، سورة سورة، وآية آية، اعتمادا على القرآن. فالقرآن يفسر نفسه بنفسه ثم الشعر، و نادرا الحديث[6]. والتكرار فى القرآن موجود. وله أسبابه اللغوية. فالترادف موجود فى اللغة، ولكنه لا يعنى المطابقة فى المعنى. فكل لفظ من الألفاظ المترادفة يوحى بظلال من المعنى مخالفة للآخر. والبدل

---

(١) العلامة أبو القاسم الحسن بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهانى(٥٠٣هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٢) السابق ص٤٤.

(٣) الآيات بالآلاف، والأحاديث بالمئات، والأشعار(٤٦٥).

(٤) السابق ص٦٣.

(٥) تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى: أسرار التكرار فى القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام ط٢، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

(٦) الأشعار (٦)، الأحاديث(١).

فى اللغة ولكنه لا يعنى الإحلال المطابق بل إعادة الضبط والتكييف. فالعلاقة بين آيتين متكررتين مثل العلاقة بين الخاص والعام، الجزئى والكلى، الفرعى والأصلى على مستوى الإيهام، والعلاقة بين الحقيقة والمجاز، والظاهر والمؤول، والمحكم والمتشابه، والمجمل والمبين، والمطلق والمقيد، والمستثنى والمستثنى منه على مستوى الصياغة. وقد يكون على مستوى التصوير الفنى مثل الأمر والقصص، الحكم والمثل. وقد يكون على مستوى تعدد المعانى والتعبير من خلال المعنى بألفاظ مترادفة لتعدد الفهم، واختلاف مستويات العمق، والتفاوت بين الظاهر والباطن، بين الصريح والمؤول، وقد يكون على مستوى الكم مثل الإيجاز والإطناب، الحذف والإضافة. وقد يكون على مستوى العمل بين التخفيف والشدة، الرحمة والعقاب، وقد يكون على مستوى الإعجاز فى تعدد الصياغات الأدبية لنفس الشىء واستقراء نفس الحكم من تعدد أسباب النزول، واستنباط نفس الأمر من تعدد الصياغات. وقد يكون على مستوى الفهم بين الحدس والبرهان، الإدراك المباشر والاستنباط، الظن واليقين، الاحتمال والتوكيد. وقد يكون على مستوى المعانى من أجل الجدال مع المخالفين والحرص على التنزيه ونقاء العقائد. ومع ذلك يحتاج ذلك كله إلى تجميع فى نظريات للتكرار ومستوياته المتعددة.

حـ- «تذكرة الأريب فى تفسير الغريب» لابن الجوزى(٥٩٧هـ)[١]

وهو كتاب فى شرح ألفاظ القرآن الغريبة دون تحديد معنى الغريب، هل هو الدخيل المعرب من لغة أخرى هندية أو فارسية أو رومية أو هو ما لم تألفها لهجة قريش؟ وهو مجرد رصد لألفاظ القرآن بالمعنى الواسع، أشبه بقواميس اللغة دون أى مقدمة نظرية فى الغريب. ولا تشمل فقط غريب اللفظ بل أيضا غريب اللفظ والمعنى[٢]. ويتطرق إلى موضوعات أخرى مثل النسخ وأسباب النزول وتخصيص العموم مع المبالغة فى الاختصار[٣]. ويستمر الرصد سورة سورة، وآية آية كما هو الحال فى علم التفسير الكلى،

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمدين الجوزى: تذكرة الأريب فى تفسير الغريب، تحقيق طارق فتحى السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٢) «وهذا الكتاب يتميز عن كل كتاب يصنف فى الغريب لأن تلك تشتمل على غريب اللفظ فقط. وهذا على غريب اللفظ والمعنى»، السابق ص١٣.

(٣) السابق ص٤٥٣.

التفسير الطولى. والشرح لغوى خالص[1]. ويتغير المعنى بتغير التشكيل. ويتم الاعتماد على اللغويين مثل الفراء، وعلى الحديث دون الشعر[2]. ولا عجب أن يبدو فى الحديث التنبؤ السياسى بخلافة الشيخين[3].

### ط- «الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز» للعز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)

الكتاب كله لمجاز القرآن مع درجة عالية من التنظير والتفصيل فى أنواع المجاز مع تجاوز رصد المجاز سورة بسورة وآية بآية كما هو الحال فى التفسير الطولى الذى أثر فى تناول موضوعات علوم القرآن الأخرى اللغوية أو البلاغية[4]. وبالرغم من الخطة التفصيلية العامة الشاملة لأنواع المجاز إلا أنها مليئة بالأمثلة من القرآن والحديث والشعر[5]. كما تستعمل بعض الأمثال العامية نظرا لأن الوحى قد نزل على ثقافة العرب، شعرا ونثرا[6]. والسؤال هو: هل نزل الوحى على أساليب البلاغة العربية استنباطا وبطريقة قبلية أم أن علماء النحو والبلاغة طبقوها عليه استقراء وبطريقة بعدية؟ ويمكن الجمع بين الاثنين، الاستنباط والاستقراء، القبلى والبعدى[7]. وتنطبق أيضا قواعد النحو وأساليب البلاغة على أقوال الرسول. وهى ليست وحيا لفظيا مباشرا، فقد أوتى جوامع الكلم. وهو أفصح بلغاء العرب.

ويعتمد المجاز أساسا على الحذف[8]. والمجاز فرع للحقيقة وليس مجرد خيال أو

---

(١) السابق ص٤٦٧.

(٢) السابق ص٣٨٩/ ٣٣٣، الحديث ص٥٥/ ٣٠١/ ٣٩٣/ ٤٠٧/ ٤٧٥.

(٣) السابق ص٣٥٩.

(٤) الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الشافعى: الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز(مجاز القرآن)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، السلسلة التراثية(١١)، طرابلس، الجماهيرية الليبية ط١/ ١٤٠١ من وفاة الرسول ١٩٩٢م.

(٥) الآيات (دون المكرر منها)(١٥٦٠)، الأحاديث(٥٢ل)، الأشعار(٦٢).

(٦) مجاز القرآن ص١٠٠.

(٧) وهذه هى الأحكام القبلية التركيبية عند كانط.

(٨) مجاز القرآن: ص٩٢-١٤٢. وهى: حذف المضافات، والمفعولات، والموصوفات، والأقوال وأجوبته، والشروط، وأجوبة القسم، والمبتدأ، والخبر، والأفعال العاملة، ومفاعيل المشيئة، والإفساد، وضمائر الموصولات، وفعل الأمر، والجملة، والجمل الكثيرة.

تصوير فى اللفظ الواحد يجمع الحقيقة والمجاز[1]. وتتفرع أنواع المجازات بالعشرات. وبتعبير المحدثين فى الغرب هو تجوز بالذات عن الموضوع أو بالموضوع عن الذات، بالشعور عن مضمونه، ومضمون الشعور عن الشعور[2]. وكما يكون المجاز عن طريق الحذف يكون أيضا عن طريق النسبة[3]. ومنها نسبة البعض إلى الكل أو الكل إلى البعض[4]. وبالإضافة إلى مجاز الحذف هناك مجاز التضمين والأهم مجاز اللزوم وهو أنواع[5]. ومجاز التشبيه هو الأكثر تفصيلا. له أكثر من مائة نوع[6]. منها التجوز بشىء عن شىء[7]. ومنها ربط شىء بشىء أو التعبير عن شىء بشىء[8]. ويصل التنظير

---

(١) السابق ص١٤٥-١٨٠.

(٢) مثل: التجوز بلفظ العلم عن المعلوم، وبالمعلوم عن العلم، وبالقدرة عن المقدرة، وبالمقدرة عن القدرة، وبالإرادة عن المراد، وبالمراد عن الإرادة، وبالأمل عن المأمول، وبالوعد عن الموعود، وبالعهد عن المعهود، والعقد عن المعقود، وبالبشرى عن المبشر به، وبالقول عن المقول، وبالنبى عن المنبى به، وبالاسم عن المسمى، وبالكلمة عن المتكلم، وبالحلف عن المحلوف به، وبالحكم عن المحكوم به، وبالعزم عن المعزوم عليه، وبالهوى عن المهوى، وبالخشية عن المخشى، وبالحب عن المحبوب، وبالظن عن المظنون، وباليقين عن المتيقن، وبالشهوة عن المشتهى، وبالحاجة عن المحتاج إليه، وبالسبب عن المسبب، وبالمسبب عن السبب، السابق ص١٨٣-٢٢٢.

(٣) مثل الإخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم، والتعبير بالبعض عن الكل، وبالكل عن البعض، وبالفعل عن مقاربته، وتسمية الشىء بما كان عليه وبما يؤول إليه، وتنزيل الموهم منزلة المحقق، والمخاطبة والأخبار المبنيين على زعم الخصم.

(٤) مثل نسبة الفعل إلى سببه أو إلى سبب أو إلى سبب السبب أو إلى الآمر به أو الإذن فيه، السابق ص٢٢٣-٢٣٦.

(٥) مثل: التعبير بالإذن عن المشيئة وعن التيسير والتسهيل، وتسمية ابن السبيل، ونفى الشىء لانتفاء ثمرته وفائدته، والتجوز بلفظ الريب عن الشك، وبترك الكلام عن الغضب، وبنفى النظر عن الإذلال والاحتقار، وباليأس عن العلم، والتعبير بالمسافحة عن الزنا، وبالمحل عن الحال، وبالإرادة عن المقاربة، وبالدخول عن الوطء، ووصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه، والمكان يصفه ما يقع فيه، والإعراض بصفة ما قام به، والكنايات، السابق ص٢٧٦-٢٩٣.

(٦) السابق ص٢٩٣-٤٢٤.

(٧) منها: التجوز بالصراط والطريق والسبيل، وبالميزان عن العدل، وبالحبال عن العهود والعقود، وبالنور عن الهدى، وبالظلمات عن الضلالات والشدائد، وبالأبصار عن البصائر، وبالبصائر عن الأبصار، وبالموت عن الكفر، وبالحياة عن الإيمان، وبالروح عن الوحى والقرآن، وبالسجود عن الانقياد لقدرة الله، وبالقال عن دلالة الحال، وبالقتل عن الإهلاك واللعن، وبالدعاء عن العبادة، وبالظن عن العلم، وبالوقوع عن الثبوت والتحقق، وبالخيط عن الفجرين، وبكثرة السماع للصحيح والباطل بالأذن. وبالصدق عن الشرف والحسن.

(٨) مثل: نحت إنسان على صورة إنسان، مدح الأقوال والأفعال بلفظ الاستقامة والطيب والبركة، والذم

إلى درجة وضع مفاهيم جديدة، وتصور واحد يجمع بين الشبه والمشبه به[1]. وأحيانا يوصف الشيء بأنه مجاز[2]. وقد تستعمل الآية القرآنية لأنها بصياغتها مجاز. ولا تحتاج إلى صياغة نظرية أخرى[3].

ويتشعب نوع واحد مثل وصف المعانى بصفات الأجرام إلى عدة أنواع فرعية. منها ما يتضمن حركتين[4]. ومنها ما يتضمن حركة واحدة[5]. ومن ضمن الأنواع تعدد مصححات التجوز فى محل واحد مثل الذات والصفات والأفعال[6]. وهناك المجاز

---

بلفظ الاعوجاج، والطبع على القلوب والختم عليها، والانقلاب على الأعقاب، والتعبير عن الإحاطة على الإتلاف والإهلاك، وتشبيه المؤمن بالحى والسميع والبصير والكافر بالميت والأعمى والأصم، ووصف الكتاب بالفتيا والقصص والحكمة، وتشبيه المعنى المنتسب إلى شيئين بالجرم المتنسب إلى جرمين بلفظ بين، وتشبيه ثبوت القرآن والإسلام إلى آخر الزمان بالجبال الراسيات، وتسمية عقوبة المذنب بالعذاب، وجعل الهوى إلها، وتشبيه الناس بالحطب، وتشبيه خلو القلب من الأمن والسرور بالهواء، وتشبيه من خرج عن الصدق فى هجوه وذمه بالهائم فى الأودية، والتعبير بالأخبات عن الخضوع والتواضع، وتمثيل المرأة بالنعجة، والتعبير بالجهاد عن النصر، وتقديم رجل وتأخير أخرى، وتشبيه الداخل فى الباطل بالخائض فى الماء، وجعل الذوات فى الأعراض وفى الصفات، والأمر المجازى هو أمر التكوين.

(١) مثل اللباس، النقض، الربط، الشد، الكظم، الميل والزيغ والصفو والحنف، الحجاب، الكفر، الأكنة، والأغطية والأغشية والإقفال، البعد، اللين، الغلظة، القسوة، المرض والشفاء، الضلال، الصم والعمى والبكم، البشارة والنذارة والمجازيان، القبض والبسط، الشرح والضيق والسعة والفتح، التولى والإعراض، الزلل والاستزلال، الصرف، الشدة، القرع، ثنى الصدور، الدرء، الستر، الإيقاد والإطفاء والنار، النفخ، إسباغ النعم، صبغة الله، محو الباطل، نسخ الأحكام، الحرث، المهاد، الصبو، الركن، الأوتاد، الشراء والبيع والقرض، الجنوح، الأمثال، الاعتداء، التناوش.

(٢) مثل: السد المجازى، الرفض المجازى، السقوط المجازى.

(٣) مثل (وباءوا بغضب)، (ولما سكت عن موسى الغضب)، (قد مكر الذين من قبلهم)، (وإذا بُشر أحدهم بالأنثى)، و(وأذنت لربها)، (وأشربوا فى قلوبهم العجل)، (فعميت عليهم الأنباء)، (وقد خاب من دساها)، (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه)، (تكاد تميز من الغيظ)، (وكنتم على شفا حفرة)، (واخفض لها جناح)، (واتخذتموه وراءكم ظهريا)، (وطعنوا فى دينكم)، (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت)، (فأذاقها الله).

(٤) مثل وصفها بالمجيء والإقبال، وبالزهوق والذهاب والإذهاب، وبالصعود والإصعاد، والإفراغ والصب، وبالدخول والخروج والإدخال والإخراج، وبالنزول والإنزال، وبالنبذ والقذف والرجم والإلقاء والرمى، وبالقرب والبعد،وبالفك والانفكاك.

(٥) مثل: الأخذ، الكشف، اللمس، الذوق، التمسك، الخلط، الملء، يمكن وصفها بأنها مرجوعا إليها وبأنها مركوبة.

(٦) مثل: الرحمة، المحبة، الود، الرضى، الشكر، الضحك، الفرح، الصبر، الغيرة، الحياء، الابتلاء، السخرية والاستهزاء والمكر والخداع، التعجب، التردد، الاستواء، الغضب، السخط، الأسف، القلى، المقت، العداوة، اللعن، الكشف عن الساق، والإشارة إليه ب «ذلك».

المزدوج أى مجاز المجاز[١]. ويمكن الجمع بين الحقيقة والمجاز فى لفظ واحد[٢].

ى- «المجيد فى إعراب القرآن المجيد» للسفاقسى(٧٤٢هـ)[٣]

وهو مثل كتب إعراب القرآن فى علوم التفسير. ويقوم بإعراب القرآن سورة سورة، وآية آية، البسملة والفاتحة فقط نموذجا. ويعتمد على آراء السابقين مع اقتباس نصوص ووضع لفظ «انتهى»[٤]. واللغة عند القدماء كانت ثقافة العصر مثل العلوم الإنسانية عند المحدثين. كما يعتمد على الشعر والمثل العربى[٥]. ويخلو من أى مقدمة نظرية باستثناء أهمية علم اللغة[٦]. فهو القادر على تمييز الخطأ من الصواب كما فعل «البحر المحيط» لأثير الدين الذى جمع بين التفسير والإعراب كما فعل أبو البقاء فى «البيان فى إعراب القرآن». والكتاب يعتمد على تلخيص آراء السابقين، والانتقاء بين القراءات الشاذة[٧]. يظهر تطبيق قواعد النحو على الوحى مثل تطبيق أساليب البلاغة. فقد نزل الوحى بلغة العرب. واتبع قواعد النحو العربى. وتم تطبيق ذلك سورة سورة وآية آية، سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة دون أن يكتمل. والسؤال هو: وماذا عما يند عن قواعد النحو؟ هل هى الشواذ عن القاعدة؟ هل هى استعمال لهجات قبائل عربية أخرى وقد أنزل القرآن على سبعة أحرف؟ هل هى أخطاء فى التدوين؟

ك- «بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب» للماردينى ابن التركمانى (٧٥٠هـ)[٨]

---

(١) مثل (ولكن لا تواعدوهن سرا)، مجاز القرآن ص٤٥٢-٤٥٣.

(٢) مثل (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، السابق ص٤٥٣-٤٦٠.

(٣) أربعة كتب فى علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ص١١-٤٥، وهناك طبعة أخرى تحقيق موسى محمد زين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، السلسلة التراثية(١٣)، طرابلس، الجماهيرية الليبية جـ١، ١٤٠١ من وفاة الرسول ١٩٩٢.

(٤) السابق ص١٣/ ٢١/ ٢٧.

(٥) الأشعار(٣٤)، الأمثال العربية ص١٦.

(٦) «وبعد، فلما كان اللسان العربى هو الطريق السنى إلى فهم مفردات القرآن العزيز وتركيباته، وعليه المعول فى معرفة معانيه وتدبر آياته، وبحسب قوة الناظر فيه، تلتقط درر المعانى من فيه...»، السابق ص١٢.

(٧) السابق ص١٢-١٣.

(٨) على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الماردينى ابن التركمانى: بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب

وهو أيضا فى غريب الألفاظ دون تحديد الغربة بالنسبة لمن، وفى ماذا؟ هل فى اللغة أى الدخيل من اللغات المجاورة أم فى الصور الأدبية وفنون القول وأساليب البلاغة أم فى الأحكام الشرعية أم فى العقائد والتصورات النظرية؟ ويتسع مفهوم الغريب بحيث يشمل ألفاظ القرآن كلها، وليس الغريب وحده، سورة سورة، وآية آية دون أى تحليل نظرى باستثناء فقرة فى المقدمة فى نقد الدراسات القرآنية اللغوية دون القصدية والتى اقتصرت على الألفاظ دون المعانى والمقاصد والغايات. والقرآن موجه إلى العقول والألباب وليس إلى الألسن والشفاه[1]. يشرح القرآن بالقرآن، وبالحديث نادرا وبالشعر كثيرا. ويعتمد على أقوال الصحابة والسابقين[2].

ل- «كشف السرائر فى معنى الوجوه والأشباه والنظائر» لابن العماد (٨٨٧هـ)[3]

ويستمر حتى بعد بداية علوم القرآن فى «البرهان» للزركشى (٧٩٤هـ) فى عرض بعض الموضوعات المنفصلة، الأشباه والنظائر، وكأنها موضوعات مستقلة مثل موضوع «المتشابهات». ولا تعنى التشابه فى مقابل المحكم فى علوم أصول الفقه من مباحث الألفاظ بل تعنى الآيات المتناظرة. لا يعنى التشابه والتناظر هنا ما سُمى فى علم القواعد الفكرية «الأشباه والنظائر» وهو تجميع الآيات المتشابهة فى قاعدة أصولية واحدة كما فعل ابن النجيّم وغيره الذين وضعوا هذا العلم المتوسط بين الفقه وأصوله. تعنى «الأشباه والنظائر» هنا رصد ألفاظ، أفعال وأسماء وحروف لها معانى متعددة.

---

الله العزيز من الغريب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م- ١٤٢٤هـ

(١) «فإن الله جعل القرآن الكريم تذكرة للعقلاء وتبصرة لتكون ألبابهم فى معانيه متفكرة ولأسراره متدبرة. فاشتغل الناس بتلاوة ألفاظه، وغفلوا عن المقصود والأعظم وهو فهم مقاصده وأغراضه. وهذا وصف كثير من حفاظه. فلو سألت عن غريبة من غرائبه لوجدت أكثرهم لها جاهلا، وعن معناها ذاهلا. فحملنى ذلك على أن جمعت فى غريب القرآن كتابا غريبا مسلكه قريبا مدركه، صغيرا حجمه، غزيرا ملحه، يهيج الخاطر، ويروق الناظر،... ورأيت ترتيبه على السور مقللا ألفاظه ومسهلا على حفاظه»، السابق ص١١.

(٢) الأشعار(٥٠)، «الفته من غريب أبى بكر الغزيزى، وأبى محمد بن قتيبة، وأبى عبيد الهروى»، السابق ص١١.

(٣) ابن العماد: «كشف السرائر فى معنى الوجوه والأشباه والنظائر» تحقيق ودراسة د. فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم ومراجعة د. محمد سليمان داود، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٧. واعتبره المحقق والمراجع والناشر من التفسير القرآنى.

وهو يقابل التكرار فى القرآن بدلا من وحدة اللفظ واختلاف المعنى، وحدة المعنى واختلاف الألفاظ . هو أشبه بالتفسير الموضوعى للقرآن، بتجميع آيات متشابهة نحو موضوع واحد دون معجم مفهرس لألفاظ القرآن كما هو موجود هذه الأيام. الموضوعات تتجاوز المائة[1]. معظمها تقليدى، يدور حول الإيمان والهدى والكفر والشرك والإسلام والآخرة والشكر والروح والتقوى والذكر... أو المعرفى مثل الحكمة، التأويل، الحس، الوحى، الحق، آية، أو السياسى مثل الأرض، الأمر بالمعروف، أمة، إمام، البأس، البغى، الطاغوت، الظلم، عدوان، السلام. ويستطيع هذا الجيل أن يضيف القهر، الطغيان، الفقر، الضنك، الاحتلال، الاستعمار، الاستغلال، الاحتكار، الاستيطان فى أراضى الغير، الغزو، قتل الأبرياء، التعذيب، الاعتقال، سجن الأبرياء. وأقلها الأخلاقى مثل الحسنى، الرجاء، الرحمة، الصدق، الصلاح، العفو، الفرح...الخ أو الاجتماعى مثل السعى.

م- «الترجمان عن غريب القرآن» للقرشى اليمانى[2]

ويركز على الألفاظ الغريبة فى القرآن يرصدها فى سورة سورة وآية آية. يشرحها حتى تكون مألوفة. فاللغة للاستعمال. وهى ألفاظ عربية. البعض منها لم يعد متداولا[3]. ومرتبطة بحياة البدو كما هو فى ألفاظ الشعر. يشرحها لفظيا واشتقاقيا ولغويا واصطلاحيا. ومنها ألفاظ عادية لا غربة فيها. ومنها ألفاظ أعجمية معربة من اليونانية واللاتينية والفارسية والهندية والنبطية والسريانية. يخلو من مقدمة نظرية فى اللغة وكيفية تعريب الألفاظ ودوافعه. ويعتمد على اللغويين والنحويين. كما يعتمد على الحديث

---

(١) هى ١١٦ موضوعا.

(٢) الإمام العلامة تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقى بن عبد المجيد القرشى اليمانى: الترجمان عن غريب القرآن، قرأه وعلق عليه الدكتور يحيى مراد. دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٣) مثل: جنفا، صفوان، حصورا، كلالة، الرجس، الوصيلة، الحام، الحوايا، مذءوما، غواش، منبر، مكاء، تصدية، النسىء، قتر، أخبث، صنديد، الجودى، منضود، مسومة، تثبيب، داخرون، دلوك، الوحيد، المهل، زلقا، أمتا، المعتر، الأجداث، يقطين، مريج، ذو مرة، سامدون، مهطعين، وسرا، شواظ، زنيم، عتل، الصريم، حسوما، المهل، العهن، عزين، قددا، وأغطش، أبا، قترة، الخنس، شنيم، وسق، مسغبة، متربة، الماعون، ...الخ.

والشعر، والشعر أكثر[1]. ويذكر اسم الشاعر أو يظل مجهولا. كما يعتمد على أقوال اللغويين والنحويين السابقين. ويكون الشرح بالمرادف أو العبارة الشارحة. وقد يكون الشرح بالشىء المشار إليه، أسماء الطيور والحيوانات. يبدأ الشرح بحروف «أى». ويدل على علم غزير ومعلومات واسعة. ويكون الشرح بتعدد القراءات كحل الخلاف حول معانى الألفاظ. ويُفسر وجود بعض الأخطاء النحوية فى الآيات. ويقترب من التفسير الموضوعى للقرآن بتجميع الآيات حول موضوع أو لفظ واحد. وبعض التفاسير ظنية خالصة مثل (النازعات) و(المغيرات)، (الصافات)، ملائكة أو غير ذلك.

## ٢- العربى والغريب:

والألفاظ القرآنية بها العربى وبها الغريب[2]. العربى يقبل الإعراب، والغريب ما لا يقبله. وقد ألف فيه خلق كثير[3]. وتركوا مؤلفات عديدة[4]. ولا يضير فهم النص عن فهم الألفاظ الغريبة وهو أدخل فى التفسير[5].

ويختلف القدماء عن المحدثين فى الحكم على العربى والغريب. فما كان غريبا عند القدماء هو عربى عند المحدثين. وما كان عربيا عند القدماء قد يكون غريبا عند المحدثين. فاللغة تداولية. تحيا بالاستعمال، وتموت بعدم الاستعمال. وليس من المعقول أن يمتلئ القرآن بكل هذه الألفاظ الغريبة التى عفى عليها الزمن ولم تعد مستعملة، وإلا أصبحت لغة تاريخية خالصة، وأصبح القرآن ذاته غير صالح لكل زمان ومكان. وهذا يدل على مدى انفتاح شبه الجزيرة العربية على الشعوب المجاورة، والتداخل

(١) الشعر(٦٨)، الحديث(٢٢).

(٢) الإتقان جـ٢/ ٣-٨٨، البرهان جـ١/ ٢٩١-٢٩٦.

(٣) مثل: أبو عبيدة، أبو عمر الزاهد، ابن دُريد، أبو حيان، السابق ص٣.

(٤) منها كتاب، العزيزى الذى استغرق تأليفه خمسة عشر عاما مع شيخه الأنبارى، السابق ص٣، والمفردات للراغب وهو أيضا التأليف فى معانى القرآن مثل كتب الفراء والزجاج والأخفش وابن الأنبارى، السابق جـ٢/ ٣، وصنف أبو عبيدة كتاب «المجاز»، وأبو عمر غلام ثعلب «ياقوته»، «الصراط»، وكتاب ابن عزيز، وكتاب «الغريبين» للهروى، «والمفردات» للراغب، البرهان جـ١/ ٢٩١.

(٥) مثل (أبا)، (حنانا)، (غسلين)، (أواه)، (الرقيم)، الإتقان جـ٢/ ٤-٥.

بين الثقافات واللغات فى مصر وبلاد الروم وفارس والهند والحبشة والقرن الأفريقى والنبط[1].

والقصص الغريبة على من؟ على أى قبيلة وفى أى لهجة. وكل ما كان غريبا. فى قريش كان غريبا فى العربية إذا كان الوحى قد نزل بلغة قريش؟ وكثير من هذه الألفاظ تعبر عن البيئة الصحراوية، الشجر، البلح، الرمل، النواة، الناقة، الصخر.

وقد تكون هذه الألفاظ الغريبة قد استعملت من قبل فى الشعر[2]. ولا يعنى ذلك أن الشعر أصل القرآن بل على أن هذا الغريب كان مستعملا من قبل فى اللغة التداولية[3]. وذم الشعر فى القرآن ليس على الإطلاق بل بسبب الأخلاق وليس بسبب اللغة والصياغة والشكل الأدبى. فالشعر غواية للغاوين، خيال دون فعل، وقول

---

(١) يذكر السيوطى ٧٣٤ لفظا غريبا، وأكثرها عربيا بالاستعمال والغريب لا يتجاوز ٨١ لفظا أى ٩٪ مثل وفومها ( الحنطة، ) جنفا ( إثما، ) صنوان( حجر صلد، ) كلالة ( من لم يترك والدا ولا ولدا، ) الجبت (الشرك، ) نقيرا (النقطة فى ظهر النواة، ) شنآن ( عداوة، ) الأزلام ( الأقداح، ) غير متجانف (متعد لإثم،) مكلبين ( ضوارى، ) بحيرة ( الناقة، ) مبلسون ( أيسون، ) أن تبسل( تفضح، ) قنوان( قصار النخيل) قبلا (معاينة، ) الحوايا ( المبصر، ) مزءوما ( ملوما، ) عفَوا( كثروا، ) متبر ( خسران، ) أخبتوا (خافوا، ) مسومة (مصلحة، ) مهطعين ( ناظرين، ) مواخر ( جوارى، ) لأحتنكن( لأستوين، ) بالوصيد (الفناء،) المهل (عكر الزيت، ) زبر الحديد ( قطع الحديد، ) المعتر(، السائل، ) لا يأتل( لا يقسم، ) هضيم ( معشبة،)سلقوكم ( استقبلوكم، )من قطمير( الجلد على ظهر النواة، )غوْل( صداع، )ضغثا ( حزمة، ) غساق (الزمهرير، )فى تباب ( خسران، )تحبرون( تكرمون، )مريج( مختلف، )وما ألتناهم( ما نقصناهم،) ذو مرة ( منظر حسن، ) سامدون ( لا هون، ) من غسلين( صديد، ) كفاتا ( كفاء، ) عسعس ( أدبر، ) لن يحور (، لن يبعث، ) أحوى ( أسود، ) من ضريع ( شجر ذو شوك) مُبَتّر( هالك، ) إلاّ ( قرابة، ) مخمصة (مجاعة... الخ، الإتقان جـ٢/ ٦-٥٤.

(٢) يذكر السيوطى ٨٩ شاهدا شعريا به بعض الألفاظ الغريبة الواردة فى القرآن، الإتقان جـ٢/ ٥٥-٨٨.

(٣) من الألفاظ القرآنية الغريبة التى استعملت فى الشعر من قبل: (عزين)، (ثبورا)، (المعتر)، (شواظ)، (سامدون)، (آن)، (ذو مرة)، (كالصريم)، (الكنود)، (أبابيل)، (قمطريرا)، (نقيرا)، (فارض)، (المهل)، (مريج)، (دُسر)، (ركزا)، (ختار)، (خمط)، (أبا)، (مهطعين)، (يعمهون)، (مخمصة)، الشعر ديوان العرب، فإذا خفى عليهم الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغتهم، رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك، ثم إن كان ما تضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين. وإن كان ما يوجب العلم لم يكف ذلك بل لابد من أن يستفيض اللفظ وتكثر شواهده من الشعر»، البرهان جـ١/ ٢٩٤.

دون عمل. الشعر ديوان العرب[1]. والقرآن يرث الشعر كمحور للحياة العربية، وبؤرة ثقافية. والوراثة تقوم على التواصل والانقطاع فى نفس الوقت، تواصل الثروة، وانقطاع الأنساب. وقد نشأت منافسة بين الشعر والقرآن بعد نزول الوحى، بين أنصار القديم وأنصار الجديد. أنصار القديم يدافعون عن الشعر، وأنصار الجديد يدافعون عن القرآن. فالقرآن بالنسبة للشعر تجديد فى فنون البلاغة. ليست القضية بين الشعر والقرآن قضية لغوية لفظية بلاغية فقط أى قضية شكل أدبى بل هى قضية تجربة إنسانية حياتية. فالشعر تجربة حياتية مثل الوحى، يشاركان فى نفس المعنى والدلالات.

وفى القرآن ألفاظ بغير لغة الحجاز[2]. وهى أقرب إلى اللهجات مثل هذيل، وحمير، وجرهم، وكنانة..الخ[3]. وقد تصل إلى الخمسين لغة[4]. وإذا كانت هذه اللغات قد اندثرت فكيف يمكن فهم القرآن الآن؟ والآن هناك قراءات أفريقية وأسيوية وأوروبية.

وفى القرآن ألفاظ من لغات غير عربية، الحبشية والفارسية، والنبطية، والعبرية، والسريانية والبربرية، والقبطية، والرومية، والهندية ثم الزنجية واليونانية، والتركية. وهى مائة وسبعة عشر لفظا. وقد يكون لفظ واحد فى أكثر من لغة.

وكلما كانت النظرية محافظة لم يكن فى القرآن حرف غريب من لغة قريش إلا ثلاثة لأن كلام قريش سهل واضح. وكلام العرب وحشى غريب[5]. وذلك دفاعا عن نقاء

---

(١) عند ابن عباس «الشعر ديوان العرب»، وعن عمر «عليكم بديوان جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم».

(٢) ١٧٦ لفظا، الإتقان جـ٢/ ٨٩-١٠٤، البرهان جـ١/ ٢٨٣-٢٨٦.

(٣) وهى موزعة كالآتى: هذيل(٣٩)، حمير(٢٢)، جُرهم(٢٠)، كنانة(١٧)، قيس عيلان، اليمن(٨)، أزد شنوءة(٧)، مذحج(٦)، خثعم، عمان(٥)، حضرموت، (٤)، كندة، غسان، بنى حنيفة، الأشعريون، همدان(٣)، سعد العشيرة، لخم، سبأ، تميم، أغار(٢)، عذرة، مزينة، جذام، اليمامة، سليم، عمارة، خزاعة، الأوس، الخزرج، بلى، ثقيف، ثعلبة، نصر بن معاوية، صمصة، ثقيف، عك(١).

(٤) هى لغات: قريش، هذيل، كنانة، خثعم، الخزرج، أشعر ونمير، قيس عيلان، جرهم، اليمن، أزد شنوءة، كندة، تميم، حمير، مدين، لخم، سعد العشيرة، حضر موت، سدوس، العمالقة، أنمار، غسان، مذحج، خزاعة، غطفان، سبأ، عمان، بنو حنيفة، ثعلبة، طى، عامر بن صعصعة، أوس، مزينة، ثقيف، جذام، بلى، عذرة، هوازن، النمر، اليمامة.

(٥) الإتقان جـ٢/ ١٠٣-١٢٠ هى حوالى إحدى عشرة لغة طبقا للأهمية الحبشية(٢٦)، الفارسية(٢٤)، النبطية(٢٢)، العبرية(٢١)، السريانية(١٥)، البربرية(أهل المغرب)(٧)، الرومية(٦)، القبطية(٥)، الهندية(٢)، الزنجية، اليونانية، التركية(١).

اللغة واستعمال الوحى أقل قدر ممكن من الحوامل الأجنبية[1]. وكلما كانت النظرية أكثر جرأة امتلأ القرآن بالألفاظ غير العربية كحوامل للوحى بعد أن أصبحت الألفاظ غير العربية جزءا من اللغة العربية التداولية.

واللغة العربية نفسها هى لغة العرب العاربة والعرب المستعربة التى أحضرت بعض ألفاظها معها فعربتها. فلم يكن العرب فى جزيرة منعزلة عن باقى الشعوب المجاورة لها، بلغاتها وثقافتها وأديانها وعاداتها[2]. وبعد تعريب بعض الألفاظ أصبحت أكثر عربية من الألفاظ العربية الأصيلة لقدرة العربية على تعريب غيرها من الألفاظ غير العربية مثل «السندس» «والإستبرق» «والأبريق» من الفارسية، «والأرائك» «والطاغوت» بالحبشية، «وأسفار» «وربانيون» من السريانية، «وأكواب» «وسفرة» بالنبطية، «وبطائن» بالقبطية «وسيدها» «وجهنم» «والرحمن» «والرمز» بالعبرانية، «والرقيم» «والصراط» بالرومية، «والمهل» بالبربرية. وقد عربت هذه الألفاظ عبر اتصال العرب بغيرهم من الشعوب المجاورة عبر التجارة قبل نزول الوحى، فالحامل اللغوى بصرف النظر عن نشأته وتكوينه قادر على حمل المحمول[3]. وقد وضعت معظم هذه الألفاظ غير العربية

(١) وقد كتب السيوطى فى ذلك كتابًا مستقلا هو «المهذب فى ما وقع فى القرآن من المعرب»، الإتقان جـ٢/ ١٠٥، البرهان جـ١/ ٢٨٧-٢٩٠.

(٢) «وقال أبو المعالى عُزيزى بن عبد الملك: إنما وجدت هذه الألفاظ فى لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا. ويجوز أن يكونوا قد سبقوا إلى هذه الألفاظ»، الإتقان جـ٢/ ١٠٦. الطور بالسريانية جبل، وطفقا أى قصدا بالرومية، والقسط والقسطاس والعدل بالرومية، وهدنا أى تبنا بالعبرانية، والسجل الكتاب بالفارسية، والرقيم اللوح بالرومية، والمهل عكر الزيت بالبربرية، والسندس الرقيق من الشرب بالهندية، والاستبرق الغليظ بالفارسية والسندس النهر الصغير باليونانية، وطه أى طأ يا رجل بالعبرانية، ويُصهر أى يتضح بالبربرية، وسبتين الحسن بالنبطية، والمشكاة الكوة بالحبشية، والدرى المضئ بالحبشية، والأليم المؤلم بالعبرانية، إناه أى نضجه بالبربرية، الآخرة أى الأولى بالقبطية، وراء أى أمام بالقبطية، اليم البحر بالقبطية، بطائن أى ظواهر بالقبطية، الأب الحشيش بالبربرية، نشأ بالحبشية أى قام ليلا، كفل بالحبشية ضعف، القسورة الأسد بالحبشية. التوراة والإنجيل أعجميان، البرهان جـ١/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) «بل كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسن بتجارات وبرحلتى قريش وبسفر مسافرين كسفر أبى عمرو إلى الشام وسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة فى اللغة. فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت فى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الفصيح. ووقع بها البيان. وعلى هذا الحد نزل بها القرآن. فإن جهلها عربى فلجهله الصريح بما فى لغة غيره، وكما لم يعرف بها ابن عباس معنى

فى قصائد عربية للاستنكار[1].

## ٣- ألفاظ يكثر دورانها:

ونظرا لأن ثقافة القدماء ثقافة لغوية فقد جمعوا بعض الألفاظ المتكررة فى القرآن فى تفسير الشبه بالتفسير الموضوعى. تجمع بين الأفعال مثل «فعل»، «حسب»، «كاد»، «رأى»، «ظن»، «عسى»، «لعل»، «اتخذ»، «سأل»، «وعد»، «شعر»، «علم»، «ود»، ومعظمها الأفعال التى تنصب ما بعدها، وبعض صيغ التفضيل والتى تأخذ مفعولين، وبعضها للجزم والنصب، وأفعال المضارعة، ولفظ «سواء»، وبعض الآيات[2]. وهى خطوة نحو الخروج من مباحث الألفاظ، والبعد التشريعى، وأساليب البلاغة، والبعد الجمالى إلى التجارب الاجتماعية والسياسية أى الموضوعات بالرغم من أن بدايتها تحليل الألفاظ المتكررة فى القرآن خاصة الأفعال وليس الأسماء أو الحروف.

وليست كل الأفعال دالة مثل «فعل». ومن نفس الحقل الدلالى أفعال «جعل»، «عمل»، «طفق»، «أنشأ»، «أقبل». «فعل» هو الأعم. يفيد القول والهم. وأقله «عمل» يعم النية والهم والعزم والقول. وتعنى «جعل»، «سمى»، «كاد»، «طفق». وهى معانى المقاربة. كما تعنى الخلق والاختراع، والنقل من حال إلى حال والتصيير، والاعتقاد، والحكم بالشىء على الشىء. وتأتى بمعنى «ألقى»[3].

وبعضها أكثر دلالة مثل فعل «كان» هل يدل على الماضى وحده أم هو مستمر متجدد فى الحاضر والمستقبل. فكان تدل على الماضى والحاضر فى آن واحد، على التطور والبنية.

---

«فاطر» إلى غير ذلك. قال: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية، لكن استعملها العرب وعربتها فهى عربية بهذا الوجه»، البرهان جـ١/ ٢٨٩. «وذلك أن هذه أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها أسقطت إلى العرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية. ثم نزل القرآن. وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال أنها عربية فهو صادق ومن قال أنها أعجمية فهو صادق»، السابق ص ٢٩٠، وليس كل من خالف قائلا فى مقالته ينسبه إلى الجهل. فقد اختلف الصدر الأول فى تاويل القرآن»، السابق ص ٢٩٠.

(١) الإتقان جـ٢/ ١١٩-١٢٠.

(٢) البرهان جـ٤/ ١٢١-١٧٤.

(٣) السابق جـ٤/ ١٢١/ ١٢٨-١٣٥.

هل فعل ماض وإذا وقع بعد «إن» أو «أما» المستقبل. ويمكن أن يسبقه نفى مثل باقى الأفعال[1].

ويفيد فعلا «عسى» «ولعل» الرجاء والطمع. ويتضمنان الشك والظن. «عسى» ماضى اللفظ والمعنى أو ماضى اللفظ مستقبل المعنى. ويفيد فعل «ود» نفس المعنى، التمنى. ويأتى معها حرف «ل» أو «أن»[2].

وهناك عدة أفعال تتعدى مفعولين مثل «حسب»، «ورأى» إذا كانت بصرية تعدت لواحد أو علمية تعدت لاثنين، الأول مفعول، والثانى حال. وقد تكون بمعنى «أخبر» أو «انتبه». ولا يتعلق فعل «علم» إلا بالمعانى. ويعنى فعل «ظن» الاعتقاد والراجح، وربما اليقين. فالظن محمود حتى ولو كان شكا. ولا يستبعد أحد المحمولين. ويعنى «شعر»، علم، ومصدره «شعره» مثل فطنه. و«اتخذ» يتعدى إلى مفعول واحد أو مفعولين. و«أخذ» يعنى غصب وعاقب. ويستعمل للمقاربة والقسم. ويتعدى «سأل» لمفعولين[3].

ويفيد فعل «كاد» أن الإثبات إثبات، والنفى نفى، أو أن الإثبات نفى والنفى إثبات، ووقوع الفعل بعسر، والتفصيل فى النفى بين المضارع والماضى. فنفى المضارع نفى، ونفى الماضى إثبات[4]. وقد يعنى «أراد»[5].

وفعل المطاوعة هو الواقع مسببا عن سبب اقتضاه مثل كسرته فانكسر[6]. ويحتمل الفعل الجزم والنصب[7].

(١) السابق جـ٤/ ١٢١-١٢٨.
(٢) السابق جـ٤/ ١٥٨-١٦٨.
(٣) السابق جـ٤/ ١٣٥-١٦٧.
(٤) البرهان جـ٤/ ١٣٦-١٣٩.
(٥) مثل (كذلك كدنا ليوسف).
(٦) البرهان جـ٤/ ١٣٩-١٤٤ مثل (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى).
(٧) السابق جـ٤/ ١٤٤-١٤٩، مثل (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)، (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق).

وأفعل التفضيل له قواعد منها: إذا أضيف إلى جنسه لم يكن بوضعه[1]. وإذا ذكر بعد أفعل جنسه وواحد من آحاده يضاف إليه[2]. أن يكون الأصل للأفضلية على ما أضيف إليه، لا يطلق على العاهات[3]. ويكثر حذف المفضول إذا دل عليه دليل[4]. وقد يأتى مجردًا عن معنى التفضيل[5]. وأفعل على ثلاثة أضرب: مضاف، ومعرف باللام، وخال منها. أما لفظ «سواء» فيعنى الاستواء. وهو عكس التفضيل.

ويمكن تصنيف الآيات طبقا لصياغتها اللغوية الكلية وليس طبقا لمعانيها. وهى حدود الخطاب المغلق على ذاته[6].

## ٤- الإعراب:

والإعـراب بين اللفظ والمعنى، فهو تشكيل اللفظ طبقا للمعنى وحفاظا على الاثنين[7]. وفهم المعنى يساعد على الإعـراب[8]. وقد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد. ويكون ذلك طبقا للصياغة، وهى فنون البلاغة، وأن يتم طبقا لقواعد اللغة العربية، وأن يستوفى جميع ما يمثله اللفظ من الأوجه الظاهرة، وأن يراعى الشروط المختلفة حسب الأبواب، وأن يراعى فى كل تركيب ما يشاكله.

وأول ما يُعرف الأفراد والتركيب. وهو موضوع فى النحو من أجل إعراب القرآن[9].

---

(١) البرهان جـ٤/ ١٦٨-١٧٣، مثل (أحكم الحاكمين)، (أحسن الخالقين).

(٢) السابق جـ٤/ ١٧٣-١٧٤.

(٣) مثل (أشد خشية).

(٤) مثل (والله أعلم بما وضعت).

(٥) مثل (وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض).

(٦) البرهان جـ٤/ ١٤٤، مثل (إنما أنت منذر من يخشاها).

(٧) «ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى لأن الإعراب يميز المعانى ويتوقف على أغراض المتكلمين»، السابق ص٢٦٠، وقد ألف فيه مكى فى كتابه فى الشكل خاصة، والحوفى وهو أوضحها وأبو البقاء العكبرى وهو أشهرها، والسمين وهو أجلها على ما فيه من حشود وتطويل، ولخصه السفاقسى وحرره، وتفسير أبى حيان مملوء به، الإتقان جـ٢/ ٢٦٠.

(٨) فى معرفة إعرابه، الإتقان جـ٢/ ٢٦٠-٢٨٠.

(٩) البرهان جـ١/ ٣٠١-٣١٠، من أهم مؤلفاته، وكتاب «المشكل»، وكتاب «المنتخب»، للهمذانى، وكتاب الحوفى وأبى البقاء العكبرى والزمخشرى، وكتاب ابن عطية والشيخ أبو حيان، السابق ص٣٠١.

وفى الإعراب تتجنب الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة. ولا يخرج على القريب والقوى والفصيح. وتجنب القراءات الشاذة. ويفضل الترجيح بين القراءات. ويراعى الرسم والخط. و يستحسن التروى فى المتشابهات. ويراعى عدم الخروج على الأصل أو الظاهر دون مقتضى، والبحث عن الأصل دون الزائد، وهى الأعاريب، وتجنب الألفاظ الزائدة.

وقد يتجاذب اللفظ الواحد إعرابان لمعنيين، وكلاهما صحيح، وقد يتعارض الإعراب والمعنى مع بعضهما البعض. وقد تقرأ بأكثر من وجه، الإعراب أو البناء. وليس فى القرآن على كثرة منصوباته مفعول معه.

ويقوم النحوى ببيان مراتب الكلام، فالعمد قبل الفضلة، والمبتدأ قبل الخبر، والوصول بالنفس قبل الوصول بالجر، والمفعول الأول قبل الثانى، وارتباط الضمير بالتأخير أو التقديم[1].

والتصريف هو ما يلحق ببنية الكلمة. وهو قسمان: الأول جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعانى مثل التصغير والتكبير، والمصدر، واسمى الزمان والمكان، واسمى الفاعل والمفعول، وحركتى المقصور والمحدود. والثانى تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها فتحدث الزيادة والحذف، والإبدال والقلب، والنقل والإدغام. وفائدته توليد المعانى الفرعية من المعنى الأصلى. فالمعنى ليس تصورا منطقيا جامعا مانعا بل هو ظلال من المعانى يوحى بأكبر قدر ممكن من الإيحاءات[2].

وطبقا لمعانى الألفاظ الثلاثة، الاشتقاقى، والاصطلاحى، والعرفى، إذا كان المعنى الاشتقاقى ثابتا، والاصطلاحى ثابتا فإن المعنى العرفى، وهو المعنى التداولى، يتغير بتغير الاستعمالات والأعراف واختلاف المجتمعات والمراحل التاريخية. لذلك وجدت القواميس التاريخية للغة والتى يندر منها أن توجد فى اللغة العربية وكأنها خارج التاريخ قبل الإسلام وبعده.

---

(١) البرهان جـ١/ ٣١٠.

(٢) السابق جـ١/ ٢٩٧-٣٠٠.

ثم يتم الخروج من مستوى اللفظ والمعنى إلى مستوى الشيء ذاته وهى الأفعال. وهى أحكام التكليف الخمسة كجزء من مباحث الألفاظ[1]. وهى لا تتجاوز خمسمائة آية مما يزيد على الأربعة آلاف. فالغاية من القرآن ليس التكليف بل التحرر الوجدانى كما قال الصوفية. والأحكام نوعان: الأول صريح ومباشر، والثانى مستنبطة وغير مباشرة من آية أخرى أو من سياق مجموع الآيات[2]. ويمكن استنباط الأحكام من العواطف الإنسانية مثل تعظيم فعل أو الإقلال من شأنه، مدحه أو ذمه، محبته أو كراهيته، الرضا أو السخط من الشيء، الفرح والحزن. فتعنى الوجوب أو التحريم أو الندب والكراهية، والواقعة والعقاب، والتعجب والنفور. ويعرف الحلال بألفاظ رفع الجناح والإذن والعفو والتخيير والامتنان. وقد تجمع آية واحدة أكثر من حكم. هنا يتم الانتقال من اللغة إلى الفعل. فالتوجه القرآنى (وقل اعملوا)، لذلك تختتم علوم القرآن بالعلم والعمل[3].

### ٥- الأشباه والنظائر:

وهو ما يسمى بالوجوه والنظائر[4]. الوجوه للفظ المشترك هى معانيه المتعددة. والنظائر هى الألفاظ المتواطئة. النظائر فى الألفاظ، والوجوه فى المعانى. وهو ليس معجزة بمعنى خرق قوانين الطبيعة دون معرفة أسبابها. وليس إعجازا لأنه جزء من طبيعة اللغة وقواعد التفسير. وإذا كان للكلمة عشرون وجها فإن ذلك من غنى اللغة العربية وفضلها على غيرها من اللغات، وليس معجزة قرآنية. ومعرفة وجوه الألفاظ جزء من فهم القرآن[5].

---

(١) السابق جـ٢/ ٣-٢٣.

(٢) السابق ص٣-٦.

(٣) السابق جـ٢ ص١٠.

(٤) الإتقان جـ٢/ ١٢١-١٣٩. البرهان جـ١/ ١٠٢-١١١. وقد صنف فى هذا الموضوع من المتقدمين مقاتل ابن سليمان.

(٥) السابق ص١٢١ ومن المتأخرين ابن الجوزى، وابن الدامغانى، وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصرى، وابن فارسون، وآخرون، السابق ص١٢١.

وقد يكون للفظ معنى واحد بصرف النظر عن الاستعمال والسياق. فاللفظ له نواة المعنى[1]. وقد يعنى لفظ واحد معنين من أجل حرية الحركة فى الفهم طبقا للموقف والظروف المتغيرة[2]. الأول معنى حسى مادى، والثانى روحى أخلاقى. الأول ظاهرى، والثانى باطنى. فالظلمات والنور إما العتمة والنور أو الإيمان والكفر. بل إن معنى اللفظ يتغير من آية إلى أخرى طبقا للسياق[3]. والصبر يكون محمودا فى آية ومذموما فى أخرى. وقد يكون للفظ ثلاثة معان مثل العفو[4].

وقد تعنى الوجوه الإشارات الباطنة دون الظاهرة[5]. والأمثلة على ذلك كثيرة. قد يعنى لفظ الذكر تسعة عشر وجها[6]. الذكر باللسان والقلب والذاكرة نظرا. ويكون فى العظة والبيان والخبر والشرف والوحى والثناء كشفا. ويكون فى القرآن والحديث والتوراة تدوينا. ويكون فى الطاعة ونيل الجزاء وعملا. ويكون فى الصلاة وفى الصلوات

---

(١) القنوط الطاعة، والأليم الموجع، والقتل اللعن، والزجر العذاب، والتسبيح الصلاة، والسلطان الحجة، والدين الحساب، والرياح الرحمة، والريح العذاب، والكأس الخمر، والفاطر الخالق، والإفك الكذب، والجعل الخلق، والمباشرة الجماع، والفسق الكذب... الخ، السابق جـ٢/ ١٣٥-١٣٨.

(٢) يعنى الأسف الحزن والغضب، والبروج الكواكب والقصور الطوال الحصينة، والبر والبحر، التراب والماء أو البرية والعمران، والبخس النقص والحرام، البعل الزوج والصنم، والبكم الخرس وعدم الكلام، وجثيا جميعا أو الجثى على الركب، والحسبان العدد والعذاب، والحسرة الندامة والحزن، والدحض الباطل والمقروع، والزجر العذاب والصنم، والريب الشك وحوادث الدهر، والرجم القتل والظن، والزدر الكذب والشرك، ، والزكاة المال والطهر، والرسيغ الميل والتشخيص، والسخرية الاستهزاء والاستخدام، والسعير النار والعناء، والشيطان إبليس أو الغواية، والشهيد المقتول والشاهد، وأصحاب النار أهلها وخزنتها، والصلاة عبادة ومكان، والصمم السماع والإسراء، والعذاب التعذيب والضرب، والقنوت الطاعة والقرب، والكنز المال والعلم، والمصباح الكوكب والسراج، والنكاح الزواج والحلم، والنبأ الخبر والحجج، والورود الدخول أو الهجوم، وكل ما فيه العمل والمنفعة، واليأس قنوط، والعلم والصوم عبادة وصمت، والإنفاق الصدقة والمهر... إلخ، السابق جـ٢/ ١٣٢-١٣٥.

(٣) اليأس قنوط إلا فى «الرعد» فنفى العلم، السابق جـ٢/ ١٣٤.

(٤) معنى العفو، تجاوز الذنب، القصد فى النفقة، الإحسان فيما بين الناس، السابق جـ٢/ ١٣٨.

(٥) الإتقان ص١٢١-١٢٢.

(٦) يعنى الذكر: ذكر اللسان، وذكر القلب، والحفظ، والطاعة والجزاء، والصلوات الخمس، والعظة والبيان، والحديث، والقرآن، والتوراة والخبر، ، والترف، والعيب، واللوح المحفوظ، والثناء، ،الوحى، والصلاة، وصلاة الجمعة، وصلاة العصر، السابق ص١٢٩-١٣٠.

الخمس وصلاة الجمعة وصلاة العصر ممارسة. ولفظ الهدى سبعة عشر وجها[1]. وتعنى المعرفة والبيان والدين والإيمان والحجة والتوحيد والإلهام والإرشاد. كما تعنى الجوانب العملية مثل الثبات، والدعاء، والاسترجاع، والإصلاح والتوبة. وتعنى التدوين مثل القرآن والسنة والتوراة. ومنها لفظ القضاء[2]. ويعنى الأجل والموت والوصية والهلاك أو الأمر والفصل والمعنى والوجوب والإبرام، والإعلام والنزول، والخلق والفصل والعهد. والفتنة خمسة عشر وجها[3]. وتعنى الجوانب النظرية مثل الشرك والإضلال، والإضلال والمعذرة، والقضاء، والإثم، والمرض والعبرة أو الجوانب العملية مثل: القتل، والصد، والعقوبة، والاختبار، والعذاب، والإحراق، والجنون. والرحمة اثنا عشر وجها[4]. والسوء أحد عشر وجها[5]. والروح[6]. أو الصلاة تسعة وجوه[7]. والدعاء ستة وجوه[8]. والإحصان ثلاثة وجوه[9].

### ٦- منطق الاشتباه:

وهو ما يعادل مباحث الألفاظ فى علم أصول الفقه[10]. وتتفاوت كما فيما بينها. تبدأ

---

(١) ويعنى الهدى: الثبات، والبيان، والدين، الإيمان والدعاء، والرسل والكتب، والمعرفة، والنبى، والقرآن، والتوراة، والاسترجاع، والحجة، والتوحيد، والسنة الإصلاح، والإلهام، التوبة والإرشاد، السابق ص١٢٢-١٢٤.

(٢) ويعنى القضاء: الفراغ، والأمر، والأجل، والفصل، والمعنى، والهلاك، والوجوب، والإبرام، والإعلام، والموت، والنزول، والخلق، والفصل، والعهد، السابق ص١٢٨-١٢٩.

(٣) السابق ص١٢٦-١٢٧.

(٤) تعنى الرحمة: الإسلام، والإيمان، والجنة، والمطر، والنعمة والنبوة، والرزق، والنصر والفتح، والمودة، والسعة، والمغفرة، والعصمة.

(٥) وهى: الشدة، والعقر، والزنى، والعذاب، والشرك، والشدة، والذنب، وبئس، والضر، والقتل والهزيمة.

(٦) وتعنى الروح: الأمر، والوحى، والقرآن، والرحمة، والحياة، وجبريل، وملك عظيم، وجيش من الملائكة، وروح البدن.

(٧) وتعنى الصلاة: الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، والجنازة، والدعاء، والدين، والقراءة، والرحمة والاستغفار، ومواضع الصلاة.

(٨) ويعنى الدعاء: العبادة، والاستعانة، والسؤال، والقول، والنداء، والتسمية.

(٩) ويعنى الإحصان: العفة، والتزوج، والحرية.

(١٠) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص٢٤٧-٣٥٨.

بأكبرها الحقيقة والمجاز لبعد الصورة الفنية فى اللغة ثم المحكم والمتشابه لبيان دور الفهم الإنسانى. فى اختيار معنى واحد من المعانى المتعددة للفظ، ثم المجمل والمبين لتوضيح المعانى واختيار أقرب المعانى إلى البداهة والوضوح، ثم الظاهر والمؤول طبقا لأعماق الفهم ومستويات الشعور المعرفى، ثم العام والخاص وتوجه اللفظ نحو الشخصى، والخطاب نحو المخاطب، ثم المطلق والمقيد وهو نفس التقابل بين العام والخاص على مستوى التجريد، ثم الأمر والنهى وهو توجه الخطاب نحو الفعل وهو بيت القصيد. وأخيرا يتم التحول من المنظوم إلى المنطق والمفهوم لوضع منطق للمعنى يتجاوز منطق الألفاظ[1].

أ- الحقيقة والمجاز: الموضوعات الشرعية حقائق بالنظر إلى الشرع مجازات بالنظر إلى اللغة[2]. ولما كان الشرع قد عُرف من اللغة فإن الموضوعات الشرعية قد تكون مجازا بالنسبة للخاصة، حقائق بالنسبة إلى العامة. وإنكار المجاز وقوع فى الحرفية وضيق الأفق ووحدانية النظرة[3].

الحقيقة هى كل لفظ بقى على موضوعات دون تقديم أو تأخير. والمجاز هو إخراج اللفظ عما وضع له. وهو نوعان: الأول المجاز فى التركيب. وهو المجاز العقلى وعلاقته الملابسة بإسناد الفعل إلى ما هو له أصالة لملابسته[4]. والثانى المجاز فى المفرد ويسمى المجاز اللغوى. وهو استعمال اللفظ فى غير موضعه[5]. وتسمية الداعى إلى الشىء باسم

---

(١) السابق ص٣٥٩-٣٧٤.

(٢) الموضوعات الشرعية مثل: الصلاة والصوم والزكاة والحج، الإتقان جـ٣/ ١٢٦.

(٣) البرهان جـ٢/ ٢٥٤-٢٥٦.

(٤) فى حقيقته ومجازه، الإتقان جـ٣/ ١٠٩-١٢٧.

(٥) ويكون ذلك بالحذف أو الزيادة أو إطلاق الكل على الجزء أو الجزء على الكل، والمطلق على المقيد، والمقيد على المطلق، والجمع على المثنى، والمثنى على الجمع. والخاص على العام، والعام على الخاص، والملزوم على اللازم واللازم على الملزوم، والسبب على المسبب والمسبب على السبب، وتسمية الشىء باسم ما كان عليه أو ما يؤول إليه، وتسمية الشىء بما كان عليه، وإطلاق اسم الحال على المحل أو المحل على الحال، وتسمية الشىء باسم آلته أو ضده، وإضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبها، وإطلاق الفعل والمراد مشارفته ومقاربته وإرادته، والقلب وإقامة صيغة مقام أخرى. ويتفرع إلى أنواع كثيرة. ويمكن اقتصارها فى ستة أنواع: الحذف، والتأكيد، والتشبيه، والكناية، والتقديم والتأخير، والالتفات. وقد صنف فيه عز الدين بن عبد السلام ولخصه السيوطى ثم أزاد فيه فى كتابه «مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن»، الاتقان جـ٣/ ١٠٩.

الصارف عنه، وإقامة صيغة مقام أخرى، وإطلاق الأمر وإرادة التهديد والتلوين، وإضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له فى الحقيقة، وإطلاق الفعل والمراد مقاربته ومشارفته لا حقيقته، وإطلاق الأمر بالشىء للتلبس به والمراد دوامه، وإطلاق اسم البشرى على المبشر به. وقد يكون اللفظ مشتركا بين حقيقتين أو أحدهما حقيقة والآخر مجازا[1].

والمجاز نوعان: الشبه وهو المجاز اللغوى عند الأصوليين. والثانى الملابسة وهو المجاز العقلى عند اللغويين[2]. فاللغة أداة العقل. والعقل تعبير باللغة.

وقد تكون هناك واسطة بين الحقيقة والمجاز، وهى الألفاظ قبل الاستعمال مثل الحروف أوائل السور من أجل إيقاظ الانتباه وإثارة الخيال[3]. وقد تكون الألفاظ المستعملة للمشاكلة على التقابل للإعلام والإخبار فهى مجاز لعلاقة المصاحبة[4].

وقد يجوز مجاز المجاز أى أن يكون المجاز المأخوذ عن الحقيقة حقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر[5]. فالمجاز سلسلة لا تتناهى. فلا توجد حقيقة إلا ولها مجاز. ولا يوجد مجاز إلا ويكون حقيقة لمجاز آخر. الحقيقة بداية، والمجاز نهاية. البداية بالحرف المتناهى، والنهاية بالصورة التى لا تتناهى.

وقد ينفى الشىء ويثبت باعتبارين. فالرمى حقيقة فى الإنسان ومجازا فى الله[6]. فالحقيقة والمجاز يتوقفان على المستوى. قد يكون المستوى الحسى حقيقة ثم يتحول مجازا بالانتقال من الحسى إلى المعنوى، وهو طريق التنزيه. وقد يكون المستوى الحسى مجازا ثم يتحول إلى حقيقة بالانتقال من الحسى إلى المعنوى، وهو طريق التشبيه[7].

ب- المحكم والمتشابه: وفى القرآن محكم ومتشابه. ليس كله محكما وإلا ضاق الخناق

---

(١) البرهان جـ٢/ ٢٠٧-٢٠٨/ ٢٥٤/ ٢٩٩.

(٢) السابق جـ٢/ ٢٥٦.

(٣) الإتقان جـ٣/ ١٢٦-١٢٧.

(٤) مثل (ومكروا ومكر الله).

(٥) وذلك مثل (ولا تواعدوهن سرا)، الإتقان جـ٣/ ١٢٧، البرهان جـ٢/ ٢٩٨-٢٩٩.

(٦) البرهان جـ٢/ ٣٠٨-٣٠٩ وذلك مثل (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

(٧) من العقيدة إلى الثورة جـ٢ التوحيد ص٢٠٠-٢٢٣.

على الفهم والتفسير والتأويل. وليس كله متشابها وإلا تحولت التعددية إلى تكافؤ الأدلة. وتساوى كل شىء بكل شىء، وانتهى الأمر إلى التشبيه واللاأدرية والعدمية[1]. المحكم هو الذى يحتمل وجها واحدا، والمتشابه هو الذى يحكم أكثر من وجه. الأول هو الواضح، والثانى المتشابه. المتشابه يمكن معرفته عن طريق منطق الألفاظ. فما فائدة وجوده وهو مجهول، لا يعلمه إلا الله. والمحكم ما تكرر لفظه. والراسخون فى العلم هم أصحاب هذا المنطق اللغوى وليس علما سريا باطنيا. ليس المحكم والمتشابه فى الموضوع، المحكم الوعد والوعيد والفرائض، والمتشابه القصص والأمثال بل ما يتعلق بصياغة الخطاب وهو على أنواع مثل ما لم ينسخ، والناسخ، والفرائض، والوعد والوعيد[2].

المحكم ما استقل بنفسه ويدرك بالحدس. والمتشابه ما اعتمد على غيره ويحتاج إلى التحليل اللغوى العقلى. ليس المحكم والمتشابه هما الناسخ والمنسوخ. فالأول يتعلق بالصياغة اللغوية، والثانى ينطق بمدة الحكم. ليس المحكم هو الآيات، والمتشابه الحروف أوائل السور. فقد تكون الآيات أيضا متشابهة. أما أوائل السور فإنها من أسرار البلاغة ولا تحتوى على حكم[3].

ويعنى المحكم فى اللغة المنع، منع الحاكم الظالم من الظلم وإلجام الفرس من الاضطراب. وفى الاصطلاح أحكام الأمر والنهى، وبيان الحلال والحرم[4]..

والمتشابه على ثلاثة أنواع: متشابه من جهة اللفظ، ومتشابه من جهة المعنى، ومتشابه من الجهتين معا. واللفظ نوعان بسيط ومركب. والمركب ثلاثة أنواع: لاختصار الكلام، ولإيضاح الكلام وبسطه، ولنظم الكلام. والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله والقيامة الحسية وضرورة تأويلها معنويا. وهى على خمسة أنواع: من جهة الكمية كالعموم والخصوص، ومن جهة الكيفية كالوجوب والندب، ومن جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، ومن جهة المكان كعادات الجاهلية، ومن جهة الشروط التى بها

---

(١) «فى المحكم والمتشابه»، الإتقان جـ٣/ ٣-٣٢، البرهان جـ٢/ ٦٨-٧٧.

(٢) البرهان جـ٢/ ٦٨-٦٩.

(٣) السابق ص٣-١٠.

(٤) الإتقان جـ٣/ ١٠-١١.

يصح الفعل. ومن حيث الموضوع المتشابه ثلاثة أنواع، ما لا يمكن الوقوف عليه مثل أمور المعاد، وما يمكن معرفته كالألفاظ والأحكام، وما يتوسط بين الاثنين، وهو ما يعرفه الراسخون فى العلم، وهم أهل الاختصاص.

ومن المتشابه آيات الصفات مثل الاستواء الذى يعنى الاستقرار والاستيلاء والصعود والارتفاع والخلق والاعتدال. وكلها معان حسية. وقد يلجأ البعض إلى تغيير الوقف فى قراءة أخرى بالوقوف على العرش ثم البداية باستوى كفعل لباقى الآية. والوجه يعنى إخلاص النية أو قصد التوجه. والعين تعنى البصر أو الإدراك. واليد تعنى القدرة. والساق هى الشدة والأمر العظيم. والجنب الطاعة. والعزب العلم. والفوق العلو. والمجىء الأمر، والعند الإشارة والتمكين. وأخرى أقل حسية وأكثر معنوية مثل المحبة والغضب والرضا والعجب والرحمة. فهى انفعالات إنسانية يتم إسقاطها وتكبيرها. فالتأويل ضرورى حفاظا على التنزيه، وحذرا من التجسيم والتشبيه[1].

ومن المتشابه أوائل السور من دلائل الإعجاز. ولا تعنى أى قصد أو توجه خاص بأوصاف الله أو أسمائه أو أفعاله أو صفاته[2]. فلو كان المقصود كذلك لصرح به فى آية كاملة دون اختصارها فى حروف. ولا تشير الحروف إلى أسماء[3]. ولا دليل على أنها من أسماء القرآن. وليست حرف اللغة العربية بأعدادها أو حروف البسملة طبقا لعلم أسرار الحروف[4]. ووجه الإعجاز أن القرآن نظم من الحروف الهجائية العادية. هى مجرد تنبيهات[5]. دقات صوتية من دقات خشبة المسرح لإعلان بداية التمثيل.

---

(١) السابق جـ٢/ ١٢-٢١، البرهان جـ٢/ ٧١-٧٤/ ٧٨-٨٩.

(٢) الإتقان جـ٢/ ٢١-٣٠مثل (الم) أنا الله أعلم، (الص) أنا الله أفصل، (الر) أنا الله أرى، و(المص) أنا الله الصادق، (المر) أنا الله أرفع.

(٣) مثل: الكاف للكريم، الهاء للهادى، الصاد للصادق أو المصور أو الصمد، والياء للحكيم، والعين للعليم، والقاف القادر، والنون النور والناصر.

(٤) (يس) سيد المرسلين، (ص) صدق الله، (ق) جبل.

(٥) «وقيل أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه. فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه، ويكون تعجبهم منه سببا لاستماعهم، واستماعهم له سبب لاستماع ما بعده فترق القلوب، وتلين الأفئدة»، الإتقان جـ٣/ ٢٧.

وهناك التشابه فى الأفعال لحاجة السلوك إلى أساس نظرى محكم[1]. فالتشابه ليس فقط مقولة لغوية بل أيضا مقولة سلوكية فى الحيرة والتردد[2]. بل هى مقولة وجودية فى التوتر بين الفناء والبقاء، بين الموت والخلود.

ووظيفة المتشابه شحذ الذهن، وجعل القارئ جزءا من المقروء، والموضوع إحالة إلى الذات كما أن الذات إحالة إلى الموضوع. يحث العلماء على النظر الموجب للعلم، وبذل الجهد للوصول إلى المراد. ويتفاوت الناس فى درجات العلم. وكلما ازداد العلم ازداد الفهم. ولو كان القرآن كله محكما لكان مذهبا واحدا، وقراءة واحدة، وفهما واحدا. وهو ضد روح القرآن. ويستدعى ذلك تحصيل علوم كثيرة لفهم الجوانب المختلفة للقرآن وممارسة التأويل، والاعتماد على علوم اللغة: النحو، والمعانى، البيان، وأصول الفقه. ويدعو الخواص إلى إعمال النظر[3].

جـ- المجمل والمبين: المجمل ما لم تتضح دلالته. وله أسباب مثل الاشتراك، والحذف، واختلاف مرجع الضمير، واحتمال العطف والاستئناف أى مواقع الوقف والابتداء، وغرابة اللفظ أو كثرة الاستعمال، والتقديم والتأخير، وقلب المنقول، والتكرير القاطع، لوصول الكلام فى الظاهر. وقد يقع البيان متصلا أو منفصلا. الأول تخصيص وتأويل، والثانى بيان.

وقد يكون المجمل والمحتمل شيئا واحدا، وقد يتمايزان. فالمجمل لفظ مبهم لا يفهم مراده، والمحتمل لفظ واقع بالوضع الأول على معنيين. المجمل يدل على أمور معروفة على عكس المحتمل. ليس المجمل هو الغامض بل هو المركب الذى يحتاج إلى تحليل إلى بسائط[4].

د- الظاهر والمؤول: إذا كان اللفظ محتملا لمعنيين وفى أحدهما أظهر، فالراجح

---

(١) البرهان جـ٢/ ٧١.

(٢) لذلك كتبت سيمون دى بوفوار «من أجل أخلاق للاشتباه».

(٣) الإتقان جـ٣/ ٣٠-٣٢، البرهان جـ٢/ ٧٥-٧٧.

(٤) الإتقان جـ٣/ ٥٣-٥٨، البرهان جـ٢/ ٢٠٨-٢١٦. من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص٢٦٩-٢٨١.

ظاهر، والمرجوح مؤول. ولا يوجد شيء فى القرآن لا تعلم الأمة تأويله وإلا كان تجهيلا. والتأويل يتغير بحسب الزمان والمكان والمؤول وتطور التاريخ وتغير الظروف والأحوال[1]. وكلها ممكنة لأنه لا يوجد تأويل واحد ثابت وإلا أصبح القرآن كله ظاهرا[2].

هـ- العام والخاص: العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر. وصيغته «كل» وأسماء الصلة «الذى»، «التى» و«أى» و«ما» و«من» للشرط والاستفهام، والجمع المضاف، واسم الجنس للمضاف، والنكرة فى سياق النفى والنهى، والمعرف بألف ولام التعريف. وهو على ثلاثة أقسام: الباقى على عمومه، العام الذى يراد به المخصص، والعام المخصوص. والمخصص له متصل أو منفصل. والمتصل خمسة: الاستثناء، والوصف، والمشروط، والغاية، وبدل البعض من الكل. وقد يكون الكلام متصلا، أحده عام والآخر خاص. والعموم للمدح أو الذم باق على عمومه. والخطاب الخاص بالرسول لا يعمم. صيغ الخطاب (يا أيها الناس)، (يا أيها الذين آمنوا)، (يا أهل الكتاب)، على مستويات عدة من العموم، من الأكثر عموما إلى الأقل عموما والأكثر خصوصا[3]. وقد يراد بالخطاب العام العموم، وبالخطاب الخاص الخصوص، وقد يراد بالخطاب الخاص العموم، وبالعموم الخاص[4].

ويشمل خطاب العموم الجنس والنوع وخطاب المدح للمؤمنين والذم للكافرين. ويشمل خطاب الخصوص خطاب العين. ويشمل العموم والخصوص للأفراد والجماعات خطاب الذم والكراهية والإهانة والتهكم والجمع بلفظ واحد، والواحد بلفظ الجمع، والواحد والجمع بلفظ الاثنين، والاثنين بلفظ الواحد، وخطاب الجمع بعد الواحد وخطاب العين والمراد غيره، وخطاب الاعتبار، وخطاب الشخص ثم العدول إلى غيره[5].

---

(١) البرهان جـ٢/ ٢٠٥-٢٠٧.

(٢) من النص إلى الواقع جـ٢/ بنية النص ص ٢٦٩-٢٨٠.

(٣) الإتقان جـ٣/ ٤٣-٥١. من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص جـ٢ بنية النص ص٣١٦-٣٤٨.

(٤) البرهان جـ٢/ ١٨-١٩.

(٥) البرهان جـ٢/ ٢١٧-٢٤٥.

و- المطلق والمقيد: المطلق والمقيد مثل العام والخاص[1]. والمقيد هو تعليق الحكم بصفة أو شرط. وقد يكون التقييد باللغة وبالقياس، بالنقل أو العقل. والمطلق هو الأساس ثم يدخل المقيد عليه[2]. وقد يكون التقييد بصفة[3]. ولا يستدل بالصفة العامة إذا لم يظهر تقييد عدم التعميم[4].

ز- الأمر والنهي: وإذا كان العموم والخصوص للأفراد فإن الأمر والنهي للأفعال. وقد يأتي الأمر كصيغة لغوية بلا حرف أو بحرف. وهو الإثبات فى اللغة. والنهى هى صيغة النفى فى اللغة. والنفى للصدق والجحد للكذب. لذلك كان الصدق شرط صحة النفى. ويسبق النفى أداته. وإذا كان نفيا عاما فأداته للعموم. وأدوات النفى كثيرة «لا»، «ما»، «لا»، «لم»، للماضى والحاضر والمستقبل[5].

حـ - المنطوق والمفهوم: ومن الصعب الفصل بين اللفظ والمعنى. فاللفظ حامل للمعنى، والمعنى محمول على اللفظ. ويمكن ذلك فى علم أصول الفقه بالتمييز بين المنظوم والمفهوم[6]. ثم يأتى المنطوق فيخرج اللغة من التقابل بين اللفظ والمعنى إلى التقابل بين اللفظ والشىء، والخروج من اللغة إلى العالم. فاللغة منزل الوجود[7].

المنطوق والمفهوم هما اللفظ والمعنى[8]. وهما فى أصول الفقه المنظوم والمفهوم. فالمنطوق ما دل عليه اللفظ أى محل النطق. والمفهوم هو المعنى الذى لا يحتمل غيره. والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق. وهو قسمان: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة. الأول ما يوافق حكم المنطوق. فإن كان أولى سمى فحوى الخطاب أو دلالة الخطاب. والثانى ما يخالف المنطوق وهو مفهوم الصفة نعتا أو حالا أو ظرفا أو عددا أو

(١) فى مطلقه ومقيدة، الإتقان جـ٢/ ٩١-٩٣.
(٢) البرهان جـ٢/ ١٥-١٧.
(٣) السابق ص٢١.
(٤) السابق ص١٨-١٩.
(٥) البرهان جـ٢/ ٣٧٤-٣٨١.
(٦) من النص إلى الواقع جـ٢، بنية النص ص٢٤٧-٣٤٧.
(٧) هى عبارة شهيرة لهيدجر.
(٨) فى منطوقه ومفهومه جـ٣/ ٩٥-٩٨.

الشرط أو الحصر أو الغاية. فالألفاظ تدل إما بمنطوقها وهى الألفاظ أو بفحواها وهى المعانى أو الدلالات أو باقتضائها وضرورتها وهى التجارب الحدسية الذاتية أو بمعقولها المستنبط منها[1]. وهو ما سماه الأصوليون المنظوم والمفهوم والمعقول والمنظور[2].

## ٧- وهم الاختلاف:

والتعارض بين الآيات وهم. فالقرآن لا يتعارض بعضه مع بعض بل يتكامل. وحل التعارض مباحث الألفاظ وثنائياتها: الحقيقة والمجاز، الظاهر والمؤول، المحكم والمتشابه، المجمل والمبين المطلق والمقيد، المستثنى والمستثنى منه، العام والخاص، الأمر والنهى...الخ. كما يمكن حل التعارض عن طريق الناسخ والمنسوخ والأولوية فى الزمان من حيث التقديم والتأخير، تقديم المكى على المدنى. ويمكن حل التعارض عن طريق الأسلوب، أن يكون أحد المعنيين مستقلا بحكمه، والثانى مرتبطا بلفظ زائد. وتعارض القراءتين حلة فى علم القراءات. وإيهام التناقض فى الأسماء وليس فى المعانى. الأول حلة فى منطق الألفاظ، والثانى حلة بالقياس ومناهج الاستنباط. وقد تكون الأسباب الموهمة للاختلاف وقوع المختبر به على أحوال مختلفة وأطوار شتى أو اختلاف الموضوع أو اختلاف جهتى الفعل أو لوجهين واعتبارين مختلفين بين المتفرقات[3]. وإذا وقع تعارض بين الآية والحديث فالأولوية للآية طبقا للأولوية فى ترتيب المصادر الأربعة[4].

وقد يوهم بوقوع تعارض بين النصوص[5]. وهو أحد أبواب أصول الفقه فى التعارض والتراجيح[6]. وكيف يكون تعارض فى وحى منزل فى ذاته دون أن يكون فى تدوينه أو قراءاته أو فهمه وتفسيره؟ قد ينشأ هذا الوهم بالتعارض إما لمقتضيات

(١) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص٣٧٥-٤٤٢.
(٢) السابق ص .
(٣) البرهان جـ٢/ ٤٥-٦٧.
(٤) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص١٦٧-١٩٠.
(٥) فى مشكلة وموهم الاختلاف والتناقض، الإتقان جـ٣/ ٧٩-٨٩.
(٦) من النص إلى الواقع جـ٢/ بنية النص ص ٤١٢-٤٢٢.

بلاغية صرفة أو لتباين مستويات الفهم والتفسير أو لاختلاف السياق. وللاختلاف أسباب منها: وقوع المَخبر به على أنواع مختلفة وتطويرات شتى، واختلاف الموضوع، وتباين جهتى الفعل، واختلاف الحقيقة والمجاز، ووجود وجهين واعتبارين. وقد تعمق الأصوليون فى ذلك وإعطاء بعض الحلول للتعارض بين الآيات عن طريق نسخ المتأخر للمتقدم أو تخصيصه أو تعميمه أو باقى المبادئ اللغوية.

وما أكثر الخلافات فى علوم القرآن مثل الخلافات فى علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وفى علوم الحكمة وفى علوم التصوف بل لقد تحول الخلاف الفقهى إلى علم مستقل هو علم الخلاف. ولا يضير ذلك الوحى فى شىء. فاختلاف الحوامل لا تقلل من ثبات المحمول. واختلاف المياه الجوفية وتياراتها وأعماقها واتساعها ومدتها لا تمنع من الشرب من مياهه.

# الفصل الثانى

# أساليب البلاغة

## ١- فنون القول ووجوه الخطاب:

الوحى قول بليغ للتأثير فى المتلقى. وله وجوه متعددة للخطاب طبقا لأنواع الخطاب فى اللغة العربية. هو فنٌ من فنون القول وأسلوب من أساليب البلاغة. ومن هنا أتى الإعجاز ومنافسة الشعر. هو تعبير وإيصال مثل الفن تماما، هو عمل فنى شعرى. يعتمد على أساليب البلاغة. لذلك أثر فى العرب وهم أهل فصاحة وبيان. ونافس شعرهم وهو فنهم الأصيل[١].

### أ- فنون القول:

وتعنى أساليب أو فنون البلاغة تجاوز جدل اللفظ والمعنى واختيار أوجز لفظ للتعبير عن أعظم المعانى. وتسمى أيضا أساليب القرآن وفنونه البليغة. وهو لب علوم القرآن كيفا وكما[٢]. ويتضمن حوالى خمسين فنا. وإذا كانت مباحث الألفاظ على المستوى الاستدلالى فإن أساليب البلاغة هو استمرار لمباحث اللغة ولكن على المستوى الجمالى، الأول لاستنباط الأحكام، والثانى للتأثير فى النفس.

وتعنى بدائع القرآن الاستمرار فى أساليب البلاغة فى القرآن إلى ما لا نهاية. فى كل آية فن من فنونها والتى قد تبلغ المائة لدرجة صعوبة حصرها لتداخلها[٣]. لكل منها

(١) البرهان جـ٢/ ٣٨٢-٥١٦ جـ٣/ جـ٤/ ٣-١٧٤.
(٢) هو أكبر الأنواع كما (٧٨٣ص).
(٣) الإتقان جـ٣/ ٢٤٩-٢٨٩ صنف فيه ابن أبى الأصبع وأورد مائة نوع.

تفصيلات وتقسيمات وأنواع. تدخل فيها مباحث الألفاظ عند الأصوليين مثل الحقيقة والمجاز. وهى أساليب معروفة فى البلاغة العربية اتبعها القرآن لخلب لب العرب. ومنها ما يخرج على أساليب البلاغة ويكون أدخل فى العلوم الإسلامية مثل المذهب الكلامى(١). وقد تبلغ فنون البلاغة خمسين فنا(٢).

اللفظ والتركيب أحسن وأفصح موضوع لعلم البيان والبديع. يحتاج إليه المفسر فى البحث عن مقتضيات الإعجاز، والحقيقة والمجاز، والتأليف والنظم والسياق، واستقامة الوزن والملاحة. ويدركها أصحاب الفطر السليمة. وهى قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة. ووظيفتها تقوية الأفهام والتأثير فى النفس(٣). ومن المعانى التى يتكلم فيها البليغ مثبتا ونافيا تحقيق العقائد الإلهية، وبيان الحق فيما يشكل من الأمور

---

(١) ومنها: المجاز، الاستعارة، التشبيه، الكناية، الإرداف، التمثيل، الإيجاز، الاتساع، الإشارة، المساواة، البسط، الإيغال، التتميم، التكميل، الاحتراس، الاستقصاء، التذييل، الزيادة، الترديد، التكرار، التفسير، الإيضاح، نفى الشىء بإيجابه، المذهب الكلامى، القول بالموجب، المناقضة، الانتقال، الإسجال، التسليم، التمكين، التوشيح، التسهيم، رد العجز على الصدر، تشابه الأطراف، لزوم ما لا يلزم، التخيير، التشجيع، التشريع والإيهام والتورية، الاستخدام، الالتفات، الاطراد، الانسجام، الإدماج، الافتنان، الإقتداء، ائتلاف اللفظ مع اللفظ، ائتلاف اللفظ مع المعنى، الاستدراك، الاستثناء، تأكيد المدح بما يشبه الذم، التفويت، التغاير، التقسيم، التدبيج، التبكيت، التضمين، الجناس، جمع المؤتلف والمختلف، حسن النسق، عتاب المرء نفسه والعكس، العنوان، الفوائد، القسم، المبالغة، المطابقة، المقابلة، الموارية، المراجعة، النزاهة، الإبداع، المقارنة، حسن الابتداء، حسن الختام، حسن التخلص، الاستطراد، السابق ص٢٤٩.

(٢) البرهان جـ٢/ ٣٨٣، وهى: التوكيد، الحذف، الإيجاز، التقديم والتأخير، القلب، المدرج، الاقتصاص، الترقى، التغليب، الالتفات، التضمين، وضع الخبر موضع الطلب، وضع الطلب موضع الخبر، وضع النداء موضع التعجب، وضع القلة موضع الكثرة، تذكير المؤنث، تأنيث المذكر، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى، التعبير عن الماضى بلفظ المستقبل، مشاكلة اللفظ للمعنى، النعت، الإبدال، المحاذاة، قواعد فى النفى والصفات، إخراج الكلام مخرج الشك فى اللفظ دون الحقيقة، الإعراض عن صريح الحكم، الهدم، التوسع، الاستدراج، التشبيه، الاستعارة، التورية والتجريد، التجنيس، الطباق، المقابلة، إلجام الخصم بالحجة، التقسيم، التعديد، مقابلة الجمع بالجمع، قاعدة فيما ورد فى القرآن مجموعا تارة ومفردا أخرى، قاعدة أخرى فى الضمائر، قاعدة فى السؤال والجواب، الخطاب بالشىء فى اعتقاد المخاطب، التأدب فى الخطاب، تقديم ذكر الرحمة على العذاب، الخطاب بالاسم، الخطاب بالفعل، قاعدة فى ذكر الموصولات والظرف تارة وحذفها أخرى، قاعدة فى النهى ودفع التناقض عما يوهم ذلك، وملاك ذلك الإيجاز والإطناب، الإجمال والإيجاز، التفصيل والإشباع.

(٣) البرهان جـ١/ ٣١١-٣١٧. وقد صنف فيه شمس الدين محمد بن النقيب مجلدين مقدمة لتفسيره، وحازم الأندلسى «منهاج البلغاء وسرج الأدباء».

غير العقائد، وتمكين الانفعالات النفسانية من النفوس مثل الاستعطاف والإعراض، والإرضاء والغضب، والتشجيع والتخويف، والذم والمدح، والشكاية والاعتذار، والإذن والمنع، واستدعاء المخاطب إلى فضل تأمل. والاستمالة والاسترضاء، والإغضاب العجيب، ويسمى القول البلاغى الضمير أو التمثيل. والضمير أن يختفى أحد الطرفين، والتشجيع، والإبانة والمدح[1].

ب - وجوه الخطاب وأقسام الكلام:

والوحى خطاب. والخطاب له وجوه. وهو أيضا كلام. والكلام له أقسام:

أ- وجوه الخطاب: ووجوه الخطاب فى القرآن عديدة[2]. وهى أقرب إلى مباحث الألفاظ تفصيلا مثل العام والخاص، والمدح والذم، والكرامة والإهانة والتهكم، والواحد والجمع، والواحد والاثنين، وخطاب الأنا والغير، والعام والشخص، والتلوين وهو الالتفات، والجماد والعاقل، والتهييج والتمنن، والتحبب والتعجيز، والتشريف والمعدوم[3]. وهى حوالى أربعين وجها. وقد تختلف أعداد أنواع الخطاب طبقا لمباحث الألفاظ وقواعد البلاغة[4]. وبالنسبة للرسول هناك خطاب للنبى، وآخر يعزه، وثالث لكليهما.

ويمكن التصنيف إلى عشرة: نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام. ويمكن تسعة بعد إسقاط الاستفهام مع أنه قسم رئيسى من أقسام الكلام. ويمكن ثمانية وإسقاط التشفع مع أنه قسم رئيسى فى الكلام خاصة فى ثقافة ترتكز على الشفاعة من موروث الأشاعرة. ويمكن سبعة بعد إسقاط الشك لأنه متضمنه فى الخبر مع أن الشك قسم من أقسام الكلام له أهمية خاصة فى

---

(١) «ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ليتمكن بها من اتباع التصديق به وإذعان النفس له»، البرهان جـ١/ ٣١٢-٣١٧.

(٢) فى وجوه مخاطباته، الإتقان جـ٣/ ٩٩-١٠٧، البرهان جـ٢/ ٢١٧-٢٥٣/ ٣١٦-٣٨١.

(٣) هناك عام يراد به العموم، وعام يراد به الخصوص، وخاص يراد به الخصوص، وخاص يراد به العموم، وخطاب الجنس والنوع والعين، السابق ص٩٩.

(٤) ومنها المقطوع والموصول، السبب والإضمار، الوعد والوعيد، الحدود الأحكام، الخبر والاستفهام والأبهة، والحروف المصرفة، والأعذار والإنذار، والحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال، والقسم، السابق ص١٠٦-١٠٧.

ثقافة يغلب عليها اليقين. ويمكن ستة بعد حذف التشفع والتعجب والقسم والشرط والوضع والمسألة وإبقاء النداء وإضافة الأمر والنهى والخبر والاستخبار والتمنى. ويمكن خمسة بحذف التمنى والاستخبار وإضافة التصريح والطلب[1].

وهناك خطابات أخرى بلاغية مثل خطاب التلوين وهو خطاب الالتفات عند أهل المعانى، وخطاب العقل للجمادات، وخطاب المعدوم. وهو نوع من أنسنة الطبيعة. وهناك الخطاب المباشر للحث على الفعل مثل خطاب التهييج، والإغضاب، والتشجيع، والتحريض، والتنفير، والتحنن، والاستعطاف، والتحبيب، والتعجيز، والتحسير، والتلهف، والتكذيب، والتشريف. وهو خطاب شعورى للانفعالات الإنسانية المتضادة[2]. وقد يكون الخطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب دون ما فى نفس الأمر. فالخطاب لغة[3]. والتصديق يخرج عن إطار اللغة، اللغة للتخاطب، والتصديق فى الواقع، ويقرب منه التهكم[4].

ب- **أقسام الكلام:** الكلام خبر أو إنشاء[5]. الخبر ما يحتمل الصدق والكذب. والإنشاء يضم النداء والمسألة والأمر والتشفع والتعجب والقسم والشرط والوضع والشك والاستفهام. وقد يضاف إلى الاستخبار وهو طلب الفهم والنهى مع الأمر والتمنى والتصريح. ولا يعنى التمييز بين الخبر الإنشاء الفصل التام بينهما. فالقصد بالخبر إفادة المخاطب. وقد يرد بمعنى الأمر والنهى والدعاء والتعجب والدعاء، والتمنى والوعد والوعيد والإنكار، والنفى فى الماضى والمستقبل، والجحد. وقد يفصّل الاستفهام فى صيغ عديدة[6]. قد توجد مباشرة أو بطريق غير مباشر. والتفصيلات العديدة للإنشاء تدل على أنه هو السائد فى الخطاب القرآنى[7].

(١) السابق جـ٢/ ص٣١٦.
(٢) السابق جـ٢/ ص٢٤٦-٢٥٣.
(٣) السابق جـ٤/ ٥٥-٥٨. مثل(أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون).
(٤) السابق ص٥٨، مثل(ذق إنك أنت العزيز الحكيم).
(٥) الإتقان جـ٣/ ٢٢٥-٢٤٨، السابق جـ٢/ ص٣١٧-٣٢٦.
(٦) مثل: الإنكار، التوبيخ، الاعتراف، التعجب، العتاب، التذكير، الافتخار، التفخيم، التهويل والتخويف، التسهيل والتخفيف، التهدية والوعيد، التكثير، التسوية، الأمر، التنبيه، الترغيب، النهى، الدعاء، الاسترشاد، التمنى، الاستبطاء، العرض، التحضيض، التجاهل، التعظيم، التحقير، الاكتفاء، الاستبعاد، الإيناس، التهكم، الاستهزاء، التأكيد، السابق ص٢٣٥-٢٤٠.
(٧) السابق جـ٢/ ص٣١٧.

ويوضع الخبر موضع الطلب فى الأمر والنهى[1]. كما يوضع الطلب موضع الخبر[2]. فصيغ الكلام متداخلة. قد يكون الخبر طلبا غير مباشر. وقد يكون الطلب خبرا لا يقتضى الفعل.

والأمر هو اقتضاء الفعل. وله عدة أقسام مجازا. والنهى صيغته لا تفعل. وهو التحريم والخطر والمنع. ويرد مجازا فى عدة صيغ[3]. والتمنى هو طلب على سبيل المحبة[4]. ويعبر عنه بحروف»ل«و «ولعل» «وهل». والترجى فى الممكن، والتمنى فى المستحيل[5]. وقد يرد النداء مجازا فى الإغراء والتحذير والاختصاص والتنبيه والتحسر[6]. والاستعطاف ليس قسما[7]. ويوضع النداء موضع التعجب. فكلاهما صيغتان إنشائيتان انفعاليتان وجدانيتان[8].

ويمكن التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى، وعن الماضى بلفظ المستقبل. فالزمان متصل الحلقات. وقسمته إلى ماضى وحاضر ومستقبل قسمة وهمية. فالماضى هو مستقبل الحاضر، والحاضر هو مستقبل الماضى، والمستقبل هو ماضى الحاضر. فالحقائق فى الزمان وخارجه بنية تند عن التطور[9].

## ٢- طرق التوكيد:

التوكيد أهم أسلوب بلاغى فى القرآن من أجل مزيد من اليقين. والقصد منه العمل

---

(١) السابق جـ٣/ ص٣٤٧-٣٤٩.

(٢) السابق ص٣٥٠-٣٥٢.

(٣) مثل: الندب، الإباحة، الدعاء، التهديد، الإهانة، التسخير، التعجيز، الامتنان، العجب، التسوية، الإرشاد، الاحتقار، الإنذار، الإكرام، التكوين، الإنعام، التكذيب، المشورة، الاعتبار، التعجب، الإتقان، جـ٣/ ٢٤٢-٢٤٣، البرهان جـ٢/ ٣٢٠-٣٢٦.

(٤) مثل: الكراهة، الدعاء، الإرشاد، التسوية، الاحتقار والتقليل، وبيان العاقبة، واليأس، والإهانة، السابق ص٢٤٣-٢٤٤.

(٥) البرهان جـ٢/ ٣٢٣.

(٦) السابق ص٣٢٣-٣٢٦.

(٧) السابق ص٣٢٦.

(٨) السابق جـ٣/ ٣٥٣-٣٥٤

(٩) السابق جـ٣/ ٣٧٢-٣٧٦.

على ما لم يقع ليصير واقعا. لذلك لا يؤكد الماضى ولا الحاضر لوقوعهما. إنما التأكيد فى المستقبل. فإذا وقع فهو حقيقة[1]. الماضى حدث. والحاضر المشاهد. والمستقبل هو الحامل لأمور المعاد الذى يحتاج إلى توكيد الماضى فى قصص الأنبياء. والحاضر مدرك بالحس والمشاهدة. والتوكيد نوعان باصطلاح النحاة، صناعى ومعنوى[2]. والصناعى نوعان لفظى ومعنوى. اللفظى بالمرادف[3]. ويكون فى الاسم النكرة بالإجماع، وفى اسم الفعل، وفى الجملة، وفى فصل الجملتين، وقصد تحقيق المخبر، وقصد إغاظة السامع، والإعلام بأن المخبر به كله من عند المتكلم، والتعريض بأمر آخر، والحاجة للتحرر من ذكر ما لا فائدة له، ونزول المنكر لغير المنكر وعكسه[4]. ويلحق بالتأكيد الصناعى تأكيد الفعل بالمصدر. والسؤال هو: هل الأولى التأكيد بالمصدر أو الفعل؟ المصدر أولى. وينعت المصدر بالوصف[5]. وقد يقع الحال بعد الجملة الأسمية فتلزم مؤكداتها بحروف «إن» و«أن» و«كأن» و«لكن» و«لام الابتداء» والفصل، وضمير البيان للمذكر والقصة للمؤنث، وتأكيد الضمير، وتصوير الجملة بضمير مبتدأ يفيد التأكيد، وهاء التنبيه فى النداء، و«ياء» الموضوع للبعيد، و«واو» التأكيد، و«إما» المكسورة، و«أما» المفتوحة، و«ألا» الاستفتاحية و«ما» النافية، و«الباء» فى الخبر[6]. أما مؤكدات الجملة الفعلية فهى «قد»، «السين» للتنفيس، النون «الشديدة»، «لن» لتأكيد النفى[7]. والنون للتوكيد، خفيفة لتأكيد الفعل مرتين أو شديدة لتأكيده ثلاثا.

والخطاب درجة من اليقين فى الشعور. تعبر عنه حروف التوكيد مثل «إنَّ» التى تفيد التأكيد والتحقيق. وقد تفيد التعليل ومعنى نعم. ومثلها «أنّ». وقد تفيد التعليل. فالتوكيد لعله. ويفيد «أنما» قصر الصفة على الموصوف[8]. و «ظن» تفيد الاعتقاد

---

(١) السابق جـ٢/ ٣٨٤-٥١٦ جـ٣/ ٣-١٠٢.
(٢) السابق ص٣٨٥.
(٣) السابق ص٣٨٥-٤٢٢.
(٤) السابق ص٣٨٥-٣٩١.
(٥) السابق ص٣٩١-٤٠٤.
(٦) السابق ص٤٠٥-٤١٧.
(٧) السابق ص٤١٧-٤٢٢.
(٨) الإتقان جـ٢/ ١٧٣-١٧٤، البرهان جـ٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

الراجح[1]. وهو الشك والحسبان. وهو درجة من درجات اليقين العلمى[2].

والصفة هو القسم الثانى من التأكيد، التأكيد المعنوى[3]. وتأتى لعدة أسباب منها، مجرد المدح والثناء، ولزيادة البيان، ولتعيينه للجنسية[4]. والصفة العامة لا تأتى إلا بعد الصفة الخاصة. وتأتى لازمة لا للتقييد. وقد تأتى بلفظ والمراد غيره. وقد تجىء للتنبيه على التعميم. وقد يحتمل اللفظ أكثر من سبب، وإذا اجتمع مختلفان فى الصراحة والتأويل، وإذا اجتمع التابع والمتبوع، وعندما تتكرر النعوت لواحد. وفصل الجمال فى مقام المدح والذم أبلغ من جعلهما نمطا واحدا. ويوصف الجمع بالمفرد. وتدخل «الوا» وعلى الجملة الواقعة صفة للتأكيد. ولا تقوم الصفة مقام الموصوف إلا على استكراه[5].

والبدل نوع من أنواع التأكيد والقصد به الإيضاح بعد الإيهام. يفيد البيان. وهو نوعان: بدل البعض وبدل الاشتمال. وقد ينقسم إلى بدل مفرد عن مفرد، وجملة عن جملة. ويبدل الفعل من الفعل الموافق له فى المعنى لزيادة بيان. وقد يتكرر البدل[6]. وللتأكيد وسائل كثيرة منها:

أ- عطف البيان: وهو كالنعت فى الإيضاح وإزالة الاشتراك الكائن فيه[7]. وينقسم العطف ثلاثة أقسام: عطف على اللفظ وهو الأصل، وعطف على المحل، وعطف التوهم، ولا يعنى التوهم الغلط. ويجوز عطف الخبر على الإنشاء، والإنشاء على الخبر. ويجوز عطف المفرد على مثله، وعطف الجملة على مثلها. وللجملة ثلاثة أحوال: أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف أو أن يغاير ما قبلها أو أن يغاير مع نوع ارتباط أو أن يكون بتقدير الاستئناف. فالأصل فى العطف التغاير. وقد يعطف الشىء

(١) البرهان جـ٤/ ٢٣١.
(٢) الإتقان ص٢٠٠-٢٠١.
(٣) البرهان جـ٢/ ٤٢٢-٤٥٣.
(٤) السابق جـ٢/ ٤٢٢-٤٢٩.
(٥) السابق جـ٢/ ٤٢٩-٤٥٣.
(٦) السابق ص٤٥٣-٤٦٢.
(٧) السابق ص٤٦٢-٤٦٤.

على نفسه للتأكيد[1]. وربما لا يجوز عطف على معمولى عاملين[2].

ويجوز عطف الاسم على الاسم، والفعل على الفعل. ويجوز عطف الفعل على الاسم، والاسم على الفعل[3]. ويجوز فى الحكاية عن المخاطبين إذا طالت الاستغناء عن الواو والفاء[4]. ويجوز العطف على ضمير إن كان منفصلا مرفوعا[5]. وقد يعطف أحد المترادفين فيه على الآخر أو ما هو قريب منه فى المعنى من أجل التأكيد[6].

والتعديد مثل العطف هو إيقاع الألفاظ المعددة على سياق واحد. وأكثرها فى الصفات، وعدم عطف بعضها على بعض لاتحادها فى المحل. لذلك يقل العطف فى الصفات[7].

ومن طرق التأكيد ذكر الخاص بعد العام. والعام بعد الخاص بالعطف بالواو للتنبيه على فضله. وذكر العام بعد الخاص جائز لفائدته. ويقع النوعان فى الأفعال والأسماء، فى الأفعال فى النفى، وفى الإثبات فى عطف المطلق على المقيد أو المقيد على المطلق[8].

ب- ومن وسائل التأكيد الإيضاح بعد الإيهام: مثل التأكيد للعدد بمائة إلا واحدا[9]. والتعبير عن المثنى بإرادة الواحد يعنى وجود إرادة كيفية كلية وراء الإرادة الكمية العددية[10]. كما يعبر عن الجمع بإرادة الواحد[11]. ويطلق لفظ التثنية ويراد به الجمع[12]. وقد يجيء لفظ دال على التكثير والمبالغة بإحدى صيغ المبالغة مثل «فعال»

---

(١) الإتقان جـ٢/ ٣١٩-٣٢٣، البرهان جـ٤/ ١٠١-١١٧.
(٢) البرهان جـ٤/ ١١٧.
(٣) السابق ص١٠٧-١١٠.
(٤) السابق ص١١٣-١١٤.
(٥) السابق ص١١٤-١١٧.
(٦) السابق جـ٢/ ٤٧٢-٤٧٧.
(٧) السابق جـ٣/ ٤٧٥-٤٧٧ مثل(الخالق البارئ المصور).
(٨) السابق جـ٢/ ٢٤٦-٤٧٢.
(٩) السابق ص٤٧٧-٤٨٢.
(١٠) السابق جـ٣ ص٣-٦.
(١١) السابق ص٦-٨.
(١٢) السابق ص٨.

و«فعيل» و«فعلان» فإنها أبلغ من فاعل[1]. وصيغ أخرى«فعال»، «فعول»، «فعيل»، «فُعل»، «فعلى».

جـ- وقد يتم التأكيد بالتكرار: وهو من أساليب الفصاحة[2]. ويكون مرتين. وحقيقة إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية نسيان الأول لطول العهد به. وفائدته التأكيد بإعادة التقرير، وزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة. وإذا طال الكلام وخشى تناسى الأول أعيد ثانيا تذكيرا به، وفى مقام التعظيم والتهويل، ومقام الوعيد والتهديد، والتعجب، ولتعدد المتعلق. والتكرار على أنواع. منه تكرار الإضراب بحرف «بل» لإبطال ما قبله، وتكرار الأمثال، وتكرار القصص[3]. وفى كل مرة يبرز جانب جديد من الموعظة. وبسبب الهجرة والسفر تتكرر القصة حتى يسمعها أكبر عدد ممكن من الناس. وهو أحد أشكال الفصاحة، التعبير عن المعنى بأساليب كثيرة. وهو أقرب إلى الفن الشعبى الذى يجمل تكراره على غير الأحكام الثقيلة على النفس. والقصص فى النهاية نوع من التسلية والتذوق الفنى. وإذا كان المقصود هو الإعجاز فتكرار القصة يثبت الإعجاز. وفى كل رواية زيادة ونقصان وتقديم وتأخير[4].

ولم تتكرر سورة يوسف لحكمة وحدة الموضوع، التشبيب بالنسوة، حصول الفرج بعد الشدة، بيان الإعجاز دون التكرار[5]. ولا يوجد نظام خاص ظاهر لتكرار القصص إلا وحدة الموضوع الشامل للقصص مثل هلاك الأمم أو امتحان المؤمنين، ورسم صورة متكاملة لكل نبى، إبراهيم الرحيم، محمد العادل. وقد يصبح تكرار اللفظ ثقيلا فيحول إلى معناه باشتقاق آخر[6].

---

(١) السابق جـ٢ص٥٠٢-٥١٦.

(٢) وفى المثل الشعبى «التكرار يعلم الشطار» وفى نقل آخر بالرغم من قلة ذوقها «التكرار يعلم الحمار».

(٣) مثل قصة إبليس فى السجود لآدم، وقصة موسى(٧٠مرة)، وقصة نوح(٢٥مرة).

(٤) البرهان جـ٣/ ص٢٥-٢٩.

(٥) السابق ص٢٩-٣٠.

(٦) السابق ص٣٠-٣٣. تذكر قصص قوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى فى سورة الأعراف وهود والشعراء دون قصة إبراهيم المذكورة فى سور الأنبياء ومريم والعنكبوت والصافات.

د- ومن طرق التأكيد الزيادة فى بنية الكلمة لزيادة فى التأكيد على المعنى[1]: وقد تكون الزيادة بالتشديد والتضعيف والتكثير[2]. والزيادة للتأكيد. وكيف تكون زيادة فى الوحى بمعنى ما لا لزوم له أو حتى اللغو؟ كذلك تسمى الصلة أو المقحم. ويكون الزائد إقحاما للتأكيد، فى الحروف والأفعال، وليست بالضرورة حشوا. وتكون لتأكيد النفى أو الإثبات. وحروف الزيادة سبعة: إنْ، أنْ، ما، من، الباء، اللام. وقد تكون مؤكدة فى موضع، وتحذف فى آخر لاقتضاء المقام[3].

ومثل الزيادة التذييل للمبالغة عن طريق جعل شىء ذيلا لآخر. ويعنى فى الاصطلاح أن يأتى بعد الكلام كلام مستقل فى معنى الأول تحقيقا للدلالة، منطوقة أو مفهومة[4]. وهو مثل التذييل وهو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله مبالغة أو احترازا أو احتياطا[5].

ومن طرق المبالغة التوكيد بإبراز الكلام فى صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جملة[6]. والمبالغة عن طريق الزيادة والتكثير والتضخيم والتضعيف أحد طرق المبالغة[7]. والمبالغة من محاسن الكلام. ويخرج اللفظ مخرج الغالب للتأكيد دون ما حاجة إلى زيادة[8].

هـ- والتفسير أيضا للتوكيد والتعظيم وبيان العلة والسبب[9]: وبالرغم من أن التعليل ليس من مباحث الألفاظ إلا أنه مقرن به لأن برهانه لفظ . وهو إضافة الحكم إلى الوصف المناسب[10]. وذكر العلة أبلغ من عدم ذكرها. والعلة المنصوصة قاضية

(١) مثل (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)، السابق ص٣٣-٣٤.
(٢) السابق ص٣٤-٣٦.
(٣) السابق ص ٧٠-٩٠.
(٤) السابق ص٦٨-٧٠.
(٥) السابق ص٧٠.
(٦) السابق ص٤٧-٤٨.
(٧) السابق ص٥٢-٥٦.
(٨) السابق ص٣٨-٤٠.
(٩) السابق ص٣٦-٣٨.
(١٠) السابق جـ٢/ ٩/ جـ٣/ ٩١-١٠١.

بعموم المعلول. كما أن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة. والحرف الثانى للتعليل فاء السببية. وطرق التعليل متعددة: التصريح بلفظ الحكم، الدخول بلام التعليل مع واو العطف، ظهور الحرف «كى» مع باقى أدوات التعليل، ظهور المفعول له علة للفعل، اللام فى المفعول له، حرف «إنّ»، «أنْ» والفعل، من أجل، لعل، الوصف المناسب، غياب المانع، ذكر الغاية. فالعلة قد تكون غائية كما قد تكون فاعلة.

و- والقسم جملة لتأكيد الخبر: ويعنى الحلف. ولا يكون إلا باسم معظم لكمال الحجة وتأكيدها مع أن الله لا يحتاج إلى قسم ولكن لمزيد من إقناع الناس. وقد ينقسم القسم إلى مظهر ومضمر. وقد يكون مثل الخبر وبالتالى لا تميز فيه. وأكثر الأقسام بواو القسم. وهو جملتان مثل الشرط وجوابه. والقسم بالمخلوقات جائز من باب حذف المضاف مثل (والفجر)، والأصل «ورب الفجر»، كما أن مخلوقات الله دليل على صنعه. وقد أقسم الله بذاته وفعله ومفعوله[1]. والقسم فى القرآن بالمخلوقات. يعنى القسم برب المخلوقات. وقسم الله بنفسه تحصيل حاصل لأن الله وقسمه من نفس درجة اليقين. وقد يعنى القسم بالمخلوقات تعظيمها حتى توحى للإنسان بعظمتها وتقديرها. ومن ضمنها القسم بالنبى. وقد يكون القسم بذات الله أو بفعل أو بمفعوله. وكلها لا تخرج عن ذاته. وقد يكون القسم بواو القسم[2].

والقسم إما لفضيلة أو منفعة. والحسن فى ذاته أو القبيح فى ذاته لا يحتاج إلى قسم[3]. والقسم ليس دليلا على الصدق. بل إنه من الأفضل عدم القسم حتى يكون الصدق داخليا ذاتيا وليس اعتمادا على سلطة خارجية[4].

ز- ووجه التأكيد فى الاستثناء والاستدراك أنه ذكر للموضوع مرتين، مرة إجمالا بالنفى، ومرة تفصيلا بالاستثناء[5]. والمثل الأول على ذلك «لا إله إلا الله».

---

(١) السابق جـ٣/ ٤٠-٤٦.
(٢) الإتقان جـ٢/ ١٨٨.
(٣) السابق جـ٤/ ٤٦-٥١، البرهان جـ٢/ ٣٧٤. صنف فيه ابن القيم «التبيان» (مجلدان).
(٤) وهذا مثل نظرية الصدق الإلهى عند ديكارت الذى جعل يقين العلوم معتمدا على الصدق الإلهى.
(٥) البرهان جـ٣/ ٤٨-٥١.

حـ- والاعتراض هى الجملة الاعتراضية عند النحاة: تخلل جملة صغرى جملة كبرى. ويسمى عند البلغاء «التفات». وأسبابه تعزيز الكلام، وقصد التنزيه، وقصد التبرك، وقصد التأكيد، وبيان الثانى للأول، وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد، وزيادة الرد على الخصم، والإدلاء بالحجة. ويمكن الاعتراض فى الاعتراض وهو الاعتراض المزدوج[1].

ط- والاحتراس أن يكون الكلام محتملا لشىء بعيد فيأتى ما يدفع ذلك الاحتمال[2].

## ٣- الحذف والإيجاز والإطناب:

### أ- الحذف:

ويعنى لغة الإسقاط. ويقال على الشعر أولا. واصطلاحا هو إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل. وشرطه الإيجاز. والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر فى اللفظ فى حين أن الحذف إسقاط له. وهو نوع من الإيجاز. وهو خلاف الأصل. فإذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان العدم أولى لأن الأصل عدم التغيير[3]. وإذا دار الأمر بين القليل والكثير فإن القليل أولى[4].

وللحذف أنواع كثيرة يصعب جمعها فى أنواع أقل[5]. وتارة يقوم مقام المحذوف شىء وتارة أخرى لا يقوم.

---

(١) السابق ص٥٦-٦٤.

(٢) السابق ص٦٤-٦٨.

(٣) السابق ص١٠٢-٢٣٢.

(٤) السابق ص١٠٢-١٠٤.

(٥) مثل: الاقتطاع لبعض حروف الكلمة، الاكتفاء بذكر شىء من شيئين بينهما تلازم، والاحتباك وهو الحذف المقابلى، حذف من الأول، ثبت نظيره فى الثانى، ومن الثانى ما ثبت نظيره فى الأول، والاختزال لحذف الاسم أو الفعل أو الحرف أو أكثر من ذلك، وحذف الاسم مثل المضاف والمضاف إليه والمبتدأ والموصوف والصفة والمعطوف عليه والبدل والفاعل والمفعول والحال والعائد والحال. وحذف الفعل إذا كان مفسرا أو يكثر فى جواب الاستفهام والقول، وحذف الحرف مثل همزة الاستفهام وحرف الجر والعاطف وإلغاء حرف النداء، وقد ولا النافية ولام الأمر ونون التوكيد والتنوين ونون الجمع وحركة الإعراب والبناء، وحذف أكثر من كلمة مثل حذف مضافين أو ثلاث والجار والمجرور والعاطف والمعطوف، وفعل الشرط وجواب الشرط، وجملة القسم، الإتقان جـ٣/ ١٨٠-١٩٢.

وفوائد الحذف متعددة. منها: التفخيم والإعظام لما فيه من الإيهام، زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، زيادة الأمر بسبب الاجتهاد، طلب الإيجاز والاختصار، التشجيع على الكلام، موقعه فى النفس[1].

وإيجاز الحذف له أسبابه. ويمثل شجاعة لغوية تنم عن الشجاعة العربية[2]. وله شروطه[3]. ويمكن الحذف تدريجيا قدر الإمكان. والأصل وضع الشىء فى محله. والحذف هو لوضع الشىء فى غير محله. وتقليل المتن قدر الإمكان لتقل مخالفة الأصل. وإذا كان المحذوف بين الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، فالثانى أولى بالحذف[4].

وأسباب الحذف أيضا متعددة منها: الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، والتنبيه على أن الزمن يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يقضى إلى تفويت المهم وهى فائدة التحذير، والتفخيم والإعظام، والتخفيف، ورعاية الفاصلة، والصيانة للمحذوف، صيانة اللسان، وعدم الصلاحية إلا له، وشهرته بحيث يكون ذكره وعدمه سواء[5]. وأدلة الحذف أيضا متعددة. ويدل الدليل إما على محذوف مطلق أو محذوف معين. وفى كلتا الحالتين أدلة الحذف العقل حيث لا يصح الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف. فالعقل يدل على أصل الحذف. والعادة تدل على تعيين المحذوف. كما يدل اللفظ واللغة والسياق وسبب النزول[6]. وشروط الحذف متعددة. منها أن تكون فى المذكور دلالة على المحذوف من اللفظ والسياق. والدلالة مقالية من إعراب اللفظ، أو حالية من النظر فى المعنى، وألا يكون الفعل طالبا له بنفسه، وأن يكون فى الأطراف لا فى الوسط[7].

---

(١) البرهان جـ٣/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) مثل مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث، والتنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، والتفخيم والإعظام، والتخفيف لكثرة الدوران فى الكلام، أنه لا يصلح إلا له، وشهرته، والصيانة عن الذكر تشريفا، صيانة اللسان، وقصد العموم، ورعاية الفاصلة، وقصد البيان بعد الإيهام، الإتقان جـ٣/ ١٧٠-١٧٤.

(٣) مثل: وجود دليل مثل العقل على التعيين والعادة والشروع فى الفعل والصناعة النحوية، ألا يكون المحذوف كالجزء، ألا يؤدى المحذوف إلى اختصار المختصر، ألا يكون عاملا ضعيفا، ألا يكون عوضا عن شىء ألا يؤدى إلى تهيئة العامل القوى، السابق ص١٧٤-١٧٨.

(٤) السابق ص١٧٨-١٨٠.

(٥) البرهان جـ٣/ ١٠٥-١٠٨.

(٦) السابق ص١٠٨-١١١.

(٧) السابق ص١١١-١١٧.

وينقسم الحذف إلى اقتطاع، واكتفاء وضمير أو تمثيل أى إضمار القول لبيان أحد أجزائه الأخرى، واستدلال بالفعل لشيئين وهو فى الحقيقة لأحدهما، واقتضاء الكلام شيئين والاقتصار على أحدهما، وذكر شيئين ثم عود الضمير إلى أحدهما دون الآخر، حذف مقابلى وهو اجتماع متقابلين فى الكلام فيحذف من أحدهما مقابلة لدلالة الآخر عليه. قد يحذف من الأول لدلالة الثانى عليه أو العكس. والاختزال وهو الافتعال أى حذف كلمة أو أكثر. وتكون الكلمة اسما أو فعلا أو حرفا[1].

١- حذف الاسم: وقد يكون الاسم المبتدأ أو الخبر أو كلاهما أو الفاعل أو المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه أو استمرار الالتفات إلى المضاف أو المضاف إليه أو كلاهما أو الجار والمجرور أو الموصوف أو الصفة أو المعطوف أو المعطوف عليه أو المبدل منه أو الموصول أو المخصوص فى باب نعم إذا علم من سياق الكلام أو الضمير المنصوب المتصل مع تفاوت الأنواع أو المفعول اختصارا أو احتقارا مع ذكر مفعول المشيئة والإرادة عندما يكون المقصود محذوفا أو غير محذوف، وحذف الحال والمنادى خاصة المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، وحذف الشرط وجوابه والأجوبة، وحذف جواب القسم، والجملة المسببة أو غير المسببة، وحذف القول[2].

٢- حذف الفعل: وينقسم إلى خاص وعام. الخاص مثل «أعنى» مضمرا. ويُنصب به المفعول فى المدح. والعام كل منصوب دال عليه الفعل لفظا أو معنى أو تقديرا. ويحذف لعدة أسباب منها: أن يكون مفسرا، وأن يكون هناك حرف جر، وأن يكون جوابا لسؤال، وأن يدل عليه معنى الفعل الظاهر، وأن يدل عليه العقل، ذكره فى موضع أخر، والمشاكلة، وأن يكون بدلا من المصدر[3].

٣- حذف الحرف: وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفاعله. ومنه الواو مثل واو العطف، والفاء فى جواب الشرط، وهمزة الاستفهام، وألف ما الاستفهامية، والياء،

---

(١) السابق ص١١٧-١٣٤.
(٢) السابق ص١٣٥-١٩٨.
(٣) السابق جـ٣/ ١٩٨-٢٠٩.

وحرف النـداء، و«ل» و«قد» و«أن» و«لا». وقد يحذف الجار لإيصال الفعل إلى المجرور. وقد يحذف فى آية ويثبت فى أخرى إما لأنه محمول على مذكور أو لأنه غير مراد[1].

ب- الإيجاز والإطناب:

ليسا من المبادئ اللغوية بل من أساليب البلاغة[2]. فالبلاغة هى الإيجاز والإطناب. الإيجاز محمود، والإطناب مذموم. وهناك درجة المساواة بينهما. القول على قدر المقام. وهو أقرب إلى الإيجاز المحمود أو لا هو محمود ولا مذموم بل من فنون القول العادى. والإيجاز والاختصار بمعنى واحد. وقد يكون الاختصار بحذف الجمل، والإيجاز بتركيز المعنى[3]. فالإيجاز إيجاز حذف أو إيجاز قصر. إيجاز القصر هو الوجيز بلفظه. تكثير المعنى وتقليل اللفظ. وهو إيجاز القصر. وهو أن يقصر اللفظ على معناه أو التصوير. وهو إيراد معنى زائد على المنطوق أو الجامع وهو احتواء اللفظ على معـان متعددة. ومن أنواع الإيجاز الإشارة. وهو ذكر معنى زائد فى اللفظ دون ذكر لفظ له. والحصر بأدوات الاستثناء وطرح المفعول وجميع أدوات الاستفهام والشرط وألفاظ العموم[4].

والإيجاز قسم من الحذف. ويسمى إيجاز القصر. فالإيجاز قسمان وجيز بلفظ، ووجيز بحذف. الوجيز باللفظ وهو أن يكون أقل من المعنى. وهو من «جوامع الكلم». اللفظ المساوى للمعنى هو المقدر، الأقل منه هو المقصود. ومن أقسام الإيجاز الاقتصار على السبب الظاهر للشىء دون باقى الأسباب، والاقتصار على المبتدأ دون الخبر والنائب عن الفاعل، وألفاظ العموم، ولفظ الجمع، وباب الضمائر ولفظ «فعل»[5].

---

(١) السابق ص٢٠٩-٢٢٠.

(٢) الإتقان جـ٣/ ١٦١-٢٢٤.

(٣) وبهذا المعنى يكون اختصار ابن سينا «الشفاء» فى «النجاة» اختصارا وليس إيجازا فى حين أن الملخصات بالنسبة للشروح عند ابن رشد، والجوامع بالنسبة للملخصات إيجاز.

(٤) السابق ص١٦١-١٧٠.

(٥) البرهان جـ٣/ ٢٢٠-٢٣٢.

والإطناب أيضا نوعان: بسط وزيادة. البسط تكثير الجمل أو الزيادة. وتتفصل أنواعها إلى عشرين مما يقضى على وحدة الموضوع والتأثير المباشر للنص دون تقسيماتها العقلية. وتظهر بعض مصطلحات الأصول مثل الطرد والعكس[1].

والاستطراد هو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره مثل (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود)[2]. وقد يوضع موضع المضمر لزيادة التقرير. وهو من أقسام الإطناب أيضا. والأصل فى الأسماء أن تكون ظاهرة. ومع ذلك يمكن الخروج عليها لعدة أسباب مثل: قصد التعظيم، وقصد الإهانة والتحقير، الاستلذاذ بذكره، زيادة التقرير، إزالة اللبس حين يوهم الضمير أنه غير المراد، قصد تربية المهابة وإدخال الروعة فى ضمير السامع، قصد تقوية داعية المأمور، تعظيم الأمر، قصد التوصل بالظاهر إلى الوصف، التنبيه علة الحكم، قصد العموم، قصد الخصوص، مراعاة التجنيس، تحمل ضمير لابد منه، كونه أكثر أهمية من الضمير، ما يصلح للعود ولم يُسق الكلام له، الإشارة إلى عدم دخول الجملة فى حكم الأولى[3]. والاشتغال هو إضمار الشىء ثم إظهاره وتفخيمه وتعظيمه[4].

## ٤- التقديم والتأخير:

وقد تتقدم بعض الألفاظ أو الآيات على أخرى. يقدم الأهم على المهم. وقد يكون للبلاغة أثر فى ذلك. فهو أحد أساليبها. وقد يكون السبب فى ذلك التبرك، والتعظيم،

---

(١) وتكون الزيادة بحروف التوكيد والأحرف الزائدة. والتأكيد الصناعى بالمعنى واللفظ والفعل والحال. والتكرار بالتقرير والتنبيه والتذكير والتعظيم والتهويل. والصفة للتخصيص فى الفكرة والتوضيح والمدح والثناء والذم، والبدل، وعطف البيان، وعطف أحد المترادفين فيه على الآخر، وعطف الخاص على العام والعام على الخاص، والإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، والتفسير، ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التقرير، والتعظيم والإهانة والتحقير وإزالة اللبس، وتربية المهابة وتقوية داعية المأمور، والاستلذاذ بالذكر، والتوصل من الظاهر إلى الوصف، وقصد العموم والخصوص، والإشارة والجناس واستبدال الضمير، والإيغال وهو الإمعان، والتذييل، والطرد والعكس، والتكميل، والتتميم، والاستقصاء، والاعتراض، والتعليل، الإتقان جـ٣/ ١٩٣-٢٢٤.

(٢) البرهان جـ٣/ ص ٣٠٠.

(٣) السابق جـ٢/ ٤٨٢-٤٩٩.

(٤) السابق جـ٣/ ٩٠.

والتشريف، والمناسبة، والحث والحض، السبق، والسببية، والكثرة والترقى من الأدنى إلى الأعلى، والتدلى من أعلى إلى أدنى[1]. وقد يُعد من المجاز بالمعنى الواسع.

وقد تكون هناك أسباب أخرى أكثر صورية وأقل وجدانية وأقرب إلى بنية اللغة منها إلى أثرها النفسى مثل: أن يكون أصله التقديم، وأن يكون فى التأخير إخلال ببيان المعنى، وأن يكون فى التأخير إخلال بالتناسب، ولعظمه والاهتمام به، وأن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به، وأن يكون التقديم والتأخير لإرادة التبكيت والتعجيب، والاختصاص بتقديم المفعول والخبر والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل[2].

وهما على ثلاثة أنواع: إما أن يُقدم والمعنى عليه، أو يقدم وهو فى المعنى مؤخرا أو العكس. الأول ما يقدم والمعنى عليه مثل السبق بالزمان والإيجاد والتقدم بالذات، وبالعلة والسببية، وبالرتبة، وبالداعية وبالتعظيم، وبالشرف، وبالغلبة والكثرة، وسبق ما يقتضى تقديمه، ومراعاة اشتقاق اللفظ، والحث عليه خيفة من التهاون به، وتحقق ما بعده واستغناؤه هو عنه فى تصوره، والاهتمام عند المخاطب، والتنبيه على أنه مطلق لا مقيد، والتنبيه على أن السبب مرتب، والتنقل، والترقى، ومراعاة الإفراد، والتحذير منه والتنفير عنه، والتخويف منه، والتعجب من شأنه، وكونه أدل على القدرة، وقصد الترتيب، وخفة اللفظ، ورعاية الفواصل. وقد يجتمع أكثر من سبب للتقديم، فيكون الترجيح لأقوى الأسباب وإن تساوى فالخيار[3]. والثانى ما قدم بنية التأخير كما يدل على ذلك الإعراب كتقديم المفعول على الفاعل، والخبر على المبتدأ، وما يدل على المعنى وللعناية[4]. والثالث ما قدم فى آية وأخّر فى أخرى بقصد البداية والختم به وبقصد الفصاحة[5].

---

(١) السابق ص٣٣-٤١، الإتقان جـ٣/ ٢٣٣-٢٨٧.

(٢) البرهان جـ٣/ ٢٣٣-٢٣٧.

(٣) السابق ص٢٣٨-٢٧٥.

(٤) السابق ص٢٧٥-٢٨٣.

(٥) السابق ص٢٨٤-٢٨٧.

والترقى نوع من التقديم مثل (لا تأخذه سنة ولا نوم)، وهو نوع من تجاوز صورية اللغة ورتابة النحو ونمطية البلاغة[1]. والترقى والتدلى نوعان من التقديم والتأخير. وهو أيضا العكس. والتقسيم هو استيفاء أقسام الشىء الموجودة لا الممكنة[2]. والترتيب هو إيراد الأوصاف على ترتيب الخلقة الطبيعية[3]. وحسن النسق أن تأتى الكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات.

والجمع هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء فى حكم جمع المؤتلف والمختلف للتسوية. وقد يقرن بالتقسيم أولا. والتفريق وهو العكس[4]. واللف والنشر إما تفصيلا بالنص على كل واحد أو إجمالا بذكر لفظ يشمل على متعدد ثم تذكر أشياء على حسب العدد. والمزاوجة بين معنيين فى الشرط والجزاء[5].

## ٥- التورية والإيهام، والكناية والتعريض، والتشبيه والاستعارة:

### أ- التورية:

التورية هى الإيهام والتخيل والمغالطة والتوجيه. هى التكلم بلفظ مشترك بين معنيين، قريب وبعيد. يريد البعيد ويوضح بالقريب. والفرق بين التورية والاستخدام أن التورية استعمال المعنيين فى اللفظ وإهمال الآخر. وفى الاستخدام استعمالهما معا بقرينتين[6].

والإيهام هو التورية، ذكر لفظ له معنيان بالاشتراك أو بالتواطؤ بالحقيقة أو المجاز. والتورية أشرف أنواع البديع[7]. والالتفات هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، من المتكلم إلى المخاطب أو إلى الغائب للتخفيف من حدة التقابل بين ضمائر الخطاب[8].

---

(١) السابق ص٢٩٦.

(٢) الإتقان جـ٣/ ٢٦٧.

(٣) السابق ص٢٦٩-٢٧٠.

(٤) السابق ص٣٧٤-٣٧٧.

(٥) السابق ص٢٧٩-٢٨٢.

(٦) البرهان جـ٣/ ٤٤٤-٤٤٧.

(٧) الإتقان جـ٣/ ٢٥٠-٢٥٢.

(٨) السابق ص٢٥٣-٢٥٩.

والاطراد هو ذكر أسماء آباء الممدوح بترتيب الولادة[1]. والانسجام هو انسياب الكلام كسيلان الماء لعذوبة الألفاظ وكأنها أشعار عزبية تخضع لأوزان العرب وبحورهم[2]. والإدماج هو دمج غرض فى غرض، والكلام فى أحد الغرضين. والافتنان هو الإتيان بفنين مختلفين مثل الفخر والتعزية[3]. والاقتصاص هو أن يكون كل كلام فى سورة مقتصا فى سورة أخرى أو فى تلك الصورة. والإبدال هو إقامة بعض الحروف مقام بعض[4]. والجناس تشابه اللفظين فى اللفظ. وهو من المحاسن اللفظية لا المعنوية[5].

ب- الكناية والتعريض:

وهما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة. والكناية أبلغ من التصريح. وهو لفظ أريد به لازم معناه فى الدلالة على الشىء من غير تصريح باسمه. وإنكار المجاز إنكار للكناية. وأسباب الكناية عدة: التنبيه على عظم القدرة، ترك اللفظ لما هو أجمل، التصريح عما سيستقبح ذكره، قصد البلاغة والمبالغة فى التشنيع، قصد الاختصار، التنبيه على المصير، واستعمال جملة ورد معناها على خلاف الظاهر[6]. ومن أنواع البديع التى تشبه الكناية الأرداف وهو إرادة معنى دون لفظه أو إشارته بل بلفظ يرادفه. استعمل فى القرآن وفى الحديث[7]. ومن عادة العرب أنها لا تكنى عن الشىء بغيره إلا إذا كان يقبح ذكره[8].

والفرق بين الكناية والتعريض. أن الكناية ذكر الشىء بغير لفظه. والتعريض ذكر شىء للدلالة به على شىء لم يُذكر. هى ما دل على معنى حقيقة أو مجازًا لوصف جامع. وهو لفظ دال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقى أو المجازى. والسؤال هو: هل

---

(١) السابق ص٢٥٩.
(٢) مثل الطويل والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل...الخ، السابق ص٢٥٩-٢٦١.
(٣) السابق ص٢٦١.
(٤) السابق ص٢٦٤-٢٦٥.
(٥) السابق ص٢٧١-٢٧٤.
(٦) السابق ص١٤٣-١٤٧، البرهان جـ٢/ ٣٠٠-٣١٥، ألف فيها أبو عبيد وغيره كتابا فى الأمثال.
(٧) كنى الرسول بشد المئزر عن الامتناع عن الجماع، وكنى بالعيلة عن الجماع حياء، البرهان ص٣٠٠.
(٨) السابق ص٣١٠-٣١١.

يشترط فى الكناية قرينة كالمجاز؟. هو لفظ استعمل فى معناه، والتعريض لفظ استعمل فى معناه للتلويح بغيره. والغاية إما التلطف أو استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم أو للذم أو للإهانة والتوبيخ[1]. أما التعريض فهو للدلالة على المعنى عن طريق المفهوم مثل مخاطبة الشخص والمراد غيره، وإعلام السامع على صورته لا تقتضى مواجهته بالخطاب[2]. والتوجيه ما احتمل معنين ويؤتى به عند فطنة المخاطب[3].

جـ- التشبيه والاستعارة:

التشبيه من أرفع أساليب البلاغة[4]. وهو الدلالة على مشاركة أمرين فى أمر ما. هو الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار. وإذا كان المجاز أبلغ فإن الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة. الكناية أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية، والفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة، أن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة. وقد تكون الاستعارة أبلغ لأنها مجاز، والتشبيه حقيقة. أدواته حروف وأسماء وأفعال[5]. فى الحروف يدخل حرف التشبيه أو يضاف إليه حرف توكيد. والتشبيه بغير حرف يقصد به المبالغة، وينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام لأنهما إما حسيان أو عقليان أو المتشبه به حسى والمتشبه عقلى أو العكس. ولم يقع فى القرآن القسم الرابع لأن العقل مستفاد من الحس، والمحسوس أصل المعقول[6]. وينقسم إلى مفرد ومركب، والمفرد تشبيه شىء بشىء[7]. والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض[8].

التشبيه إلحاق شىء بذى وصف فى وصفه أو إثبات حكم للمشبه من أحكام المشبه

(١) السابق ص١٤٧-١٤٨، البرهان جـ٢ ص٣٠١/ ٣١٠.
(٢) البرهان جـ٢/ ٣١٢-٣١٤.
(٣) السابق ص٣١٤-٣١٥.
(٤) الإتقان جـ٣/ ١٢٨-١٤٢.
(٥) السابق ص١٢٨-١٢٩، البرهان جـ٣/ ٤١٦.
(٦) الإتقان ص١٢٩، البرهان جـ٣/ ٤٢٠-٤٢١.
(٧) الإتقان ص١٣٠، البرهان جـ٣/ ٤٢٢-٤٢٣.
(٨) وصنف فيه أبو القاسم بن البندار البغدادى «الجمان»، الإتقان جـ٣/ ١٢٨، البرهان جـ٣/ ٤١٤-٤٣١.

به[1]. والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفى إلى جلى، وإدناء البعيد من القريب كمزيد من البيان. وهو الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار. وهو حقيقة لا مجازا. وكما كان من فنون البلاغة فقد يكون مجازا أيضا. وقد يرد التشبيه فى المعنى.

وينقسم أيضا إلى خمسة أقسام. الأول تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد مثل التشبيه برؤوس الشياطين. والثانى عكسه تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه مثل التشبيه بسراب بقيعة. والثالث إخراج ما لم تجريه العادة به إلى ما جرت مثل التشبيه بارتفاع الجبل فوق الرءوس كظل. والرابع إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها مثل تشبيه الجنة بعرض السموات والأرض. والخامس إخراج ما لا قوة له إلى حالة قوة مثل التشبيه بالسفن فى البحر[2].

وينقسم أيضا إلى مؤكد وهو ما حذفت فيه الأداة، ومرسل وهو ما لم تحذف فيه الأداة، والأول أبلغ. فالاستعارة بلاغة، والبلاغة تركيز. والأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به. وقد تدخل على المشبه بقصد المبالغة فيقلب التشبيه، ويصبح المشبه به هو الأصل مثل تشبيه البيع بالربا أو لوضوح الحال مثل تشبيه الذكر بأنه ليس كالأنثى أو لمراعاة الفواصل أو اعتمادا على فهم المخاطب[3].

وهناك بعض قواعد فى التشبيه مثل المدح، تشبيه الأدنى بالأعلى، وفى الذم، تشبيه الأعلى بالأدنى[4]. ولا يشبه شيئان بشيئين بل شىء بشىء. فالتشبيه فردى. وقد تشبه أشياء بأشياء. وأعلى درجة فى التشبيه فى البلاغة ترك وجه الشبه وأدواته. وقد تدخل الأداة على شىء ليس هو عين المشبه. وإذا كانت فائدته تقريب الشبه فى فهم السامع وإيضاحه له فحقه أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم. وتدخل أداة التشبيه على المشبه به وهو الكامل. وقد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف.

---

(١) البرهان جـ٣/ ٤١٤-٤٢٠.

(٢) الإتقان جـ٣/ ١٣١-١٣٢، البرهان جـ٣/ ٤٢١-٤٢٢.

(٣) الإتقان جـ٣ ص١٣٢-١٣٣.

(٤) السابق جـ٣/ ١٣٣، البرهان جـ٣/ ٤٢٣-٤٣١.

وإنكار المجاز يؤدى إلى إنكار الاستعارة[1]. وهى نوع من المجاز العقلى. وإطلاقها إيهام للحاجة. وهى نوع من أنواع البلاغة، وكثيرة فى القرآن. وهى من العادية ثم نقلت إلى نوع من التخيل لقصد المبالغة والتشبيه مع الإيجاز. وهى استعارة شىء معروف إلى شىء غير معروف من أجل إظهار الخفى أو للمبالغة. حكمتها جعل ما ليس بمرئى مرئيا لأجل حسن البيان. وتنقسم إلى مرشحة، وهى أحسنها وهى مراعاة جانب المستعار، وتجريدية وهى النظر إلى جانب المستعار له ثم الإتيان بما يناسبه. والاستعارة بالكناية عدم التصريح بذكر المستعار بل تذكر بعض لوازمه فقط[2].

والاستعارة جمع بين المجاز والتشبيه. هى مجاز لغوى لأنها موضوعة للمشبه به وليس للمشبه. هى قسم من أقسام المجاز لاستعمال اللفظ فى غير ما وضع له. وهى مجاز عقلى لأن التصرف فى أمر عقلى لا لغوى. وحقيقتها استعارة كلمة من شىء معروف إلى شىء غير معروف مثل تفجير الأرض عيونا[3]. وقد تكون الاستعارة بلفظين مثل القوارير من فضة وسوط العذاب. وأركانها ثلاثة : مستعار وهو لفظ المشبه به ومستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه، ومستعار له وهو المعنى الجامع[4]. وتنقسم هذه الأركان الثلاثة إلى خمسة أقسام: استعارة محسوس لمحسوس مثل اشتعال الرأس شيبا، واستعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى مثل سلخ الليل من النهار، واستعارة معقول لمعقول بوجه عقلى مثل البعث من الرقاد، واستعارة محسوس لمعقول لوجه عقلى مثل الحس بالبأساء والضراء، واستعارة معقول لمحسوس لجامع عقلى مثل طغيان الماء. والكل علاقة بين الحس والعقل[5].

وتنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ إلى أصلية وهى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس مثل «حبل الله»، وتبعية وهو ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس فعلا أو حرفا مثل (التقطه آل فرعون). وتنقسم أيضا إلى مرشحة وهى الاقتران بما يلائم المستعار منه،

---

(١) الإتقان جـ٣/ ١٤٠-١٤١، البرهان جـ٣/ ٤٣٢-٤٣٤.

(٢) البرهان جـ٣/ ٤٣٨.

(٣) الإتقان جـ٣/ ١٣٣-١٣٥، البرهان جـ٣/ ٤٣٢-٤٤٤.

(٤) الإتقان ص١٣٥-١٣٧، البرهان جـ٣، ص٤٣٥-٤٣٧.

(٥) الإتقان ص١٤٠، البرهان جـ٣/ ٣٤١-٣٤٤.

ومجردة وهى الاقتران بما يلائم المستعار له، ومطلقة وهى ما لا يقترن بشىء. وتنقسم أيضا إلى تحقيقية وهى ما تحقق معناها حسا، وتخييلية بإضمار التشبيه فى النفس ومكنية لأنه لم يصرح به، وتصريحية للتصريح به. وتنقسم إلى وفاقية بأن يكون الاجتماع فى شىء ممكن، وعنادية وهو ما يستحيل اجتماعها ومنها التهكمية والتحليلية مثل البشارة بالعذاب الأليم. وقد تكون تمثيلية وهو ما كان الشبه من متعدد مثل الاستمساك بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه. وأبلغ الأنواع التمثيلية ثم المكنية. الترشيحية أبلغ من المجردة والمطلقة. والتخيلية أبلغ من التحقيقية. وتعنى أبلغ زيادة التأكيد والمبالغة فى كمال التشبيه لا زيادة فى المعنى[1].

## ٦- الشرط والنفى:

### أ- الشرط:

الشرط يلازم جملتين فعليتين واسمية أو فعليتين جازمة وغير جازمة، ظرفية أو شرطية. الأولى شرط، والثانية جزاء. الأولى مقدمة والثانية نتيجة. ويتوقف الثانى على الأول. ولا يتعلق إلا بمستقبل. وأحيانا يتعلق بحاضر لجعل غير الحاصل كالحاصل، وإظهار رغبة المتكلم فى وقوعه، والتعريض[2].

أدوات الشرط مثل حروف: «إن» وأسماء فى معناها. ومنها ما ليس بظرف مثل «من»، «ما»، «أى»، «مهما». ومنها أسماء هى ظروف مثل «أين»، «أينما»، «متى»، «حيثما»، «إذ ما». وأقواها «إن» لبساطتها. وقد تستعمل فى مقام الجزم على طريق الشرطى المتصل أو تبيين الحال أو لتصوير المقام أو للتوبيخ والتجهيل أو تنبيه المخاطب. ولا تستعمل إلا فى المعانى المحتملة إذا كان الفعل مضارعا أو المعانى المحققة الواقعة إذا كان الفعل ماضيا. وتدل «إذا» على المضارع والماضى معا فى المعانى المحققة. فالشرط فى الزمان وليس صوريا خارج الزمان. والزمان متصل بين الماضى والحاضر والمستقبل[3]. وإذا تعلق الشرط بفعل محال كان الجواب محالا آخر[4].

---

(١) الإتقان جـ٣/ ١٣٧-١٤١.

(٢) البرهان جـ٢/ ٣٥١-٣٥٩.

(٣) السابق ص٣٥٩-٣٦٤

(٤) السابق ص٢٦٤-٢٦٥.

وقد يدخل الاستفهام على الشرط جمعا بين التحقق والتساؤل[1]. وقد يذكر فعل الشرط دون جوابه لإثارة الوضع والتنبيه عليه وعدم تقدير جوابه فى اتجاه معين وترك ذلك لعدة احتمالات[2]. وكذلك إذا دخلت واو الحال على أداة الشرط لا يتطلب جوابا ويكون أقرب إلى الحكم الأخلاقى[3].

ويتغاير الشرط والجزاء لفظا. وقد يتحدان ويكونان فى حاجة إلى تأويل. وقد يتقاربان فى المعنى. وقد يعترض الشرط على الشرط، ويكون شرطين وجوابا واحدا. ويمكن ضبط ذلك بحرف «الفاء»[4]. وقد يسمى الشرط يمينا[5]. وكلها مباحث لغوية ناتجة عن إسقاط علم اللغة، تراث القدماء على القرآن، والعصر الآن عصر العلوم الإنسانية التى تسقط أيضا على القرآن[6].

ب- النفى:

إذا كان الشرط يمثل الإيجاب فإن النفى يمثل السلب، قد يكون نفى الذات الموصوفة نفيا للصفة دون الذات نظرا للتمييز بينهما عند الأشاعرة. وقد يكون نفيا للذات بناء على التوحيد بينهما عند المعتزلة. وهى مشكلة لغوية قبل أن تكون مشكلة كلامية. وهو على أربعة أقسام: نفى المسند، نفى المسند إليه فينتفى المسند، نفى المتعلق دون المسند والمسند إليه، نفى قيد المسند إليه أو المتعلق[7]. وقد ينفى الشىء رأسا لأنه عدم كمال وصفه أو لانتفاء ثمرته[8]. ونفى العام يدل على نفى الخاص. وثبوته لا يدل على ثبوته. وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ولا يدل نفيه على نفيه. ولما كانت زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به كان نفى العام أحسن من نفى الخاص، وإثبات الخاص أحسن من

---

(١) السابق ص٣٦٥-٣٦٦.
(٢) السابق ص٣٦٦-٣٦٧.
(٣) السابق ص٣٦٧.
(٤) السابق جـ٢/ ٣٦٨-٣٦٩.
(٥) السابق ص٣٦٩-٣٧٤.
(٦) السابق ص٣٧٤.
(٧) السابق جـ٣/ ٣٩٣-٣٩٤.
(٨) السابق ص٣٩٥-٤٠١.

إثبات العام[1]. والمجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة[2]. ونفى الاستطاعة قد يراد به نفى الامتناع أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه[3]. فالنفى ليس فقط نظريا بل هو نفى عملى، ليس حكما منطقيا بل هو توجه عملى.

## ٧- الالتفات والتضمين والتجريد والمقابلة:

### أ- الالتفات:

وتتكاثر أساليب البلاغة بحيث يصبح لا شىء بليغا. منها الالتفات وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر تطرية واستدرارا للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه[4]. وأقسامه عديدة: الالتفات من المتكلم إلى المخاطب، ومن المتكلم إلى الغائب، ومن المخاطب إلى المتكلم، ومن المخاطب إلى الغائب، ومن الغائب إلى المتكلم، ومن الغائب إلى المخاطب فى حوار بين المتكلم والمخاطب والغائب. وقد يبنى الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه[5].

وأسبابه عديدة، عامة وخاصة. من العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لتنشيط السامع واستجلاب صفائه، واتساع مجارى الكلام، وتسهيل الوزن والقافية، والتنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه، وأن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود المتكلم، وقصد المبالغة، وقصد الدلالة على الاختصاص، وقصد الاهتمام، وقصد التوبيخ[6]. وشرط الالتفات أن يكون الضمير فى المتنقل إليه عائدا فى نفس الأمر إلى المتنقل عنه، وأن يكون فى جملتين أى كلامين مستقلين[7].

---

(١) السابق ص٤٠٢-٤٠٧.
(٢) السابق ص٤٠٨.
(٣) السابق ص٤٠٧.
(٤) السابق جـ٣/ ٣١٤-٣٣٧.
(٥) السابق ص ٣١٤-٣٢٥.
(٦) السابق جـ٣/ ٣٢٥-٣٣١.
(٧) السابق ص٣٣١-٣٣٣.

ويقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره[1]. ويحدث ذلك إذا ما ابتلى العاقل بخصك جاهل متعصب فيقطع مع الكلام. فالخوض معه يبعده ولا يفيده. ومثله الانتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر. وهو ستة أقسام: الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين، ومن خطاب الواحد إلى خطاب الجمع، ومن الاثنين إلى الواحد، ومن الاثنين إلى الجمع، ومن الجمع إلى الواحد، ومن الجمع إلى الاثنين. ويقوم كله على التبادل بين الإفراد والجمع. ومن الالتفات تعقيب الكلام جملة مستقلة ملاقية له فى المعنى عن طريق المثل أو الدعاء. ومن الالتفات التحول من الماضى إلى الأمر أو من المستقبل إلى الأمر أو من الماضى إلى المستقبل أو من المستقبل إلى الماضى بإدخال عامل الزمان بأبعاده الثلاثة.

ب- التضمين:

والتضمين إعطاء الشىء معنى الشىء فى الأسماء أو الأفعال أو الحروف. ويراعى فى التضمين المحذوف لا المذكور. ويطلق على غير ما سبق، وإدراج كلام الغير أثناء الكلام لتأكيد المعنى أو ترتيب نظم، وإيقاع الظن موقع اليقين فى الأمور المحققة[2].

وهناك عشرات أخرى من المفاهيم الموازية بحيث يصعب تطبيقها كلها فى أساليب البلاغة. منها الاقتدار وهو إبراز المعنى الواحد فى عدة صور، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، واللفظ مع المعنى. والاستدراك والاستثناء. هو تضمن ضربا من المحاسن زيادة على ما يدل عليه المعنى اللغوى[3]. والتفويف إتيان المتكلم بمعانى شىء من المدح والوصف فى جمل منفصلة[4]. والتعديد إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد[5]. والتضمين إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه مثل المجاز أو حصول معنى فيه من غير ذكر اسم له مثل الإيجاز، وإدراج كلام الغير أثناء الكلام. والفرائد تختص بالفصاحة دون البلاغة وهو

(١) السابق جـ٣/ ٣٣٣-٣٣٧.
(٢) السابق جـ٣/ ٣٣٨-٣٤٦.
(٣) الإتقان جـ٣/ ٢٦٢-٢٦٤.
(٤) السابق ص٢٦٦.
(٥) السابق ص٢٦٩-٢٧١.

الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد[1]. والمشاكلة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقريرا[2].

جـ- التجريد:

التجريد هو الاعتقاد بأن فى الشيء من نفسه معنى آخر كأنه مباين له فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك[3]. وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أخرى مثله مبالغة فى كمالها[4].

وهناك عدة مفاهيم أخرى موازية تتشعب وتتعدد بحيث يصعب معرفة أين أساليب البلاغة فيها منها التدبيج وهو ذكر المتكلم ألوانا يقصد التورية بها والكناية. والتنكيث هو قصد المتكلم شيئا بالذكر دون غيره، والمبالغة ذكر وصف مع زيادة لتكون أبلغ فى المعنى[5]. لذلك كانت صفات الله على المبالغة. والمطابقة الطباق. وهو الجمع بين متضادين فى الجملة. وهو قسمان: حقيقى ومجازى، لفظى أو معنوى، إيجابى أم سلبى، والمواربة قول شيء يتضمن الإنكار عليه. المراجعة فى الحوار لاختيار عبارة أو خبر وألفاظ أغرب. والنزاهة خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش. والإبداع شمول الكلام عدة ضروب من البديع[6].

د- المقابلة:

هو ذكر الشيء مع ما يوازيه فى بعض صفاته ويخالفه فى بعضها. والفرق بينها وبين الطباق أن الطباق لا يكون فى الغالب إلا بين ضدين، والمقابلة تكون بين أكثر من ذلك. الطباق لا يكون إلا بين الأضداد والمقابلة بالأضداد وبغيرها. وهى ثلاثة أنواع: نظيرى ونقيضى وخلافى. والخلافى أتمها فى التشكيك، وألزمها بالتأويل ثم النقيضى

---

(١) السابق ص٢٧٨.
(٢) السابق ص٢٨١-٢٨٢.
(٣) البرهان جـ٣/ ص٤٤٨-٤٤٩.
(٤) الإتقان جـ٣/ ٢٦٨-٢٦٩.
(٥) السابق ص٢٨٢-٢٨٤.
(٦) السابق ص٢٨٤-٢٨٩.

ثم النظيرى. وقد تقسم المقابلة إلى أربعة أنواع: أن يأتى بكل واحد من المقدمات مع قرينه من الثوانى، أن يأتى بجميع الثوانى مرتبة من أولها، أن يأتى بجميع المقدمات ثم بجميع الثوانى مرتبة من آخرها وهو رد العجز على الصدر، أن يأتى بجميع المقدمات ثم بجميع الثوانى مختلفة غير مرتبة، وهو اللف. وقد يكون التقابل نوعين فقط، مقابلة فى اللفظ دون المعنى ومقابلة فى المعنى دون اللفظ[1].

وقد تكون المقابلة اثنين باثنين، وأربعة بأربعة، وخمسا بخمس وستا بست[2]. وقد يكون نظم الكلام على غير صورة المقابلة فى الظاهر وهو من أكملها. والعكس أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر[3]. ويقابل الجمع بالجمع، والمفرد بالمفرد. ويقابل كل فرد من الجمع بكل فرد من الجمع. ويقابل الجمع بالمفرد، بثبوت الجمع لكل واحد[4].

ويشمل جمع التكسير أولى العلم[5]. إذ يمكن مخاطبة غير العاقل من ظواهر الطبيعة باعتبارها أقل لأن العقل مثل التأنيس هو الأساس. ونون ضمير الجمع فى جميع العلاقات[6]. ويعامل جمع التكسير باعتباره مفردا.

## ٨- الإبدال، والنحت، والمحاذاة، والتجنيس، والمدرج، والاقتصاص، والترديد، ومشاكلة اللفظ، واللفظ، والطباق، والترادف، والعدد:

### أ- الإبدال:

ويتم إبدال الحروف بعضها مكان بعض مثل الحاء والهاء فى «مدحه» والجيم والحاء فى «حاس». ويرجع ذلك إلى اللهجات العربية مثل الجيم والغين فى «هيجل»، والجيم والقاف فى «قاموس»، «عقول» والتى يتندر بها البحاروة والصعايدة كل منها على الأخرى[7].

---

(١) البرهان جـ٣/ ٤٥٨-٤٦٦ مثال النظيرى (لا تأخذه سنة ولا نوم).

(٢) السابق جـ٣/ ٤٦٤-٤٦٦.

(٣) السابق ص ٤٦٧ مثل (لا هن حل لهم، ولا هم يحلون لهن).

(٤) السابق جـ٤/ ٣-٢٢ مثل سماء وسموات، جنة وجنات.

(٥) السابق جـ٤/ ٢٢. مثل ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

(٦) السابق ص٢٣-٢٤ مثل (وأزواج مطهرة).

(٧) السابق جـ٣/ ٣٨٨-٣٩٠.

ب- النحت:

هو صياغة لفظ من أوائل حروف لبعض الكلمات مثل «الحوقلة»، «البسملة»، «الحمدلة»[1]. فعلوم القرآن تسمح بالصياغات اللفظية. فاللغة عامل مشترك بين الوحى والكلام، وهو ما يحاوله بعض المحدثين مثل «بخمس» أى كتب الإصحاحات الخمسة.

جـ- المحاذاة:

وتعنى الإتيان بلفظ على وزن لفظ آخر للانضمام إليه توصيفا للسمع. وهو أحد أساليب البديع (لأعذبنه)، (لأذبحنه)[2]. وذلك من أجل استمرار موسيقى القرآن.

د- التجنيس:

هو تساوى حرفى الكلمتين، وأن يجمع الكلمتين أصل واحد مثل الروح والريحان. وهو من المحاسن اللفظية. وإذا نفى التجنيس أصبح طباقا[3].

هـ- المدرج:

وهو مصطلح من الحديث وهو زيادة لفظ من الراوى فى فن الحديث فتنقل وكأنها منه[4]. وفى علوم القرآن أن تجىء الكلمة إلى جنب أخرى كأنها فى الظاهر معها وهى فى الحقيقة غير متعلقة بها[5].

و- الاقتصاص:

وهو أن يكون كلام فى سورة مقتصا من كلام فى سورة أخرى أو فى السورة نفسها[6]. فالقرآن وحدة واحدة. تتكرر معانيه بصيغ مختلفة حسب سياق الكلام.

---

(١) السابق جـ٣/ ٣٨٧.
(٢) السابق ص٣٩١-٣٩٢.
(٣) السابق جـ٣/ ٤٥٠-٤٥٤. مثل ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.
(٤) ظاهريات التأويل ص١٨٦-٢١٠.
(٥) البرهان جـ٣/ ٢٩٤-٢٩٥.
(٦) السابق جـ٣/ ٢٩٧-٢٩٨.

ز- الترديد:

وهو تعليق لفظة من الكلام ثم ترد لتعليقها بمعنى آخر[1].

حـ- مشاكلة اللفظ باللفظ:

وهى قسمان: مشاكلة الثانى للأول وهو الأكثر، ومشاكلة الأول للثانى وهو الأقل، مثل الفعل المتعدى لمفعولين[2]. وقد يشاكل كل اللفظ المعنى. فإذا كان اللفظ خبر «لا» أصبح المعنى كذلك. فالمعنى محمول على اللفظ، واللفظ حامل للمعنى. وبقدر ما يكون الحامل لينا يكون المعنى أيضا مستريحا. وإذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى بدأ باللفظ ثم بالمعنى[3].

ط- الطباق:

هو الجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل. وهو قسمان: لفظى ومعنوى[4]. والطباق الخفى مثل الجمع بين الماء والنار[5].

ى- الترادف:

وقد يظن ببعض الألفاظ الترادف وهى ليست كذلك مثل الحذف والتشبيه، والخشية أعلى وأعمق، والسبيل والطريق، الأول للحيز غالبا. وجاء وأتى، ومد وأمد، وعمل وفعل، والقعود والجلوس، والتمام والكمال، والإعطاء والإتيان، والضياء والنور، والغبط والمنافسة، والحسد والحقد، والشح والبخل، سواء فى الأفعال أو فى الأسماء[6].

ك- العدد:

والاسم الفاعل المشتق من العدد له استعمالان: الأول أن يراد به واحد من هذا

---

(١) السابق جـ٣/ ٣٠١ مثل ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

(٢) السابق جـ٣/ ٣٧٧.

(٣) السابق ص٣٧٨-٣٨٦.

(٤) السابق ص٤٥٥-٤٥٧. مثل ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾.

(٥) مثل ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾، ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾.

(٦) الإتقان جـ٢/ ٣٠٦-٣١٠، البرهان جـ٤/ ٧٨-٨٧.

العدد، والثانى أن يكون بمعنى التصيير[1]. ما يضاف إليه العدد من الثلاثة إلى العشرة اسم جنس أو اسم جمع[2]. وألفاظ العدد نصوص، لا يدخلها التأكيد لدفع مجاز[3].

## ٩- منطق العواطف:

أ- الشك للمساهمة وحسم المضاد: وقد يخرج الكلام مخرج الشك فى اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد. فاللغة ليست آلية صورية بل هى جدل العواطف فى الحوار بين الذوات[4].

ب- الإعراض عن صريح الحكم: ويمكن الإعراض عن صريح الحكم تركا أياه للقارئ. فالتأكيد على الفعل وليس نتيجته، وعلى القصد وليس جزاءه[5].

جـ- الألغاز: والألغاز اشتقاقا من اللغز وهو الطريق المنحرف. سمى كذلك للانحراف عن نمط الكلام. ويسمى أيضا الحجية من الحجى أى العقل لأن هذا النوع يقوى العقل بالتمرن عليه والارتياض بحله والتفكر فيه مثل قول إبراهيم (بل فعله كبيرهم هذا)، أو قول نمرود (أنا أحيى وأميت)[6].

د- الهدم: وهو أن يأتى الخبر بكلام يتضمن معنى ثم يأتى الثانى بضده لهدم ما بناه[7].

هـ- التغليب: وهو إعطاء الشىء حكم غيره أو ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو

---

(١) البرهان جـ٤/ ١١٧-١٢٠. مثل (ثانى اثنين).

(٢) مثل (وخذ أربعة من الطير).

(٣) مثل (تلك عشرة كاملة).

(٤) السابق جـ٣/ ٤٠٩-٤١٠، مثال ذلك ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾.

(٥) السابق جـ٣/ ٤١١ مثل ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

(٦) السابق جـ٣/ ٢٩٩.

(٧) السابق جـ٣/ ٤١٢ مثل ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ...﴾ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

إطلاق لفظ عليهما معا أو إجراء للمختلفين بجرى المتفقين. وهو من المجاز، ومراعاة الأشرف. وهو على أنواع: تغليب المذكر، تغليب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب، تغليب العاقل على غيره، تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به، تغليب الأكثر على الأقل، تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مضمون فيما بينهم بأن يطلق اسم الجنس على الجميع، تغليب الموجود على ما لم يوجد، تغليب الإسلام، تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه، تغليب الأشهر[1].

و- القلب: وهو أحد أساليب البلاغة. ولا يعيب القرآن أو ينال من التنزيه والعبث والتهكم والمحاكاة أو الحال. وهو على أنواع: قلب الإسناد، وهو أن يشمل الإسناد إلى شيء والمراد غيره، وقلب المعطوف عليه معطوفا والمعطوف معطوفا عليه، والعكس وهو أمر لفظى، والمستوى وهو أن تقرأ الكلمات من أولها إلى آخرها ومن آخرها إلى أولها، ومقلوب البعض وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الأولى مع بقاء بعض حروف الأولى[2].

ز- التقسيم: وهو القسمة العقلية عند المتكلم لأنها قد تقتضى أشياء مستحيلة[3].

حـ- الحصر والاختصاص: الحصر أو القصر هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصص. وهو إثبات الحكم للشيء ونفيه عما عداه. وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف حقيقة أو مجازًا. وينقسم أيضا ثلاثة أقسام: حصر أفراد لمخاطبة من يعتقد الشركة، وقصر قلب لمخاطبة من يعتقد إثبات الحكم للغير، وقصر تعيين لمخاطبة من تساوى عنده الأمران. وطرق الحصر كثيرة[4]. وقد يكون تقديم المعمول منها وقد يختصر الحصر إلى ثلاثة أقسام: «ما» و«إلا»، «إنما»، «التقديم»[5].

---

(١) السابق جـ٣/ ٣٠٢-٣١٣.

(٢) السابق جـ٣/ ٢٨٨-٢٩٣.

(٣) السابق جـ٣/ ٤٧١-٤٧٤.

(٤) الإتقان جـ٣/ ١٤٩-١٦٠.

(٥) مثل النفى والاستثناء، إنما للتعريض، إن للإثبات وما للنفى، إن للتأكيد، تقديم المعمول، ضمير الفصل، تقديم المسند إليه، تقديم المسند، ذكر المسند إليه، تعريف الجزأين، التأكيد بالنفس، قلب بعض حروف الكلمة.

ط- وضع جمع القلة موضع الكثرة: ويوضع جمع القلة موضع الكثرة لاشتراكهما فى الجمع. فالجمع جمع لا يهم المقدار. ويكون ذلك فى النكرة غالبا. أما فى المعرفة فيستكفى بالعموم[1]. ويعنى تنبيه الخطاب على الطلب أو فى الخبر بالتنبيه بالقليل على الكثير أو بالكثير على القليل. وهو نوع من أنواع البديع. وفى القرآن إفراد وجمع لأرض دون جمع، فى حين أن السماء مفرد وجمع. وتختلف الدلالتان. الجمع أكثر قوة من المفرد مثل ريح ورياح. ومقابلة الجمع بالجمع تقضى بمقابلة الفرد بالفرد[2].

## ١٠- المتشبهات والمبهمات والأمثال والجدل والعلوم المستنبطة. والتأدب فى الخطاب:

أ- المتشبهات: وتعنى الآيات المشابهات الآيات المتشابهة فى الموضوع أو الصياغة أو ما يسمى بظاهرة التكرار فى القرآن، مثل إيراد القصة بصياغات شتى وفواصل مختلفة، بالتقديم والتأخير وبالزيادة والنقصان أو بالتصريف والتنكير أو بالجمع والإفراد أو بالإدغام والفك أو بحروف دون حرف أو كلمة مكان أخرى، وأن يكون فى وضع على نظم وفى آخر على عكسه[3]. والسبب اختلاف السياق، وإظهار القدرة على التعبير على الحدث بطرق عديدة. فلا توجد رؤية واحدة للحدث الواحد أو صياغة واحدة له. ويدخل فى أساليب البلاغة أكثر مما يدخل فى التدوين. وتسمى أيضا علم المتشابه. ومنها ما يجىء على حرفين أو على ثلاثة أو على أربعة أو على خمسة أو على ستة أو على سبعة أو على ثمانية أو على تسعة أو على عشرة أو على أحد عشر حرفا. ومنها ما يجىء على خمسة عشر وجها أو ثمانية عشر وجها أو عشرين وجها أو ثلاثة وعشرين وجها[4].

---

(١) البرهان جـ٣/ ٣٥٥-٣٥٨.

(٢) الإتقان جـ٢/ ٢٩٩-٣٠٦، وقد ألف أبو الحسن الأخفش كتابا فى الإفراد والجمع مع أمثلة كثيرة.

(٣) السابق جـ٣/ ص٣٣٩-٣٤٤، البرهان جـ١/ ١١٢ ألف فيه كثيرون مثل الكسائى، ونظمه السخاوى. وألف الكرمانى فى توجيهه «البرهان فى متشابه القرآن»، والرازى «درة التنزيل غرة التأويل» وأبو صقر بن الزبير «ملاك التأويل»، وابن جماعة «كشف المعانى من متشابه المثانى»، وألف السيوطى «قطف الأزهار فى كشف الأسرار».

(٤) البرهان جـ١/ ١٣٣-١٥٤.

ب- المبهمات: لا تعنى المبهمات المتشابهات بل تعنى العموم دون الخصوص، عموم الحكم دون خصوص السبب. فالمحمول أهم من الحامل، والروح أهم من البدن وإن كانت محمولا فيه. وأسبابه كثيرة مثل الاستغناء ببيانه فى موضع آخر، عدم التعين لاشتهاره، التستر عليه، غياب الفائدة فى التعيين، العموم دون الخصوص، التعظيم بالوصف الكامل دون الاسم للمعنى وليس للشخص، تحقيره بالوصف الناقص. ولا تعرف إلا بالنقل والرواية دون العقل وهو مما لا فائدة منه، لا نقلا وعقلا. ويمكن تصنيفها إلى قسمين: الأول فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنى أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم والإشارة إليهم بكلمات مثل «من» أو «الذى». وإذا كان القرآن قد اكتفى بالمحمول دون الحامل فإن تعيين الحامل يكون ضد قصد القرآن[1]. والثانى المتعينات فى الغالب لأشخاص أفرادا أو مجموعات أو الملاك، ذكرا أم أنثى، إنسانا أو حيوانا، مكانا أم زمانا[2]. وقد يكون للشخص إسمان ويقتصر على أحدهما دون الآخر. وقد يبالغ فى الصفات لتعيين إنسان بعينه. لم يذكر القرآن اسم امرأة إلا مريم فى حين ذكر كثيرًا من أسماءِ الرجال[3].

جـ- الأمثال: والمثل حكم يتضمن فى ذاته وسائل الامتناع عن طريق التخيل والتشبيه والمقارنة وتحويل الأمر والنهى إلى إحساس بالجمال والقبح وإلى قبول أو نفور بالطبيعة. فالغاية من المثل عند القدماء التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وتقريب المواد إلى العقل، وتصويره بصورة المحسوس. والمثل قادر على كشف المعانى وبيان إمكانياتها وإشعاعاتها. وهى نوعان: ظاهر مصرح به وكامن[4].

د- الجدل: وهو أدخل فى علم أصل الدين والفرق والرد على الخصوم[5]. ويضم أنواع البراهين والأدلة وتقسيم وتحذير ودلالة. فالقرآن كتاب حوار واستدلال، مقدمات

---

(١) الإتقان جـ٤/ ٧٩-١٠٠، البرهان جـ١/ ١٥٥-١٦٣، ألف فيه السهيلى «التعريف والإعلام» وابن عساكر «التكميل والإتمام»، وابن جماعة والسيوطى.

(٢) يعطى السيوطى ٢٤٣ مثلا.

(٣) البرهان جـ١/ ١٦٠-١٦٣.

(٤) الإتقان جـ٤/ ٣٨-٤٥. وصنف فيه أبو الحسن الماوردى.

(٥) الإتقان جـ٤/ ٥٢-٥٧. صنف فيه الطوخى.

ونتائج، لذلك استخرج المتكلمون من القرآن الأدلة على وجود الله وخلق العالم وخلود النفس والثواب والعقاب. واعتمد على عديد من الأقيسة مثل قياس الأولى، وقياس الإعادة على الابتداء، ودليل التمانع لإثبات الوحدانية. ومن ضمن علم الجدل السبر والتقسيم الذى اعتمد عليه علماء أصول الفقه، وفحوى الخطاب ولحن الخطاب فى علم أصول الفقه، وحمل اللفظ على خلاف مراده، والتسليم والاسجال وهو الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب، والانتقال من استدلال إلى آخر، والمناقضة، ومجاراة الخصم ليعتبر. وهو ما تحول إلى علم مستقل وه«والحجاج» أو «الجدل والمناظرة». وقد عرفه المتكلمون مثل الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدليل التمانع، والاستدلال على المعاد الجسمانى بقياس الإعادة على الابتداء، وبطريق الأولى فى خلق السموات والأرض وإحياء الأرض بعد موتها، وإخراج النار من الشجر الأخضر. وهى استدلالات اضطرارية[1]. وإلجام الخصم الحجة هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه. ومنه نوع منطقى وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين[2].

هـ- العلوم المستنبطة: والقرآن به كل شىء[3]. ويمكن استنباط كل العلوم منه. وهو الأصل فيما يقال هذه الأيام من أن كل العلوم والتقنيات الحديثة فى القرآن عند أصحاب الإعجاز العلمى فى القرآن[4]. من العلوم الإنسانية علوم اللغة وعلم أصول الدين مع علم الجدل وعلم أصول الفقه وعلوم التصوف علوم أصحاب الحقيقة. ومن العلوم النقلية علم الفقه وعلم التاريخ والقصص وعلم التعبير أى تفسير الأحلام أى تعبير الرؤيا، والعلوم العقلية الخالصة الرياضية والطبيعية، الرياضية الهندسية الجبر والمقابلة والحساب وفروع الحساب مثل الجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتصنيف والمضاعفة. والطبيعية مثل الطب والهيئة أى الفلك والنجامة. والتطبيقية

---

(١) البرهان جـ٣/ ٢٤-٢٧.

(٢) السابق جـ٣/ ٤٦٨-٤٧٠.

(٣) الإتقان جـ٤/ ٢٤-٣٧.

(٤) «قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء. أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها...»، السابق جـ٤/ ٣٣.

مثل أصول الصنائع وأسماء الآلات[1]. وهو من أوجه الإعجاز. وقد تنفصل العلوم إلى خمسين أو أربعمائة أو سبعة آلاف أو سبعين ألفا على عدة كلمات القرآن مضروبة فى أربعة. إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد مطلع. وقد يصغر العدد إلى ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام أو التوحيد والإخبار والديانات[2]. وقد تكون العلوم ثلاثين علما تجمع بين العلوم الإنسانية والعقلية والعقلية النقلية[3]. وهى موضوعات فى علوم مثل الأخلاق أو أصول الفقه أو أصول الدين وليس علوما.

و- التأدب فى الخطاب: وقد يكون بإضافة الخير إلى الله[4]. فالله هو المثل الأعلى. والقاعدة ذكر الرحمة قبل العذاب، والخير قبل الشر، والعدل قبل الظلم. والاستثناء تقديم العذاب ترحيبا وزجرا[5]. ويعنى التوسع الاستدلال بالنظر فى الملكوت. ويكون ذلك عادة فى العقائد الإلهية لتتمكن فى النفوس. كذلك يتوسع فى ترادف الصفات[6].

## ١١- إعجاز القرآن:

### أ- التأليف فى الموضوع:

#### ١- «إعجاز القرآن» للباقلانى (٤٠٣هـ)

وبدأ موضوع إعجاز القرآن عند المتكلمين الأشاعرة مثل الباقلانى. وهى

(١) كالخياطة والحدادة والنجارة والغزل والنسج والفلاحة، وعلوم الصيد مثل الغوص والصياغة والزجاجة والفخارة والملاحة والكتابة والخبز والطبخ والغسل والقصارة والجزارة والبيع والصبغ والحجارة والكيالة والوزن والرمى، وضروب من المأكولات والمشروبات والمنكوحات.

(٢) فى التوحيد معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق أسماءه وصفاته وأفعاله. والتذكير هو الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن. والأحكام هى التكاليف وبيان النافع والضار والأمر والنهى والندب.

(٣) وهى: الإعلام، التشبيه، الأمر والنهى، الوعد والوعيد، الجنة والنار، الإقرار باسم الله وصفاته أفعاله، الاعتراف بإنعامه، الاحتجاج على المخالفين، الرد على الملحدين، الرغبة والرهبة، الخير والشر، الحسن والقبح، نعت الحكمة، فصل المعرفة، مدح الأبرار، ذم الفجار، التسليم، التحسين، التوكيد والتفريغ، ذم الأخلاق، شرف الأدب، السابق جـ٤/ ٣٢-٣٣.

(٤) السابق جـ٤/ ٥٩-٦٣.

(٥) السابق جـ٤/ ٦٣-٦٦.

(٦) السابق جـ٣/ ٤١٣، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

نفس المادة التى دخلت فيها بعد فى علوم المتأخرين عندما استقلت علوم الدين عند الزركشى(٧٩٤هـ) فى «البرهان» والسيوطى(٩١١هـ) فى «الإتقان»، نفس الفصول والأبواب مع نفس الترتيب المنطقى. وهو من الموضوعات الكلامية فى الدليل على صدق النبوة والفرق بين المعجزة والإعجاز، فى إطار من الأشعرية السائدة[١]. ويبدأ الحجاج الكلامى بصياغة «فإن قال... قيل». وقد أصبحت موضوعا فى النبوة فى علم الكلام[٢].

وتتفاوت الفصول كمًا. أكبرها كيفية الوقوف على إعجاز القرآن «ثم» البديع من الكلام «حتى أصغرها»، «رد شبهة حول الإعجاز»[٣]. تمتلئ بالآيات القرآنية والشواهد الشعرية ما يزيد على المئات مما يدل على أن أهم تجربة فى علوم القرآن البلاغة والشعر كرابطين بينهما. وعندما تكثر الآيات يقل الشعر. وعندما يكثر الشعر تقل الآيات[٤]. وموضوع الشعر والقرآن موضوع من موضوعات علوم القرآن. فقد ورث القرآن الشعر بلغته وبلاغته. واستطاع إثارة خيال العرب أهل الفصاحة والبيان وثقافة الشعر والشعراء. ويذكر الشعراء وعلوم النحو والبلاغة أكثر الفقهاء والمتكلمين والمفسرين. وينتقد الشعر كما ينقد القرآن[٥]. ويظهر النثر الفنى أيضا فى خطابة الرسول وبلاغته، وخطب الصحابة والتابعين لبيان مظاهر التواصل والانقطاع فى الخطابين، ما تفرد به

---

(١) كيفية الوقوف على إعجاز القرآن(١٢٩)، البديع من الكلام(٤٤)، الدلالة «على أن القرآن معجز»، وصف وجوه البلاغة(١٩)، جملة وجوه إعجاز القرآن(١٨)، نفى السجع عن القرآن(١١)، نفى الشعر عن القرآن(٨)، الإعجاز(٦)، كلام الرسول وأمور تتصل الإعجاز(٥)، نبوة النبى معجزتها القرآن، قدر المعجز من القرآن، حقيقة المعجز(٤)، شرح ما بينا من وجوه الإعجاز(٣)، التحدى، ما ينطق به الإعجاز(٢).

(٢) الشعر ص٦٧-٦٩/ ٧٠/ ٧٦/ ٨٢-٨٤/ ٩٠/ ٩٢-٩٣/ ٩٦/ ١٠٣/ ١٤١/ ١٤٥/ ١٤٦/ ١٤٨/ ١٥/ ١٧١/ ١٧٨/ ١٨٦/ ١٩٥/ ١٩٧-٢٠٨/ ٢٣٣-٢٣٥/ ٢٣٧-٢٦٣/ ٢٦٥. ولا تكاد تخلو صفحة من عدة آيات.

(٣) يذكر أبو الحسن الأشعرى(٤) مرة، إعجاز القرآن ص ٨٩/ ٢٧٥/ ٢٧٦/ ٢٧٩، والمعتزلة مرة واحدة ص٢٧٥، ويشار إلى المتكلمين.

(٤) من العقيدة إلى الثورة جـ٤ النبوة والمعاد ص١٨٢-٢٠٤.

(٥) الباقلانى ، إعجاز القرآن ص١٤٤.

النثر القرآنى عن النثر النبوى، والنثر النبوى عن نثر الصحابة والتابعين[1]. وإذا كان الشعر تجربة القدماء الفنية والثقافية والاجتماعية فإن أزمة العصر هى تجارب المحدثين الاجتماعية والسياسية. تؤثر فيهم كما أثر الشعر فى القدماء[2]. وقد كان «إعجاز القرآن» نفسه جزءا من مشروع أهم لدراسة «معانى القرآن» والأصول[3].

## ٢- «أسرار البلاغة» للجرجانى (٤٧١هـ)

«أسرار البلاغة» «ودلائل الإعجاز» هما الشهيران التكوينيان، واجهتان لعملة واحدة. أسرار البلاغة، النظرية «ودلائل الإعجاز» التطبيق. الأول تنظير للغة، والثانى تنظير للشعر. وكلاهما تنظير لإعجاز القرآن. وقد أصبح الحامل اللغوى أحد الحوامل الرئيسية للوحى، الألفاظ والمعانى، وأساليب البلاغة، والتفسير[4]. وقد اعتنى به المصلحون، محمد عبده ورشيد رضا. درسه الأول فى الأزهر، ونشره الثانى فى «المنار». عند رشيد رضا تدريسه فى الأزهر أحد علامات النهضة ورفعه من البرنامج أحد عوامل الانهيار. كما اهتم به المحدثون المعاصرون لأنه «بنيوى» قبل البنيوية. وقارنوه بالمذاهب الغربية»[5]. تم فيها التحول من التعليل كمفهوم أصولى إلى «التخيل» كمفهوم نقدى. وبالرغم من أن المؤلف أشعرى إلا أن اتجاهه معتزلى، ليس فقط لاعتماده على نظرية الحُسن والقُبح ولكن أيضا لاعتماده على التصوير الفنى والتأويل حرصا على التنزيه وتجنبا للتشبيه كما فعلت المعتزلة[6]. والعنوان الفرعى لكتاب «أسرار البلاغة»، «فى علم البيان». والبيان والبديع من علوم البلاغة. ويعتمد على الشعر أكثر من اعتماده على

---

(١) السابق ص ١٥٩-١٦٤.

(٢) السابق ص٧٧/ ٢٣٤/ ٢٦٨.

(٣) وقد جمع سيد قطب بين تجارب الشاعر والناقد والمفسر والسياسى.

(٤) الإمام عبد القاهر الجرجانى: أسرار البلاغة فى علم البيان. صححها على نسخة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده التى قرأها ودرسها فى الجامع الأزهر وأودع فيها جل تعليقاته على حواشيها ووضع بجانبها حرف(شى) المقتطع من كلمة شيخنا، وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا، منشى المنار، رحمه الله تعالى محمد على صبيح وأولاده، ط٦، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.

(٥) ذلك مثل كمال أبو الديب، وجابر عصفور فى أحد مراحل حياته العلمية.

(٦) أسرار البلاغة ص٣/ ٢٣٨/ ٢٤٣.

القرآن عشرات المرات أو الحديث مئات المرات[1]. وهذا يدل على أولوية المادة الشعرية. ومن الشعراء يتقدم الشعر المجهول المؤلف. فالشعر أهم من قائله. دلالته من طبيعة الشعر وليس من ذوق الشاعر[2].

### ٣- «دلائل الإعجاز» للجرجانى (٤٧١هـ)[3]

وإذا كان «أسرار البلاغة» فى علم البيان فإن «دلائل الإعجاز» فى علم المعانى. وفيه صاغ عبد القاهر نظرية «النظم». وقد كان أحد مواطن الاهتمام فى الحركة الإصلاحية عند محمد عبده ورشيد رضا «النظم» أولا نظرية فى البلاغة ثم طبقت فى الشعر. فقد استعمل القرآن أساليب البلاغة العربية كما استعملها الشعر. لذلك يفسر القرآن بالشعر، والشعر بالبلاغة. فاللغة هى الحامل الرئيسى للشعر والقرآن. وقد ساعدت نظرية النظم على نقد الشعر وفهم بلاغة القرآن. ويستعمل القرآن قبل الشعر كمادة تطبيقية للبلاغة، شعر أكثر، وآيات أقل، وأحاديث نادرة[4]. استعمل الشعر أولا والقرآن ثانيا أساليب البلاغة العربية. لا فرق بين الشعر الجاهلى والشعر العربى بعد الإسلامى، بين شعراء الجاهلية، امرؤ القيس وشعراء العرب بعد الإسلام كالمتنبى والشعراء المخضرمين كحسان كعبان زهير. لذلك يفسر القرآن بالشعر «عليكم بديوان جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم» كما قال عمر. كما يفسر الشعر بأساليب البلاغة العربية. وإذا كان القرآن قد نقد الشعراء وليس الشعر لإسرافهم فى الخيال، وانفصال قولهم عن عملهم إلا أنه استثنى الشعراء المؤمنين. كما أيد الرسول الشعر والشعراء ومدحهم

---

(١) الأشعار(٤٣٧)، الآيات(٤٤)، الأحاديث(٦).

(٢) الشعر المجهول المؤلف(١٠٠)، ابن المعتز(٤٤)، ابن الرومى، البحترى(٢٨)، امرؤ القيس(١٦)، قيس ابن الحطيم(١٥)، المتنبى(١٤)، الفرزدق(١٢)، ابن لنك، ابن نباته(٦)، مُزَرِّد، الصنوبرى، النسيى(٤)، الحطيئة، لبيد، رؤبة، الخوارزمى، القاضى أبو الحسن، أبو العتاهية، كشاجم، ابن فارس، المهلى، الوزير، على محمد بن جعفر، التنوخى(٢).

(٣) الإمام عبد القاهر الجرجانى. صحح أصله علامتنا المعقول والمنقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية، والأستاذ اللغوى المحدث الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى. ووقف على تصحيح طبعه وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا، منشى المنار، رحمه الله ورضى عنه، مكتبة القاهرة ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

(٤) الأشعار(٤٢٧)، الآيات(١١٩)، الأحاديث(١٩).

وقربهم إليه واستعملهم فى نشر الدعوة[1].

وعند عبد القاهر إحساس بالجدة، جدة المحدثين بالنسبة لتقليدية القدماء[2]. والأسلوب هو أسلوب «قيل... قلنا»، الرد على تساؤلات واعتراضات متخيلة، ويخاطب القارئ. فالقضية مشتركة بين المؤلف والقارئ. وهو أسلوب مسهب غير مركز وكأن الكتاب أمالى أو محاضرات شفاهية. ونظرية النظم فى النهاية نظرية «شكلانية» تجعل الكلام بليغا فى صياغاته وتآليفه وتراكيبه وأساليبه باعتبار اللغة عالما مغلقا بذاته وعلى ذاته كما هو الحال فى «تحليل الخطاب» فى الغرب المعاصر دون بيان الآثار النفسية والاجتماعية كما هو الحال فى «علم اللغة النفسى وعلم اللغة الاجتماعى». وإذا كانت اللغة والبلاغة والشعر ثقافة القدماء فإن العلوم الإنسانية، النفس والاجتماع والانثروبولوجيا والسياسة والفلسفة والثقافة والحضارة والتاريخ والقانون علوم المحدثين.

### ٤- «معترك الأقران فى إعجاز القرآن» للسيوطى (٩١١هـ)

ويدخل موضوع إعجاز القرآن فى علوم كثيرة، علم أصول الدين فى موضوع النبوة والدليل عليها، وفى علوم البلاغة لمعرفة أسرارها، وفى علوم القرآن فى الحوامل الذاتية وهى اللغة، فى أساليب البلاغة. والعنوان غريب «معترك الأقران». وهو كتاب تعليمى تجميعى. يجمع أقوال القدماء كما هى العادة فى مؤلفات السيوطى عصر التدوين الثانى فى مصر وتركيا. وقد بلغت مؤلفاته أكثر من ثلاثمائة بعد أن تفرغ للتأليف والكتابة وترك الفتيا والتدريس[3]. ويبدأ الكتاب بمقدمة نظرية فى التأليف، لا صلة لها بموضوع الإعجاز[4]. أهميتها بيان الحوامل الذاتية للوحى المحفوظ فى الصدور، المقروء بالألسنة

---

(١) الشعراء: المتنبى(٣٦)، البحترى(٣٣)، أبو تمام(٣١)، الفرزدق(١٢)، أبو نواس(١١)، بشار(٨)، امرؤ القيس، ابن المعتز(٦)، ابن الرومى، حسان، لبيد(٤)، جرير، ابن هرمه(٣)، النابغة الجعدى، أرطأ بن سهية، كعب، الخنساء، الأعشى، دعبل، الحطيئة(٢)، الحسن البصرى، ذو الرمة، أمية بن أبى الصلت، خالد بن يزيد، مصعب بن الزبير، الحميرى، قس بن الحصين، وعشرات آخرون(١).

(٢) دلائل الإعجاز ص٤٣.

(٣) الشيخ الإمام العلامة حافظ عصره ووحيد دهره أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطى: معترك الأقران فى إعجاز القرآن، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين (ثلاثة أجزاء)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٤) السابق جـ١/ ٣-١٢.

المكتوب فى المصاحف لأن الشيء له وجودات أربع: فى الأذهان، وفى الأعيان، وفى اللسان، وفى البنان[1]. ومراتب تأليف الكلام خمس: ضم الحروف لتحصل الكلمات، الاسم والفعل والحرف، تأليف الكلمات فتحصل الجمل المفيدة، ضم الجمل فى منظوم، تأليف أواخر المنظوم فى السمع، إخضاع ذلك للوزن فيصبح شعرا. والمنظوم إما محاورة وهى الخطابة أو مكاتبة وهى الرسالة. والقرآن جامع لأنواع هذه الأشكال الأدبية[2].

وأوجه الإعجاز خمسة وثلاثون وجها. أكبرها الأخير الذى يشمل تقريبا جزأين من ثلاثة أجزاء[3].فكل شيء معجز فى القرآن: العلوم المستنبطة منه مع أنها من وضع العقل واجتهاد العلماء، حفظه من الزيادة والنقصان مع أنه من وضع مناهج النقد التاريخى وشروط التواتر، أحسن تأليفه مع أنه من إدراك علوم البلاغة وفنون القول، مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض مع أن ذلك جهد بشرى فى الفهم، افتتاح السور وخواتيمها مع أن ذلك من فنون القول وأساليب البلاغة، مشتبهات آياته وتعارضها وذلك خاضع لمنطق الألفاظ، ناسخه ومنسوخه، والزمان أحد الحوامل الموضوعية للوحى، والمحكم والمتشابه جزء من منطق الألفاظ، واختلاف الألفاظ فى الحروف وكيفياتها وتقديم بعض ألفاظه وتأخيرها وهو خاضع أيضا لمنطق الألفاظ، حصره واختصاصه واحتواؤه جميع لهجات العرب وذلك لهجرات القبائل العربية نحو طرق الحجيج، والعموم والخصوص، والإجمال والتبيين، والمنطق والمفهوم، ووجوه المخاطبات، كل ذلك جزء من مباحث الألفاظ عند الأصوليين، والإخبار عن الأمم السالفة جزء من قصص الأنبياء، روعته وهيبته، وأن سامعه لا يمجه، وتيسير حفظه كلها أمور نفسية لا إعجاز فيها، والحقيقة والمجاز، والتشبيهات والاستعارات، والكناية والتعريض، والإيجاز والإطناب، والبلاغة، والخبر والإنشاء كلها من أساليب

---

(١) السابق جـ١/ ٤.

(٢) السابق جـ١/ ٦.

(٣) التحليل الكمى للأبواب: ١-(١٠)، ٢-(١)، ٣-(٢٠)، ٤-(١٥)،،٥-(١٨)، ٦-(٧)، ٧-(١٠)، ٨-(٢٠)، ٩-(١٨)، ١٠-(٧)، ١١-(٨)،١٢-(١١)،١٣-(٩)،١٤-(٨)،١٥-(٦)،١٦-(٣)،١٧-(٨)،١٨-(١)،١٩-(١)،٢٠-(٢)،٢١-(١)،٢٢-(١)،٢٣-(١٦)،٢٤-(١٤)،٢٥-(٦)،٢٦-(٤١)،٢٧-(٣٨)،٢٨-(٢٢)،٢٩-(٥)،٣٠-(٥)،٣١-(٦)،٣٢-(٩)،٣٣-(١٩)،٢٤-(٢)،٣٥-(١١٦٤).

البلاغة العربية التى وضعها البلغاء، وأقسام الكلام، وأنواع البراهين والأدلة، وضرب الأمثال، والآيات الجامعة للرجاء والخوف، والآيات المبهمة، واحتواؤه على أسماء الأشياء، والألفاظ المشتركة، كلها علوم وضعها علماء القرآن، وأخضعوها لقوانين البلاغة أو المنطق. فأين الإعجاز على وجه الخصوص؟ وإذا كان كل شيء معجز فلا شيء معجز. إذ يستوى الكل ولا شيء. وكيف يكون كل شيء فيه معجزا ولا يكون للإنسان أى دور فى حفظه وروايته وقراءته وكتابته وفهمه وتفسيره؟ أصبح مفهوم الإعجاز فضفاضا يضم كل شيء ولا شيء.

والوجه الخامس والثلاثون مجرد شرح لألفاظ القرآن طبقا لترتيب الحروف الأبجدية. فأين الإعجاز؟ والحروف الأبجدية تصنيف عرضى غير دال مثل الأرقام المتوالية. ويعض الحروف مثل الكاف بها تنبيه ومسألة وفائدة[1]. وكذلك اللام بها فائدة وتنبيه ونكتة ووصل وتذنيب وإعلام[2]. تضخم الوجه الخامس والثلاثون لأنه مجرد شرح لألفاظ القرآن، تجميعا من كتب المفسرين مثل القواميس والمعاجم. تناثرت الموضوعات وتفككت دون رابط بينها. وربما يكون هذا التجميع والرصد والحشد والنقل عن السابقين هو المقصود بعنوان «معترك الأقران»، والاعتماد على المفسرين واللغويين، نحاة وبلاغيين يجعل القرآن قابلا لأن يوضع فى أى علم، ويخضع لقوانين مثل قوانين النحو وأساليب البلاغة. وتظهر بعض موضوعات علوم القرآن من خلال النقل للمفسرين مثل أسباب النزول[3]. ويختلف تفسير الألفاظ كمًا بين الطول والقصر، والغالب هو القصر.

ويستمد المؤلف مادته من كتب التفسير[4]. ويقتبس نصوصا من السابقين. ويعتمد على الشعر الذى يخضع هو الآخر لقواعد البلاغة العربية[5]. ويقسم وجه الإعجاز

---

(١) السابق جـ٢ ٢٢٦-٢٥١.
(٢) السابق جـ٢ ٢٥٢-٢٩٩.
(٣) السابق جـ٢/ ٣٨٧/ ٦١٦.
(٤) السابق ص٩٨/ ٢٩٢-٢٩٣.
(٥) السابق جـ ١/ ١٩/ ٤٤/ ٦٣/ ١١٥/ ١١٧/ ٢٧٧/ ٣١٢ جـ ٢/ ١٧/ ٣٦/ ٧٦/ ٢٤١/ ٢٤٣/ ٢٩٥/ ٣٤٦/ ٣٧٠/ ٣٨٨/ ٤٧١/ ٥١٠/ ٥١١ جـ ٣/ ١٥/ ٩٥/ ١٠٥/ ١٧٧/ ١٩٤/ ٢٢٥/ ٢٧٠-٢٧١/ ٣٠١/ ٣٠٤/ ٣١٨/ ٣٢٤/ ٤٧٣/ ٤٩٨.

إلى قاعدة وتنبيه وفصل وفرع. كما يعتمد على الحديث ولكن بصورة أقل. وبعضها ضعيف مثل تلك التى تتدخل فيها الملائكة ويتحدث فيها الله، مثل الأحاديث القدسية التى تغرق فى الخيال والإخراج المسرحى لمزيد من التأثير. ويظهر فى رواياتها وصياغتها التوجهات السياسية مثل حديث القدرية مجوس هذه الأمة[1]. وأحيانا يتم الاعتماد على الحديث وحده فى التفسير[2]. وكثير منها معلومات خارج موضوع الإعجاز مثل أسماء السور، مجرد تجميع لمعلومات قديمة[3]. ربما أراد المؤلف إعطاء غطاء نظرى خلا الكتاب منه فى المقدمة تحت عنوان «أقوال كلية محتوية على ألفاظ قرآنية»[4]. تعطى المعية الزمانية بعد التوالى الزمانى[5]. وتضم عدة فصول منها «قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها» مثل قاعدة الضمير، وهى قاعدة لغوية والتعريف والتذكير[6]. هل هى محاولة لوضع منهج فى التفسير؟

٥- «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» لمصطفى صادق الرافعى (١٨١٩هـ)[7]

ويستمر موضوع إعجاز القرآن عبر مراحل التاريخ من الماضى حتى العصر الحاضر. وهما موضوعان مستقلان. الأول «إعجاز القرآن» وهو جزء من تاريخ آداب العرب (ثلاثة أجزاء). والثانى دراسة ملحقة بالأولى وتدل على استمرار بلاغة القرآن إلى بلاغة الحديث. فقد أوتى الرسول جوامع الكلم. وهو أفصح فصحاء العرب. فالبلاغة تنسب إلى النبى وليس إلى اللغة العربية، وكأنها مستقلة عنها. فالإعجاز ليس فقط فى القرآن بل أيضا فى الحديث.

والأسلوب أدبى أخلاقى مثل كتب السيرة المعاصرة «على هامش السيرة» لطه

---

(١) السابق جـ٣/ ١٦/ ٢٧/ ١٤٩.
(٢) السابق جـ٣/ ٥٠١.
(٣) السابق جـ٣/ ١٩٧-٢٠٠.
(٤) السابق جـ٣/ ٤٥٢-٤٦٢.
(٥) المعية الزمانية Synchronic، التوالى الزمانى Diachronic .
(٦) السابق جـ٣/ ٤٦٣-٤٧٢.
(٧) مصطفى صادق الرافعى: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت ط١. ٢٠٠٣- ١٤٢٤هـ.

حسين و«حياة محمد» و«فى منزل الوحى» لمحمد حسين هيكل. لا فرق بينه وبين «تحت راية القرآن». ولا يخلو من منهج الدفاع والتفريط ضد اتهامات المستشرقين بالرغم من اتباع التاريخ الميلادى بين الحين والآخر بدلا من الهجرى. ويستعمل أسلوب المقال الأدبى وليس البحث العلمى. فالمؤلف أديب. ومعظم أعماله فى الأدب والبلاغة. والموضوع لغوى. يعتمد على تحليل التجارب الإنسانية أكثر من الاعتماد على الحجج النقلية، القرآن أو الشعر[١]. لذلك لا تُنقل أقوال القدماء. وقد تستعمل الآية كأدب. فاللغة والقرآن، كلاهما يعودان إلى الفطرة. وفى الإشارة إلى القدماء، يميز بين القدماء والمحَدثين إحساسا بالتطور[٢]. ويشير إلى بعض الفرق الكلامية القديمة مثل المعتزلة[٣]. والفصول أقل لصالح تجميع الموضوعات[٤].

ويقدم للكتاب ثلاثة كتاب من التيارات الفكرية الثلاثة الرئيسية الإصلاحى (رشيد رضا)، والليبرالى (سعد زغلول)، والعلمى العلمانى (يعقوب صروف)[٥].

ويخلو الكتاب من أى موقف. بل هو أقرب إلى الدراسات الموضوعية العارضة الحديثة المعتمدة على المصادر والمراجع والتى لا تظهر فى الغالب فى الهامش كالعادة بل فى صلب الصفحة مع اقتباسات مباشرة مع التنبيه عليها بلفظ «انتهى» أو بالحرفين «أهـ» أو تلخيص غير مباشر لمضمونها وأحيانا أخرى لا يشار. يحلل الكتب كموضوعات فى ذاتها[٦]. وتشرح الألفاظ فى الهامش مساعدة للقارئ. وتتم المقارنة مع الوافد الغربى سواء الكتب المقدسة مثل التوراة والإنجيل دون تقدير كاف لهما بمناسبة شبهة التحريف أو أعلام الأدب والفلسفة الغربية أو القواد مثل نابليون. ويميل إلى علم اللسانيات النفسى والمنطق[٧]. والإعجاز ليس بلاغيا فقط بل هو تشريعى أيضا. بل يمتد الإعجاز الأدبى إلى الإعجاز العلمى السائد فى هذا العصر[٨].

(١) استعمل الشعر خمس مرات، السابق ص١٤٣/ ١٠٣/ ٢٠١/ ٢١٢/ ٢١٦، والقرآن والحديث مرات عديدة.

(٢) السابق ص٨٤.

(٣) السابق ص١٠١.

(٤) خمسة فى إعجاز القرآن، واثنان فى البلاغة النبوية.

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النحوية ص٥/ ١٢-١٧.

(٦) السابق ص٢١٩.

(٧) الفلاسفة الغربيون، السابق ص٧٣/ ٧٥-٧٦/ ٧٨، الأدب الفرنسى ص٦٧، نابليون ٦٩.

(٨) السابق ص١٨٤-١٨٧.

ب- وجوه الإعجاز:

والتعرف على أسرار البلاغة فى القرآن وردها إلى فنون البلاغة العربية هو محاولة لفهم أسرار الإعجاز. والتناقض هو إذا كان القرآن يسير وفقا لأساليب البلاغة العربية الإعجاز؟

والإعجاز غير المعجزة[1]. المعجزة السابقة خرق لقوانين الطبيعة التى يعرفها الإنسان. فإذا ما ازدادت معرفته بها عرف أن كل حادثة تقع طبقا لها. ولا شىء بمعجز فى الطبيعة. كانت مهمتها قديما إثارة الخيال واسترعاء الانتباه وإدخال الناس فى الإيمان[2]. ونجحت للأقلية، البقية الصالحة دون الأغلبية. ولما أتت أكبر معجزة، المسيح، بولادته وحياته ومعجزاته ورفعه إلى السماء ولم يؤمن بنو إسرائيل وظلوا على ماديتهم تغير طريق الوحى إلى العرب. وتحولت المعجزة إلى إعجاز، والدليل الحسى إلى دليل عقلى. ففى آخر مرحلة من تطور الوحى أصبح العقل قادرا على الفهم، والإرادة قادرة على الاختيار. ولم يعد فى حاجة إلى معجزة حسية تخلب اللب، وتثير الخيال، بل إلى إعجاز يتحدى العقل والإرادة. المعجزة الحسية توقفت والمعجزة العقلية مستمرة إلى يوم الدين[3].

ليس الإعجاز فى كلام الله كصفة للذات بل فى الوحى بعد أن تمت صياغته باللغة العربية فى الزمان والمكان، ولدى شعب معين، وفى ثقافة محدودة. فلا يجوز التحدى

---

(١) الإتقان جـ٤/ ٣-٢٣. البرهان جـ٢/ ٩٠-١٢٤. ألف فيه الخطابى، والرمانى، والزملكانى، والرازى وابن سراقة، والباقلانى، وعزيزى.

(٢) «اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى، سالم عن المعارضين. وهى إما حسية وإما عقلية. وأكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم. وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة ضحت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم، «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا»، السابق ص٣.

(٣) «إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم. فلم يشهدها إلا من حضرها. ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة. وخرقه العادة فى أسلوبه وبلاغته...»، السابق ص٣.

بشيء غير معلوم[١].

ليس الإعجاز بتحدى العرب بالكلام القديم الذى هو صفة للذات. فقد خرج هذا الكلام من العلم الإلهى، وتم تدوينه فى اللوح المحفوظ المخلوق، ولم يعد قديما. ثم خرج من اللوح المحفوظ إلى ذهن جبريل المخلوق. فلم يعد قديما مرة ثانية. ثم خرج من ذهن جبريل على لسانه باللغة العربية إلى محمد المخلوق، فلم يعد قديما للمرة الثالثة، ثم خرج من ذهن محمد على لسانه وبلغته للآخرين ومستوى فهمهم وثقافتهم فلم يعد قديما للمرة الرابعة[٢]. ويقوم الكلام بثلاثة أشياء: لفظ حاصل، ومعنى قائم، ورباط ناظم[٣].

وينظر إلى الإعجاز من وجهين. الأول الإعجاز فى نفسه، والإعجاز بصرف الدواعى عن معارضة. الأول داخلى، والثانى خارجى[٤]. ولا يعنى الإعجاز الصرفة لأن التحدى يتطلب الحرية. والصرف قيد منذ البداية، وتقييد الإنسان ومطالبته بالسير. فالصرفة تعنى زوال الإعجاز بانقضاء زمن التحدى. وقد انقضى الزمن، والتحدى مازال موجودا[٥].

الإعجاز مقولة إنسانية للإنس وليس لموجودات أخرى متعالية على الحس وهو ما يسمى الجن[٦]. وشروطه العلم باللغة العربية والذوق العربى والفطرة العربية السليمة[٧].

والإعجاز صفة للوحى فى آخر مرحلة فى تطوره خلال مراحل النبوة وتدوين الوحى فى التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وكل ما يذكره القرآن. إذ لم تدون هذه الكتب فى لحظة إعلانها. ولم تحفظ بألفاظها بل بمعانيها. فهى أشبه

---

(١) السابق جـ٢/ ٩٣.
(٢) الإتقان جـ٤/ ٦/ ١١.
(٣) السابق ص١٣.
(٤) البرهان جـ٢/ ٩٢.
(٥) الإتقان جـ٤/ ٦-٧/ ١١/ ١٥، البرهان جـ٢/ ٩٣-٩٥/ ١٢٣ وهو تول النظام.
(٦) الإتقان جـ٤/ ١٩، البرهان جـ٢/ ١١١.
(٧) البرهان جـ٢/ ١١١-١١٢/ ١٢٣.

بالتواتر المعنوى وليس بالتواتر اللفظى. والبعض منه لم يحتفظ بلغته الأصلية مثل الإنجيل. فقد تحدث المسيح بالآرامية. وفقدت الأناجيل الآرامية. ولم تبق إلا الصيغ اليونانية(السبعينية)، ثم ترجمت إلى اللاتينية(الفولجات)، ثم ترجمت إلى باقى اللغات الأوربية والشرقية[1].

ليس الإعجاز فى الإخبار عن تاريخ الأولين من خلال القصص. فليس الوحى كتابًا فى التاريخ. والتاريخ نفسه ليس معجزا إذا ما توفرت الوثائق والحفريات. غاية القصص هو العبرة بالتاريخ، وبلورة الوعى التاريخى للعرب والمسلمين، ومعرفة قوانين التاريخ، والوحى فى تطوره فى آخر مرحلة تمت صياغته بناء على التجريب فى الزمان التاريخى[2].

ولا يعنى الإعجاز الغيبى التنبؤ بالمستقبل. فتلك كانت وظيفة النبى عند بنى إسرائيل. وما زالت بقاياها مستمرة عند قدماء المفسرين. بل يعنى معرفة قوانين التاريخ ابتداء من التحققات الماضية والحاضرة وإمكانية استشراف المستقبل. والإخبار بقصص الأولين لإثبات تحقق قوانين التاريخ فى الماضى، وتحويل الوحى إلى وعى بالتاريخ. والإخبار بالغيب عن أمور المعاد جزء من العقائد مثل النبوة، يمثل مسار التاريخ من الماضى إلى المستقبل، وتؤكده التجربة الإنسانية. فكل مقدمات لها نتائج، وكل عمل له جزاء، وكل سبب له نتيجة. وكل نقص له تعويض، وكل ظلم له يوم يسود فيه العدل، «لك يوم يا ظالم»[3].

والإخبار عن الضمائر دون إظهارها ليس إعجازا منفصلا عن الإعجاز البلاغى[4]. وقد انتبه القدماء إلى أن الإعجاز بلاغى لما فى القرآن من نظم وتأليف وترصيف من أصناف البديع الموجودة فى الشعر والحذق فى البلاغة. وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من العيوب. هو التأليف الخاص وليس التأليف على الإطلاق، نظمه وصحة معانيه وفصاحة الألفاظ . وهى باقية بالرغم من تغير العصور وضعف

---

(١) الإتقان جـ٤/ ٢١.
(٢) البرهان جـ٢/ ٩٦.
(٣) الإتقان جـ٤/ ٧/ ١٥-١٦، البرهان جـ٢/ ٩٥.
(٤) البرهان جـ٢/ ٩٦.

التمكن من اللغة العربية وأساليب البلاغة وعلوم البيان جيلا وراء جيل[١]. الإعجاز فى النظم المخصوص فى مراتب تأليف الكلام[٢]. وهى خمس: ضم الحروف فى كلمات، ثم ضم الكلمات فى جمل، ثم ضم الجمل فى مقاطع لها بدايات ونهايات، مداخل ومخارج وهو المنظوم، ثم تطابق آخر الجمل فى السجع وهو المسجوع ثم جعل له وزن مثل الشعر وهو النظم أو الشكل الأدبى، المحاورة أو المخاطبة والمكاتبة أى الرسالة. وجه الإعجاز هو الإيجاز مع البلاغة، والرصف مع النظم، والتفرد كجنس فى كلام العرب من نظم ونثر وخطب وشعر[٣]. وجه الإعجاز فى التأليف الخاص وليس مطلق التأليف[٤]. وهو إعجاز دائم غير محدد بفترة زمنية محددة[٥]. ويكون الإعجاز فى اللفظ والمعنى والملاءمة[٦]. الألفاظ بالنقل، والمعانى بالعقل.

والتحدى ليس فقط بلاغيا أسلوبيا أدبيا بل هو أيضا تحدٍ تشريعى فى العلوم الإنسانية. فلا يوجد حكم شرعى إلا ويطابق التجربة البشرية الفردية والجماعية. يجمع بين المثالية والواقعية، بين ما ينبغى أن يكون وما هو كائن، بين القيم الإنسانية العامة والخصوصيات الثقافية، بين العزائم والرخص. ركز القدماء على الإعجاز البلاغى لأن العصر كان عصر لغة. فى حين ينتبه المحدثون إلى الإعجاز التشريعى الإنسانى لأن العصر عصر العلوم الإنسانية. وهو ما يسمى بالإعجاز العلمى. ليس بمعنى العلوم الطبيعية كما هو سائد هذه الأيام، بل بمعنى احتوائه لعديد من العلوم الإنسانية كعلوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون[٧].

وقد يكون الإعجاز فى اختلاف المقامات وفى نفس الوقت وضع كل شىء فى موضع يلائمه. وهو تعدد وتوحد فى نفس الوقت مثل الموسيقى المتعددة الأصوات "البوليفونية"

---

(١) الإتقان جـ٤/ ٨/ ١٦، البرهان جـ٢/ ٩٧-١٠٠.
(٢) السابق ص١٠-١١.
(٣) السابق ص١٤.
(٤) البرهان جـ٢/ ٩٥.
(٥) السابق جـ٢/ ١٠٥.
(٦) السابق جـ٢/ ١٧٤-١٧٥.
(٧) من العقيدة إلى الثورة جـ٤، النبوة والمعاد ص٢٠١-٢٠٤.

التى تجمع بين التقابل الصوتى «الكونترابونت» والانسجام «الهارمونى». والأمثلة فى القرآن على ذلك كثيرة[1].

ويشتمل القرآن على أعلى أنواع الإعجاز[2]. وهو التركيب القائم على النسبة والاعتدال فى إفادة المعنى. وتتفاوت مراتب الفصاحة. فالقرآن هو الأفصح والأصلح والأرشق والأجلى والأعلى.

وقد يكون الإعجاز بكل الوجوه السابقة. فالإعجاز مقصد، ومداخله متعددة[3]. والقرآن معجز كله وليس كما. وليس الإعجاز فى السور الطوال وحدها دون القصار بل إن القصار قد تكون أبلغ من الطوال. صحيح أن التحدى وقع بجزء أو بسورة منه، فالعاجز عن القليل عاجز عن الكثير[4].

وقد يدرك الإعجاز ولا يمكن وصفه. يُدرك بالفطرة السليمة وبالأثر المباشر فى النفس[5]. يُدرك بالذوق وليس بالتحليل العقلى لأساليب البلاغة وعلوم البيان والبديع. هو صنيعة فى القلوب وتأثير فى النفوس، لذة وحلاوة، وروعة ومهابة[6]. لذلك يعلم الإعجاز بالإحساس والشعور والوجدان وليس بالاستدلال العقلى والتحليل اللغوى أى عن طريق علوم القرآن، وقد لا يمكن التعبير عنه[7].

والقرآن فن من القول لا يدركه إدراكا مباشرا إلا ذوو الفطر السليمة أو الشعراء. فقد أتى ليرث الشعر والقول الشعرى[8]. الفرق عملى صرف، فى تحول القرآن إلى عمل، وإقامة العمل على الأخلاق. فى حين أن الشعر خيال، والخيال لا حدود له. وهو معنى الآية الشهيرة ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ

---

(١) البرهان جـ٢/ ١١٨-١٢٠.
(٢) السابق جـ٢/ ١٢١-١٢٣.
(٣) السابق جـ٢/ ١٠٦-١٠٧.
(٤) الإتقان جـ٤/ ١٧-١٨/ ٢٣، البرهان جـ٢/ ١٠٨-١١١.
(٥) الإتقان جـ٤/ ١٢/ ١٤/ ١٦-١٧، البرهان جـ٢/ ١٢٤.
(٦) «قارؤه لا يكل، وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته»، السابق ص١٥، البرهان جـ٢/ ١٠١-١٠٢.
(٧) السابق ص١٨، البرهان جـ٢/ ١٠٠-١٠٦.
(٨) السابق جـ٢/ ١١٢-١١٣.

﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾. ومع ذلك يلتقى الوحى والشعر إذا ما ارتبط بعض الشعراء بالأخلاق ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾. كلاهما يتبع صناعة الإيقاع وصناعة العروض. كلاهما يلتقى فى موسيقى القرآن. والإيقاع ليس من فنون الملاهى بل هو إيقاع النفس. كتب فيه إخوان الصفا «رسالة الموسيقى». تجمع بين الذوق والرياضيات والإحساس النفسى كما هو الحال فى تصور القدماء للموسيقى عند الفارابى وغيره[1]. وكان الرسول إذا أنشد شيئا موزونا على إيقاع معين غيره. فالشعر والوحى يقومان على نفس الذوق.

وتنزيه القرآن عن أن يكون شعرا، والنبى عن أن يكون شاعرا، رغبة طبيعية فى إعلاء القرآن على حساب الشعر، والنبى على حساب الشاعر، تأكيدا على الانفصال بين الماضى والحاضر، بين الجاهلية والإسلام، بين الأصالة والمعاصرة، وهو غير طريق الوحى الذى يؤكد على التواصل بين الماضى والحاضر، بين مراحل الوحى السابقة والمرحلة الأخيرة، بين اليهودية والمسيحية من ناحية والإسلام من ناحية أخرى[2]. والفصل بين الوحى والشعر هو فصل بين المحمول والحامل، بين النفس والبدن، بين المثال والواقع. ولا يعنى ذلك إدخال القرآن فى الشعر فى صياغة واحدة. حينئذ يبدو الشعر ركيكا، ولا يبدو القرآن شعرا[3]. بل يعنى أن كليهما يقومان على الروح الشعرية[4].

---

(١) يروى عن الرسول قوله «لست من دد، ولا ددٌ منى» ويعنى الإيقاع.

(٢) البرهان جـ٢/ ١١٣-١١٧.

(٣)

وقلت لما حاولوا سلوتى (هيهات هيهات لما توعدون)

أو : وفتية فى مجلس وجوههم ريحانهم، قد عدموا التثقيلا

دانية عليهم ظلالها (وذ ثلت لهم قطوفها تذليلا)

السابق ص١١٤.

(٤) وهو الفرق عند المحدثين بين الشعر Poetry والشعرية Poetics.

# الفصل الثالث

# التفسير

## ١ـ التفسير وعلوم القرآن:

### أ- علوم القرآن والتفسير:

وبعد أن ثبت القرآن تدوينا وقراءة أصبح منطق النقل الشفاهى وعلم القراءات ومنطق النقل الكتابى من العلوم القديمة التى أدت غايتها. ولن يتقدم أحد بإعادة النظر فى نتائجها وتقديم قراءة شفاهية جديدة أو نقلا كتابيا جديدا. ما يبقى إذن هو علم التفسير الذى يتطور بتطور كل عصر. ما يمكن هو التفسير أى فهم النص. والفهم مرتبط بظروف المعرفة فى كل عصر.

بعد الألفاظ والمعانى وأساليب البلاغة يأتى التفسير وهو ضم اللفظ والمعنى فى الذهن، والتحول من المنظوم والمفهوم إلى المعقول بلغة الأصوليين[١].

ونظرا لشدة الارتباط بين علوم القرآن وعلم التفسير كان «الإتقان» كان فى الأصل مقدمة لتفسير السيوطى، «مجمع البحرين ومطلع البدرين» كما كان علم أصول الفقه مقدمة لبعض كتب الفقه. وصنف كتابا آخر «التحبير فى علوم التفسير»[٢]. وهو أقرب إلى التفسير بالمأثور منه إلى التفسير بالمعقول.

(١) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص٢٤٧-٤٤١.
(٢) الإتقان جـ١ / ٦-٨.

ب- التأليف فى الموضوع:

أ- «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة(٢٧٦هـ)[١]

يعرض للحامل اللغوى، النحو والبلاغة دفاعا عن القرآن العربى مثل «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضى عبد الجبار. ويركز على مباحث الألفاظ، الحروف والأفعال. يتكون من خمسة عشر بابا. العشرة الأولى مجملة فى النحو والبلاغة وخصوصية العرب فى البيان والمجاز والاستعارة والمقلوب والحذف والاختصار والكناية والتعريض، والرد على وجوه القراءات، والتناقض والاختلاف والمتشابه[٢]. وأكبر الفصول تأويل الحروف التى ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم. وتعرض الحروف فى سورة سورة وآية آية[٣]. وتعرض الألفاظ طبقا لجدل اللفظ والمعنى، لفظ واحد، ومعايير متعددة. ويضرب المثل بأربعة وأربعين لفظا[٤]. وهناك حروف مثل الأفعال لا تنصرف[٥]. وتدخل حروف الصفات مكان بعض[٦]. ويفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث، والقرآن بالشعر والأزجال والأمثال العربية وعادات العرب فى الكلام وهو الأكثر. والشعر يتجاوز قسمة التاريخ إلى عصرين، جاهلى وإسلامى. والاستشهاد بالشعر الجاهلى أكثر طبقا للقول المأثور «عليكم بديوان جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم». وقد يحال إلى طرق فهم التوراة والإنجيل وتفسيرها. فالموضوع اللغوى والبلاغى يقود إلى التفسير[٧]. وقد يختلف كل عصر عن العصر السابق فى إحساساته بالآية لغويا وبلاغيا عند القدماء، واجتماعيا وسياسيا عند المحدثين مثل تفسير آية (وبئر معطلة وقصر مشيد)[٨].

---

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى: تأويل مشكل القرآن، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) السابق ص١٧-١٨١.

(٣) السابق ص١٨٢-٢٤٦.

(٤) السابق ص٢٧٨-٢٩٧.

(٥) السابق ص٢٩٨-٣٠٩.

(٦) أمثال العرب، السابق ص٦١-١٤١/ ١٦٧/ ٢٥٨. عادة العرب، السابق ص٦٩/ ٨٦/ ٨٨/ ٩٣/ ٩٧/ ٩ /٩/ ١٠٣/ ١١٣/ ١٣٠/ ١٤٢/ ١٧٨/ ١٨٠/ ٢٧١/ ٣٠٠/ ٣٠٦.

(٧) السابق ص٦٩-٧٠.

(٨) الساق ص١٥.

ب- «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضى عبد الجبار(٤١٥هـ)

وهو مؤلف بين علم الكلام وعلوم القرآن. يتم فيه الدفاع عن القرآن وتبرئته عن المطاعن. وهى التناقض بين الآيات فى العقائد أو الشرائع، بين التشبيه والتنزيه، بين الرحمة والعدل، بين الكسب وخلق الأفعال، بين الإيمان والعمل. وعلى هذا النحو هو أقرب إلى علم الكلام منه إلى علوم القرآن لأنه يتعامل مع الموضوع وليس مع النص، مع المحمول وليس مع الحامل. لا تهمه الصحة التاريخية فى القراءة والتدوين بل التفسير والتأويل. لذلك يدخل أيضا فى موضوع التفسير. وهو أحد جوانب علوم القرآن قبل أن يستقل بنفسه ويصبح علما. وهو أيضا أحد أبواب علوم القرآن فى الآيات المبهمات. ويفسر القرآن بالقرآن. ونادرا ما يذكر الحديث أو الشعر. كتب بطريقة المسألة والرد عليها. وليس له تبويب نظرى مستقل توضع فيها هذه المطاعن بل تستعرض سورة سورة، وآية آية، من الفاتحة والبقرة حتى المعوذتين. وتكثر المسائل فى السور الطوال. ويقل العدد فى السور الصغار. دون تبويب موضوعى عرضى للمطاعن يخترق السور[1]. وهو من آثار كتب التفسير التى تتبع المنهج الطولى وليس المنهج العرضى، المنهج النصى وليس المنهج الموضوعى[2].

هو نوع من الدفاع عن القرآن أسوة بمنهج الجدل عند المتكلمين، الذب عن الإسلام ودحض أباطيل خصومه. فهو بين علم الكلام وعلوم القرآن، وإن كان إلى علم الكلام أقرب. ولفظ «تنزيه» لفظ اعتزالى. تنزيه القرآن عن المطاعن مثل تنزيه الله عن التجسيم والتشبيه. ولا فرق بين المعتزلة والأشاعرة فى الدفاع. فكلهم متكلمون.

والمطاعن فى العقائد والمعانى وليس فى النصوص والصحة التاريخية، فى الرواية والجمع والقراءة والتدوين. وقد كتب بطريق السؤال والجواب، المسألة والرد عليها دون ترقيم للمسائل بطريقة «قيل»، «قالوا». وهو أقرب إلى التفسير، تفسير القرآن بالقرآن. وتفسير القرآن بالحديث أو الشعر لا يأتى إلا نادرا. والكتاب خال من التبويب.

---

(١) أكثر المسائل فى البركة(٩٢) وفى الناس(١).

(٢)

Method of The thematic interpretation، Islam in the modern world، I،pp 484509-

ويقتصر على ذكر المطاعن سورة سورة، وآية آية كما هو الحال فى التفسير الطولى. وفى حاجة إلى إعادة تبويب طبقا لموضوعات المطاعن كما هو الحال فى التفسير العرضى أو الموضوعى للقرآن. لذلك وقع فى الجزئيات دون الكليات، وفى الرد المتناثر دون تجميع مجموع الردود فى أصول عامة حتى لا تتكرر. لذلك سادت الرتابة، وتكرار النمط، والسير الحثيث وراء كل سورة وآية دون استدراك، عودا على بدء[1].

### جـ- «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الأسكانى(٤٢٠هـ)[2]

وهو عرض لقضية الآيات المتشابهات كما يوحى بذلك العنوان الفرعى أو لموضوع التكرار فى القرآن، أحد موضوعات علوم القرآن[3]. التنزيل متشابه ومتكرر فى حاجة إلى فهم وتأويل لدرء التشابه والتكرار. وهو أقرب إلى تفسير المعانى مثل «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضى عبد الجبار(٤١٥). يجمع بين آيتين متشابهتين أو أكثر بعد ذكر أول آية لرفع التناقض بين الآيات خاصة إذا تشابهت لفظا وعبارة لدرجة التكرار دون أى تفرد فى الصياغة أو فى ظلال المعنى. وهو قريب من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لتجميع الآيات المتشابهة حول موضوع واحد.

وقد يكون التكرار ظاهريا ولكنه فى الحقيقة ليس تطابقا كاملا فى الألفاظ أو فى المعانى. إذ تتعدد الصياغات اللغوية لمنع الرقابة والتكرار الكمى. ولكل صيغة ظلال من المعنى للتركيز عليه والإيحاء به. وتختلف طبائع الناس. وتحتاج إلى مؤثرات لفظية متعددة طبقا لتأثير كل منها. كما أنها تسمح بحرية الفهم والتعددية فى اقتناص المعانى.

ويخلو الكتاب من التبويب الموضوعى إلى فصول. بل يتم استعراض الآيات المتشابهة سورة وراء سورة، وآية بعد آية طبقا لترتيب المصحف وليس أسباب النزول. وهو امتداد لمنهج التفسير الطولى عند الطبرى وابن كثير والزمخشرى. ويختلف عدد

---

(١) قاضى القضاة عماد الدين أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد(إملاء): تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة.

(٢) السابق ص٥٣٦.

(٣) الخطيب الإسكافى: درة التنزيل وغرة التأويل، فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز برواية أبى الفرج الاردستانى، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

الآيات المتشابهة فى كل سورة طبقا لطولها وقصرها مع بعض الاستثناءات[1]. وهناك سور تخلو من الآيات المتشابهة مثل بعض السور القصار لأنه لا توجد مساحة تعبيرية للتكرار. كما أن وضوح المعنى وتركيزه وتوجيهه إلى الذهن والشعور والعمل لا يحتاج إلى شرح أو إسهاب أو تعددية نظرية[2]. كما يتم التخفيف. ويفسر القرآن بالقرآن أولا. القرآن يفسر بعضه. ثم يعتمد على الشعر ثانيا[3]. ويقل الحديث للغاية لدرجة الغياب المطلق. والسؤال هو: إذا كانت هذه مشاكل القدماء، حل المتشابهات وفهم التكرار، ورفع المتناقضات. فإن مشاكلنا فهم الواقع والدخول فى تناقضاته.

د- «مسائل منثورة فى التفسير والعربية والمعانى» لابن برى(٥٨٢هـ)[4]

وهى كما يدل العنوان مجرد مسائل منثورة تتضمن إجابات لغوية ونحوية. تدور كلها حول الإعراب والقراءات. تخلو من أى تحليلات نظرية فى المقدمة أو الخاتمة. ويتضح عدم بروز موضوع التفسير كموضوع مستقل داخل علوم القرآن نظرا لارتباطه بالقراءات والتدوين[5].

هـ- «ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل» لابن الزبير الغرناطى(٧٠٨هـ)[6]

---

(١) الأعراف(٢٩)، البقرة(٢٣)، الأنعام(١٩)، هود(١١)، العنكبوت(٩)، النحل(٨)، آل عمران، المائدة، براءة(٧)، الكهف، الأنبياء، فصلت(٦)، النساء، الحج، المؤمنون، الزمر(٥)، يونس، يوسف، الشعراء، الروم(٤)، السجدة، الصافات، الشورى، الزخرف، الفتح(٣)، الأنفال، الحجر، الإسراء، مريم، النور، الفرقان، النمل، القصص، سبأ، يس، ص، ق، الذاريات، الرحمن، الحشر، التغابن، المدثر، القيامة، النبأ، التكوير، المطففين، الانشقاق، البلد(٢)، الرعد، إبراهيم، لقمان، فاطر، الطور، القمر، الواقعة، المجادلة، الممتحنة، الصف، المنافقون، الطلاق، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الإنسان، المرسلات، النازعات، الشرح، العلق، التكاثر، الكافرون، الناس(١).

(٢) الأحزاب، الدخان، الأحقاف، محمد، الحجرات، الجمعة، التحريم، الجن، المزمل، عبس، الانفطار، الطارق إلى الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين.

(٣) الأشعار(١٣).

(٤) أربعة كتب فى علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ص١٣-٣١.

(٥) مسألة (٣٣)، سؤال(٦).

(٦) الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفى الغرناطى: ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل

بالرغم من أن التفسير هو الموضوع الآخر فى علوم القرآن فى الحوامل الذاتية بعد اللفظ والمعنى وأساليب البلاغة إلا أنه أصبح موضوعا مستقلا بعد ذلك فى التفاسير الطولية الكبرى التى تبدأ من الفاتحة حتى الناس. أما التفسير الجزئى لشرح الألفاظ فإنه أدخل فى علوم القرآن. ويتضح من العنوان التحول من التفسير إلى التأويل أى من ضبط المعنى عن طريق شرح الألفاظ إلى تعدد المعنى عن طريق التأويل. كما تتضح بداية الدخول فى المعارك الكلامية والدفاع عن العقيدة ضد الإلحاد والتعطيل وهو الاتهام الموجه إلى المعتزلة بإنكار الصفات. والسبب فى ذلك تشابه الألفاظ فى التنزيل. فالتفسير له جانبان: التأويل والتنزيل، الذات والموضوع.

وطريقة العرض السؤال والجواب، سورة سورة وبعض الآيات المختارة داخل كل سورة. تتضح فيها بداية الجدل. والاعتماد على الشعر النسق البلاغى الأول قبل القرآن.

و- «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزى الكلبى(٧٤١هـ)[1]

لم يعد «التنزيل» يعنى أسباب النزول بل «التفسير». وما زال موضوعا من علوم القرآن كما تكشف عن ذلك المقدمة. فالغرض جمع أكبر قدر ممكن من العلم فى أقل حجم، وذكر بعض النكت العجيبة فى الموضوع فى هذا الوقت المتأخر، القرن الثامن، المولع بالغرائب، وإيضاح المشكلات وبيان المجملات، والتحقق من أقوال المفسرين، الصحيح منها والسقيم[2]. وفى مقدمة ثانية يتم التعرض إلى علوم القرآن من جديد مما يدل على أن علوم التنزيل مازالت جزءا منها. فقد نزل القرآن على الرسول فى مكة والمدينة. وتضمن معانى وعلوما فى العقائد والتشريعات والقصص وعلوم القرآن ذاتها. ووقع خلاف بين المفسرين. والبعض الآخر لم يشأ أن يدلى فى القرآن برأيه. ويبرز الناسخ

---

فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل، وضع حواشيه عبد الغنى محمد على الفاسى(جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

(١) الشيخ الإمام العلامة المفسر أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزى الكلبى: التسهيل لعلوم التنزيل. ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم(جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) السابق ص٣-٥.

والمنسوخ باعتباره علما، وكذلك علم القراءة المشهورة والشاذة والوقف والابتداء، والفصاحة والبلاغة والبيان، وإعجاز القرآن وفضل القرآن، تعلما وتعليما[1]. ثم تأتى مقدمة ثانية فى تفسير معنى اللغات مرتبة طبقا للترتيب الأبجدى، أشبه بقاموس لشرح ألفاظ القرآن[2]. ثم يبدأ بعد ذلك تفسير التنزيل، سورة سورة، وآية آية اعتمادا على التفسيرات الكبرى السابقة.

## ٢- التفسير والتأويل:

التفسير هو البيان والكشف من السفر أى الضوء. هو كشف المغلق وإطلاق المحتبس، وفى الاصطلاح هو علم نزول الآية، سورتها وأقاصيصها، إشارتها وترتيبها، محكمها ومتشابهها، ناسخها ومنسوخها، خاصها وعامها، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر طبقا لمباحث الألفاظ . وقد يزداد الحلال والحرام، والوعد والوعيد، والأمر والنهى، والعبر والأمثال[3].

هل المعنى هو القصد والمراد أم الشيء؟ قد يجمع القصد بين الاثنين[4]. أعنى تعنى أقصد. وهو مشتق من الإظهار مثل عنوان الكتاب أو عنت القربة إذا أظهرت الماء، وعنت الأرض أى أنبتت. لذلك فسر البعض معانى القرآن[5].

وهناك ثلاثة دوافع وراء الحاجة إلى التفسير[6]. الأول كمال فضيلة المصنف فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز. والثانى إغفال بعض تتمات المسائل أو شروطها. ويحتاج الشارح لبيان المحذوف. والثالث احتمال اللفظ لمعانى مثل المجاز والإشراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه. والتفسير علم شريف من ثلاث جهات: الموضوع وهو الوحى كلام الله، والغاية والفرض أو شدة الحاجة[7].

---

(١) السابق ص٦-٢٠.

(٢) السابق ص٢١-٣٩.

(٣) البرهان جـ٢/ ١٤٨-٥٢.

(٤) السابق جـ٢/ ١٤٦.

(٥) مثل الزجاج فى «معانى القرآن» والواحدى والفراء وابن الانبارى. السابق جـ٢/ ١٤٦-١٤٧.

(٦) الإتقان جـ٤/ ١٧٠-١٧١.

(٧) السابق جـ٤/ ١٧١-١٧٣.

والتفسير أعم من التأويل. التفسير للألفاظ، والتأويل للمعانى، والرؤيا التفسير لكل النصوص. التأويل خاص بالكتب المقدسة. والتفسير لغريب الألفاظ . والتأويل قد يكون لمألوفها. التفسير للألفاظ ، والتأويل للمعانى. التفسير يتعلق بنطق الألفاظ، والتأويل بالمعانى، والفهم للأشياء بناء على مستويات اللغة الثلاثة: اللفظ والمعنى والشىء[1]. التفسير بيان لفظ له احتمال واحد، والتأويل لفظ له معان مختلفة طبقا للأدلة، صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية ومتفق مع الكتاب والسنة عن طريق الاستنباط. التفسير للظاهر، والتأويل للباطن. التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر. التفسير يتعلق بالدراية، والتأويل بالدارين. التفسير مقصور على الاتباع والسماع، والتأويل مقصور على الاستنباط والاجتهاد[2].

التأويل من «أول» أى الرجوع إلى المصدر الأول. وقد يعنى النقيض أى المآل والمصير والذهاب إلى الآخر. وقد يكون من الأيالة أى السياسة، سياسة الكلام وتوضيح معانيه[3]. والتأويل نوعان: منقاد ومستكره[4]. الأول ما لا تقع فيه بشاعة أو يحدث فيه استقباح. وقد يقع فيه خلاف بين الأئمة إما لاشتراك اللفظ أو لأمر راجع إلى النظم أو لغموض المعنى. والثانى هو البشع إما لتخصيص لفظ أو لتلفيق بين اثنين أو ما يحدث فيه من استعارة أو اشتقاق بعيد. ولا يوجد تأويل مخالف أو متفق مع الشرع محظور أو مباح، عالم أو جاهل بل التأويل مطابقة معنى النص مع تجربة ذاتية للفرد أو الجماعة. فالخلاف فى مدى اتساع التجربة الذاتية وصدقها فردية أو مشتركة، مصلحة خاصة أم مصالح عامة[5].

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٦٧-١٧٣، البرهان جـ٢/ ١٤٦-٢١٦.

(٢) من النقل إلى الإبداع مجـ١ النقل جـ٣ الشرح ص٩-٣٢، تأويل الظاهريات ص١٤٥-١٦٣.

(٣) البرهان جـ٢/ ١٤٨-١٤٩.

(٤) السابق جـ٢/ ١٧٨-١٨٠.

(٥) السابق جـ٢/ ١٥٢-١٥٣.

## ٣- الأدوات، والأسماء، والأفعال، والأزمان:

### أ- الأدوات:

والمفردات من الأدوات والبحث عن معانى الحروف مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها[١]. وهى أمور تفصيلية، حوالى مائة أداة فى حاجة إلى إعادة تصنيف وتجميع. مثال ذلك استعمال «على» و«فى»[٢].

و«معانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر» من حروف وأسماء وأفعال والظروف بين الألفاظ لأنها كذلك والمعانى لأنها تفيد معنى والتفسير لأنها تساعد المفسر على ضبط المعانى[٣]. وهى من أكبر الأنواع حجما مما يدل على أهميتها. وتدخل أيضا فى الأسلوب والنواحى البلاغية. ويذكر منها مائة وعشر أدوات وحروف وأسماء وأفعال وظروف. ويمكن توزيعها أيضا طبقا لحوامل اللغة، الزمان والمكان أو التعبير عن حالات الشعور أو منطق الحوار[٤]. ولا تحدد هذه المعانى المتعددة سلفا بمنطق اللفظ وحده بل فى الموقف النفسى والاجتماعى للقارئ والمفسر، طبقا للحالة النفسية ومستوى التعليم والثقافة. فهى معانٍ بعدية وليست قبلية، تجريبية وليست عقلية[٥]. ولا تهم التحليلات الجزئية للأدوات ورصد اختلافات علماء العصر كسيبويه والفراء والكسائى أو استعمالات المفسرين كالزمخشرى بل الدلالات العامة لها مع تعدديتها[٦].

### ب- الأسماء:

وقد يكون الاسم فى صيغة فعلية من «أن» والفعل ليذكر بأن الفعل أصل الاسم[٧].

---

(١) السابق جـ٤/ ١٧٥-٤٤٦. مثل (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين).

(٢) السابق ص١٧٥-١٧٧.

(٣) الإتقان جـ٢/ ١٤٠-٢٥٩.

(٤) السابق ص١٤٠-١٤١.

(٥) وهو ما يسمى فى العلوم الاجتماعية فى الغرب الحديث اللسانيات النفسية Psycho-Linguistics أو اللسانيات الاجتماعية Socio-Linguistics.

(٦) «ها قد أثبت على شرح معانى الأدوات الموقعة فى القرآن على وجه موجز مفيد محصّل للمقصود منه. ولم أبسطه لأن محل البسط والإطناب إنما هو تصانيفنا فى فن العربية وكتبنا النحوية. والمقصود فى جميع أنواع هذا الكتاب إنما هو ذكر القواعد والأصول، لا استيعاب الفروع والجزئيات»، الإتقان جـ٢/ ٢٥٩.

(٧) السابق جـ٢/ ١٧٠-١٧٣.

و«ذو» أو«ذوات» اسم بمعنى صاحب لوصف الذوات بأسماء الأجناس[1]. و«الذى» و«سواء» تعنى السوية والمساواة[2]. و«غير» اسم للإضافة والإبهام بين ضدين. وقد تفيد الاستثناء والبدل أو النفى[3]. و«كل» تفيد الاستغراق والإحاطة، نعتا أو توكيدا أو مضافة. وقد تتصل بها المصدرية للتكرار[4]. وهى مشتقة من لفظ «الإكليل» و«الكلالة» أى الإحاطة بالشىء. أو انضمام الذوات المفيد للاستغراق. ويلازم الأسماء ولا يدخل على الأفعال، لازم المعنى وليس للفظ. ويضاف إلى الجمع المعرف والجنس والنكرة المفردة. وتحصل لها ثلاثة أحوال: مؤكدة، ومبتدأ بها مضافة، ومقطوعة عن الإضافة. وتوضع لألفاظ التذكير إضافة إلى نكرة أو إلى معرفة أو تقطع عن الإضافة لفظا. وتتصل «ما» بكل فى «كلما». وهى مصدرية تفيد ظرف الزمان أى كل وقت. ويأتى «كل» صفة.

و«كلا» و«كلتا» يفيدان التثنية فى الجمع[5]. وبهما معنى الإحاطة. وتفيد ألف لام التعريف. وهو ما يفيد فى تحليل المضمون ودلالة الفكرة والمعرفة[6]. ويشمل التعريف الاستغراق. وتضاف إلى «إله» لتصبح «الله». وتكون نيابة عن الضمير فى التعريف.

وتدل بعض الأسماء على درجات التفضيل مثل «أحد». فهو أقوى من واحد. الأحد ينفى دون غيره فى حين أن الواحد لا ينفى غيره. هناك الواحد الرياضى والواحد الميتافيزيقى والواحد الطبيعى، «الأحد» هو المتفرد بالوحدانية. وهو الأول. له جمع وهو الآحاد فى حين أن الواحد ليس له جمع. ولا يدخل الأحد فى الضرب. ويستعمل فى النفى والإثبات. ويستعمل وصفا مطلقا لله[7]. وهناك أفعال لا تطلق إلا على الله

(١) السابق ص١٩٥-١٩٦، البرهان جـ٤/ ٢٧٧-٢٧٩.
(٢) الإتقان جـ٢/ ١٩٨-١٩٩.
(٣) السابق ص٢٠٨-٢٠٩.
(٤) السابق ص٢١٨-٢٢١، البرهان جـ٤/ ٣١٧-٣٢٥.
(٥) البرهان جـ٤/ ٣٢٦-٣٢٧.
(٦) الإتقان جـ٢/ ١٥٦-١٥٨.
(٧) الإتقان جـ٢/ ١٤٣-١٤٤.

مثل «تبارك»، «تعالى»[1]. و«ما شاء» اسم يعنى التنزيه[2]. و«سبحان» للتسبيح[3].

و«ما» على اثنى عشر وجها، ستة أسماء، وستة حروف[4]. الاسمية ضربان: معرفة ونكرة. والنكرة ضربان: الأول يلزم الصفة، والثانى لا يلزمه. وما يلزمه استفهامية وشرطية وتعجب. الأول أسماء خبرية وهى الموصولة، بها تذكير وتأنيث، وإفراد وتثنية وجمع. والثانية شرطية ولها صدر الكلام، وبعدها فعل. والثالثة استفهامية بمعنى أى شىء. والرابع تعجبية. والخامس نكرة يلزمها النعت. والسادس نكرة بغير صفة ولا صلة. والحرفية ستة. الأول نافية ولها صدر الكلام. والثانية مصدرية، وقتية نائب عن ظرف الزمان وغير وقتية تقدر مع الفعل. والثالث كافة للعامل عن عمله. والرابع المسلطة تجعل اللفظ متسلطا بالعمل والخامس مغيّرة للحرف عن حالة. والسادس مؤكد للفظ. ويسمى صلة أو زائد.

و«منْ» لا تكون إلا اسما فاعلة ومَفعولة، مبتدأ وهى أربعة أقسام: موصولة واستفهامية، وشرطية، ونكرة موصوفة[5]. «من» للعاقل، و«ما» لغير العاقل.

جـ- الأفعال:

جعل، فعل، لازم أو متعدٍ يفيد التكوين وتصيير الشىء على حالة دون حالة، والحكم على الشىء[6]. ويفيد «كان» الزمان الماضى والتوكيد والقدرة. وتأتى بمعنى «ينبغى». وقد تأتى زائدة[7]. وتعنى «كاد» قارب[8].

وقد تشير بعض الأدوات مثل «إذا» إلى زمن الفعل أو المفاجأة. وقد تشير إلى التحول من الاستقبال إلى الحال. وقد تكون شرطية تفيد اليقين والظن. وقد تفيد العموم. وقد

---

(١) السابق ص١٨٨.
(٢) السابق ص١٩١، البرهان جـ٤/ ٢٧١.
(٣) الإتقان ص١٩٩.
(٤) البرهان جـ٤/ ٣٩٨-٤١٠.
(٥) السابق جـ٤/ ٤١١-٤١٤.
(٦) الإتقان جـ٢/ ١٩٠-١٩١.
(٧) البرهان جـ٤/ ٣١١.
(٨) السابق ص٣١٢.

تكون زائدة طبقا للضرورة البلاغية[1]. و«هيت» اسم فعل بمعنى أسرع وبادر. وتقرأ أيضا «هيْتَ» و«هُيِّت»[2].

وتفيد «رب» الاحتمال، للتكثير تفخيما أو للتقليل تصغير أو للتسوية[3]. وتفيد «اللهم» النداء. وأصلها «يا الله» ثم حذفت يا النداء. والنداء أيضا بحرف النداء «يا»[4]. «هات» فعل أمر لا يتصرف[5]. و«هلم» دعاء إلى الشىء[6].

د- الأزمان:

وأدوات الزمن كثيرة وليس فقط «الناسخ والمنسوخ». إذ تشير إلى الماضى[7]. وقد تفيد التعليل والتوكيد والتحقيق. فالزمان ليس خاويا بل هو حامل لحالات النفس ومنطقها الذاتى فى أنماط اليقين، والموضوعى فى علاقات الوجود مثل التعليل والسببية. وتأتى مضافة إلى جملة[8].

وهى نوعان: ظرف زمان مفاجأة. وتجىء اسما وحرفا. وتجىء للحال. وتستعمل للاستمرار. والظرفية ضربان: ظرف محض، وظرف يفيد معنى الشرط. وقد تجىء لا ظرفا ولا شرطا. والظرفية للزمان الحاضر والماضى والمستقبل. وتجاب الشرطية بثلاثة أشياء: الفعل والفاء وإذا المكانية. وتوافق «إذا» «إنْ» فى بعض الأحكام. وقد تأتى للقدرة. وقد تأتى بعد «واذكر».

و«الآن» اسم للزمن الحاضر[9]. هو اسم للوقت الحاضر بالحقيقة[10]. وقد تستعمل

(1) الإتقان جـ2/ 147-152.
(2) السابق ص254-255.
(3) السابق جـ2/ 196-197.
(4) السابق جـ2/ 163-259.
(5) السابق ص253.
(6) السابق ص254.
(7) السابق جـ2/ 144-147، البرهان جـ4/ 190-208.
(8) البرهان جـ4/ 207-208.
(9) الإتقان ص161.
(10) السابق ص175.

فى غيره مجازا[1]. وتفيد «أنى» الاستفهام والشرط داخل الزمان بمعنى «متى» أو «أين»[2]. وتفيد «ثُم» الترتيب والتوالى وتفصيل المهلة مثل «الفاء» و«الواو»[3]. وتأتى مع التراخى فى الزمان. وفى العطف تكون للترتيب أى التراخى فى الرتبة. و«رويدا» اسم مصغر من «رود» وهو المَهل أى الزمان التدريجى[4].

و«السين» حرف يفيد المضارع والمستقبل. فلا حاضر بلا مستقبل، ولا مستقبل بلا حاضر ضد تهمة «الماضوية»[5]. ومنها «سوف»[6]. ويدل على التأخير والتنفيس. وزمانه أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسويف. و«قد» حرف مختص بالفعل. يعبر عن الماضى والمضارع. التحقيق مع الماضى. والتقليل مع المضارع، والتكثير، والتوقع. و«كاد» فعل ناقص يفيد الماضى والمضارع. ويعنى «قارب» أو «أراد»[7]. و«كان» فعل ناقص يدل على الماضى والانقطاع. وقد يفيد الأزل والأبد أو الحال والاستقبال أو التأكيد. و«لات» فعل ماض بمعنى نقص بصرف النظر عن أصلها «ليس» أو اللا النافية[8]. و«لا جرم» مركبة من لا النافية و«جرم» أى «كسب» أو «حق». تأتى بعدها إن واسمها وليس فعلا. ويفيدان معا «لابد»[9].

والزمان ليس فقط فى الأسماء وفى الأفعال بل أيضا فى الحروف. «لم» حرف جزم لنفى المضارع وقلبه ماضيا. و«لما» حرف جزم أيضا لنفى المضارع وقلبه ماضيا. وتدخل على الماضى. وقد تكون حرف استثناء. و«لما» المخففة من حرفين اللا وما النافية. و«لن» حرف نفى ونصب واستقبال. ونفى المظنون بلن والمشكوك بلا. وقد ترد للدعاء. و«ل» وحرف شرط فى الماضى يصرف فى المضارع. وترد شرطية فى المستقبل، ومصدرية،

---

(١) البرهان جـ٤/ ٢٤٧.
(٢) السابق ص٢٤٩-٢٥٠.
(٣) الإتقان ص١٨٩، البرهان جـ٤/ ٢٦٦-٢٧٠.
(٤) السابق ص١٩٦، البرهان جـ٤/ ٢٨٠.
(٥) الإتقان جـ٢/ ١٩٧-١٩٨، البرهان جـ٤/ ٢٨٠-٢٨١.
(٦) البرهان جـ٤/ ٢٨٢-٢٨٤.
(٧) السابق ص٢١٢-٢١٣، البرهان جـ٤/ ٣٠٥-٣٠٩.
(٨) السابق ص٢١٥-٢١٧.
(٩) السابق ص٢٣٠-٢٣١.

وللتمنى، وللتعليل[1]. و«متى» استفهام عن الزمان[2]. وتشير «هيهات» إلى بعد الزمان[3]. و«أيان» هى «أى» على وزن «فعلان» وتعنى «أى وقت».وقد يكون الأصل «أى أوان». وهى مثل «متى» مع مزيد من التعظيم فى حين أن متى أشهر. وتستعمل حين التفخيم[4]. وربما لا يأتى بعدها إلا الماضى[5].

وكما تدل ظروف الزمان على الزمان تدل ظروف المكان على المكان. وذلك مثل «بين» للتوسط بين شيئين[6]. و«ثَم» ظرف مكان يشير إلى المكان البعيد[7]. و«حيث» ظرف مكان[8]. و«دون» ظرف مكان تعني «أدنى»، ونقيض فوق. وقد تعنى «غير»[9]. وقد تكون اسما أو صفة. و«عند» ظرف مكان للحضور والقرب الحسيين أو المعنويين[10]. وقد تأتى مجرورة بمن. ويتلوها «لدى» و«لدن» و«وراء» و«أمام». و«هنا» اسم يشير إلى المكان القريب، و«هنالك» للمكان البعيد. وقد يشار به إلى الزمان توسعا. فالمكان والزمان قرينان[11]. و«فى» ظرف مكان. وقد يكون المكان معنويا. وقد يعنى «مع» و«عند» و«بعد» و«عن» و«من» و«إلى» و«على». و قد يأتى للتعليل. وقد تأتى للمقايسة والتوكيد. و«كأين» تعنى كم للتكثير، كناية عن العدد[12].

## ٤- الحروف العقلية:

### أ- السببية والشرط:

وتعنى الحروف العقلية الحروف التى تفيد السببية، والشرط، والغاية، والجر،

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٣٣-٢٣٩، البرهان جـ٤/ ٣٨٠-٣٨٨.
(٢) السابق ص٢٤٦.
(٣) السابق ص٢٥٥.
(٤) البرهان جـ٤/ ٢٥١.
(٥) السابق ص٢٨٠.
(٦) الإتقان جـ٢/ ١٨٧-١٨٨.
(٧) السابق ص١٩٠، البرهان جـ٤/ ٢٧٠.
(٨) الإتقان جـ١ ١٩٤-١٩٥، جـ٤/ ٢٧٤-٤٧٦، مثل (من دونه).
(٩) السابق ص٢٠٦-٢٠٧، البرهان جـ٤/ ٢٩٠-٢٩٢.
(١٠) الإتقان جـ٢ ص٢٥٤.
(١١) البرهان جـ٤/ ٣٠٢-٣٠٤.
(١٢) السابق ص٣١١-٣١٢ مثل ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾.

والتشبيه، والنفى، والتمنى، والاستثناء، والتأكيد، والاستفهام. وكلها أفعال عقلية وراء استعمال الحروف. فأفعال اللغة أفعال عقلية تتطلب التفكير والحكم.

تفيد «إذا» السببية والشرط، الفعل والجواب، المقدمة والنتيجة. وتُضاف النون فى التدوين العربى المعاصر. وتفيد الزمن الماضى. فالزمان حاو للشرط والسببية[1]. كما تفيد «إمّا» الشرط والتفصيل والتوكيد[2]. وتستلزم الشرط الفاء فى الجواب. وقد تكون فى الأصل مركبة من «أم» المتقطعة و«ما» الاستفهامية. و«إنْ» أيضا شرطية. وأحيانا تفيد التعليل[3]. وتكون بمنزلة لا. وتدخل على الجملة الاسمية وتكون مخففة من الثقيلة فتعمل فى اسمها. ويلزم حينئذ اللام. وتكون بمعنى «قد».

و«فاء» للعطف والربط والترتيب والتعقيب والاستئناف والسببية،[4]. وجزاء وزائدة. وتأتى للمهلة مثل «ثم» و«كى» للتعليل[5]. و«كيف» للشرط والاستفهام هو الغالب[6]. والنون للتأكيد، خفيفة لتأكيد الفعل مرتين أو شديدة لتأكيده ثلاثا.

ب- الغاية والنهاية:

و«إلى» حرف جر تفيد الغاية والنهاية فى الزمان أو لدى الشخص. وقد تكون مجازا حقيقة أو مشتركة بين الحقيقة والمجاز[7]. و«حتى» مثل «إلى»، تعنى التوجه نحو الغاية تدريجيا بعد ابتدائها. وقد تعنى التعليل أيضا مثل «كى»، والاستثناء مثل «إلا»[8].

جـ- حروف الجر:

ويعنى حرف الجر الإلصاق مثل «الباء»، والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٥٢-١٥٥، البرهان جـ٤/ ١٨٧-١٨٩.
(٢) السابق ص١٦٥-١٦٦، البرهان جـ٤/ ٢٤٢-٢٤٤.
(٣) السابق ص١٦٧-١٧٠، البرهان جـ٤/ ٢١٥-٢٢٢.
(٤) الإتقان ص٢٠٩-٢١١، البرهان جـ٤/ ٢٩٤-٣٠١.
(٥) السابق ص٢٢٣-٢٢٤.
(٦) السابق ص٤٣٠.
(٧) الإتقان جـ٢/ ١٦١-١٦٣، البرهان جـ٤/ ٣٣٢-٣٣٤.
(٨) السابق ص١٩٢-١٩٤، البرهان جـ٤/ ٢٧٢-٢٧٣.

والمجاوزة والتبغيض والغاية والمقابلة والتوكيد. وقد تأتى زائدة[1]. وقد تكون للتعدية مقام الهمزة. وقد تستعمل للاستعانة وللمصاحبة وللظرفية وللمجاوزة وللاستعلاء وللتبعيض. و«مع» تفيد الصحبة والاشتراك والاجتماع فى الزمان والمكان. و«على» حرف جر تعنى الاستعلاء الحسى أو المعنوى للمصاحبة والتعليل والظرفية والفوقية. و«عن» حرف جر آخر يفيد المجاوزة، والبدل، والاستعلاء، والتعليل، والفوقية مثل «على»، والجهة مثل «نحو» أو البعدية مثل «بعد»[2]. و«فى» حرف جر تفيد ظرف المكان أو الزمان. كما تفيد المصاحبة والتعليل والاستعلاء. وتفيد معانى حروف الجر الأخرى كالباء وإلىَ ومن ونحو. كما تعنى المقايسة والتوكيد[3]. والكاف حرف جر للتشبيه. وتدخل على «ذا» فى «ذاك» كاسم إشارة[4]. وللظرفية وللمجازاة وللاستعلاء وللتبعيض. و«مع» تفيد الصحبة والاشتراك والاجتماع فى الزمان والمكان. و«مع» للمصاحبة بين أمرين، ليس بينهما صحبة ولا اشتراك إلا فى حكم يجمعهما. والمعية تكون فى أفعال الجوارح أو فى الأفعال المعنوية[5]. و«مِنْ» حرف جر يفيد ابتداء الغاية مكانا وزمانا، والتبعيض والتبيين والتعليل وتخصيص العموم والتأكيد[6]. و«من» لا تكون إلا اسما، شرطية واستفهامية ونكرة موصوفة[7]. وتأتى لعدة معانى منها: ابتداء الغاية، والغاية ، والتبعيض، وبيان الجنس، والتعليل، والبدل، معنى «عن» و«الباء» و«فى» و«عند»، وبمعنى الفصل، والزائدة والملابسة.

د- التشبيه:

تفيد «كأن» التشبيه المؤكد، مثل الكاف. وقد تفيد الظن، ومثل «كأين» وهو اسم مركب من كاف التشبيه و«أى» للتكثير فى العدد، و«كذا» للإشارة[8]. و«كلا» مركبة من كاف التشبيه و«لا» النافية لتقوية المعنى للردع والزجر[9].

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٨٢-١٨٥، البرهان جـ٤/ ٢٥٢-٢٥٧ مثل (وامسحوا برءوسكم).
(٢) السابق ص٢٠١-٢٠٣، البرهان جـ٤/ ٢٨٤-٢٨٧.
(٣) السابق ص٢١١-٢١٢.
(٤) السابق ص٢١٤-٢١٥، البرهان جـ٤/ ٣١٠.
(٥) البرهان جـ٤/ ٤٢٧-٤٢٩.
(٦) الإتقان جـ٢/ ٢٤٧-٢٥٠، البرهان جـ٤/ ٤١٥-٤٢٦.
(٧) السابق ص٢٥٥-٢٥٨، البرهان جـ٤/ ٤٣٥-٤٤٢.
(٨) الإتقان جـ٢/ ٢١٧-٢١٨.
(٩) السابق ص٢٢١-٢٢٢.

هـ- النفى:

و«لا» النافية. وتكون للجنس. تعمل عمل«إنّ» أو«ليس». وتكون لطلب الشرك وهى الناهية. وقد تكون للتأكيد. وقد ترد اسما بمعنى غير. وقد تحذف ألفها[1]. و«لولا» حرف امتناع. يدخل على الجملة الاسمية. وجوابها مقرون بلام. وتكون بمعنى «هلا» للتخصيص والعرض وللتوبيخ والتنديم فى المضارع. وتكون للاستفهام والنفى[2]. ومثلها «لو ما» للتخصيص[3]. و«ليس» فعل لنفى الحال أو للنفى العام[4]. و«بلى» جواب على نفى قبلها، وجواب لاستفهام منفى للتصديق والإثبات. وقد تأتى بعد النفى المعنوى أو إجابة لسؤال مقدر. ولا يجوز الحذف أو الإثبات بعدها. و«لا» النافية على ستة أوجه. الأولى للنفى. وتدخل على الأسماء والأفعال. والداخلة على الأسماء عاملة وغير عاملة، تارة عمل «أن» وهى النافية للجنس، وتارة عمل ليس. وغير العاملة يُرفع الاسم بعدها ابتداء. وتارة تكون نكرة وتارة معرفة. والثانية للنهى الحاضر والغائب. وترد للدعاء. والثالثة جوابية أى رد الجواب. والرابعة بمعنى لم دخولا على الماضى. والخامسة عاطفة. والسادسة زائدة بعد العطف وأن المصدرية وقبل القسم، وأن تكون اسما[5]. و«لا جرم» مثل لا النافية. وجرم أى حق. وقد تكون زائدة. وتعنى «لابد»[6]. و«لات» مثل ليس[7].

و- الاستثناء:

وتفيد «إلا» الاستثناء[8]. وهو إحدى المبادئ اللغوية أيضا فى علم الأصول، وقد يكون متصلا أو متقطعا. ويدل على التفرد عن القاعدة. و يأتى بمعنى «بل» وحرف

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٢٧-٢٣٠، البرهان جـ٤/ ٣١١.
(٢) الإتقان جـ٢/ ٢٣٩-٢٤٢، البرهان جـ٤/ ٣٩٦-٣٩٧.
(٣) الإتقان جـ٢/ ٢٤-٢٤٧.
(٤) البرهان جـ٤/ ٢٦١-٢٦٥.
(٥) السابق جـ٤/ ٣٥١-٣٦١.
(٦) السابق ص٣٦٢-٣٦٣.
(٧) السابق ص٣٦٢.
(٨) الإتقان جـ٢/ ١٥٩-١٦١، البرهان جـ٤/ ٢٣٦-٢٤١.

العطف «واو» وبمعنى «غير» و«بدل»، وللحصر، ومن «أن» الشرطية. وتفيد «إما» أيضا الاختيار بين بديلين، الإبهام والتفصيل[1]. و«لكنّ» للاستدراك أو التوكيد[2]. و«لكنْ» تفيد الاستدراك أيضا أو تكون عاطفة إذا تلاها مفرد. و«غير» تعنى «لا». وتكون حالا. وتعنى «إلا» إذا كانت استثناء[3].

ز- اللام:

و«اللام» جارة وناصبة وجازمة ومهملة. الجارة تفيد الاستحقاق والاختصاص والملك والتعليل، والتبليغ، والصيرورة. والناصبة للتعليل. والجازمة للطلب أو التهديد. والجازمة فعل للغائب. والمهملة غير العاملة للابتداء فى المبتدأ والخبر، والجواب للقسم، والشرطية[4]. واللام قسمان: عاملة وغير عاملة. وغير العاملة تدل على عشرة معان: معّرفة، دالة على البعد، مخففة، موجبة، مؤكدة، متممة، موجهة، مسبوقة، مؤذنة، مواطئة. والمعرفة معها ألف الوصل. والدالة على البعد الداخلة على أسماء الإشارة. والمخففة التى يجوز معها تخفيف إنّ وهى لام الابتداء والمفارقة وتحقق الخبر مع المبتدأ. والموجبة بمعنى «إلا». والمؤكدة الزائدة أو الكلام فى المبتدأ أو مع إن فى الخبر. والمتممة لتتميم الكلام. والموجهة جواب «لولا». والمسبوقة جواب «لو». والمؤذنة الداخلة على أداة الشرط. والموطئة التى وطأت الجواب للقسم. والعاملة إما جارة أو ناصبة أو جازمة. والجارة تفيد المِلك المتبقى والتمليك، والاختصاص، والتخصيص، والاستحقاق والولاية والتعليل والتعدية، والتبيين، وبمعانى «إلى» و«بعد» و«على» و«فى» و«عن» و«إن». وتسمى لام التبليغ. والناصبة مثل لام «كى»، ولام العاقبة بالجازمة الموضوعة للطلب. وتسمى لام الأمر. وتدخل على المضارع. وشرطها أن يكون الفعل لغير المخاطب. وتسكن بعد الواو والفاء. وتعنى التكليف، والابتهال، والدعاء، والتهديد، والخبر. ويجوز حذفها ورفع الفعل.

---

(١) السابق ص١٦٦-١٦٧.

(٢) السابق ص٢٣١-٢٣٢، البرهان جـ٤/ ٣٨٩-٣٩١١.

(٣) البرهان جـ٤/ ٢٩٣.

(٤) السابق جـ٤/ ٣٣٤-٣٥٠.

حـ- الاختيار:

ويفيد «أم» الاختيار. وهو حرف عطف. يحتمل الاتصال والانقطاع[1]. و«أو» حرف عطف يفيد الشك والتردد بين حالتين، والإيهام على السامع، وإباحة عدم امتناع الجمع، والتفضيل بين الإجمال، والتقريب[2]. وتقع «أو» فى الخبر والطلب. وفى الخبر لها عدة معان: الشك والإيهام، والتنويع، والتفصيل، والإضراب، ومعنى الواو[3]. والطلب يعنى الإباحة والتخيير. و«إما» تفيد التكرار أو الشرطية مركبة من «أن» و«ما». وقد تلحق بها نون التوكيد. وقد تفيد التخيير.

والسؤال هو: هل تفيد كل هذه التحليلات للحروف العقلية فى التفسير؟ هل يتم فهم النص بهذا التطبيق الأولى لوظائف الحروف؟ هل تؤدى معرفة الجزء إلى اقتناص الكل؟ لا يكون التفسير إلا حدسيا إدراكا مباشرا لقصد الوحى وتوجهه وحركته فى الوعى وفى العالم. غلبت هذه التحليلات اللغوية لأن الثقافة القديمة كانت ثقافة لغة. أما الآن فمعظم الناطقين بالعربية لا يتحدثون الفصحى. وإن تحدثوها فكثير منهم يلحنون. إنها ثقافة العصر العلوم الإنسانية التى تساعد على فهم وضع الإنسان فى العالم[4].

## ٥- الحروف النفسية:

وتعنى الحروف النفسية الحروف التى تتضمن أفعال الشعور وليس أفعال العقل. تعبر عن بعض الانفعالات الإنسانية فى علاقتها بالآخرين وبالعالم. فاللغة موقف انفعالى كما هى موقف عقلى ،اتجاه سلوكى كما هى حكم منطقى. وأهم الانفعالات المذكورة فى علوم القرآن: الحض، والإبطال، والضجر، والتهديد والوعيد والذم والردع، والزجر، والندم والتعجب والتقبيح، والتمنى، والتصديق، والنداء، والاستخبار، والاستفهام.

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٦٣-١٦٥.

(٢) السابق ص١٧٥-١٧٨.

(٣) البرهان جـ٤/ ٢٠٩-٢١٤/ ٣٦٣-٣٧٥.

(٤) السابق جـ٢/ ٢٤٥-٢٤٦. مثل ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

ويمكن إضافة أخرى. فالوحى يصف انفعالات الناس بالرسالة والتبليغ، بين التصديق والتكذيب، اليأس الأمل، الخوف والرجاء إلى آخر ما وصف الصوفية فى المقامات والأحوال[1].

### أ- الحض:

تدل «ألاَ» بالفتح والتخفيف على الحض والعرض والدعوة إلى الفعل والاستفتاح. وقد تكون للاستفهام المنفى. ومثلها «ألاّ» بالفتح والتشديد مركبة من أن الناصبة و«لا» النافية.[2].

### ب- الإبطال:

يفيد حرف «بل» الإضراب والإبطال والتعارض بين ما قبلها وما بعدها[3]. الإضراب عن الأول والإثبات للثانى يتلوه جملة ومفردًا.

### جـ- الضجر:

وتدل «أف» على الضجر والكراهة. وأصلها اسم فعل مثل كف واترك أو اسم لفعل ماضى، كرهت وتضجرت. فالفعل فى الزمان أو مضارع بمعنى «أتضجر»[4].

### د- التهديد، والوعيد، والندم، والردع، الزجر:

وتفيد «أولى» التهديد والوعيد[5]. و«بئس» و«ساء» فعلان للذم[6]. و«كلا» حرف ردع وزجر[7]. وقد تعنى «حقا». و«نِعم» فعل للمدح[8].

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٥٨-١٥٩، البرهان جـ٤/ ٢٣٥-٢٣٦ مثل (ألاّ تعلوا علىّ).

(٢) من الفناء إلى البقاء جـ٢ الوعى الذاتى.

(٣) الإتقان جـ٢/ ١٨٥، البرهان جـ٤/ ٢٥٨-٢٦٠. مثل ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

(٤) الإتقان جـ٢/ ١٥٥-١٥٦، البرهان جـ٤/ ٢٤٨. مثل ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

(٥) الإتقان جـ٢/ ١٧٩.

(٦) السابق ص١٨٧-١٩٩.

(٧) السابق ص٢٥٢.

(٨) البرهان جـ٤/ ٣١٣-٣١٦.

هـ- الندم، والتعجب، والتقبيح:

«وى» «وكأن» للندم والتعجب. وأصلها «ويلك». و«ويل» للتقبيح[1].

و- التمنى:

و«لو» على خمسة أوجه: الامتناعية أو امتناعية شرطية، ومصدرية، وللتمنى[2]. و«لولا» مركبة من«لو» «ولا». وهى على أربعة أضرب: حرف امتناع لوجوب، والتحضيض، والاستفهام، والنفى. «ولو ما» مثل «لولا»[3]. «ولعل» للتوقع والترجى فى المحبوب، والإشفاق فى المكروه والتعليل والاستفهام[4]. «ليت» حرف ينصب الاسم، ويرفع الخبر، ويفيد التمنى[5]. وعسى يعبر عن التمنى «عسى». وهو فعل جامد أو حرف. فإن كان فعلا فهو ماضى اللفظ مستقبل المعنى لأنه إخبار عن طمع[6].

ز- النداء:

«يا» لنداء البعيد والقريب إذا كان ساهيا أو غافلا. فالخطاب نداء. والوحى توجه مباشر نحو المتلقى. والرسالة إيقاظ وتنبيه[7].

حـ- الاستخبار:

الاستخبار هو طلب الخبر بمعنى الاستفهام أى طلب الفهم. وفوائده السؤال وطلب المعرفة والبحث عن اليقين. والسؤال قبل الواجب كما هو الحال فى «أسباب النزول». وقد يستطع السائل أن يجيب بنفسه دون حاجة إلى مسئول. وهو قسمان: الخبر والإنشاء. الخبر نفى وإثبات. وفى حالة الإثبات يسمى استفهام تقرير، وفى النفى يسمى استفهام إنكار.

---

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٥٨-٢٥٩، البرهان جـ٤/ ٤٤٣-٤٤٤.
(٢) البرهان جـ٤/ ٣٦٣-٣٧٥.
(٣) السابق ص٣٧٦-٣٨٠.
(٤) الإتقان جـ٢/ ٢٣٢-٢٣٣، البرهان جـ٤/ ٣٩٢-٣٩٥.
(٥) السابق ص٢٤١.
(٦) الإتقان جـ٢/ ٢٠٣-٢٠٦، البرهان جـ٤/ ٢٨٨-٢٨٩.
(٧) البرهان جـ٤/ ٤٤٥-٤٤٦.

وقد يتضمن الإثبات الافتخار أو التوبيخ أو العقاب أو التبكيت أو التسوية أو التعظيم أو التهويل أو التسهيل والتخفيف أو التكثير أو الاسترشاد. وقد يكون الجحد بين الكلامين إخبارا[1]. وقد يكون هدف الإنكار تعريف المخاطب أن الادعاء ممتنع عليه وليس من قدرته.

ط- الاستفهام:

والخطاب سؤال وجواب، استفهام ورد. وتقوم الهمزة بهذا الدور. الاستفهام طلب الإلهام، والتصور والتصديق أى المعرفة بالحدود. كما تعبر عن هواجس النفس وخواطرها تسأل من الإثبات والنفى، وعن العاطف والمعطوف، وعن الشرط والمنادى. فالهمزة توحى بمعان عديدة، وتسمح بتعدد التأويلات، وليست معنى واحدا، يوحى باتجاه واحد. فلا يوجد سؤال له إجابة واحدة[2]. وتجمع «أى» بين الاستفهام والشرط[3]. «وأيان» اسم استفهام مثل «متى». تستعمل فى التفخيم، «وأين» استفهام عن المكان. «وبلى» جواب على استفهام بالإثبات عن طريق نفى النفى[4]. «وكم» للاستفهام. وتستعمل خبرية بمعنى كثير[5]. وهى نكرة لا تعرف، مبهمة فى العدد. وتعنى «أين» فى الأمكنة، «ومتى» فى الأزمنة، «وكيف» فى الأحوال، مفردة اللفظ وتعنى الجمع.

«وما» اسم موصول واستفهامية وشرطية وتعجبية، ونكرة موصوفة وغير موصوفة، ومصدرية، ونافية عاملة أو غير عاملة، وزائدة للتوكيد، «وماذا» استفهام وإشارة[6]. وهل حرف استفهام يطلب به التصديق لا التصور[7]. وتدخل الهمزة على «الواو» «والفاء» «وثم» «وهل». وتدخل على «رأيت». وتدخل على «لم». «وأم» حرف عطف واستفهام[8].

(١) البرهان جـ٢/ ٣٢٦-٣٥١.
(٢) الإتقان جـ٢/ ١٤١-١٤٣، البرهان جـ٤/ ١٧٨.
(٣) السابق ص١٨٠-١٨٢.
(٤) السابق ص١٨٦-١٨٧.
(٥) السابق ص٢٢٢-٢٢٣، البرهان جـ٤/ ٣٢٨-٣٢٩.
(٦) الإتقان جـ٢/ ٢٤٢-٢٤٦.
(٧) السابق ص٢٥٣.
(٨) البرهان جـ٤/ ١٧٨-١٨٦.

وقد يجمع الاستفهام الإنكار والتقرير[1]. واستفهام التقرير هو حمل المخاطب على الإقرار، وهو استفهام إنكار، وقد يأتى الاستفهام. بمعنى الإنشاء. وينقسم إلى طلب، ونهى، وتحذير، وتذكير، وتنبيه، وترغيب، وتمنٍ، ودعاء، وعرض، وتحضيض، واستبكاء، وإياس، وإيناس، وتهكم، واستهزاء، وتحقير وتعجب، واستبعاد، وتوبيخ[2].

واستفهام الإنكار لا يكون إلا على ماضٍ[3]. وحروف الاستفهام ثلاثة الهمزة، وهل، وأم. وغيرها أسماء استفهام مثل «من»، «متى»، «أين»، «أنى»، «كيف»، «كم»، «أيان». ولكل حرف خصائصه ووظيفته[4]. «وكيف» استفهام عن حال الشىء لا عن ذاته كما أن «ما» سؤال عن حقيقة، «ومن» عن مشخصاته. لذلك لا يستعمل فى السؤال عن «الله». ومنزلتها كالظرف. وقد تدل على ثلاثة أحوال: السؤال عن الحال، والحال دون السؤال، والتعجب. وقد يأتى للنفى والإنكار والتوبيخ، والتحذير، والتنبيه والاعتبار، وللتأكيد وتحقيق ما قبلها، وللتعظيم والتهويل. ونظرا لأنها تفيد الجحد شاع بعدها «ألا» وقد تجىء مصدرا وظرفا. وقد يثبت لها شرط. وقد يحذف الفعل بعدها[5]. «وهل» للاستفهام. وتأتى بمعنى «ما» «وألا» والأمر، والسؤال، والتمنى، وأدعوك[6]. وقد يعنى الاستفهام النفى[7]. وقد تكون الإجابة على السؤال لتخصيص الموضع أو النسبة.

ى- التصديق:

وتفيد «إى» تصديق المخبر ولإعلام المستخبر. وتقع بعد القسم أو الاستفهام[8]. «ونعم» حرف جواب، تصديق للمخبر، ووعد للطالب، وإعلام للمستخبر[9].

(١) السابق جـ٢/ ٣٤٤-٣٤٦.
(٢) مثل (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام).
(٣) السابق ص٣٤٦-٣٤٧.
(٤) السابق ص٣٤٧.
(٥) السابق جـ٤/ ٣٣٠-٣٣٣.
(٦) السابق ص٤٣٣-٤٣٤.
(٧) السابق جـ٤/ ٧٤-٧٧. مثل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا).
(٨) الإتقان جـ٢/ ١٨٠، البرهان جـ٤/ ٢٥١
(٩) الإتقان جـ٢/ ص٢٥٢.

والتصديق أحد حروف الانفعال مع الضجر والإبطال والحض والتهديد والوعيد والروع والزجر. وليس هو الفعل الأول كما هو حادث فى الحياة المعاصرة.

ك- التنوين:

وهو بالصوت لا بالخط. مجرد موسيقى للتأثير دون تمييز بين أفعال الشعور وحروف الانفعالات. فاللغة صوت. والصوت موسيقى. والموسيقى نغم. والنغم يؤثر فى النفس، وأفضل حامل للمعنى. لذلك تم الحديث عن موسيقى القرآن وموسيقى الشعر[1].

## ٦- الضمائر:

فى القرآن خمسة وعشرون ضميرا متصلا ومنفصلا[2]. ويرجع الضمير إلى مرجع يعود إليه. ويعود إلى أقرب مذكور. فالأصل أن يقدم ما يدل عليه الضمير. إذ يعود ضمير الغيبة إلى شىء سبق ذكره فى اللفظ بالمطابقة أو أن يعود على مذكور فى سياق الكلام، مؤخر فى الكلام مقدم فى النية أو أن يدل اللفظ على صاحب الضمير بالتضمين أو بالالتزام أو السياق[3].

والأصل توافق الضمائر حذرا من التشتيت. وجمع العلاقات لا يعود عليه الضمير إلا بصيغة الجمع[4]. ويدل بالجزء على الكل[5]. والضمير لا يعود إلا على مشاهد محسوس[6].

والعدول إلى الضمائر له أسبابه منها: الاختصار، والفخامة، والتحقير[7]. وضمير الشأن أو القصة هو ضمير المجهول. قد يعود إلى ما بعده ولا يكون مفسره إلا جملة.

---

(١) السابق ص٢٥١-٢٥٢.

(٢) الإتقان جـ٢/ ٢٨١-٣٢٣. وألف ابن الانبارى «الضمائر فى القرآن» فى مجلدين، السابق ص٢٨١. البرهان جـ٤/ ٢٤-٤٢.

(٣) البرهان جـ٤/ ٢٥-٢٩/ ٣٩-٤٠.

(٤) الإتقان ص٢٨٧.

(٥) البرهان جـ٤/ ٤٠-٤١ مثل ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

(٦) السابق ص٤٢ مثل ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

(٧) البرهان جـ٤/ ٢٤-٢٥.

ولا يتبع بتابع. ولا يعمل فيه إلا الابتداء أو النسخ، وهو ملازم للأفراد، ولا يُحمل كلية[1]. والفرق بينه وبين ضمير الفصل أن الفصل يكون على ضمير الغائب والمتكلم والمخاطب. فقد يأتى الضمير متصلا بشىء وهو كغيره[2]. وإذا اجتمع فى الضمائر مراعاة اللفظ أو المعنى يبدأ باللفظ ثم بالمعنى[3]. والضمير لا يكون إلا بعد الظاهر لفظا أو مرتبة أو لفظا ومرتبة. ولا يكون قبله إلا فى أبواب ضمير الشأن والقصة.

وقد يعود الضمير على شىء والمراد به جنسه[4]. وقد يذكر شيئان ويعود الضمير إلى أحدهما[5]. وقد يذكر شيئان ويعود الضمير إليهما جمعا لأن الاثنين جمع فى المعنى[6]. وقد يثنى الضمير ويعود إلى أحد المذكورين[7]. وإذا اجتمعت ضمائر فإن عودها لواحد أولى من عودها لمختلف[8]. وإذا عطف «أو» يُفرد الضمير[9]. وقد تسد مسد الضمير أمور منها: الإشارة، والألف واللام، والاسم الظاهر[10]. ويجوز حذف الضمير للعلم به[11].

و «أيا» ضمير[12] والضمير هو الشخص، المتكلم أو المخاطب أو الغائب. «ومهما» اسم يعود الضمير عليه للتأكيد. «النون» اسم ضمير النسوة لتفرد النساء. وهى غير نون التوكيد[13]. «والهاء» اسم ضمير الغائب. «وها» اسم فعل بمعنى «خذ»، واسم ضمير

---

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، البرهان جـ٤/ ٢٩-٣٠.
(٢) البرهان جـ٤/ ٣٣-٣٥ مثل ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾.
(٣) الإتقان جـ٢/ ٢٨٨-٢٨٩. مثل ﴿فَنِعِمَّا هِىَ ﴾.
(٤) البرهان جـ٤/ ٣٠ مثل ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾.
(٥) السابق ص٣٠-٣٢ مثل ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾.
(٦) السابق ص ٣٢ مثل ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾.
(٧) السابق ص٣٢ مثل ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾.
(٨) السابق ص٣٥-٣٨ مثل ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾.
(٩) السابق ص٤٠. مثل ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾.
(١٠) السابق جـ٤/ ٣٨-٣٩.
(١١) السابق ص٤١. مثل ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾.
(١٢) الإتقان جـ٢/ ١٨١.
(١٣) السابق ص٢٥٠.

للمؤنث، وحرف تنبيه للإشارة[1].

## ٧- قواعد التفسير:

ويحتاج المفسر إلى عدة قواعد مثل[2]:

### أ- قاعدة الضمائر:

فالضمير له مرجع يعود إليه يكون الأقرب إليه مع توافق الضمائر، والمطابقة لما قبله. وضمير المجهول هو ضمير الشأن والقصة، ولا يعود الضمير على جمع العاقلات. ويراعى اللفظ قبل المعنى، وليس المعنى قبل اللفظ.

### ب- قاعدة التذكير والتأنيث:

التأنيث نوعان: الأول حقيقى لا تحذف فيه تاء التأنيث إلا إذا وقع فيه فصل. والثانى غير حقيقى فالحذف فيه مع الفصل أحسن[3]. ومن قواعد التذكير والتأنيث، أن التأنيث ضربان: حقيقى لا تحذف تاؤه إلا إن وقع فصل، وغير الحقيقى الحذف فيه مع الفصل أفضل[4]. ويذكر المؤنث ويذكر المذكر مما يدل على أن الفصل بينهما فصل إجرائى. والتذكير أجود طبقا للثقافة الذكورية القديمة. وضابط التأنيث حقيقى وغير حقيقى. فالحقيقى لا يحذف. وغير الحقيقى يحذف[5].

### جـ- قاعدة التعريف والتنكير:

وأسباب التنكير إرادة الوحدة، وإرادة النوع، والتعظيم، والتكثير، والتحقير، والتقليل. وإذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال: أما أن يكونا معرفتين أو نكرتين أو

---

(١) السابق ص٢٥٢-٢٥٣، البرهان جـ٤/ ٤٣١-٤٣٢.
(٢) «فى قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها»، الإتقان جـ٢/ ٢٨١-٣٢٣.
(٣) السابق ص٢٨٩-٢٩١.
(٤) الإتقان جـ١/ ٢٨٩-٢٩١.
(٥) البرهان جـ٣/ ٣٥٩-٣٧١.

الأول نكرة والثانى معرفة أو العكس[1]. وفى القرآن تعريف وتنكير[2]. يدل التنكير على الأعلى والأولى. وللتعريف أيضا دلالته على الإضمار، والعلمية، والتعظيم، أو الإهانة، والإشارة، والتعريض، والتحقير، والتنبيه، والموصولية، والاختصار، والإضافة، ولقصد العموم. وقد يذكر الاسم مرتين، معرفتين أو نكرتين أو نكرة ومعرفة أو معرفة ونكرة[3]. وللتعريف أسباب منها الإشارة إلى معهود خارجى أو ذهنى أو الجنس أو الحقيقة.

**د- قاعدة الإفراد والجمع[4]:**

ومن ألفاظ الجمع مالا واحد له[5]. ومن ألفاظ المفرد ما لا جمع له. وتقتضى مقابلة الجمع بالجمع مقابلة الفرد بالفرد.

**هـ- قاعدة الألفاظ:**

يظن بها الترادف وليست منه مثل الخوف والخشية. الخشية أشد من الخوف. والشح والبخل والشح أشد. والبخل والضن، البخل بالشىء والضن بالعلم. والسبيل والطريق والأول أغلب. وجاء وأتى، الأول حسى والثانى معنوى. ومد وأمد، الأول فى المكروه والثانى فى المحبوب. وسقى وأسقى، الأول ما لا كلفة فيه، والثانى ما به كلفة. وعمل وفعل، الأول امتداد فى الزمان. والقعود والجلوس، الأول به لبث. والتمام والكمال، الأول لإزالة النقص فى الأصل، والثانى فى العوارض. والإعطاء والإيتاء، والإيتاء أقوى. والسنة والعام، السنة الحول الذى فيه الشدة والجدب، والعام ما فيه الرخاء والخصب[6].

---

(1) الإتقان جـ٢/ ٢٩١-٢٩٩.
(2) السابق ص٢٩١-٢٩٩، البرهان جـ٤/ ٨٧-٩٣.
(3) البرهان جـ٤/ ٩٣-١٠١.
(4) الإتقان جـ٢/ ٢٩٩-٣٠٦.
(5) مثل: المن، السلوى، الهدى، أبابيل.
(6) الإتقان جـ٢/ ٣٠٦-٣١٠.

و- قاعدة السؤال والجواب:

وهى مطابقة الجواب للسؤال وإلا فالإجابة بعيدة عن السؤال. توحى بكيفية وضع السؤال مثل السؤال عن النظر والجواب بالعمل، والزيادة فى الجواب. وقد يُعدل عن الجواب. وقد يعاد نفس السؤال. والأصل مشاكلة الجواب للسؤال فى الصياغة. والأسئلة القليلة أفضل من الكثيرة[1].

ز- الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل:

يدل الاسم على الثبوت والاستمرار، ويدل الفعل على التجدد والحدوث. والتجدد فى الماضى، وفى المضارع[2]. وقد يكون الخطاب بالاسم وقد يكون بالفعل[3]. يدل الاسم على الثبوت والاستقرار، ويدل الفعل على التجدد والحدوث. والتجدد فى الماضى يعنى الحصول، وفى المضارع التكرار. ومضمر الفعل كمظهره. قد يجىء الاسم والفعل على التبادل. والجملة الاسمية أثبت من الفعلية. ومضمر الفعل كمظهره فى إفادة الحدوْث[4].

حـ- قاعدة المصدر:

الواجبات تأتى بالمصدر مرفوعا[5]. وحرفها «أنْ» حرفا مصدريا ناصبا للفعل المضارع وتقع مبتدأ وفاعلا ومفعولا ومضافا إليه. وتقع بعد عسى. وقد تكون مخففة من الثقيلة فتقع بعد فعل اليقين، وتسمى ضمير الشأن. وتكون مفسرة بمعنى «أى» لتفسير ما قبلها بشرط تمام الجملة. وقد تكون زائدة بعد «لما» التوقيتية. وقد تكون شرطية، ونافية بمعنى لا. وقد تكون للتعليل، وبمعنى «إذ» مع الماضى.

---

(١) السابق ص٣١٠-٣١٦، انظر مقالنا: «فلسفة السؤال»، هموم الفكر والوطن جـ٢ الفكر العربى المعاصر ط١ ص٧-٢٩.
(٢) الإتقان جـ٢/ ٣١٦-٣١٩.
(٣) السابق ص٣١٦-٣١٩، البرهان جـ٤/ ٦-٧٢.
(٤) البرهان جـ٤ ص٣٧١.
(٥) الإتقان جـ٢ ص٣١٩، البرهان جـ٤/ ٢٢٣-٢٢٨.

ط- قاعدة العطف:

العطف عطف على اللفظ، وعطف المحل، وعطف التوهم. ولا يُعطف الخبر على الإنشاء أو الاسمية على الفعلية، أو معمولى عاملين أو الضمير المجرور من غير إعادة الجار[١]. «وأم» حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل مثل «أو». يتقدمها استفهام[٢]. الإتيان بالمصدر مرفوعا على سبيل الواجبات[٣].

## ٨- شروط المفسر:

يُفسر القرآن بالقرآن[٤]. فالتفسير للفهم كما هو الحال فى أى نص من العلوم الرياضية أو الطبيعية[٥]. ميزته الالتزام بالنص. وخطورته الوقوع فى التفسير الحرفى. وهو التفسير بالسياق الكلى أو تفسير الجزء بالكل. وعند القدماء هو التفسير بالمنقول وليس بالمعقول، بالرواية وليس بالدراية[٦]. التفسير مضطر إلى النقل وهو الأكثر. والثانى يعتمد على العقل وهو الأقل. وقد ترد تفاسير عن الصحابة بقراءة مخصوصة[٧]. فالمنقول اختيار. ولا يخلو من معقول. ولا يمكن فى تفسير المتشابه الاعتماد على المنقول وحده لأن اللفظ يتردد بين معنيين[٨]. وكيف يتم التفسير بالنقل وحده حتى نقل مباحث الألفاظ؟ لذلك يحدث رد الفعل على ضرورة التفسير بالرأى. وكيف يتم النقل عن المفسرين السابقين والمحدثون مثلهم، رأيا برأى واجتهادا باجتهاد؟[٩]. وقد يحتاج كل تفسير منقول إلى تفسير، وكل تفسير إلى تفسير إلى ما لا نهاية. ومن ثم لزمت العودة إلى التفسير بالرأى، التفسير بالمعقول، والتفسير بالواقع، والتفسير بالتجربة الذاتية.

---

(١) السابق ص٣١٩-٣٢٣.
(٢) البرهان جـ٤/ ١٨٠-١٨٦.
(٣) الإتقان جـ٢/ ٣١٩.
(٤) الإتقان جـ٤/ ١٧٤-٢٠١، البرهان جـ٢/ ١٧٥-١٧٦، وقد ألف فيها ابن الجوزى.
(٥) السابق ص١٧٤-١٧٦.
(٦) السابق ص١٩٢-١٩٣، وقد ألف السيوطى فى التفسير بالمنقول «ترجمان القرآن».
(٧) وألف فيه السيوطى «أسرار التنزيل»، السابق ص١٩٣-١٩٤.
(٨) السابق ص١٩٤.
(٩) البرهان جـ٢/ ١٧١-١٧٢/ ١٨٠.

ومآخذ أى مصادر أو مناهج للتفسير أربعة:

أ- النقل عن النبى مع خطورة تدخل الضعيف والموضوع خاصة فى المغازى والملاحم والتفسير.

ب- الأخذ بقول الصحابى المرفوع عن النبى. وهى رواية لا رأيا. به مخاطر النقل. وإذا كان منقولا عن التابعى تزداد هذه المخاطر. وقد يضاف إليهم التابعون إلى ما لا نهاية حتى طبقات المفسرين بالرغم من أخطار النقل.

جـ- الأخذ بمطلق اللغة. فالقرآن بلسان عربى. ويكون التفسير طبقا لألفاظ اللغة العربية.

د- التفسير بمقتضى معانى الكلام والمقتضب من قوة الشرع. وهو الذى دعا إليه الرسول بتفهيم الدين وتعليم التأويل. فالقرآن ذو وجوه يحمل على أحسنها[1]. وهو عود إلى المصدر الأول.

طبقا للمصدر الرابع يمكن التفسير بالاستنباط والاستدلال إذا تعددت معانى اللفظ مثل «الصراط» بين الحقيقة والمجاز، بين المعنى الحسى والمعنى العقلى. وميزته حرية الحركة من أجل المحافظة على المعانى الكلية للقرآن. فاللغة ليست فقط لفظا بل معنى. وأصل الوقوف على معانى القرآن التدبر والتفكر. وعيبه تعدد التفسيرات طبقا للمفسرين. وقد يسمح لبعض أصحاب الأهواء الخلط بين الرأى والهوى وهو تفسير المتكلمين، ليس المعتزلة وحدهم ولكن الفرق جميعا دفاعا عن عقائدها. وتضرب الأمثلة من تفسيرات فرق المعارضة وحدها وعلى رأسها المعتزلة التى مازالت باقية ضمن فرق أهل السنة[2]. والتفسير بالرأى قد يؤدى عند الفقهاء إلى خمسة مخاطر: الأول التفسير من غير حصول العلوم. وهو تفسير صورى فارغ. والثانى تفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله، وهو نفى للمعرفة الإنسانية وغلق لباب الفهم والاجتهاد. والثالث التفسير اعتمادا على المذهب أو الفرقة بحيث يكون هو الأصل والتفسير تابع، وبالتالى رد الأصل

(١) الإتقان جـ٤/ ١٨٠-١٨٥، البرهان جـ٢/ ١٥٦-١٦٤/ ١٧٢.

(٢) الإتقان جـ٤/ ١٧٦-١٨٠، البرهان جـ٢/ ١٨٠-١٨١.

إلى الفرع. والرابع القطع بأن هذا التفسير هو مراد الله دون دليل. والخامس التفسير بالهوى وليس بالرأى والاستحسان طبقا للمصالح العامة[1]. وهى ليست مخاطر بل هو واقع إنسانى، الحوامل الذاتية للوحى. ولماذا استبعاد التفسير بالرأى؟ لا يعنى الرأى الهوى أو وجهة النظر الخاصة بل التجربة البشرية العامة الفردية والجماعية والمطردة عبر الزمان[2]. والقرآن له وجوه عده طبقا لتعدد المواقف[3]. يحتاج إلى اختيار أحدها. وهو ما لا يتم إلا بالعقل والمصلحة أى الرأى. وهذا هو أحد معانى التشابه، ووظيفة الرأى تحويله إلى محكم.

وهناك عدة وسائل لإيضاح المعنى حين الإشكال مثل رد الكلمة إلى ضدها أو إلى نظيرها والتمييز بين الخبر والشرط أو صيغة كلامية أخرى، ودلالة السياق، والنقل عن المعنى الأصلى، ومعرفة أسباب النزول، والسلامة من التدافع[4]. وعلى المفسر أن يعرف قواعد أصول الفقه فيما يتعلق بمباحث الألفاظ[5]. فالرأى ليس مجرد هوى شخصى بل له منطق محكم. ويمنع من الوقوع فى غرائب التفسير، وهو التفسير البعيد الشيئى التاريخى الحرفى الخاص القائم على الأهواء[6].

ولا يمكن استبعاد تفسير الصوفية[7]. وهو التفسير الإرشادى أو الباطنى أى التأويل اعتمادا على فتاوى بعض الفقهاء. فهناك مستويات لفهم المعنى، الظاهر والباطن، طبقا

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٩١.

(٢) البرهان جـ٢/ ١٦١-١٦٤، وهو معنى قول الرسول «من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ»، «ومن قال فى القرآن برأيه فقد كفر».

(٣) وهناك أحاديث عن الرسول فى هذا المعنى مثل «القرآن ذو وجوه محتملة فاحملوه على أحسن وجوهه».

(٤) السابق جـ٢/ ١٩٩-٢٠٥.

(٥) السابق جـ٢/ ٦-٩.

(٦) وذلك مثل تفسير (حم عسق) إن الحاء حرب على ومعاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفيانية، والقاف قدوة المهدى. وتفسير (الم) أن ألف الله الذى بعث محمدا، واللام لامه الجاحدون وأنكروه، والميم المنكرون، وتفسر (القصاص) بأنه القصص، وتفسير (ليطمئن قلبى) أن إبراهيم كان له صديق وصفه له قلبه، وتفسير (ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أنه الحب والعشق، وتفسير (من شر غاسق إذا وقب) أنه الذكر إذا انتصب، وتفسير (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) الشجر الأخضر إبراهيم، والنار نور محمد، «وتوقدون» أى تقتبسون الدين، الإتقان جـ٤/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٧) الإتقان جـ٤/ ١٩٤-١٩٨، البرهان جـ٢/ ١٧٠-١٧١.

لدرجة المعرفة لدى المفسر[1]. وإرجاع الباطن إلى الظاهر هو إلغاء الباطن، عودا إلى الظاهر[2]. والعمل لا يعنى العود إلى الظاهر وإلا تحول القرآن إلى مجموعة من العبادات والشعائر والأحكام الصورية الشرعية مع أن الفقه أخلاق[3]. فالعمل أيضا نوعان، أعمال الجوارح وأعمال القلوب. الظاهر اللفظ عند الفقهاء، والباطن التأويل عند الصوفية. الظاهر التلاوة، والباطن الفهم. تتعدد وجوه النص مما يحتاج إلى تأويل[4]. يحتاج فهم القرآن إلى تثوير أى إلى فهم وتأويل[5]. والتثوير اليوم هو تحريك العقول والأذهان والنفوس والضمائر على التحرك وتغيير الوضع القائم إلى ما هو أفضل. وتفسير الصوفية مواجيد وكشوفات تتجاوز الألفاظ إلى الحدوس المباشرة، «عن قلبى عن ربى أنه قال». التفسير هو المطابقة بين النص وتجربة المفسر الذاتية[6]. وقد يستنبط الحكم من السكوت عن شىء. تكفى الإشارة بالمنطوق به إلى المسكوت عنه[7]. وينقسم القرآن إلى ما هو بين نفسه فلا يحتاج إلى تفسير. يكفى الإدراك المباشر وما ليس مبينا بنفسه فيحتاج إلى تفسير. فالتفسير خطوة ثانية وليست أولى. والأمثلة على ذلك كثيرة[8]. وما يحتاج إلى بيان قد يكون بيانه فى آية أخرى مضمرا فيها إما بحذف أو بإجمال. وقد يكون اللفظ مقتضيا لأمر ويحمل غيره. وقد يكون اللفظ محتملا لمعنيين فى موضع ويعين فى موضع آخر. وقد يكون له ظاهر وباطن[9].

والتفسير على أربعة وجوه: الأول وجه تعرفه العرب من كلامها. والثانى تفسير

---

(١) وذلك مثل ابن الصلاح والواحدى والنسفى والتفتازانى.

(٢) وهو معنى حديث «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع» أو «إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع»، أو «القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد»، الإتقان جـ٤/ ١٩٦.

(٣) من الفناء إلى البقاء جـ٢/ التصوف الذاتى.

(٤) قال بعض القدماء «لكل آية ستون ألف فهم»، الإتقان جـ٤/ ١٩٧، وروى ابن أبى حمزة عن على «لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت»، السابق ص٢٠٠-٢٠١».

(٥) قال عبد الله بن مسعود «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، السابق ص١٩٧.

(٦) البرهان جـ٢/ ١٧٦.

(٧) السابق جـ٢/ ١٨٢-١٨٣.

(٨) السابق جـ٢/ ١٨٣-١٩٦.

(٩) السابق ص١٩٦.

لا يُعذر أحد بجهالته. والثالث تفسير يعرفه العلماء. والرابع تفسير لا يعرفه إلا الله. وهو معنى حديث «أنزل الله القرآن على أربعة أحرف». الأول تعرفه العرب. والثانى الفرائض، الحلال والحرام. والثالث يعرفه العلماء. والرابع هو المتشابه. الأول تعرفه العرب من لسانهم، لفظا ومعنى. الثانى الشرائع والأحكام. والثالث اجتهاد العلماء وتأويلهم واستنباط المعانى وكل لفظ يحتمل معنين. والرابع علم الغيب مثل قيام الساعة وتفسير الروح والحروف فى أوائل السور والمتشابه حيث يتوقف المفسر فيها وهى الموضوعات المتعالية التى تخرج عن نطاق الحس[1]. وكل لفظ يحتمل معنين، موضوع الاجتهاد والعلماء. إما أن يكون أحدهما أظهر من الآخر، أو أن يكون الاثنان جليين سواء اختلف أصل الحقيقة فيهما أم لا، وإذا اختلفا يمكن اجتماعهما أم لا؟ والقول بالرأى على قسمين: تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له أو حمل اللفظ المحتمل على أحد معنيين[2].

ولا يوجد تكرار فى القرآن بل التعبير عن أوجه المعنى[3]. وهو أحد أسباب ضرورة التفسير الموضوعى للقرآن[4]. كما لا توجد ألفاظ مترادفة. فكل لفظ مترادف له أحد جوانب خصوصية المعنى.

يبدأ المفسر بعلوم اللغة، مباحث الألفاظ، ثم علاقة الألفاظ بالمعانى، وعلم التصريف وهو الصيغ الدالة على المعانى، وعلم الاشتقاق ورد الأصول إلى الفروع. ثم تأتى علوم التركيب مثل الإعراب، وأساليب البلاغة، وعلم البيان وما يتعلق بالحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه وعلم البديع وما يتعلق بالفصاحة اللفظية والمعنوية[5]. وعلى المفسر أن يتحرى مطابقة تفسيره للغة دون زيادة أو نقصان، والتفرقة بين الحقيقة والمجاز وباقى مباحث الألفاظ مع أساليب البيان وفنون البلاغة. وعليه أن يعرف كل الحوامل الموضوعية للوحى مثل المكان والزمان وأسباب النزول، والحوامل

(١) الإتقان جـ٤/ ١٨٨-١٩١، البرهان جـ٢/ ١٦٤-١٦٨.
(٢) البرهان جـ٢/ ١٦٨-١٦٩.
(٣) الإتقان جـ٤/ ١٩٩.
(4) Method of the thematic interpretation، Islam in the modern world، I،pp 484509-.
(٥) البرهان جـ٢/ ١٧٣-١٧٤.

الموضوعية الذاتية مثل الرواية، شفاها وتدوينا وقراءة، والحوامل الذاتية اللغوية مثل اللفظ والمعنى وفنون البلاغة ومناهج التفسير[1]. ومن أوجه الزيادة عندما يحكى المفسر عن الله ويقول «حكى الله تعالى» ويصنع تفسيره وكأنه هو المتحدث باسم الله وليس رأيه وتفسيره وفهمه[2].

ويحتاج المفسر إلى الفهم والتبحر فى العلوم[3]. وأولها علوم اللغة. فالعبادات للعموم وهى للسمع، والإشارات للخصوص وهى للعقل، واللطائف للأولياء وهى المشاهد، والحقائق للأنبياء وهى للاستسلام. ولكل علم ظاهر وباطن، حد ومطلع. الظاهر للتلاوة، والباطن للفهم. والحد لأحكام الحلال والحرام أى الفعل والسلوك. والمطلع أى الإشراق، الوعد والوعيد، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. ويكون على قدر الاستطاعة. وتثوير القرآن هو تحويله إلى تجربة ذاتية، ونقله من مستوى النص إلى مستوى التجربة[4]. وعند الصوفية العلوم لا حدود لها. فلكل آية ستون ألف فهم، ويحتوى القرآن على سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم. إذ لكل كلمة علم، ثم يتضاعف إلى أربعة. وهى ليست علوما داخلة فى الذات والصفات والأفعال بل هى علوم إنسانية خالصة، يسميها الصوفية علوم المكاشفات.

ويحتاج المفسر إلى عدة علوم مثل اللغة لشرح مفردات الألفاظ، والنحو لتغير المعنى بتغير الإعراب، والتصريف لمعرفة الأبنية والصيغ، والاشتقاق للفصل بين المعنيين المتضادين، والمعانى والبيان والبديع لمعرفة خواص تركيب الكلام من حيث إفادة المعنى ووضوحه وخفائه وتحسين وجوه الكلام وهى علوم البلاغة لمعرفة أوجه الإعجاز، وعلم القراءات لمعرفة كيفية النطق بالقرآن، وعلم أصول الدين للحفاظ على قواعد العقائد،وعلم أصول الفقه لمعرفة أوجه الاستدلال على الأحكام واستنباط عللها، وأسباب النزول والقصص لمعرفة صلة الآية بالواقع، والجواب بالسؤال، والناسخ

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٩٨-١٩٩، البران جـ٢/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) البرهان جـ٢/ ١٧٧-١٧٨.

(٣) البرهان جـ٢/ ١٥٣-٢٥٦.

(٤) وهو معنى قول ابن مسعود «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، السابق ص١٥٤.

والمنسوخ لمعرفة عامل الزمان وأثره فى تطور الأحكام، والفقه لمعرفة أحكام الشرع، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وأخيرا علم الموهبة الذى يورثه الله لمن عمل بما علم، وهو ما يركز عليه الصوفية[1]. وهى علوم تجمع بين العلوم النقلية العقلية كعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم التصوف دون علوم الحكمة، والعلوم النقلية الخالصة كالحديث والفقه دون علوم السيرة ودون العلوم العقلية الخالصة كالحساب أو الطبيعة الخالصة كالطب، والعلوم اللغوية التى تستحوذ على نصف العلوم[2]. لذلك لا يغرق المفسر فى علوم اللغة والفقه والعقائد حتى لا يرد التفسير إليها[3].

وقد تقسم علوم القرآن إلى ثلاثة علوم. الأول علم لم يُطلع الله عليه أحدا من خلقه واستأثر به. وهو خارج أقسام العلوم الإنسانية. فما فائدة علم لا يعرفه البشر؟ وهل الله يستأثر بعلم وهو يبلغ رسالته، ويرسل رسلا؟ الثانى ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختص به مثل أوائل السور. وهو أقرب إلى القسم الأول. وما فائدة علم لا يستأثر به الرسول ولا يبلغه للناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾. والثالث علوم علمها الله للنبى من المعانى الكلية والخفية لتعليمها وهو قسمان: الأول لا يجوز الكلام فيه إلا عن طريق السمع مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات والقصص وأمور المعاد. والثانى ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ، إما تأويل الآيات المتشابهة فى الصفات، وهو ما عليه خلاف، وإما استنباط الأحكام الشرعية قياسا أو بلاغة[4]. ولا يعنى احتواء القرآن علوم الأولين والآخرين احتواءه على العلوم الرياضية والطبيعية، فهذه علوم برهانية تجريبية، بل يعنى قدرته على إعطاء بعض الفروض العلمية للتحقق من صدقها بالبرهان الرياضى أو التجريبى. وقد يشعر العالم الرياضى أو الطبيعى عند قراءاته للقرآن بصدى بعض نتائج العلمين فيه. فيتفق الحدس والبرهان[5].

---

(١) هى خمسة عشر علما، الإتقان جـ٤/ ١٨٥-١٨٨.
(٢) وهى الثمانية علوم الأولى.
(٣) الإتقان جـ٤/ ٢٠٠.
(٤) السابق ص١٩١-١٩٢.
(٥) البرهان جـ٢/ ١٨١-١٨٢.

## ٩- طبقات المفسرين:

الرسول هو الطبقة الأولى[١]. والصحابة عشرة من الطبقة الثانية[٢]. وكل صحابى يعتبر نفسه هو العالم الأول. يجيب على كل سؤال. يعلم كل آية نزلت بليل أم بنهار، فى سهل أم فى جبل. وهى معلومات تاريخية لا أهمية لها فى التفسير المتجدد وبمصالح الناس المتغيرة. وآخر يقول أنه ما نزلت من آية إلا وعلم فيم نزلت وأين نزلت، وأن الله وهب له قلبا عقولا ولسانا مسئولا. وقال ثالث ما نزلت آية إلا وهو أعلم فيم نزلت وأين، وأنه لا يوجد أعلم منه وإلا كان قد ذهب إليه. وهو علم يقارب الغرور وإن لم يصل إلى حد الادعاء. ويتأكد ذلك بمباركة الرسول وأخباره وأحكامه وثنائه على صحابته. فهذا حبر هذه الأمة، حكم جبريل يكرره محمد. ويمتد نفس الثناء على التابعين. ويدخل معهم بعض الزهاد مثل الحسن البصرى. وهم نقلة عن الصحابة دون إبداع ذاتى من أنفسهم. وهنا تتحول علوم القرآن إلى علم التفسير قبل أن يستقل فى علم مستقل.

وفى الجزء الأخير من باب «طبقات المفسرين» وهو آخر باب فى «الإتقان» يظهر الرسول مفسرا أولا[٣]. وهو استعراض لما جمع من أقوال الرسول فى شرح بعض الآيات إجابة على أسئلة له من الصحابة على نحو طولى، من الفاتحة حتى الناس[٤]. لا يجمعها هدف واحد ولا رؤية واحدة، بمجرد معلومات إضافية لمزيد من المعرفة بالآية وبعض ألفاظها المجهولة. فما مصدر هذه المعلومات؟ هل هى الوحى عن طريق جبريل أو الوحى المباشر أو الحدس أو المعلومات التى استقاها الرسول من خلال رحلاته عن الأمكنة والأزمنة من اليهود والنصارى وأمثال العرب وقصصهم قبل الإسلام أم آراء

---

(١) الإتقان جـ٤/ ٢٠٤-٢٥٩.

(٢) هم الخلفاء الأربعة، ابن مسعود، ابن عباس، أُبى بن كعب، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعرى، عبد الله ابن الزبير، السابق ص٢٠٤.

(٣) الإتقان جـ٤/ ٢١٤-٢٥٩ «وإذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب فلنختمه بما ورد عن النبى من التفاسير المصرح بها برفعها إليه غير ما ورد من أسباب النزول لتستفاد فإنها من المهمات»، السابق ص٢١٤.

(٤) ومجموعها ست وسبعون سورة.

شخصية فى موضوعات لا أهمية لها تخطئ وتصيب. وهناك معلومات خاطئة مثل اعتبار سام أبا العرب، وحام أبا الحبش، ويافث أبا الروم، هذه الشعوب المعروفة وقتها. وماذا عن الشعوب الهندية والأوروبية والآسيوية والأمريكية اللاتينية؟ وأحيانا يكون رأيا يحتمل الرأى الآخر. وأحيانا يكون التفسير حقيقة والأقرب المجاز.

وكثير منها موضوعات متعالية لا يُسأل ولا يجاب عليها خاصة بأمور المعاد والخلق والعرش[1]. يسهل تدخل الخيال فيها وتحويلها إلى خرافات.

وكثير من الروايات ضعيفة أو غير مرفوعة أو غريبة. ويحتاج التفسير إلى ابن خلدون جديد يحول منهج الرواية السبب الرئيسى فى أخطار المؤرخين إلى منهج المشاهدة والعيان المباشر ثم إلى منهج تحليل الخبرات الإنسانية الرصيد الأول للتفسير كما هو الحال فى علوم الذوق عند الصوفية. فليست مهمة الحديث إعطاء معلومات نظرية ظنية بل توجيهات أخلاقية وتفصيلات عملية[2]. وبنية معظم هذه الأحاديث ضعيفة إذ يكون الرسول هو السائل والإجابة من آخر عن تصور نظرى يخشى من وضعه على لسان الرسول[3]. ويكون السائل أحيانا يهوديا كى يوقع الإسلام فى روح اليهودية وتاريخها كما فعل بولص مع الإنجيل وتعاليم المسيح عند ما هوّد المسيحية[4]. وتتكرر عبارة «إسناده ضعيف» عدة مرات[5].

والتفسير فى غالبية حدثى تاريخى شيئى، وهو ليس المقصود من التفسير الأخلاقى العملى. وهو ليس قصد الآية المتجهة إلى الدلالة وليس إلى الواقعة، إلى المعنى وليس إلى الحدث. فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى. وهو تقييد للمعنى، وعناية بالمثل دون المثول.

---

(١) مثل ضرتان وطارق والذيال وذى الكيعان وذى الفرع ووثاب وعمودان وقابس والضروح والمصبح والفيلق». الإتقان جـ٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) «وهذه التفاسير الطوال التى أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل»، الإتقان جـ٤/ ٢٠٧-٢٠٨ «فمقاتل فى نفسه ضعفوه»، «إن هذا الإسناد يروى به السدى أشياء فيها غرابة»، السابق ص٢٠٨.

(٣) وهو ما حدث فى الإنجيل أيضا عندما سأل المسيح بطرس «أتعرف من أنا؟ فأجاب: «أنت ابن الله الحى» حتى يخرج التثليث الموضوع على لسان غير لسان المسيح»، أنظر ظاهريات التأويل ص٢١٠-٢١٨.

(٤) الإتقان جـ٤/ ٢٢٩/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٥) «إسناده ضعيف» جـ٤/ ٢٤٠، «غريب جدا»، السابق ص٢٥١، «لا يصح رفعه»، السابق ص٢٥٧.

وصورة الرسول جديدة غير معروفة، الزهو بالنفس وتحديد المسجد الذى أُسس على التقوى بأنه مسجده وليس مسجد قباء، وتحول الرسول إلى شخصية مركزية محمدية كما حدث فى الإنجيل. وتحول محرروه من الأخلاق العلمية فى «المواعظ على الجبل» إلى شخص المسيح عند يوحنا وبولس[١].

ومعاضدة السنة للقرآن فى التفسير أحد العوامل الخارجية للتيقن من التفسير الداخلى الذى يعتمد على طبيعة النص ذاته وآليات التفسير[٢]. فكل حديث إنما هو تفسير لآية. القرآن أصل، والحديث فرع. والقرآن أصول كلية والحديث فروع جزئية. القرآن أصول نظرية، والحديث تطبيقات عملية. القرآن عام، والحديث خاص. القرآن شامل لكل العصور، والحديث فى بعض تطبيقاته العملية أول تحقق فى التاريخ، فى الزمان والمكان والمجتمع[٣]. الحديث وصف وتعيين وتصريح وبيان وتعريض وتفسير وتأويل وفهم وتصديق وتعبير وتحقيق وضرب أمثلة للقرآن.

وطبقة التابعين مجرد سرد لأسماء رجال دون وضع منهج أو وصف طريقة أو بيان مظاهر جديدة[٤]. يتلوهم الطبرى. وتفسيره أجل التفاسير مع أنه مجرد امتداد لمنهج المؤرخين، لا فرق بين تاريخ الطبرى وتفسير الطبرى فى المنهج والغاية والأسلوب[٥].

وتتعدد مناهج التاريخ عند القدماء مثل الإخبارى الذى ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها والإخبار عما سلف سواء كانت صحيحة أم باطلة مثل تفسير الثعالبى. وهو المنهج التاريخى، والفقيه يسرد الفقه من الطهارة حتى أمهات الأولاد مع أدلة الفروع والرد على المخالفين كتفسير القرطبى وهو المنهج الفقهى. والفيلسوف صاحب العلوم العقلية يملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة لدرجة البعد عن الآية مع التطويل فيها لدرجة الابتعاد عن التفسير مثل تفسير الرازى، وهو المنهج الفلسفى. والمبتدع يحرف

---

(١) ظاهريات التأويل ص١٦٠-١٧٤، ٢٥٠-٢٦٩.

(٢) البرهان جـ٢/ ١٢٩-١٤٥.

(٣) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص١٣٩-١٩٠، ويعطى السيوطى حوالى خمسين مثلا على ذلك.

(٤) الإتقان جـ٤/ ٢١٠-٢١٤.

(٥) السابق ص٢١٢-٢١٤.

الآيات ويطبقها على مذهبه كما فعل الزمخشرى فى «الكشاف» فى تطبيقه التفسير على منهج الاعتزال. والملحد يكفر ويُلحد فى آيات الله، ويقوّل الآية ما لم تقله وهو ما تفعله بعض فرق المتكلمين مثل الرافضة. وهو ما سيتحول إلى علم التفسير كعلم مستقل من العلوم النقلية الخمسة مع القرآن والحديث والسيرة والفقه[1].

(١) السابق ص٢١٢-٢١٣.

## الخاتمة

# من الأسطورة والخيال إلى السحر والخرافة

وصف القدماء فضائل القرآن بناء على الرواية. فتحولت إلى بركات وأحجبة تعلق فى الأعناق وعلى المنازل وفى العربات وتطبع على الحلى. وتحولت إلى تعاويذ وخرافات ووثنية صماء[1]. وقد تتحول الحروف إلى فضائل تحرس من الشر وتجلب الخير بأحاديث ضعيفة. فقراءة الحرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها[2].

وتعتمد كل الفضائل على روايات الأحاديث[3]. والقرآن لا يثبت بالحديث لأن الأدنى لا يثبت الأعلى. والمصدر الثانى لا يثبت المصدر الأول طبقا لترتيب القدماء للمصادر الشرعية الأربعة[4]. وهى روايات يغلب على متونها النقل بالمعنى والزيادة والنقصان مما يضعف صحتها التاريخية. والمقصود من هذه الأحاديث كلها وإن صحت العمل بمضمون القرآن وليس التبرك بالآيات المدونة على الورق والقطيفة والذهب والفضة والنحاس والمعادن والأحجار الكريمة والعاج. وقد وُضعت هذه الأحاديث

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٠٢-١١٧. وصنف فيها أبو بكر بن أبى شيبة، النسائى، أبو عبيد القاسم بن سلام، ابن الضريس، وقد صنف السيوطى كتابا مستقلا باسم «خمائل الزهر فى فضائل السور»، السابق ص١٠٢.

(٢) مثل أحاديث «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، «القرآن ألف حرف، فمن قرأه صابرا محتسبا كان له بكل حرف زوجة من الحور العين»، الإتقان جـ١/ ١٩٧-١٩٨.

(٣) وهى حوالى مائة حديث.

(٤) من النص إلى الواقع جـ٢، بنية النص ص ٩٩-٢٤٣.

لترغيب الناس فيها. القصد حسن ولكن النتيجة تحويل القرآن إلى خرافة وسحر وشعوذة. وقد جرت فى أوساط المتصوفة[1].

فضائل القرآن ليست فى المدونات الحسية المرئية بل فى الكلام النفسى المسموع أثره فى السلوك، وهى نظرة تجسيمية تشبيهية للوحى[2]. وأى قرآن مدون لا تأكله النار وكأنه يند عن قوانين الاحتراق؟ وهو فى الجوف يحفظ من المرض، ويحمى من مخاطر الطريق.

وقد انتشرت الظاهرة فى أوقات العجز وعدم القدرة على فعل شىء أو تحويل القرآن إلى دوافع للسلوك والحركة والفعل والمقاومة. وهى العصور المتأخرة فى العصر العثمانى. فالقرآن يظهر كمخلص من كل شىء، مطعم للجائع، ومروى للعاطش، وكاسى للعارى، ومَسكن لمن على قارعة الطريق، ومغنى للفقير، ومساعد للمحتاج. وما يطلب من الله غير المرئى، ويطلب من القرآن الملموس. وهو الحافظ من الفتن، والحامى من الغزو، والحافظ من المخاطر، والمانع من الأذى، والجالب للخير، والدارئ من الشر. وهو الشفيع يوم الحساب.

ثم تتحول خواص القرآن إلى وسائل للعلاج كما هو الحال فى الطب النبوى. فالشفاء بالعسل وبالقرآن. وخير الدواء القرآن، وإذا قرئ القرآن، سورة الأنعام أو آيتان من أخر سورة البقرة، عند المريض شفى أو خف. ودواء شكاية الصدر القرآن. وخاتمة الكتاب شفاء من كل شىء إلا الموت، وشفاء للسم. وتحمى من لدغ العقرب. ويكتب القرآن فى إناء ثم يغسل ويسقى به المريض يشفى. «وتبارك» هى المنجية من عذاب القبر[3]. تحول القرآن إلى رقيات[4]. ولا يرقى إلا بالمعوذتين. والتعوذ من الجن وعين الإنسان. وفيهما سر إلهى. والرقى بكتاب الله وبالفاتحة وبكلام الله وأسمائه. وهو نوع من

---

(١) «وضعتها لأرغب الناس فيها»، «لم يحدثن أحد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن»، الإتقان جـ٤/ ١١٨-١١٩.

(٢) «من قرأ القرآن فأكمله وعمل به...»، السابق ص١٠٤.

(٣) السابق ص١٣٧-١٤٤، صنف فيه التميمى والغزالى، ومن المتأخرين اليافعى اعتمادا على تجارب الصالحين.

(٤) السابق جـ٤/ ١٣٨-١٤٣.

الطب الروحانى إذا كانت الرقية على لسان الأبرار. ولما انقضى أتى الطب الجسمانى[1]. ويقرأ القرآن لقضاء الديون فى حالة العجز عن السداد وكما يظهر ذلك فى دعاء خطبة الجمعة «واقض الدين عن المدينين»[2]. ويقرأ لتسهيل الولادة. ويقرأ فى أذن الدابة إذا استصبت[3]. ويقرأ أمانًا من الغرق دعاء ذى النون وهو فى بطن الحوت. ويقرأ للحفاظ على نعمة الأهل والمال والولد. ويقرأ فى أذن المبتلى ليفيق. ويهون على الميت سكرة الموت. ويحنن القلب، ويقضى على قسوته لما فى القرآن من قدرة على التأثير فى النفس. ويبقى القلب فى فرح لما فيه من تفاؤل. ويدفع الفاقة. ويذهب الوسوسة. وبعض الآيات فيها شفاء من السحر. فالسحر يشفى السحر. وقراءة بعض الآيات أمان من السرقة.

وإذا كان التفضيل يعنى أن العمل بآية أولى من العمل بأخرى فهذا ليس تفضيلا بل منطقا للأولويات طبقا لعلوم البلوى. فالجهاد ضد الأعداء والدفاع من أراضى السلمين له الأولوية المطلقة كما كان يفعل المجاهدون، فريق يجاهد وفريق يصلى على التبادل. وموضوعات أصول الدين مثل الإلهيات والمعاد والنبوات والقضاء والقدر ليست بأولى من موضوعات علم أصول الفقه، ولا العقيدة أولى من الشريعة.

وإذا كانت العلوم أربعة، علم الأصول، أصول الدين، وعلم الفروع، وهى العبادات، وعلم ما يحصل به الكمال، علم الأخلاق أو التصوف، وعلم القصص والإخبار عن الأمم السابقة فلكل علم أهميته ووظيفته. فتصنيف العلوم لا يعنى أفضلية بعضها على بعض[4]. ولا يعنى التفضيل أن تكون بعض الموضوعات أولى من أخرى مثل ذات الله وصفاته وأفعاله وأسمائه. ولا يعنى التفضيل أن تكون بعض الموضوعات أولى من أخرى مثل ذات الله وصفاته وأفعاله وأسمائه أولى من موضوع الزواج والتجارة[5].

---

(١) «الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسمانى»، السابق ص١٤٣.

(٢) السابق ص١٣٩-١٤٢.

(٣) السابق ص١٤٠.

(٤) السابق ص١١٩-١٢١.

(٥) السابق ص١١٩.

أفضل القرآن وفضائله قضية إشكالية بين الإثبات والنفى[1]. فالكل من مصدر واحد. والمفضول يوهم بالنقص. ولا يعنى التفضيل فى الثواب، فالثواب واحد[2]. وهى نظرة تجارية فى تفاوت الأثمان، وأخذ أكبر قدر من المكسب بأقل قدر من الخسارة، وأكبر قدر ممكن من الربح بأقل قدر ممكن من المصاريف. ولا يوجد للقرآن قلب وأطراف، مركز ومحيط . فهذا تصور مركزى. القرآن كله قلب لا أطراف له، ومركز لا محيط حوله.

ويفصل فى فضل سورة سورة وآية آية وكأنه كله ليس من عند الله، وحى منزل، لا تفضيل فيه. ولماذا تكون سور أفضل من غيرها؟[3]. ولماذا تكون آيات فى سور أفضل من غيرها؟[4]. ولماذا تكون آيات أفضل من غيرها؟[5]. ولماذا تكون فواتح سور أو خواتيمها أفضل من وسطها؟[6]. وما مقياس الاختيار فى التفضيل لسورة على سورة أو آية على آية؟ولماذا آية (هو الأول والآخر، والظاهر والباطن) خير من ألف آية؟ ولماذا «التكاثر» تعادل قراءة ألف آية؟، ولماذا تعادل سورة أو آية كل القرآن أو نصفه أو ربعه؟ وهل القرآن كم أم كيف؟ لماذا تعدل الفاتحة ثلثى القرآن؟ ولماذا قراءة"الزلزلة" تعادل نصف القرآن، والإخلاص تعادل ثلث القرآن، وآية الكرسى ربع القرآن؟ والكافرون ربعه كذلك والنصر الربع الثالث وهى ثلاثة أرباع؟ وماذا يبقى للسور الأخرى إلا الربع الأخير قبل أن تعادله سورة أو آية أخرى؟ ولماذا قراءة"يس" تعادل قراءة القرآن كله عشر مرات؟

ولا تعنى مفردات القرآن مباحث الألفاظ بل خصائص الآيات أيها أعظم أو أجمع

(١) الإتقان جـ٤/ ١١٧-١٢٧، ينفى التفضيل الأشعرى والباقلانى وابن حيان ومالك ويحيى بن يحيى. ويثبته إسحق بن راهويه وأبو بكر بن العربى والغزالى والقرطبى وجماعة من المتكلمين، السابق ص١١٧.
(٢) السابق ص١١٩.
(٣) مثل سورة الفاتحة والسبع الطوال والمعوذتان.
(٤) مثل بعض آيات البقرة وآل عمران، الأنعام، هود، الكهف، ألم، السجدة، يس، الحواميم، الدخان، القصص، الرحمن، السبحات، تبارك، الأعلى، القيامة، الزلزلة، العاديات، الهاكم، الكافرون، النصر، الإخلاص.
(٥) مثل آية الكرسى.
(٦) مثل خواتيم البقرة، آخر آل عمران، آخر الإسراء.

أو أحزن أو أرجى أو أعدل أو تفويضا؟[1]. ولا تهم الإجابة بقدر ما يهم السؤال[2]. هل السؤال صحيح أم كل آيات القرآن توصل إلى نفس الغاية. وكلها آراء ذاتية تتوقف على إحساسات فردية مثل: أحب، أخير. وتختلف الإجابة من حال إلى حال، ومن فرد إلى فرد، ومن موقف إلى موقف. كما يعتمد السؤال على القدرات الفردية مثل أى الآيات أشد وأيها أرخص، ويعتمد سؤال أى الآيات أخوف على مدى الثقة بالنفس واليقين الذاتى[3].

وقد تتحول خصائص الآيات إلى أعاجيب ونوادر أى خصائص فريدة. فسورة واحدة بها المكى والمدنى، والحضرى والسفرى، والليلى والنهارى، والحربى والسلمى، والناسخ والمنسوخ. ومن الآيات الأشكل حكما ومعنى وإعرابا. وآية جمع أصول أحكام الشرعية كلها: الأمر والنهى والإباحة والخبر. وآية تجمع بين ذكر حاسد ومحسود، ومالك ومملوك، وشاهد ومشهود، وعاشق ومعشوق، وحبس وإطلاق، وسجن وخلاص، وخصب وحرب. وتوجد آية أعرب ما فى القرآن. وحرف جمع النصب والرفع والجر. جمعت السور بين الأطول مثل البقرة والأقصر مثل الكوثر. وأطول آية الدين، وأقصر آية القسم (والضحى)، (والفجر)، وأطول كلمة حروفا (فأسقيناكموه)[4]. وآيتان جمعت كل منهما حروف المعجم، ولا يوجد حاء بعد حاء إلا فى موضعين، ولا غين إلا فى موضع واحد ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كاف إلا آية الدين، ولا آيتان بهما ثلاثة وعشر وقفا إلا آيتا المواريث. ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا والعصر، ولا سورة إحدى وخمسون آية فيها اثنان وخمسون وقفا إلا سورة الرحمن، ولا آية أولها غين إلا ثلاثة. وبالقرآن أربع شدات متتالية. فهل هذه مصادفة أم قصدية؟

وقراءة سورة البقرة تطرد الشيطان، وكذلك قراءة أربع آيات من أولها وآية الكرسى وآيتين بعدها. وثلاثا من آخرها تذهب العفاريت والجن. وقراءة آية الكرسى تحفظ

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٢٨-١٣٦.
(٢) اختلف فى أرجى آية فى القرآن إلى أحد عشر قولا، السابق ص١٢٩-١٣٢.
(٣) السابق ص١٣٢-١٣٤.
(٤) الإتقان جـ٤/ ١٣٤-١٣٦.

الإنسان وذريته. تحفظ داره، وتعين على الكرب. ومن قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن، أربع من أولها وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث من آخرها. ومن أدام على قراءة «يس» كل ليلة ثم مات مات شهيدا[1]. والسكوت أفضل من التفضيل بين السور والآيات. فعدم الدخول فى مشكلة زائفة أفضل من اقتراح حلول لها[2].

ويمكن تأويل كل سورة بحيث تكون شاملة لكل شىء وهو من دلائل الإعجاز. فإذا كانت مقاصد القرآن ستة، ثلاثة مهمة وثلاثة متمة ووجود ذلك كله فى "الفاتحة"، تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم، وتعريف الحال عند الرجوع إليه وهو الآخرة، وتعريف أحوال المطيعين المنعم عليهم، وتعريف أقوال الجاحدين المغضوب عليهم وتعريف منازل الطريق بالعبادة والاستعانة فإن ذلك لا يعنى تفضيل سورة على أخرى. ويمكن قول نفس الشىء فى سورة «الإخلاص» و«آية الكرسى». وإذا كان القرآن قسمان: خبر وإنشاء، والخبر قسمان: خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق، ووجودهما فى سورة الإخلاص فإن ذلك لا يجعلها أفضل من غيرها. فكل سورة شاملة ومركزة لا فضل لأحدهما على الأخرى[3].

بل إن التفضيل لا يكون بين مراحل الوحى المختلفة، التوراة والإنجيل والقرآن، وأن القرآن هو الأفضل. فلكل وحى فضله بالنسبة إلى مرحلته التاريخية[4]. الكل وحى لا تمييز بين مراحله. وإذا كانت علوم الأولين والآخرين فى الكتب السماوية الأربعة فإنها كلها فى القرآن فى الفاتحة، وكل الفاتحة فى البسملة، وكل البسملة فى الباء، وكل الباء فى نقطتها، فهذا تصور صوفى يقوم على الدوائر المتداخلة تضيق نحو المركز أو تتسع نحو المحيط[5].

ولماذا يفضل القرآن على سائر الكلام وفنونه مثل الشعر والنثر قديما، والرواية

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٣٨.

(٢) هذا هو موقف القاضى عبد البر، السابق ص١٢٥-١٢٦.

(٣) هذا هو رأى الغزالى، الإتقان جـ٤/ ١٢١-١٢٥.

(٤) السابق ص١١٧.

(٥) وهو تصور ابن عربى، السابق ص١٢٧.

والقصة والمسرحية حديثا؟ أليس «إن من البيان لسحرا؟» وكل فنون الكلام بيان. وإعجاز القرآن نفسه خاضع لأساليب البلاغة.

وقد جمعت إحدى المؤسسات الدينية فضائل القرآن فى «الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم» لتأكيد هذه الوظيفة المتأخرة للقرآن فى إحداث الوقائع، شفاء المرضى، وجلب الرزق، والانتصار على العدو، والتوفيق فى الحياة كما هو الحال فى الممارسات الشعبية للأحجبة والتعاويذ المكتوب عليها بعض الآيات للحماية من الحسد والوقاية من الضرر. ويستمر ذلك سورة سورة، وآية آية. وتشمل السنن القولية والفعلية لبيان جانب الممارسة فى حياة الرسول. وتقوم المؤسسة بدور المؤلف. ورئيسها الأمير المؤمن الذى يتبرك بالقرآن فى الحياة العامة وأمام الناس تقبيلا ورفعا إلى الجبهة، تعظيما وإعلاء. والإمارة منصب سياسى فى حاجة إلى تبرير دينى[1]. ويقدمها بعض المداحين من الأمراء وفقهاء السلطان[2]. وفى مقدمة الكتاب آداب وتلاوة القرآن الباطنة مختصرة من «الإحياء» للغزالى وحكم ثابتة للحافظ السيوطى فى فضائل السور مع شرح مصطلحات الحديث وثبت بالكتب المصنفة فى فضائل القرآن وآياته على العموم ثم ذكر هذه الفضائل سورة سورة، وآية آية[3].

الجمع للأدلة النقلية وحدها والأحاديث وحدها دون القرآن دون أى تحليل عقلى، تمتلئ بها مقدمات المداحين والكلمات المأثورة مقرونة بالدعاوى الدينية كما هو الحال فى ممارسات العامة وأقوال الدجالين فى تحضير الأرواح والإبراء من الأمراض وإنجاب العاقرات لا يعتمد إلا على القدماء بما لديهم من هالات التقديس. والأحاديث مطبوعة بالمداد الأحمر لمزيد من التقديس والإبراز والإبهار. وهى بقايا وثنية فى شبه الجزيرة العربية نقدها محمد بن عبد الوهاب فى رفضه لكل مظاهر التبرك والتوسط. وفى آخر الكتاب ثبت المراجع والمصادر التى تم منها الجمع.

---

(١) مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامى: الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم، (الأحاديث التى وردت فى فضائل السور والآيات)، عمان ط ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٢) تمهيد لصاحب السمو الأمير غازى بن محمد بن طلال، وتقريظ وتقديم للداعية الكير السيد على الجعفرى، السابق ص٧-١٣.

(٣) السابق ص١٥-٢٥.

تكثر المصنفات فى فضائل القرآن كلما اشتد العجز وقل الفهم وندر العلم مثل فضائل الأماكن، مثل القدس أو الأمصار مثل مصر كلما كانت فى أزمة. تشارك تقريبا فى نفس العنوان. ودون ترتيب زمانى[1]. النص سلطة مثل سلطة الأمير، وسلطة القدماء، وسلطة الرسول، وسلطة الحديث دون نقد للسند أو للمتن ودون اعتماد على القرآن أو الشعر. كتابته بالمداد الأحمر، وإبرازه سلطة. لا هدف إلا الطاعة لقريش أو الجيش. وعدم اختلاف الروايات سلطة. بل إن سلطة القرآن من سلطة الحديث. وكلاهما من سلطة الأمير. ويخلو الجمع من فهارس تحليلية من أى نوع لأن الهدف ليس البحث العلمى.

إن علوم القرآن بالرغم من أهميتها، بيان الحوامل الموضوعية للمحمول وهو الوحى فى التاريخ، المكان والبيئة الاجتماعية والزمان، وإظهار الحوامل الموضوعية الذاتية. وهو الرواية، الخبر والقراءة والتدوين، والكشف عن الحوامل الذاتية وهى اللغة، اللفظ والمعنى، وأساليب البلاغة والتفسير إلا أنها لا تعفى من أن الهدف من الوحى هو العمل (وقل أعملوا)، (يا قوم أعملوا على مكانتكم إنى عامل). فالوحى محمول. تدرس علوم القرآن حوامله، ولكنه يصب فى النهاية فى السلوك البشرى والأوضاع الاجتماعية والسياسية، ويدفع حركة التاريخ[2].

---

(١) الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم ص٢٣-٢٨.

(٢) النظر والعمل، حوار مع أبى يعرب المرزوقى، دار فكر، دمشق ٢٠٠٣.

# المصادر والمراجع


١. قتادة(١١٧هـ): الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله تعالى، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢. الزهرى(١٢٤هـ):الناسخ والمنسوخ المصُفى بأكف أهل الرسوخ، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣. أبى عمرو البصرى(١٥٤هـ) (الإمام زبَّان بن العلاء بن عمار ):الإدغام الكبير، تحقيق أنس بن محمد حسن مهدة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٤. الكسائى(١٨٩هـ)(على بن حمزة):معانى القرآن، أعاد بناءه وقدم له د.عيسى شحاته عيسى، در قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

٥. الأخفش الأوسط (٢١٥هـ)(أبى الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى البلخى البصرى):معانى القرآن، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٦. ابن سلام(٢٢٤هـ)(أبى عبد القاسم):الناسخ والمنسوخ فى الكتاب والسنة، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٧. الدينورى(٢٧٦هـ)(أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة):تأويل مُشكل القرآن، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٨. ابن قتيبة(٢٧٦هـ)(الإمام أبى محمد عبد الله بن مسلم):تأويل مشكلة القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٩. المبّرد(٢٨٥هـ)(الإمام العلامة أبى العباس محمد بن يزيد):ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن العظيم، علّق عليها أحمد فريد المزيدى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٠. السجستانى(٣٣٠هـ)(أبى بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث):كتاب المصاحف، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١١. ......: غريب القرآن على حروف المعجم، دراسة وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٣م.

١٢. النحاس(٣٣٨هـ)(أبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل):القطع والائتناف أو الوقف والابتداء، تحقيق أحمد فريد المزيدى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٣. ابن خالويه (٣٧٠هـ) (أبى عبد الله الحسين بن أحمد):الحجة فى القراءات السبع، تحقيق أحمد فريد المزيدى، قدم له د.فتحى حجازى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧.

١٤. عبد الغفار الفارسى(٣٧٧هـ)(أبى على الحسن بن أحمد):الحُجة للقراء السبعة، وضع حواشيه وعلّق عليه كامل مصطفى الهنداوى، فى أربعة مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٥. الأصبهانى(٣٨١هـ)(الإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن مهران):الغاية فى القراءات العشر، علّق عليها أحمد فريد المزيدى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٦. .....: المبسوط فى القراءات العشر، تحقيق وتعليق جمال الدين محمد شرف، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٧. ابن جنى(٣٩٢هـ)(أبى الفتح عثمان):المُحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، فى مجلدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٨. ابن غَليون(٣٩٩هـ)(الشيخ أبى الحسن طاهر بن عبد المنعم):التَذكرة فى القراءات، حققه وراجعه وعلّق عليه د.سعيد صالح زعيمة، طبعة كاملة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٩. الباقلانى(٤٠٣هـ)(الإمام القاضى أبى بكر محمد بن الطيب):إعجاز القرآن، شرح وتعلق محمد عبد المنعم خفاجى، الطبعة الأولى، مكتبة صبيح، مصر، ١٣٧٠هـ- ١٩٥١م.

٢٠. ابن سلامة(٤١٠هـ)(أبى القاسم هبة الله):الناسخ والمنسوخ، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى الحلبى، مصر، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٢١. ابن أحمد (٤١٥هـ)(إملاء قاضى القضاة عماد الدين أبى الحسن عبد الجبار): تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت، (د. ت).

٢٢. الإسكافى (٤٢٠هـ)(الخطيب):درَّة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، برواية ابن أبى الفرج الأردستانى، طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ متعددة، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٢٣. القرطبى(٤٣٧هـ)(الإمام أبى محمد مكى بن أبى طالب حموش بن محمد

ابن مختار القيسى القيروانى):التبصرة فى القراءات السبع، اعتنى بتصحيحه ومراجعته جمال الدين محمد شرف، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، (د. ت).

٢٤. المالكى(٤٣٨هـ)(أبى على الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى):الروضة فى القراءات الإحدى عشرة، دراسة وتحقيق د.مصطفى عدنان محمد سلمان، فى جزأين، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٢٥. المهدوىّ(٤٤٠هـ):بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٦. الدانى(٤٤٤هـ)(الإمام الحافظ أبى عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان)، جامع البيان فى القراءات السبع المشهورة، تحقيق الحافظ المقرئ محمد صدوق الجزائرى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٧. ......: المُحكم فى نقط المصاحف، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٢٨. ......: التيسير فى القراءات السبع، عنى بتصحيحه أوتو يرتزل، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٩. ......: مُفرَدَة نافع بن عبد الرحمن المدنى، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٣٠. ......: مُفرَدَة عبد الله بن كثير المكى، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٣١. ......: مُفرَدَة أبى عمرو بن العلاء البصرى، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٣٢. عبد الوهاب القرطبى(٤٦١هـ)(الشيخ أبى القاسم عبد الوهاب):المفتاح فى القراءات السبع، تحقيق أحمد فريد المزيدى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣٣. النيسابورى(٤٦٨هـ)(أبى الحسن على بن أحمد الواحدى):أسباب النزول، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى الحلبى، مصر، ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

٣٤. الجرجانى(٤٧١هـ)(الإمام عبد القاهر):دلائل الإعجاز فى علم المعانى، صحح أصله علامتنا الشيخ محمد عبده، والأستاذ الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٣٨١هـ- ١٩٦١هـ.

٣٥. ......: أسرار البلاغة فى علم البيان، صححه على نسخة الأستاذ محمد عبده ووضع حواشيه السيد محمد رشيد رضا، الطبعة السادسة، مطبعة صبيح، ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

٣٦. الرعينى الأندلسى(٤٧٦هـ)(أبى عبد الله محمد بن شريح):الكافى فى القراءات السبع، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣٧. ......: الكافى فى القراءات السبع، تحقيق جمال الدين محمد شرف، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٤م.

٣٨. الدامغانى(٤٧٨هـ)(الإمام الشيخ أبى عبد الله الحسين بن محمد):الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تقديم وتحقيق عربى عبد الحميد على، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣.

٣٩. بن سوار(٤٩٦هـ)(الإمام أبى طاهر):المستنير فى القراءات العشر، اعتنى به وعلّق عليه جمال الدين محمد شرف، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٢م.

٤٠. الأصفهانى(٥٠٣هـ)(العلامة أبى القاسم الحسين بن محمد بن المفضل):مُعجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبط وتحقيق وتصحيح إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٤١. الواسطى القلانسى(٥٢١هـ)(الإمام الحافظ أبى العز محمد بن حسين بن بندار):إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى فى القراءات العشر، تحقيق د.عثمان محمود غزال، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤٢. ابن خلف الأنصارى(٥٤٠هـ)(الإمام أبى جعفر أحمد بن على بن أحمد):الإقناع فى القراءات السبع، حققه وعلّق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدى، قدم له وقرظه د.فتحى عبد الرحمن حجازى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٤٣. المالكى(٥٤٣هـ)(القاضى أبى بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربى المعافرى):الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦.

٤٤. ابن الطحان الأشبيلى(٥٦١هـ)(الإمام الشيخ أبى الأصبغ عبد العزيز بن على):المقدمة فى أصول القراءات، علّق عليها أحمد فريد المزيدى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤٥. السهيلى(٥٨١هـ)(عبد الرحمن):التعريف والإعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام، دراسة وتحقيق عبد الله محمد على النقراط، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، طرابلس، ١٤٠١هـ- ١٩٩٢م.

٤٦. ابن برِّى(٥٨٢هـ):مسائل منثورة فى التفسير والعربية والمعانى، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٤٧. الشاطبى(٥٩٠هـ)(أبى محمد القاسم بن فيرة بن أبى القاسم):حرز الأمانى ووجه التهانى، ضبطه وخرَّج أحاديثه محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الثانية، درا الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٤٨. ابن الجوزى(٥٩٧هـ)(الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن القرشى):نواسخ القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٤٩. ......: من علم الناسخ والمنسوخ، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٥٠. ..... تذكرة الأريب فى تفسير الغريب، تحقيق طارق فتحى السيد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٥١. الشافعى(٦٦٠هـ)(الإمام أبى محمد عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام السليمى):مجاز القرآن ويسمى الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز، القسم الأول، حققه وقدم له د.محمد مصطفى بن الحاج، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، طرابلس، ١٤١٠هـ- ١٩٩٢م.

٥٢. أبى شامة المقدسى(٦٦٥هـ)(شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم): المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، حققه طيار آلتى قولاج، در صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٥٣. ......: إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع، تحقيق وضبط إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٥٤. الغرناطى(٧٠٨هـ)(الإمام أبى جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفى):ملاَك التأويل، فى جزأين، وضع حواشيه عبد الغنى محمد على الفاسى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٥٥. الموصلىّ(٧١٣هـ)(أبى موسى جعفر بن مكى):مُفرَدَة ابن كثير المكى، تحقيق وتعليق د.خالد أحمد المشهدانى، الطبعة الأولى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧.

٥٦. ابن البارزى(٧٣٨هـ):ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٥٧. الواسطى(٧٤٠هـ)(الإمام العلامة عبد الله بن عبد المؤمن):الكَنَزُ فى القراءات العشر، تحقيق هناء الحمصى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٥٨. الكلبى(٧٤١هـ)(الشيخ الإمام أبى القاسم محمد بن أحمد بن جُزى):التسهيل لعلوم التنزيل، فى جزأين، ضبطه وصححه وخرّج أحاديثه محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٥٩. الصفاقسى(٧٤٢هـ)(إبراهيم محمد):المجيد فى إعراب القرآن المجيد، تحقيق موسى محمد زنين، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، طرابلس، ١٤١٠هـ- ١٩٩٢م.

٦٠. ......: المجيد فى إعراب القرآن المجيد، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٦١. اليمانى(٧٤٣هـ)(العلامة تاج الدين أبى المحاسن عبد الباقى بن عبد المجيد القرشى):الترجمان عن غريب القرآن، قرأه وعلق عليه د.يحيى مراد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٢. ابن التركمانى(٧٥٠هـ)(على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الماردينى): بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٦٣. ابن قيم الجوزية(٧٥١هـ)(الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى الدمشقى):الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، مكتبة المتنبى، القاهرة، (د. ت).

٦٤. الزركشى(٧٩٤هـ)(الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله):البرهان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، فى أربعة أجزاء، مطبعة عيسى الحلبى، مصر، ١٩٧٢م.

٦٥. ابن القاصح البغدادى(٨٠١هـ)(الإمام أبى القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن):سراج القارئ المبتدئ وتَذكار المقرئ المنتهى، ضبطه وصححه وخرّج أحاديثه محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الثانية، درا الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٦. ابن الجزرى(٨٣٣هـ)(الإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى):النَّشر فى القراءات العشر، خرّج آياته الشيخ زكريا عميرات، فى جزأين، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٦٧. ابن حجر العسقلانى(٨٥٢هـ)(الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد):العجائب فى بيان الأسباب "أسباب نزول القرآن"، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٨. الجزرى(٨٨٣هـ)(الإمام ابن محمد بن محمد بن محمد على بن يوسف):تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٦٩. ابن العماد(٨٨٧هـ):كشف السرائر فى معنى الوجوه الأشباه والنظائر، تحقيق ودراسة د.فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم ومراجعة د.محمد سليمان داود، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٧م.

٧٠. النشّار(القرن التاسع الهجرى)(الإمام أبى حفص عمر بن قاسم بن محمد المصرى الأنصارى):المُكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعى الحفيان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٧١. السيوطى(٩١١هـ)(الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر):الإتقان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، فى أربعة مجلدات، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٦٧م.

٧٢. ......: طبقات الحافظ، تحقيق على محمد عمر، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٧٣. ......: معترك الأقران فى إعجاز القرآن، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين، فى ثلاث مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٧٤. ......: الإكليل فى استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٧٥. ......: لباب المنقول فى أسباب النزول، ضبطه وصححه أحمد عبد الشافى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٧٦. ......: أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٧٧. ......: المختار من كتاب الإتقان فى علوم القرآن، اختيار عامر محمد بحيرى، مراجعة عبد الوهاب حموده، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، (د. ت).

٧٨. الأنصارى(٩٢٦هـ)(شيخ الإسلام زكريا بن محمد):المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتداء، علق عليه شريف أبو العلا العدوى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

٧٩. الأشمونى(القرن الحادى عشر الهجرى)(أحمد بن محمد بن عبد الكريم):منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا، علق عليه شريف أبو العلا العدوى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

٨٠. الهَرْوى(١٠١٤هـ)(المُلا على بن سلطان):المنح الفكرية شرح المقدمة الجزريَّة،

تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعى الحفيان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٨١. البنّاء(١١١٧هـ)(العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى):إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦.

٨٢. الجمزورى(١١٩٨هـ)(العلامة الشيخ سليمان بن حسين بن محمد):الفتح الرحمانى شرح كنز المعانى بتحرير حرز الأمانى فى القراءات، تحقيق ودراسة شريف أبو العلا العدوى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٨٣. يوسف أفندى زاده(القرن الثانى عشر الهجرى)(أبى محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الأمامى الإسلامبولى الحنفى):رسالة فى حكم القراءة بالقراءات الشواذ، تصدير وتقديم وتحقيق تغريد محمد عبد الرحمن حمدان وعمر يوسف عبد الغنى حمدان، الطبعة الأولى، مطبعة الطيرة، الطيرة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٨٤. الجبورى(ق١٢هـ)(الشيخ القارئ سلطان بن ناصر):شرح قواعد البقرى فى أصول القراء السبعة، تحقيق هناء الحمصى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٨٥. الرافعى(١٣٥٦هـ)(مصطفى صادق):إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٨٦. الزرقانى(الشيخ محمد عبد العظيم):مناهل العرفان فى علوم القرآن، خرّج أحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، الطبعة الثانية، فى جزأين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٨٧. ابن طلال(الأمير غازى بن محمد):الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم، تقديم وتقريظ الداعية السيد على زين العابدين الجفرى، الطبعة الأولى، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٨٨. الصفاقسى(على النورى): غيث النفع فى القراءات السبع، ضبطه وصححه وخرَّج آياته محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٨٩. الصباغ(الشيخ على محمد):مختصر بلوغ الأمنية على نظم تحرير مسائل الشاطبية، ضبطه وصححه وخرَّج آياته محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٩٠. قمحاوى(محمد الصادق):البرهان فى تجويد القرآن ورسالة فى فضائل القرآن، الطبعة الأولى، دار النجم، ١٩٩٤م.

٩١. الشيخ إسماعيل مخدوم:تاريخ المصحف العثمانى، الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى، طشقند وقازاقستان، طشقند، ١٩٧١.

٩٢. الكيش(عبد الله محمد):أثر القرآن فى أصول مدرسة البصرة النحوية حتى أواخر القرن الثانى الهجرى، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٢.

٩٣. أبو ريدة(محمد عبد الهادى):مضمون القرآن الكريم فى قضايا الإيمان والنبوة والأخلاق والكون، الطبعة الأولى، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٩٤. رسلان(صلاح الدين بسيونى ):القرآن الحكيم «رؤية منهجية جديدة»، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.

٩٥. المنجد(محمد نور الدين):التضاد فى القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م.

٩٦. ......: الاشتراك اللفظى فى القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، تقديم د.مسعود بوبو، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت،١٩٩٨م.

٩٧. المدرس(العلامة عبد الكريم):الأصول فى تجويد القرآن الكريم، جمع

وترتيب الحاج علاء الدين القيسي، الطبعة الخامسة، مطبعة الأشبال، العراق، ١٩٩٠م.

٩٨. شامة(محمد):الحسد في القرآن الكريم بين الحقيقة والأسطورة، الطبعة الأولى، مكتبة شامة، القاهرة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٩٩. السنهوتي(محمد الأنور):الكون في ضوء التصور القرآني، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء، العدد الثالث، (د. ت).

١٠٠.الجبين(إبراهيم):لغة محمد، الطبعة الأولى، دار الينابيع، دمشق، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣.

١٠١. إبراهيم محمود:الجنس في القرآن، الطبعة الأولى، دار رياض الريس، بيروت، ١٩٩٤.

١٠٢.النعيمي(هشام سعيد محمود):حجة القراءات لأبي زُرعة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٠٣.عياد(شكري محمد):يوم الدين والحساب، الطبعة الأولى، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٤.الشرقاوي(عفت محمد):الفكر الديني في مواجهة العصر، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

١٠٥.بن مصطفى(الشيخ محمد كامل):تعليقات على أنوار التنزيل، تحقيق عبد الدائم محمد الباجقيني، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٩١م.

١٠٦.رضوان(أحمد حسن):من الكهف إلى الكون، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ١٩٩٠م.

١٠٧.مؤلف مجهول:شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٠٨. مجلة البلاغة المقارنة «ألف»، المجاز والتمثيل فى العصور الوسطى، العدد الثانى عشر، ١٩٩٢م.

١٠٩. مجمع البحوث الإسلامية:الرد على كتاب أخطاء إلهية فى القرآن الكريم، دار السعادة للطباعة، ٢٠٠٣م.

# صدر للمؤلف

## أولا ـ تحقيق وتقديم وتعليق:

١ـ أبو الحسين البصرى: المعتمد فى أصول الفقه، جزءان: المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٦٣-١٩٦٥.

٢ـ الحكومة الإسلامية للإمام الخمينى، القاهرة ١٩٧٩.

٣ـ جهاد النفس أو الجهاد الأكبر للإمام الخمينى، القاهرة ١٩٨٠.

## ثانيا ـ إعداد وإشراف ونشر:

١ـ اليسار الإسلامى، كتابات فى النهضة الإسلامية، العدد الأول، المركز العربى للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨١.

## ثالثا ـ ترجمة وتقديم وتعليق:

١. نماذج من الفلسفة المسيحية (المعلم لأوغسطين، الإيمان باحثًا عن العقل لانسليم، الوجود والماهية لتوما الاكوينى)، الطبعة الأولى، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية ١٩٦٨، الطبعة الثانية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨، الطبعة الثالثة، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.

٢. اسبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة، الطبعة الأولى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣، الطبعة الثانية الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٣،

الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت ١٩٨١.

٣. لسنج: تربية الجنس البشرى وأعمال أخرى، الطبعة الأولى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.

٤. جان بول سارتر: تعالى الأنا موجود، الطبعة الأولى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢.

## رابعا ـ مؤلفات بالعربية:

١ـ قضايا معاصرة، الجزء الأول، فى فكرنا المعاصر، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٦، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١، الطبعة الثالثة، مجد، بيروت ١٩٨٧.

٢ـ قضايا معاصرة، الجزء الثانى، فى الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢، الطبعة الثالثة، مجد، بيروت ١٩٨٨.

٣ـ التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، الطبعة الأولى المركز العربى للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨٠، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١، الطبعة الثالثة، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٧، مجد، بيروت ٢٠٠٠، ٢٠٠٢.

٤ـ دراسات إسلامية، الطبعة الأولى، الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢.

٥ـ من العقيدة إلى الثورة، محاولة لإعادة بناء علم أصول الدين، (خمسة مجلدات)، الطبعة الأولى، مدبولى، القاهرة ١٩٨٧، الطبعة الثانية، المركز الثقافى العربى، بيروت ١٩٨٨.

٦ـ دراسات فلسفية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٨، دار التنوير (قرطبة)، بيروت ١٩٩٠.

٧- الدين والثورة فى مصر (١٩٥٢-١٩٨١)، (ثمانية أجـزاء)، مدبولى، القاهرة ١٩٨٩.

٨- حوار المشرق والمغرب، توبقال، الدار البيضاء ١٩٩٠ (بالاشتراك مع محمد عابد الجابرى)، مدبولى، القاهرة ١٩٩١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥.

٩- مقدمة فى علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة ١٩٩١، مجد، بيروت ١٩٩٤، ٢٠٠٠، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٩.

١٠- هموم الفكر والوطن (جزءان)، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، جـ١ التراث والعصر والحداثة، جـ٢ الفكر العربى المعاصر.

١١- الدين والثقافة والسياسة فى الوطن العربى، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨.

١٢- جمال الدين الأفغانى، المائوية الأولى (١٨٩٧-١٩٩٧)، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠.

١٣- حوار الأجيال، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨.

١٤- من النقل إلى الإبداع (تسعة أجزاء)، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠-٢٠٠٢.

١٥- ما العولمة؟ دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٢.

١٦- النظر والعمل والمآزق الحضارى العربى والإسلامى الراهن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٣.

١٧- فشته، فيلسوف المقاومة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣، الجمعية الفلسفية المصرية، القاهرة ٢٠٠٣.

١٨- من النص إلى الواقع، محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه، جـ١ تكوين النص، جـ٢ بنية النص، دار المدار الإسلامى، بيروت ٢٠٠٥.

١٩- حصار الزمن، الحاضر (إشكالات)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٤.

٢٠- حصـــار الزمـــن، الحاضـــر (مفكرون)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٤.

٢١- من مانهاتن إلى بغداد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٤.

٢٢- جذور التسلط وآفاق الحرية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٥.

٢٣- حصـــار الزمـــن، الماضى والمستقبل (علوم)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٥.

٢٤- برجسون، فيلسـوف الحيـاة، المركز المصرى للمطبوعات، القاهرة ٢٠٠٨.

٢٥- نظريـــة الدوائـــر الثـــلاث، قراءة معاصرة بعد نصف قرن (جزءان)، دار العين للنشر ٢٠٠٨.

٢٦- عرب هذا الزمان، وطن بلا صاحب، دمشق ٢٠٠٨.

٢٧- من الفناء إلى البقاء، محاولة لإعادة بناء علوم التصوف، جـ١ الوعى الموضوعى، جـ٢ الوعى الذاتى، دار المدار الإسلامى، بيروت ٢٠٠٩.

٢٨- محمد إقبال، فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامى، بيروت ٢٠٠٩.

## خامسا ـ مؤلفات بالفرنسية والإنجليزية:

29. Les Méthodes d>Exégèse‹ essai sur La science des Fondements de la Compréhension‹ ‘ilm usul al-Fiqh‹ le Caire‹ 1965.

30. L>Exégèse de la Phénoménologie‹ l>état actuel de la méthode phénoménologique‹ et son application au phénomène religieux (Paris‹ 1965). Le Caire‹ 1980. (Arabic Translation‹ Dar Al Madar Al Islami‹ Lebanon‹ 2009).

31. La Phénoménologie de L‹Exégèse‹ essai d‹une herméneutique existentielle à partir du Nouveau Testament‹ (Paris‹ 1966). Le Caire‹

1988. (Arabic Translation، Dar Al Madar Al Islami، Lebanon، 2009).

32. Religious Dialogue and Revolution، essays on Judaism، Christianty and Islam، Anglo-Egyptian Bookshop، Cairo 1977.

33. Islam in the Modern World، 2 vols، I- Religion، Ideology and Development، II- Tradition، Revolution and Culture، Anglo-Egyptian Bookshop، Cairo 1995، Dar Keba>، Cairo 2000.

34. Cultures and Civilizations، conflict or Dialogue? 2 vols، I- The Meridian Thought، II- Cultural Creativity & Religious Dialogue Cairo، Book Center for Publishing، 2006.

## د. حسن حنفى ـ الأعمال الكاملة

# من النقل إلى العقل
## الجزء الأول ـ علوم القرآن

## الفصل الثانى
## البيئة الاجتماعـية



## الفصل الثالث
## الزمـان

## الفصل الثانى
## أساليب البلاغة



## الفصل الثالث
## التفسير

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب